



# ستاد السوط

هو جانيك

رضا

ترجمه : محمد عبد الرحمن مصطفى  
إمضاء : مصطفى حبيب

الناشر :  
مؤسسة جيل العرب

LibraryArab.com

LibraryArab.com

LibraryArab.com

Library

LibraryArab.com

LibraryArab.com

LibraryArab.com

Library

LibraryArab.com

LibraryArab.com

LibraryArab.com

Library

LibraryArab.com

LibraryArab.com

LibraryArab.com

Library

LibraryArab.com

LibraryArab.com

LibraryArab.com

Library

( ٤٧٤ )

الالف كتاب

شفاؤ السخط

بإشراف  
الإدارة العامة للثقافة  
بوزارة التعليم العالي

تَصَدَّقْ هَذِهِ السُّلْسَلَةَ بِمَعَاوَنَةِ  
الْمَجْلِسِ الْأَعْلَى لِرِعَايَةِ الْفُنُونِ وَالْآدَابِ وَالْعُلُومِ الْأَعْلِيَّةِ

الالف كتاب

# ثناء السخط

تأليف  
چون شتاينيك

مبصطفى جيب

ترجمه  
نور الدين مصطفى

موسسه سجل العرب  
بإشراف الاستاذ الدكتور ابراهيم عبيد  
٢٦ شارع شريف، باسكندرية  
تليفون ٤٩٩٩٩

١٩٦٣

هذه ترجمة كتاب :

**THE WINTER OF OUR DISCONTENT**

**JOHN STEINBECK**

تأليف :

القِسْمُ الْأَوَّلُ

LibraryArab.com

LibraryArab.com

LibraryArab.com

LibraryArab.com

LibraryArab.com

LibraryArab.com

LibraryArab.com

LibraryArab.com

LibraryArab.com

LibraryArab.com

LibraryArab.com

LibraryArab.com

LibraryArab.com

LibraryArab.com

LibraryArab.com



## الفصل الأول

عندما هنر صباح شهر إبريل المشرق الذهبي ماري هولي فأيقظها من نومها ، استدارت ناحية زوجها ، فرأته يجذب لها بأصابعه الصغيرة فماً أشبه بقم الضفدع .

قالت : « أنت أحق ، يا أيثان ، فقد تملكك عبقرتك الساخرة » .

— « أبوه ، قولي لي يا فارتى الصغيرة ، هل تقبليني زوجاً » ؟

— « هل استيقظت بهذا الحمق » ؟

— « إن السنة تبتدئ من يوم ، واليوم من صباح » .

— « أعتقد أنك استيقظت بهذا السخف . أتدري أن اليوم هو يوم الجمعة

الحزينة » ؟

فقال بصوت أجوف : « إن الرومان الأفذار يصطفون استعداداً لعودة

الجلجثة » .

« لا تنتهك الفطامات . هل سيدعك مارولو لتلقي المحل في الحادية عشرة؟ »

— « يا زهرنى العزيزة - إن مارولو كاثوليكي ومهاجر قذر . وقد لا يبين على

الإطلاق . سأقفل المحل من الظهر حتى ينتهى تنفيذ حكم الإعدام . »

— « ذلك كلام الآباء المغترين ، وهو ليس كلاماً مهذباً . »

— « هراء فذلك كلام أخذته عن أهل أمي ، فهو كلام قراصنة . لقد كان عملاً

تنفيذ حكم إعدام كما تعرفين » .

— « لم يكونوا قراصنة . أنت نفسك قلت إنهم كانوا صيادى حيتان ،

وأنت نفسك قلت إنه كانت لديهم خطابات مما تدعوه - المؤتمر الأوربي -  
- « لقد اعتبرتهم السجن التي أطلقوا عليها النار قرصنة مثلما اعتبر جنود الرومان  
صلب المسيح ، تنفيذاً لحكم إعدام » .

« ها قد أثرت ثائرتك ، ولكني أوتر أن تكون أحقاً » .  
- « أنتي أحق ، والجميع يعلمون ذلك » .

- « أنت دائماً تحيرني . ولك كل الحق في أن تفخر - ففي أسلافك يجمع  
الآباء المغتربون والريابنة من صيادي الحيتان في عائلة واحدة » .

- « وهل لهم هذا الحق » ؟  
« ماذا تعني ؟ »

- « هل بحق لأسلافى العظام أن يفخروا ، حين يعرفون أنهم اجبروا موظفاً  
لعيناً في محل بقالة ملعون يمتلكه مهاجر أوروبي قدر ، في بلدة كانوا  
يملكونها عادة » ؟

- « لست كذلك ، بل أنت أقرب إلى المدير ، تمسك الحسابات ، وتودع النقود  
في المصرف ، وتطلب البضائع » .

- « بالتأكيد . كما أنى أكنس المحل ، وأحم القمامة ، وأمرغ جهتي في الغراب  
من أجل مارولو . ولو كنت قطعة ملعونة ، لقمتم أيضاً بصيد فيران  
مارولو » .

فطوقته بذراعها . وقالت « انظر على حماقنا وأرجوك لا تنفخ بكلمات نابية  
في يوم الجمعة الحزينة فأنا أحبك » .  
وبعد بركة قال : « طيب ! ذلك ما يفكر جميعاً . ولكن لا تظني يا حبيبي ،  
أن هذا القول يسمح لك بالنوم مع رجل متزوج » .

« كنت أوشك أن أحملك عن الأولاد » .

« هل دخلوا السجن ؟ »

« أنت قد عدت لحافتك مرة أخرى . قد يكون من الأفضل أن

ينجبرك هما »

« ولم لا تقولين أنت ؟ »

« ستقرأ مارجي يانج هنت طالعي اليوم مرة أخرى » .

« كما تقرأ في كتاب ؟ من تكون مارجي يانج هنت ؟ من هي حتى يندفع

العشاق جميعاً - ؟ »

« إنك تعرف أنني لو كنت غيورة - أقصد أنهم يقولون . . عندما يتظاهر

رجل بأنه لا يكثر بكاء جميلة - »

« أوه ، هل هذه فتاة ؟ لقد تزوجت رجلين » .

« لقد مات الثاني » .

« أريد إظهارى . أتصدقين ذلك الهراء ؟ »

« حسناً ، لقد رأيت مارجي أخى فى الورق . وقالت : هناك شخص عزيز

وقريب » .

« سينال شخص قريب وعزيز على رفسة ، إذا لم تتعامل على نفسها - »

« ها أنا ذاهبة - أتريد بيضاً ؟ »

« أظن ذلك . لماذا يسمونها الجمعة الحزينة ؟ ماوجه الحزن فيها ؟ »

« قالت : « أف ، منك ! أنت تسخر دائماً » .

كانت القهوة قد أعدت ، والبيض قد وضع في طبق وإلى جواره الخبز  
للحمص ( التوست ) ، حين تسال إيثان آلان هولي إلى الركن المخصص للطعام  
قرب النافذة ، وقال :

— « أشعر أنتى فى حالة طيبة . لم يجمعونها الجمعة الحزينة ؟ »

فأجابته من عند الموقد : « إنه الربيع » .

— « جمعة الربيع ؟ »

— « بل حى الربيع . هل أولئك هم الأولاد بالطابق العلوى ؟ »

— « يالها من فرصة عظيمة لأولئك الأوغاد الصفار الكسالى . فلنوقفهما

ونحرقهما . »

— « ما أفتح كلامك حين تكون فى حماقتك ، هل ستأتى إلى البيت فى الفترة بين

الثانية عشرة والثالثة ؟ »

— « كلا . »

« ولم لا ؟ »

— « بسبب النساء . اللأى يترددن على المحل . وقد يكون الدور على

مارجى »

— « والآن يا إيثان لا تقل كلاماً كهذا . فارجى صديقة مخلصه ، وقد تنزع

قيصها عن بدنها تهبه لك » .

— « هكذا ؟ ومن أين جاءت بالقمص ؟ »

— « ها هو كلام الآباء المغترين مرة أخرى » .

— « أراهنك على أى شىء إننا قريبان . فنى عزوقها يجرى دم القراصنة » .

— « أوه ، لقد عدت لحقك مرة أخرى . هاك القائمة كما جاءتنا » . ودسها في جيب الصدر .

« قد يبدو أن بها طلبات كثيرة . ولكن لا تنس أنها عطلة عيد الفصح - ولا تنس كذلك إحضار دستتين من البيض . لأنك ستأخر » .

— « أعرف . وقد تفوتني صفقة بحسبة وعشرين سنتا لمارولو . لماذا دستتين ؟ »

— « للتاوين . فقد طلبهما الآن ومارى إيلين بالذات . الأفضل أن تذهب » .

— « طيب بازهرتى — ولكن أليس يوسعى أن أصد وأشبع آلان ومارى إيلين ضرباً ؟ »

— « أنت تفسدهما بتدليلك ، يا إيثان . وأنت تعرف أنك تفعل » .

— « وداعا ، يامركب الولاية » . قالها ، وصفق الباب الزجاجي وراءه ، وخرج إلى الصباح الأخضر الذهبي .

تطلع وراءه إلى البيت العتيق البديع ، بيت أبيه وجدته العظيم بطلانه الأبيض وأركانه المتوازية ، وتلك الطاقة المروحية التي تعلو بها الأمامى ، والرسوم المعمارية من طراز « آدم » ، ثم ذلك المر الضيق الذي يسير بحذاء حافته . لقد استقر البيت وسط حديقة ريانة بين أشجار البهاق ، التي بلغ عمرها المائة عام ، وسماك سيقانها خاصرة رجل ، وتترنح بحملها من البراعم . لقد اتصلت رؤوس شجرات الدردار المفروسة في شوارع « إلم » ، واصفر لونها مبشر بظهور أوراقها الجديدة . كانت الشمس قد تنعت لونها عن مبنى المصرف ، وأخذت تلتمع على برج الغاز الفضي

وهي تشير رائحة الغلق والملح الآتية من الميناء القديم .  
في تلك الساعة المبكرة ، لم يكن يوجد في شارع «إلم» سوى شخص واحد  
هو كلب المستر بيكر الأجر ، كلب مدير المصرف — المسمى رد بيكر ، والذي  
كان يتمشى في عظمة وأناة ، متوقفا بين الحين والحين ليتشم على جذوع الأشجار  
رائحة من سبقه من المارة .

— « صباح الخير ياسيدى . اسمى إيثان آلان هولى . لقد التقينا في أثناء التبول » .  
توقف رد بيكر ، وصادق على التحية بهزة بطيئة من ذيلة الطويل الشعر .  
قال إيثان : « كنت أنظر فقط إلى بيتى . كانوا يتقنون فن البناء في تلك  
الأيام » .

رفع رد رأسه ، ومد إحدى قائمته الخلفيتين ليحك ضلوعه بشكل عارض .  
— « ولم لا ؟ كانوا يمتلكون المال . زيت الحيتان من البحار السبعة ، ومن  
القيطس . — ما هو من القيطس ؟ »

فاطلق رد زفرة معولة .

« أرى أنك لاتعرف . إنه زيت خفيف ، ذو رائحة حلوة كرائحة الورد ،  
متخرج من تجويف رأس حوت الكاشالوت الضخم . اقرأ ( موبى ديك ) ،  
ها الكلب . تلك نصيحتى اليك » .

رفع الكلب قائمته على مربط الجياد المصنوع من حديد الزهر قرب القناة .

وعندما استدار إيثان ليتابع سيره ، التفت وراه وقال : « ثم أكتب تقريراً عن الكتاب ، فملك تعلم ابني . فهو لا يستطيع مجرد تهجى كلمة ( قيطس ) ، أو - أية كلمة أخرى » .

يخترق شارع إلى شارع هاى بزواية ، بعد عمارتين من بيت إيثان آلان هولى العتيق . وفي منتصف الطريق إلى العمارة الأولى أخذت جماعة من العسافير الإنجليزية الشقيقة تتقاتل على العشب الجديد فى حديقة إجار ، لم تكن تلعب ، بل تتدحرج وتنقر وتسجل عيون بعضها البعض بوحشية وضراوة ، وتصخب صخباً شديداً ، لم ترمعه إيثان وهو يقترب . فوق يقرب المعركة .

قال : « الطيور تتوافق فى أعشاشها الصغيرة ، فلم لا نستطيع نحن كذلك أن نتوافق ؟ ها كم حفنة من شعير الخيل . أنتم يا صغاري لا يمكنكم الاتفاق حتى فى صباح جميل كهذا . وأنتم الأوغاد الذين تمتعوا بعطف القديس فرنسيس ! هس ! » وركض إليهم دافعاً الأرض بقدميه ، وهبت العسافير وأجنحتها تبعث زئيراً هامساً ، وهى تشكو برارة فى صوت كصير الأبواب . وقال إيثان فى إثرها : « دعونى أقول لكم هذا ! ستظلم الشمس فى الظهيرة ، وستغمر الأرض ظلمة ، ويتملككم الذعر » . ثم عاد إلى الرصيف ، وتابع سيره .

لقد صار بيت آل فليب العتيق الواقع فى العمارة الثانية نزلاً ، وقد خرج من بابه الأمامى جوى مورفى ، صراف مصرف « فيرست ناشيونال » . خلال أسنانه ، وعدل صديريته ( التارسول ) ، ثم قال لإيثان : « هاى . كنت على وشك زيارتك ، يامستر هولى » .

— « لم يسمونها الجمعة الحزينة ؟ » .

— « إنها كلمة مشتقة من اللاتينية جودوس . جوديلپوس ، جودوم ،  
ومعناه قدرة » .

\* \* \*

كان جوى يشبه الحصان ، ويبتسم كالحصان ، رافعاً شفته العليا الطويلة ليظهر أسناناً كبيرة مربعة . جوزيف باتريك مورفي ، أو الفتي جوى - وبسمى مورف - وكان معروفاً فعلاً في نيوبايرون رغم أنه لم يفد إليها إلا منذ سنوات معدودة . كان دائم النكتة ، يفتح فمه ليلقيها دون أن تفصح عيناه عن شيء . مثل لاعب البوكر ، ولكنه يصهل ضاحكاً لنكات الغير . سواء سبق له أن سمعها أم لا . كان هذا المورف حكيماً - يعرف خبايا كل شيء - وكل شخص من المافيا إلى مونتباتن ، إلا أنه كان يبوح بهذه الخبايا بصوت يعلو باطراد ، وكأنه يتساءل . وكانت تلك اللهجة تبرىء نبرته من أى إساءة ، وتجعل من سامعه شريكاً له ، فيصبح بوسعه أن يعيدها على أنها من عندياته . كان جوى قرداً ساحراً - مقامراً ، ولكن لم يره أحد يوماً يراهن ، وكان بارعاً في مسك الدفاتر ، وصرافاً مدهشاً . وقد وثق مستر بيكر ، مدير مصرف فيرست ناشيونال ، بجوى ثقة تامة ، فترك له تصريف معظم أعمال المصرف . كان هذا المورف يعرف الجميع معرفة وثيقة ولم يناد أحد قط باسمه الشخصي . فإيثان هو مستر هولى ، ومارجى بانج هنت هي مسز يانج هنت بالنسبة لجوى ، بالرغم من الهمس الذى دار عن علاقته بها . كان بلا عائلة ، وبلا علاقات ، ويسكن وحده في غرفتين بحمام خاص في منزل آل فليب المتيق ، ويتناول معظم



وجباته في مطعم وبار فور ماستر . وقد كان ماضيه في الأعمال المصرفية معروفة لمستريبكر والشركة المشرفة على المصرف ، وهو ماض لا تشوبه شائبة ، إلا أنه كانت للفتى جوى طريقة في سرد أحداث وقعت لغيره ، بشكل يجعلك تشك في أنها قد وقعت لجوى نفسه ، وإذا كان الأمر كما روى ، فلا بد أنه حضر هذه الأحداث فعلا . بل زاد من محبة الناس له ، أنه لا يستدين . وقد حافظ على العناية بنظافة أظافره ، وارتداء الملابس الأنيقة الفخمة ، فهو يلبس دائما قميصاً نظيفاً وحذاء ملعاً .

مضى الرجلان ببطء في شارع إلم متجهين إلى شارع هاى .

— « طالما نويت أن أسألك .. هل لك صلة قرابة بالأميرال هولى ؟ »

وسئل إيثنان : « ألا تقصد الأميرال هولس ؟ لقد سمعنا عن قباطنة كثيرين في العائلة والكنى لم أسمع قط عن أميرال » .

— « سمعت أن جدك كان قبطان سفينة لصيد الحيتان . وأظن الأمر

اختلط في ذهنى بالأميرال » .

قال إيثنان : « في بلدة كهذه توجد أساطير . مثل قولهم إن أهل والدى

قاموا ببعض أعمال القرصنة في طريق عودتهم إلى هنا ، وإن عائلة أمى جاءت مع مهاجرى المالى الور » .

فقال جوى : « وإيثنان آلان . بالله - هل لك به أيضا صلة قرابة ؟ »

فرد إيثنان : « ربما ، بل لا بد أن يكون الأمر كذلك . ياله من نهار - هل

رأيت أبدع منه قط ؟ لأى سبب أردت رؤيتى ؟ »

- « آه ، نعم . أظنك تغلق الحبل من الثانية عشر إلى الثالثة ، فهل تعد لي شطيرتين حوالى الحادية عشر والنصف ؟ سأتى لأخذهما . مع زجاجة لبن . »

- « ألن يغلق المصرف ؟ »

- « بلى ، سيغلق المصرف . أما أنا فلا . سيظل جوى الصغير هناك ، مشدوداً إلى الدفاتر فى عطلة نهاية أسبوع ضخمة كهذه - يقوم كل فرد وكلبة أيضاً بصرف شيكات . »

فقال إيثان : « ثم أفكر فى ذلك أبدا . »

- « أوه ، بالتأكيد . فهذا هو الحال فى عيد الفصح ، ويوم الشهداء ، وعيد الرابع من يوليو ، وعيد العمل - وأية عطلة نهاية أسبوع طويلة . ولورغبت فى السطو على مصرف لفعلت ذلك تماماً قبل عطلة نهاية أسبوع طويلة . حينذاك تكون النقود موجودة هناك ، فى الانتظار . »

- « ألم تتعرض لحادث سطو ، يا جوى ؟ »

- « كلا . ولكن لى صديق تعرض للسطو مرتين . »

- « وماذا قال عن ذلك ؟ »

- « قال إنه كان خائفاً . وكان يتلقى الأوامر فحسب . لقد انبطح أرضاً وتركهم يأخذونها ، وقال إن النقود مؤمن عليها بأفضل مما هو مؤمن عليه . »

- « سأحضر لك الشطيرتين بعد ما أغلق الحبل . وسأطرق الباب الخلفى . أى نوع من الشطائر تريد ؟ »

- « لا تزعج نفسك يا مستر هولى . سأدلف عبر الحارة - لتكن إحداها لحم خنزير والثانية جبينا فى خبز الشعير ، مع خس ومايونيز ، وقد احتاج إلى زجاجة لبن ، وزجاجة كوكاكولا أشربهما فيما بعد . »

- « عندنا (سلاحي) جيد - وهي انتقاء ماروللو » .
- « لا ، اشكرك . كيف حال عضو المافيا الوحيد ؟ »
- « أظنه بخير » .
- « حسناً ، لا بد لك حتى لو لم تحب الغرباء - من الإعجاب برجل يستطيع أن يبنى من عربة يد كل ما يقتنى الآن من ممتلكات . إنه ذكي جداً ، فالناس لا يعرفون شيئاً عن مقدار ما يكتنزه . ربما لا ينبغي على قول ذلك ، فالمفروض في موظف المصرف ألا يفشى سرّاً » .
- « ولكنك لم تفش سرّاً » .
- كانا قد وصلا إلى الناصية التي يلتقى فيها شارع إلم بزواية مع شارع هاى . وتوقفا بحركة ألية ، واستدار ليتطلعا إلى القرميد الوردى والملاط القذر ، الذي كان فى الماضى فندق باى العتيق ، والذي أخذوا يهدمونه حالياً لينسح مجالاً لفندق وول ورث الجديد . كان الجاروف الآلى الأصفر ، والرافعة التي تطوح بكرة الهدم ساكنين ، وكأتهما حيوانان مفترسان يتربصان فى تلك الساعة المبكرة من الصباح .
- وفال جوى : « لقد رغبت دائماً أن أفعل هذا . لا بد أن يتملك المرء شعور بالاذة ، حين يطيح بتلك الكرة الفولاذية ، ثم يرى جداراً يتهاوى » .
- قال إيثان : « لقد رأيت فى فرنسا ما يكفى من الجدران المتهاوية » .
- « أجل ! فاسمك منقوش على النصب المقام قرب الميناء » .
- « هل تمكنوا من القبض على اللصوص الذين هاجموا صديقك ؟ »
- كان إيثان واثقاً أن هذا الصديق لم يكن سوى جوى نفسه . ولو سمعه أى شخص آخر لوثق من ذلك أيضاً .

« لقد اصطادوهم كالفيران. من حسن الحظ أن اللصوص ليسوا أذكىاء، ولو ألف الفتى جوى كتابه عن طريق السطو على مصرف لما تمكن الشرطة أبداً من الإمساك بأحد » .

وضحك إيثان ، وهو يقول : « وكيف ستتناول الموضوع ؟ »

— « لدى معلوماتي الخاصة ، يا مستر هولى . وإننى أقرأ الصحف فحسب ، ثم إنه كانت لى معرفة وثيقة بفتى كان يعمل شرطياً . أنريد سماع المحاضرة التى تمنها دولارين ؟ »

— « والى تساوى ما يقرب من خمسة وسبعين سنتاً . لا بدلى من فتح المحل » .

قال جوى : « سيداتى سادتى ! إننى هنا هذا الصباح - لا، انتهوا ! كيف ستكون لصوص المصارف ، رقم واحد - عن طريق صحيفة السوابق ، إذا كان رء قد قبض عليه من قبل . رقم اثنين - بالتقاتل على الغنائم ، تم إفشاء أحدهم سر . رقم ثلاثة النساء . فهم لا يستطيعون الابتعاد عن النساء ، وهذا يؤدى بنا ن رقم أربعة - إذ يكون عليهم إنفاق تلك النقود . راقبوا محدثى الانفاق ، نعموا أيديكم على اللصوص » .

— « إذن ما هى طريقتك ، ياسيدى الأستاذ ؟ »

— « طريقة بسيطة بساطة ارتدائك جواربك . أجعل كل ماسبق عكسياً : لا تسرق مصرفاً على الإطلاق إذا كان قد سبق القاء القبض عليك ، أوقيدت ضدك سابقة لأى سبب من الأسباب . لا شركاء - قم بالعملية وحدك ولا تخبر مخلوقاً ، أى شخص . انس النساء . لا تنفق النقود ، بل احفظها بعيداً ، ولو استمر

ذلك سنوات. وحين يتوافر لديك مبرر لامتلاك بعض النقود، فأخرج القليل منها في كل مرة واستثمره . لا تبده .

— « وماذا لو تعرفوا على اللص ؟ »

— « إذا حجب وجهه ولم يتكلم ، فمن ذا الذى يتعرف عليه ؟ هل سبق لك أن قرأت أوصاف شهود الرؤية ؟ إنهم أغبياء . ويقول صديقى الشرطى ، إنهم كانوا يتعرفون عليه المرة تلو المرة عندما يضعونه أحياناً فى صف المشبوهين . وكان الناس يقسمون أن تفتلع أعينهم لو لم يكن هو فاعل تلك الفعلة . تلك المحاضرة تكلفك سبعة خمسة وسبعين سنتاً ، تسمح . »

أدخل إيثان يديه فى جيبه ، وقال : « سأكون مديناً لك بها . »  
فقال جوى : « سأخذ شطائر فى مقابلها . »

عبر الاثنان شارع هاى ، ودخلا الحارة التى تشكل زاوية قائمة مع الجانب الآخر . ودخل جوى من الباب الخلفى لمصرف « فيرست ناشيونال » الذى كان على جانبه من الحارة ، بينما فتح إيثان قفل باب « محل مارو للولائفوا كه والبقالة » المطل على الحارة والذى كان إلى جانبه . وصاح : « لحم خنزير وجبن ؟ »  
— « فى خبز الشعير — مع الخس والمايونيز . »

تسرب خلال المخزن من الحارة الضيقة ضوء ضئيل أعمته النافذه المتربة ذات القضبان الحديدية . وتوقف إيثان فى المكان الذى تضيئه تباشير الصباح وترتفع أرففه الى السقف ، وتتكدس فيه صناديق الورق المقوى والخشب محتوية على الفاكهة ، والخضروات ، والأسماك ، واللحوم ، والخبز . وتشم رائحة فضلات الفيران خلال روائح البقول المنبمثة من الدقيق والبقول المجفف والفاصوليا ، وخلال

رائحة الورق والخبر المنبعثة من صناديق العصيدة ، وخلال رائحة الحموضة الزائدة  
اللاذعة المنبعثة من الجبن ، والسجق ، وخلال الأبخرة المنبعثة من لحم الخنزير  
المملح ولحم الفخذ ، ثم خلال التخمر المنيث من ورق السكرنب المقطع النائف  
والخس ، وشواشي البنجر المظلة من صفائح القمامة الفضية اللون قرب الباب الخلفي .  
وعندما تأكد من عدم وجود أية زناخة صدئة لرائحة فأر ، فتح الباب المطل  
على الحارة ثانية ودحرج صفائح القمامة المغلقة إلى الحارة . واندفع قط رمادي  
ليدخل ، ولكنه طرده بعيداً .

أشار إلى القط ، وقال « لا . لا تدخل إن الأتعاب التي تقدمها للقطط ، هي  
الفيران الكبيرة والصغيرة ، أما أنت فقارض سجق . ألسنت كذلك ! أنت  
تسمعي — أليس كذلك ! »

كان القط الجالس يلحق مخلباً وردياً معقوفاً ، ولكنه عند سماع عبارة  
« أليس كذلك » الثانية رفع ذيله إلى أعلى وسار مبتعداً ، ثم تسلق السور العريض  
خلف المصرف . فقال إيذان بصوت مرتفع : « لا بد أن تكون تلك كلمة  
سحرية » ثم عاد إلى الخزن ، وأغلق الباب خلفه .

اخترق آلان الغرفة المتربة متجهاً إلى الباب القلاب الذي يفضى إلى المحل —  
وعندما وصل إلى المرحاض سمع فحيح الماء المنساب . فتح الباب العريض بكوته  
الزجاجية ذات الشبكة السلكية ، ثم زج الأسفين ليبقى مفتوحاً ، وفي عزم دفع  
كتلة الخشب بمقدمة حدائه لتستقر في مكانها .

كان لون المحل ضارباً إلى الخضرة ، بسبب الستائر المسدلة على النوافذ  
لأمامية الضخمة . وهنا أيضاً ارتفعت الأرفف حتى السقف ، وقد ملأها في

عناية أطعمة محفوظة في علب وأوان زجاجية براقه ، إنها مكتبة للعمدة . وفي أحد الجوانب — كانت هناك آلة عد النقود ، وأكياس الورق ، والدوبارة ، ثم ذلك الشيء الرائع المصنوع من صلب غير قابل للصدأ بطلائه الأبيض المتألق ، إنه الثلاجة وقد كان مكبسها يهمس لنفسه . أدار إيثان مفتاحا ، فغمر وهج النيون البارد المائل الى الزرقة الشرائح الباردة ، والجبن ، والسجق ، وقطع الكوستليتة ، وشرائح اللحم البقري ، والأسماك . وملاء الحل ضوء متكسر كالذي ينعكس عادة في الكاتدرائية — مثل كاتدرائية تشارترز . وتوقف إيثان يتأمل المشهد بإعجاب أنابيب أرغن من علب الطاطم ، ومعايد صغيرة من المسطردة والزيتون ، ثم مائة قبر سردين بيضاوي الشكل .

وترنم بلحن ترتيلي صلاة لا معنى لها ، وختمها بكلمة « آمين ! » كان بوسعه أن يسمع تعليق زوجته على صلاته : « ذلك سخف منك ، فضلا عن أنك قد تؤذي مشاعر شخص ، وليس بمقدورك أن تتجول هنا وهناك وأنت تؤذي شعور الناس » .

موظف في محل بقالة — بقالة ماروللو — له زوجة وطفلان عزيزان . فمتى يفرد بنفسه ، متى يستطيع أن يفرد بنفسه ؟ الزبائن في أثناء النهار ، ثم الزوجة والطفلان في المساء ثم الزوجة خلال الليل ، والزبائن في أثناء النهار ، ثم الزوجة والطفلان في المساء . « في الحمام — ذلك هو الوقت الوحيد » . قالها إيثان بصوت عال ، « ثم الآن بالذات قبل أن أفتح البوابة لتدفق الفيضان . آه من تلك اللحظة المعتمة ، المظلمة ، المدهمة ، القذرة الحبيبة » وخاطب زوجته قائلا : « والآن ياقلب السكر ، مشاعر من تلك التي أستطيع إيذاءها ؟ لا يوجد هنا ثمة إنسان أو مشاعر . ليس هنا سوى أنا وترائيلي حتى — حتى أفتح ذلك الباب الأمامي اللعين » .

تناول مئزراً نظيفاً من درج خلف الطاولة المجاورة لآلة عد النقود ، وفرده ، ثم جذب الأربطة ووضعها حول خصره النحيل ، ولف الرباطين حول جسده ثم أعادها إلى الخلف ثانية . ومد يديه خلف ظهره وعقد عقدة منزلة .

كان المئزر طويلاً يصل إلى مآحت منتصف ساقيه . رفع يده اليمنى ، وهي مضومة في تراخ ، وراحتها إلى أعلى ، ثم صاح : « استمعي إلى ، أنت أيتها الكثرى المحفوظة وأنت أيتها المخللات ، وأنت أيتها الخضروات المتبلة » — ولما كان النهار اجتمعت مشيخة الشعب ورؤساء الكهنة والكتبة ، وأصعدوه إلى مجهم . — ولما كان النهار . لقد بدأ السفلة عملهم مبكرين ، أليس كذلك ؟ لم يضيعوا لحظة واحدة بحال من الأحوال . ولتر الآن . « وكان نحو الساعة السادسة » — ربما كان ذلك في الساعة الثانية عشرة — فكانت ظلمة على الأرض كلها إلى الساعة التاسعة . وأظلمت الشمس . والآن كيف أتذكر ذلك يا إلهي الطيب ، لقد استغرق وقتنا طويلاً لموت — وقتنا طويلاً مرعباً « أسقط يده ونظر في تساؤل إلى الرفوف المزدهجة وكأنها قد ترد عليه . أنت لاتكلميني الآن يا ماري ، يا حلوتى . فهل أنت إحدى بنات أورشليم ؟ لقد قال : « لاتبكين على بل ابكين على أنفسكن وعلى أولادكن . لأنه إن كانوا بالعود الرطب يفعلون هذا فماذا يكون باليابس ؟ » لاتزال تلك الكلمات تثير شجوني لقد كان تأثير العمة ديبورا أفضل مما اعتقدت . لم تحن الساعة السادسة بعد — ليس بعد .

رفع الستائر الخضراء عن النوافذ الكبيرة وهو يقول : « ادخل ، أيها النهار » وبعد نُدفتح أقفال الأبواب الأمامية ، وقال : « ادخلي ، أيتها الدنيا » . طوح الأبواب ذوات القضبان الحديدية ففتحها ، ثم شبكها لتظل مفتوحة .



كانت شمس الصباح راقدة في نعومة على الرصيف كما ينبغي أن تكون ، ففي شهر أبريل تشرق الشمس من نفس النقطة التي يندفع فيها شارع هاى إلى الخليج . عاد إيثان إلى المرحاض ليحلب مقشاة يكتسب بها الرصيف .

إن يوماً ، يوماً بأكمله ، ليس شيئاً واحداً ولكنه أشياء عدة . إنه لا يتغير في تزايد الضوء وهو يتجه إلى سمت السماء ثم وهو يفيض ثانية فحسب ، بل يتغير في مكوناته وحالاته المزاجية ، يتغير في نعمته ومعانيه ، ويفلغه ألف عنصر من عناصر الفصول ، والحرارة أو البرودة ، والسكون أو الرياح المتعددة ، وتكتنفه الروائح والمذاقات ، وأنسجة من ثلج أو عشب ، من برعم أو ورقة أو جذوع عارية مرسومة بالسواد . ومثلما يتغير اليوم تتغير كائناته ، من حشرات وطيور ، وقطط ، وكلاب ، وفراش وأناس .

لقد انتهى يوم إيثان آلان هولى الهادىء المعتم الداخلى . فالرجل الذى كنس الرصيف فى الصباح بضربات موسقية ، لم يكن نفس الرجل الذى يستطيع أن يخطب فى البضائع المحفوظة فى العلب ، ولم يكن رجل التراتيل ، بل لم يكن حتى رجل الوقت المدلهم . جمع فى كنانة مقشته أعقاب السجائر وأغلفة اللادن وأكياس البراعم المتساقطة من الشجر الخصب ، والتراب العادى البسيط ، ثم دفع صفوف الخلفات التى كونتها الرياح تجاه الليزاب ، لتنتظر عمال البلدية بسياراتهم الفضية .

أخذ مستر بيكر طريقه السليم المرسوم من منزله فى شارع مايل متجهاً إلى مبنى مصرف « فيرست ناشيونال » الرومانى الطراز والمقام من القرميد الأحمر . ولو لم تكن خطواته متساوية الطول ، فمن كان سيعرف أنه تجنب قصم ظهر أمه عن

طريق عادة اكتسبها منذ القدم ؟

— « صباح الخير ، مستر بيكر . »

قالها إيثان ، وأوقف هفة ممشته لينقذ سروال مدير المصرف الصوفي الأنيق

من التراب .

— « صباح الخير ، يا إيثان . صباح بديع . »

قال إيثان : « إنه بديع فعلاً ، فقد هل الربيع ، يامستر بيكر . وكان الفأر

البرى مصيباً مرة أخرى . »

— « نعم ، كان مصيباً . » وسمت مستر بيكر برهة . « لطلما وددت

التحدث إليك ، يا إيثان . تلك النقود التي حصلت عليها زوجتك من وصية

أخيها - إنها تزيد على خمسة آلاف ، أليس كذلك ؟ »

قال إيثان : « بل ستة آلاف وخمسمائة ، بعد الضرائب . »

— « حسناً ، أنها مجرد نقود ملقاة في المصرف ينبغي أن تستثمر . أود أن

أتحدث معك بشأنها ، ينبغي أن تشغل نقودك . »

— « إن ستة آلاف وخمسمائة دولار . لا تصلح للقيام بعمل كبير ياسيدي

وكل ما يمكن هو الاحتفاظ بها لمواجهة الطوارئ . »

« لست ممن يؤمنون بالنقود العاطلة ، يا إيثان . »

— « حسناً ، هذا أيضاً يفيد - على لحسب أن أقف وأنتظر . »

وصار صوت مدير المصرف جليدياً وهو يقول : « لا أفهم هذا . »

إلا أن لهجته كانت تقول إنه يفهم فعلاً ويجده غباء ، واستقارت نغمة صوته

مرارة في نفس إيثان ، وتمخضت المرارة عن كذبة .

ودارت المقشة في الحماة رقيقة مع الرصيف « الأمر هكذا ، ياسيدى . هذه النقود تأمين مؤقت لمارى إذا حدث لى ثمة شيء » .

— « ينبغي عليها إذن أن تستعمل جزءاً منها لتؤمن حياتك » .

— « ولكنك مال مؤقت فحسب ، ياسيدى . تلك النقود كانت بمن ضيعة شقيق مارى . ولا تزال أمها على قيد الحياة . وقد تبقى حية عدة سنوات » — « أفهم هذا . ومن الممكن أن يكون العجائز عبثاً » .

— « وهم يستطيعون الجاوس أيضا على أموالهم » . تطلع إيثان إلى وجه مستر بيكر وهو يلقي كذبه ، ورأى اللون الأحمر يتصاعد أعلى ياقة مدير المصرف « ها أنت ترى . ياسيدى ، إنى لو استثمرت أموال مارى فقد أخسرها ، كما خسرت أموالى ، وكما خسر أبى ثروته » .

— « الماء موجود تحت القنطرة ، يا إيثان - الماء موجود تحت القنطرة . أعرف أنك اكتويت بالإفلاس . ولكن الوقت يتغير ، وفرص جديدة تفتح » — « لقد واتنى فرصتى ، يامستر بيكر ، فرصة أكبر مما أملك من عقل . لا تنس أنى امتلكت هذا المحل عقب الحرب مباشرة . واضطرت لبيع نصف عمارة من الأملاك الجيدة لأملأه بالبضائع — آخر ما كنا نملك من وسائل التجارة » .

— « أعرف يا إيثان فانا مدير مصرفك . وأعرف عن أعمالك مثلما يعرف طبيبك عن نبضك » .

— « بالتأكد تعرف . لقد استغرق الأمر أقل من سنتين لأصبح على شفا

الإفلاس اللعين . كان على أن أبيع كل شيء عدا منزلى ، لى أسدد ديونى »

— « لا يسعك أن تلقى على نفسك كل اللوم من أجل ذلك . شخص مسرح جديد من الجيش - ولاخبرة له بالعمل التجارى ، ولا تنس أنك أصطدمت رأساً بمرحلة كساد اقتصادية ، وإن كنا نحن قد سميناها انكماشاً مؤقتاً . لقد ضاع فيه عدد من كبار رجال الأعمال ذوى الخبرة الكبيرة » .

— « لقد ضعت فيه بالفعل ، إنها أول مرة فى التاريخ يحدث فيها على الإطلاق أن يعمل واحد من آل هولى موظفاً فى بقالة أحد المهاجرين » .

— « والآن ، هذا هو مالا أستطيع فهمه يا إيشان . من الممكن أن يحل الإفلاس بأى شخص ، ولكن الذى لا أفهمه هو لماذا تبقى مفلساً ، وأنت رجل له مثل عائلتك وماضيك وتعليمك . ليس المفروض أن يلازمك هذا الإفلاس إلا إذا كان دمك قد فقد حميته . ما الذى صرعتك ، يا إيشان ؟ ما الذى يبيحك هكذا صريعاً ؟ »

هم إيشان بأن يجيب إجابة سريعة غاضبة يقول فيها - من الطبيعى ألا تفهم ، فلم تتعرض لذلك أبداً من قبل - وعندئذ كدس - ملقة صغيرة من أغلفة اللادن وأعقاب السجائر وكون منها هرما دفعه تجاه الميزاب .

« الرجال لا يصرعون ، أقصد أنهم يستطيعون المضى فى الصراع مع أشياء ضخمة . إنما يقتلهم التفقت ، فيساقون إلى انقش . ويسيطر عليهم الخوف ببطء . وأنا خائف . فقد تقطع عنا شركة لونج إيلاند الإضاءة ، وزوجتى تحتاج إلى ملابس . ويحتاج أطفالى - إلى أحذية وهو . ثم افترض أنهم لا يستطيعون الحصول على تعليمهم ؟ ثم هناك الفواتير الشهرية والطبيب والأسنان واستئصال اللوز ، وأفترض خلافاً لذلك أنتى مرضت ولم أعد قادراً على كدس هذا الرصيف اللعين ؟ من الطبيعى ألا تفهم . فهى عملية بطيئة -

عملية تبعث العفن في صلابتك . أنا لا أستطيع أن أفكر فيما هو أبعد من قسط الشهر التالي للثلاجة . أنا أكره وظيفتي وأخشى فقدانها . فكيف تستطيع أن تفهم ذلك ؟

— « وكيف الحال مع والدة ماري ؟ »

— « قلت لك ، إنها تجلس فوق النقود ، وستموت وهي جالسة عليها . »  
— « لم أكن أعرف . ظننت أن ماري تنحدر من أسرة فقيرة . ولكنني أعرف أنك حين تمرض تحتاج إلى دواء وربما إلى عملية جراحية أو إلى صدمة كهربية . لقد كان قومنا شجعمانا ، وأنت تعرف هذا . فلم يتركوا أنفسهم يستسلمون للموت . وهذا قد تبدل الزمن . وهناك فرص لم يحلم بها أسلافنا ، وهذه القرص يلتقطها الأعراب . الأعراب يتغلبون علينا . فاستيقظ ، يا إيثان . »

— « وماذا بشأن الثلاجة ؟ »

— « أتركها إذا اضطررت لذلك . »

— « وماذا بشأن ماري والأطفال ؟ »

— « انهم فترة . سيكون حبهم لك أكثر إذا تساقطت الحفرة ، وخرجت منها . أنت لا تساعدهم بقلقك عليهم . »

— « ونقود ماري ؟ »

— « اخسرها إذا اضطررت لذلك ولكن غامر بها . ولن تخسرها إذا توفرت لك العناية والمشورة الصادقة . ليست المغامرة هي الخسارة . لقد وضع قومنا دائما في عداد المجازفين ، ومع ذلك لم يخسروا شيئا . سأصيبك بصدمة ، يا إيثان . أنت تتفاضى عن ذكرى السكا بن هولى العجوز . وأنت مدين لذكراى بشيء ما . لقد أمتلك هو وأبى سفينة « البلادير » مشاركة ، إحدى أواخر

ها بنى من سفن صيد الحيتان ، ومن أروعها جميعا . انفض عنك تكاسلك ،  
يا إيثان . أنت مدين للبلادير بشيء لم تدفعه بشجاعة وإقدام . وإلى الجحيم  
بالشركة المالية .

دفع إيثان قطعة متمنعة من ورقى السوليفان إلى حافة الميزاب بطرف مقشته .  
وقال فى رقة : « لقد احترقت البلادير حتى خط مندوب الماء ، ياسيدى .

— « أعرف أن هذا حدث ، ولكن هل أوقفنا ذلك ؟ إنه لم يوقفنا » .

— « كان مؤمنا عليها » .

— « طبعا ، كانت كذلك » .

— « حسنا ، أما أنا فلم يكن مؤمنا على . فأنقذت بيتى ولا شيء سواه » .

— « يجب أن تنسى تلك الأمور . فانك تمنع الفكر فى شيء مضى .

عليك أن تستجمع شيئا من شجاعة ، شيئا من جرأة . لهذا قلت لك إنه ينبغي

عليك أن تستثمر أموال مارى . إننى أحاول مساعدتك ، يا إيثان » .

— « أشكرك ياسيدى » .

— « سنخلع عنك هذه الميذعة وأنت مدير بهذا الكتابين هولى الميجوز .

إنه لن يصدق عينيه إذا رآك .

— « نعم أحسبه لن يصدق » .

— « هكذا يكون الكلام . سنخلع هذه الميذعة » .

— « لولم يكن الامر متعلقا بمارى والأطفال ... » .

— « أنفسهم ، أفول لك - انهم من أجل مصلحتهم هم . ستحدث هنا

في نيويبايتون بعض الأمور الهامة . ويمكنك أن تكون شريكاً فيها .

— « أشكرك ، يا سيدي » .

— « دعني فقط أتدبر الأمر » .

-- « يقول مستر مورفي أنه سيعمل عندما تغلقون في الظهيرة . وسأعد له

بعض الشطائر . فهل تريدني أن أعد لك بعضاً منها ؟ »

— « كلا شكراً . سأدع جوي يقوم بالعمل . إنه رجل طيب . وهناك

عقار أريد أن أبحث أمره ، أقصد في مكتب موثق المقاطعة . فالمكان هناك

يكون لطيفاً وخالياً من الثانية عشرة حتى الثالثة قد يكون هناك شيء من أجلك

سنتكلم عنه عاجلاً . إلى اللقاء » . وخطا خطوة أولى طويلة ليتجنب شقاً ، ثم عبر

مدخل الحارة متجهاً إلى الباب الأمامي لمصرف « فيرست ناشيونال » ، وابتسم

إيثان لظهره المتراجع .

أنهى كئسه بسرعة ، فقد بدأ الناس الذهاب إلى أعمالهم فرادى وجماعات .

نصب حوامل الفاكهة الطازجة عند مدخل المحل . وعندما تأكد من عدم

مرور واحد ، أزاح ثلاث علب من طعام الكلاب ، ومد يده خلفها ، ثم أخرج

حقيبة النقود الصغيرة الكالحة ، وأعاد علب طعام الكلاب إلى مكانها ، ثم

دق كفه « لابيع » على آلة عد النقود ، ثم وضع الأوراق ذات العشرين ،

والعشرة ، والخمسة والدولار الواحد في أماكنها تحت العجلات الماسكة الصغيرة .

فرز القطع ذات النصف دولار والربع دولار ، والعشرة سنتات ، والسنت الواحد

في الأدراج البلوطية الصغيرة التي في مقدمة درج آلة عد النقود ثم دفع الدرج

بشدة فأغلقه . لم يظهر من الزبائن سوى القلة ، أطمال أرسلوا جلب رغيف خبز ،

أو غلبة لبن ، أو رطل من القهوة الثقيلة ، وبنات صغيرات بشعر لازال مشعثا من أثر النوم .

دخلت مارجى يأنج هنت ، وقد نفر صدرها في سويتز لونه أصفر مشرب بحمرة . والتصقت جونلتها المصنوعة من التويد بفخذيها في إغراء ، ورأى إيثنان في عينيها العسليتين الناعستين مالم تستطع زوجته أن تراه أبداً ، النظرة التي كانت تختفي عادة في حضور الزوجات . إنها نهاية ، صيادة ، آرتيميس قناصة الرجال . كان القبطان هولى المعجوز يسمى هذا النوع « العين الزائفة » . وكان هذا يحدث في صوتها أيضاً ، كان هديره المحملى يتحول إلى مناجاة رقيقة ناعمة تبعث الثقة في الزوجات .

قالت مارجى : « سعدت صباحا ، إيثنان ، يا لله من يوم للقيام بزهوة ! »

— « سعدت صباحا . أتريدين رهانى أن قهوتك قد نفذت ؟ »

— « لوخمت أن الألكاسلتر هو الذى نفذ ، لتجنبتك » .

— « قضيت ليلة حافلة ؟ »

— « نوعاً ما . حكاية مع وكيل متجول . إن أمثاله يعتبرون كنزاً بالنسبة

لامرأة مطلقة . إنه واحد ممن يحملون حقيبة صغيرة من العينات المجانية . أحسبك

تسميه بائعاً متجولاً . لعلك تعرفه . اسمه بيجر أو بوجر ، ويتجول لحساب

شركة ب . ب . د . د . د . والسبب في ذكر الموضوع هو قوله أنه آت

لزيارتك » .

— « نحن نشترى معظم حاجيتنا من ويلاند » .



— حسناً ، لعل المستر بجر قد بدأ في تسويق منتجاته ، هذا إذا كان يشعر بأنه أحسن حالاً مني هذا الصباح . قل لي ، أتستطيع أن تعطيني كوباً من الماء ؟ سأتناول الآن زوجاً من الأقراص الفوارة » .

ذهب إيثان إلى الخزن ثم عاد بكوب من الورق ملاء ماء من الصنبور . واسقطت فيه ثلاثة أقراص مسطحة وتركها تنز . وبعدئذ قالت : « حصوة في عينك » . ثم اجتريتها دفعة واحدة وقالت : « أبدأي العمل ، أيتها الشياطين » .

— « سمعت أنك ستقرأين طالع ماري اليوم » .

— « أوه يا إلهي ! كدت أنسى . ينبغي أن أمارس المهنة ، فقد أستطيع أن أجمع منها ثروة » .

— « ماري تحب هذا . فهل أنت بارعة فيه ؟ »

— « ليس هناك ما يبرع المرء فيه . أترك الناس - أو النساء بمعنى أصح - يتحدثن عن أنفسهن ، وبعدئذ أعد سرد الكلام لهن فيعتقدن أن لديك الرؤيا الثانية » .

— « والغرباء السمر الطوال ؟ »

— « إنهم موجودون بالتأكيد . لو استطعت قراءة طوابع الرجال ، لما اجتذبت لنفسى اثنين من ذوى الكروش . أخي ! هل كنت أخطأ قراءة طالع شخصيتين » .

— « ألم يتوف زوجك الأول ؟ »

— « كلا ، بل الثانى ، فليحل السلام برفاقه ، ابن الـ ... كلا ، دعنا من ذلك فليحل السلام برفاقه » .

حيا إيشان مسز ايزرينسكى العجوز فى أثناء دخولها وهو مشغول البال ، وتلكا فى مناواتها ربع رطل من الزبد ، حتى أنه علق بكلمة أو كلمتين مثنيا على الطقس ، ولكن مارجى يابج هنت ، أخذت تنفحص فى تراخ وابتسام علب ( الفواجره ) ذات الأختام الذهبية ، وعلب الكافيار الموضوعه خاف الطاولة بجانب آلة عد النقود والشبيهة بعلب جواهر متناهية الصفر .

« والآن » قالتها مارجى حين خطت العجوز إلى الخارج فى تناقل ، وهى تنغمم لنفسها بالبولندية .

— « والآن - ماذا ؟ »

— « كنت لتوى أفكر - إننى لو عرفت عن الرجال مثلما أعرف عن النساء ،

لرفعت لافتة بابى . لماذا لا تعلمنى عن الرجال ، يا إيشان ؟ »

— أنت تعرفين مافيه الكفاية ، بل ربما أكثر من الكفاية بكثير »

— « أوه هيا ! ألا يحتوى جسدك عظمة واحدة حمقاء ؟ »

— « أتريدن أن نبدا الآن ؟ »

— « ربما فى مساء ما » .

— قال : « طيب . ونكون مجموعة . مارى وأنت والطفلان . الموضوع :

الرجال - ضعفهم وغباؤهم وكيفية استعاملهم » .

تجاهلت مارجى لهجته : « ألا تعمل أبداً إلى ساعة متأخرة - حسابات أول

الشهر أو شيئاً من هذا القبيل ؟ »

— « بالتأ كيد . ولكنى آخذ الشغل إلى المنزل » .

رفعت ذراعها فوق رأسها وتحملت أصابعها شعرها وسألت : « لماذا ؟ »

— « لو سألت قطعة لأجابتك ، لأصنع مروايل لقطيطاتي » .

— « أتدرك ما يمكنك أن تعلمنى لو أردت ؟ »

وقال إيثان : « وبعد ما استهزأوا به ، نزعوا عنه الرداء وألبسوه ثيابه ومضوا للصلب . وفيما هم خارجون وجدوا أنسانا قيروانيا ، اسمه سمعان . فسخروه ليحمل صليبه . ولما أتوا إلى موضع يقال له جاجلثة وهو المسمى موضع الجمجمة » .

— « أوه ، بحق الله ! »

— « أجل - أجل - ذلك صحيح ... »

— « أتعلم أى ملعون أنت ؟ »

— « أجل ، يابنت أورشليم » .

ونجأة ابتسمت « أتدرى ماذا أنوى أن أفعل ؟ سأقرأ أحد الطوائع الممتازة هذا الصباح . هل عرفت أنك ستكون شيئاً عظيماً ؟ وسيتحول كل شيء تلمسه إلى ذهب - وستندو زعيماً للرجال » . وسارت مسرعة إلى الباب ، ثم استدارت إلى الخلف وهي تبتسم ، وقالت : « وأتحداك أن تحتمل هذا وتحياه ، وأتحداك أيضاً ألا تفعل . إلى اللقاء ، أيها المخلص ! » كم هو غريب صوت دقات كعب حذاء على الرصيف ، وهو يدقه فى غضب .

فى الساعة العاشرة تغير كل شيء . اندفعت أبواب المصرف الزجاجية الكبيرة مفتوحة . وغاص فيه نهر من البشر ليجلبوا نقوداً ، ثم جاءوا بالنقود إلى محل ماروالو وأخذوا الأطلعمة . الممتازة التى يتطلبها عيد الفصح . وظل إيثان

مشغولا كالمزلق على سطح الماء حتى دقت الساعة السادسة .

انطلق جرس الحريق الغاضب من برج الذي يعلو قاعة البلدية معلناً الساعة السادسة . وانساق الزبائن مبتعدين ومعهم أكياسهم التي تحتوي فطائر اللحم . أدخل إيثان حوامل القاكمة ، ثم أغلق الأبواب الأمامية ، ودونما سبب سوى أن ظلمة اكتنفت العالم واكتنفته معه ، جذب الستائر الخضر الكشيفة فاكتنفت الظلمة المحل أيضا . وتألق النيون وحده داخل الثلاجة في لون أزرق خيالي .

قطع إيثان أربع شرائح سميكة من خبز الشعير وهو خلف الطاولة ، ثم يهنا بوفرة بالزبد ، وزلق الأبواب الباردة ففتحتها والتقط شريحتين من الجبن لسويسرى المطبوخ وثلاث شرائح من لحم نخذ الخنزير . وقال « خس وجبن ، فس وجبن . حين يتزوج الرجل يعيش في جبن » . طلا شرائح الخبز العليا . ايونيز من برطمان ، ثم ضغط على الطبقة العليا من الشطائر وقطع أجزاء الخس دهن اللحم من عند الأطراف . والآن على بعلية لبن وقطعة مربعة من الورق شمع لعملية اللف . كان يطبق أطراف الورقة بعناية ، عندما انبعث صليل نتاح في الباب الأمامي ، ودخل ماروللو عريضا كذب ، منتفخ الصدر كز كيبة تى بدأ ذراعاه قصيرين ومندفعين من جسده . كاتت قبعتة على مؤخرة رأسه يث أظهرت ناصيته ذات الشعر الحشن الرمادى بلون الحديد وكأنها طاقية . انت عينا ماروللو دامتتين ما كرتين وناعستين ، ولكن الأغطية الذهبية التي طي أسنانه الأمامية كانت تلمع في الضوء المنبعث من الثلاجة وكان زران بيان من أزرار سراوله مفتوحين ، وبينان ملابسه الداخلية الثقيلة الرمادية .

كان يشبك ابهامين قصيرين سميين في عرواى سرواله تحت معدته ، ويطرف في الظلمة الخفيفة .

— « طاب صباحك ، مستر مارولو . أظن الوقت قد صار أصيلاً » .

— « هاى ، يافتى . لقد أغلقت براءة وبسرعة » .

— « البلدة كلها أغلقت . ظننتك في القداس » .

— « لا قداس اليوم . إنه اليوم الوحيد طوال السنة الذى لا يقام فيه قداس » .

— « هكذا ؟ لم أكن أعرف هذا . أى شيء أستطيع عمله من أجلك ؟ »

امتدت الذراعان القصيران السمينان وتأرجحتا إلى الخلف وإلى الأمام من عند المرفقين « ذراعى يؤلمانى ، يافتى . النقرس . إنه يزداد سوءاً » .

— « ألا تستطيع عمل أى شيء له ؟ »

— « لقد فعلت كل شيء — كإدات ساخنة ، زيت سمك القرش ،

الأقراص — ولا زال يؤلم . المكان هنا لطيف وهادىء . وربما نستطيع أن نتبادل حديثاً ، إه ، يافتى ؟ » وتألقت أسنانه .

— « أهناك شيء ليس على مايرام ؟ »

— « ليس على مايرام ؟ ما هو الذى ليس على مايرام ؟ »

— « حسنا ، ما بالك لو انتظرت دقيقة ، فساخذ هذه الشطائر إلى المصرف

فحسب ، فقد طلبها مستر مورفى » .

— « أنت فتى ذكى . أنت تقوم بتوصيل الطلبات . هذا طيب » .

اخترق إيشان المخزن ، وعبر الحارة ، وطرق باب المصرف الخلفى . ثم ناو

جوى اللبن والشطائر .

- « شكرا . لم يكن لك أن تفعل » .
- « إنه توصيل الطلبات ، كما قال لي ماروللو » .
- « أرجو أن تحتفظ لي بزجاجتي كوكا كولا باردتين . ففي في تتوقف أصفار جافة » . حينما عاد إيثان ، وجد ماروللو يجلس النظر داخل صفيحة القمامة .
- « أين تريد الكلام ، يامستر ماروللو ؟ »
- « فلنبدا هنا ، يافتي » . والتقط من الصفيحة أوراق قرنييط . « أنك تقتطع كثيرا جداً » .
- « ما يكفي لتشذيبه فحسب » .
- « القرنييط يباع بالوزن . فكأنك تلقى بالنقود في صفيحة القمامة . أعرف صديقا يونانيا ذكيا يمتلك حوالي عشرين مطعماً . وهو يقول إن السر الكبير في نجاحه هو مراقبة صفائح القمامة . فما تلقيه فيها لا تبعة . إنه صديق ذكي » .
- « أجل يامستر ماروللو » . وتحرك إيثان قلقاً تجاه مقدمة المخزن وماروللو وراءه يثنى مرقبيه إلى الخلف وإلى الأمام .
- « أترش الخضراوات جيداً ، كما قلت لك ؟ »
- « بالتأكيد » .
- رفع المعلم رأس خسة . « لمسها جاف » .
- « ياللعجيم ، يا ماروللو ، أنا لا أريد أن أثقلها بالماء — إن ثلث زنها ماء » .
- « إن الماء يجعلها تبدو ريانة بديمة طازجة . أتظنني لأعرف ؟ لقد أت بعربة يد واحدة — مجرد عربة واحدة . إنني أعرف . عليك أن تتعلم الخدع بها الفتى ، وإلا فسنفلس . واللحم — أنت تدفع فيه كثيراً جداً » .

- « حسناً ، إن إعلاننا يقول لحم من الدرجة الأولى » .
- الأولى ، أو الثانية ، أو الثالثة - من يدري ؟ هذا مكتوب على البطاقة ،  
أليس كذلك ؟ والآن سوف نتبادل حديثاً ودياً . فواتيرنا تثبت وجود من  
لا يدفعون ديونهم وأى فرد لا يدفع حتى الخامس عشر - يرفع اسمه من دفاترنا .
- « لا نستطيع عمل هذا . بعض هؤلاء الناس ظلوا يتعاملون معنا مدة  
عشرين عاماً » .
- « اسمع ، ياقى . إن المحلات التجارية ذات الأفرع لن تسمح حتى  
لجون د . روكلفلر بأن يقيد خمسة سنتات على الحساب » .
- « أجل ، ولكن هؤلاء الناس موثوق بهم ، أعنى بغالبيتهم » .
- « وما معنى موثوق بهم » ؟ إنها تعنى تجميد النقود . المحلات التجارية  
ذات الأفرع تشتري حمولة عربات نقل ، أما نحن فلا نستطيع ذلك . يجب أن  
تتعلم ياقى . من المؤكد أنهم أناس ظرفاء ! ولكن النقود أيضاً ظريفة . لقد  
ألقيت الكثير جدا من فضلات اللحم في هذا الصندوق » .
- « أنه الدهن والقطع الجافة » .
- « لا بأس مادمت تزنهما مع اللحم قبل أن تقطعها . عليك أن تراعى  
الرقم واحد . إذا لم تراعى الرقم واحد ، فمن سيفعل ؟ يجب أن تتعلم ، ياقى » .  
ولم تتأق الأسنان الذهبية الآن ، فقد صارت الشفتان نفا صغيراً مطبقاً .
- واندفع رذاذ الغضب إلى رأس إيثان قبل أن يدري ، وأصابته الدهشة  
فقال : « أنا لست غشاشاً ، ياماروللو » .

« ومن هو الفشاش ؟ تلك هي التجارة الجيدة ، التجارة الجيدة ، هي النوع الوحيد من التجارة الذي يظل من صميم التجارة . أتظن مستريكر يوزع في مصرفه عينات مجانية ، أيها القتي ؟ »

تخطت رأس إيثان محدثة دويآ ، وصاح : « أصغ إلى ، لقد عاش هنا آل هولي منذ منتصف عام الف وسبعمائة . أما أنت فقريب . ولن تعرف شيئاً عن هذا . لقد ظللنا نعيش مع جيراننا وكنا مهذبين معهم طوال كل ذلك الوقت . إذا اعتقدت أن بوسعك أن تحشر نفسك بيننا بوقاحة وأنت آت من صقلية ، ثم تغير هذه العلاقات ، فأنت مخطيء . وإذا كنت راغباً في وظيفتي ، فتستطيع أخذها - هنا ، والآن . ولا تنادني فتى وإلا جدعت لك أنفك - . »

التمعت الآن أسنان مارولو جميعها ، وقال : « طيب ، طيب . لا يملكك الحنق . إنني أحاول فحسب أن أسدى إليك جميلاً . »

« لا تنادني فتى . فإزالت عائلتي تعيش هنا منذ مائتي سنة . »

ورنت الجملة في أذنيه صبيانية ، فأخذ غضبه يتلاشي .

« أنا لا أحسن الكلام بالإنجليزية . أنت تعتقد أن مارولو اسم صقلية ، اسم أوربي قزر اسم مهاجر ايطالي حقير . إن آبائي ، واسمي يرجعان إلى ألفين أوربياً ثلاثة آلاف سنة إن مارولوس أصلاً من روما ، وهذا ما يذكركه فالير يوس ماكسيموس . فما قيمة مائتي سنة ؟ »

« ولكنك لم تنبع من هنا . »

« ومنذ مائتي سنة لم تنبع من هنا أنت أيضاً . »

والآن ، بعد أن تلاشي كل غضب إيثان ، رأى شيئاً يحصل للروء



يشك في دوام الحقائق خارج نفسه . رأى المهاجر ، الصقلي ، بائع الفواكه المتجول يتحول أمام عينيه ، رأى انبعاجة الجبهة ، والأنف القوي المقوف الذي يشبه المنقار ، والعينين الوحشيتين العميقتي التجوييف واللتين لا تخشيان شيئاً ، رأى الراس تدعمها عضلات عمودية ، رأى كبرياء من العمق والثقة بحيث تستطيع تهزأ بالضعة . كان هذا هو الكشف المذهل الذي يجعل المرء يجعل المرء يعجب إذا كنت قد أخطأت إدراك هذا ، فما الذي فشلت أيضاً في إدراكه ؟

وقال في رقة : « ليس عليك أن تتكلم وكأنك مهاجر إيطالي » .

— « التجارة الجيدة . إنني أعلمك الشغل . عمري ثمانية وستون عاماً . الزوجة توفيت . ثم انقرس ! أنا أولئك ! . إنني أحاول أن أريك الشغل . وقد لا تتعلم ، فمعظم الناس لا يتعلمون . ويفلسون » .

— « ليس عليك أن تضايقني لأنني أفلتت » .

— « كلا . لقد فهمت خطأ . إنني أحاول أن أعلمك سبل التجارة الجيدة حتى لا تتعرض للإفلاس مرة أخرى » .

— « يا للفرصة العظيمة ، فليس لدى تجارة » .

— « أنت لا تزال فتى » .

وقال إيثان : « استمع إلي ، يامارولو . إنني عملياً أدير لك هذا المحل . أمسك الحسابات وأودع النقود في المصرف ، وأطلب البضائع . وأبقى على خزائنك ، فيعودون إلى هنا . أليست هذه تجارة جيدة ؟ » .

— « بالتأكيد - لقد تعلمت شيئاً . ولم تعد فتى بعد . إن الجنون ينتابك

حين أدهوك فتى . ولكن بأي اسم سأناديك ؟ إنني أسمى كل شخص فتى » .

- « حاول أن تستعمل اسمي » .
- « ليس في وقعه مودة . كلمة فتى فيها مودة » .
- « ولكن ليس فيها عزة نفس » .
- « عزة النفس ليست هي المودة » .
- وضحك إيثان : « لو كنت موظفاً في بقالة مهاجر صقلي ، لوجب أن تكون لك عزة نفس - من أجل زوجتك ، ومن أجل أطفالك . أتفهم ؟ » .
- « هذه أكذوبة » .
- « هي كذلك طبعاً . فلو كانت لي أية عزة نفس حقيقية ، لما فكرت فيها . كدنت أنسى شيئاً قاله لي أبي العجوز قبل وفاته بوقت قصير ، لقد قال إن الإهانة تربطها علاقة مباشرة بالذكاء والطمأنينة ، وقال إن سب الأم لا يكون إهانة إلا بالنسبة لرجل لا يثق في أمه ثقة مطلقة ، ولكن كيف يمكنك أن تهين ألبرت إينشبن ؟ كان لا يزال حياً آنذاك . وهكذا أن تمضي في مناداتي بفتى إذا أردت ذلك » .
- « أترى هذا ، يفتى ؟ إنها ودية أكثر » .
- « حسناً إذن ، ماذا كنت تريد أن تقول لي عن الشغل الذي لا أؤديه ؟ » .
- « الشغل هو النقود ، والنقود ليست لفظاً ودياً ، ولعلك يا فتى ودود جداً - ولطيف جداً ، أما النقود فليست لطيفة ، ليس للنقود من أصدقاء سوى المزيد من النقود » .
- « ذلك هراء ، ياماروللو . فإني أعرف كثيرين من رجال الأعمال ، وهم لطاف ، ودودون ، وشرفاء » .

— « أجل ، يافتي ، عند ما لا يمارسون العمل ، وستكتشف هذا .  
و حين تكتشفه سيكون الوقت قد تأخر جداً . إنك تدير المحل جيداً ، يافتي ،  
ولكنه لو كان محلك فرما تفلس بسبب الود ، إنني ألقنك درساً حقيقياً وكأنك  
في المدرسة . إلى اللقاء ، يافتي » . ثنى ماروللو ذراعيه ، وخرج مسرعاً من  
الباب الأمامي ، وأغلقه وراءه بعنف ، وأحس إيثان بالظلمة تحتاج العالم .

تناهى إلى إيثان طرق معدني حاد على الباب الأمامي ، فدفع الستارة جانباً  
ووصاح : « إننا نغلق حتى الثالثة » .

دخل الغريب - رجل نحيف ، دائم الشباب ولكنه لم يكن قط شاباً ،  
أنيق الملبس ، يتألق شعره خفيفاً على جلدة رأسه ، والعينان مرحتان قلقتان .  
— « آسف لإزعاجك . على أن أجوب البلدة . أردت أن أراك بمفردك ،  
وتصورت أن العجوز لن ينصرف أبداً » .

— « ماروللو ؟ » .

— « أجل . كنت أقف عبر الشارع » .

تطلع إيثان إلى اليدين النظيفتين . ورأى في الأصبع الثالث من اليد  
اليسرى عين قطة كبيرة مثبتة إلى خاتم ذهبي .

رأى الغريب نظرتة ، فقال : « ليس مسروقاً ، لقد التقيت بصديقة لك  
بالليلة الماضية » .

— « نعم ؟ » .

— « مسز يانج هنت . مارجي يانج هنت » .

— « أوه ؟ » .

استطاع إثبات أن يحس بذهن الغريب في تشممه القلق ، وهو يبحث عن مدخل ، أو رابطة بيني عليها حديثه .

— « فتاة لطيفة . أنتت عليك ثناء عظيماً ، لذا فكرت في اسمي بيجرز ،

وأعطى هذه المقاطعة لحساب شركة ب . ب . د . و . د . » .

— « نحن نشترى حاجياتنا من ويلاندز » .

— « أعرف أنكم تفعلون ، ولهذا السبب أنا هنا ، ظننت أنكم تودون

أن توسعوا نطاقكم قليلاً . نحن جدد في هذا الحى . وأعمالنا تتسع بسرعة . علينا أن نقدم بعض الامتيازات حتى ترسخ قدمنا في هذا المكان . وسيفيدك أن تستغل هذه الفرصة » .

— « سيكون عليك أن تقابل مستر ماروللو في هذا الشأن ، لقد تعامل

دائماً مع ويلاندز » .

لم يخفت الصوت ولكن نفمته صارت أكثر سرية ، وهو يسأل : « هل

أنت الذى تعد الطلبيات ؟ » .

— « حسناً ، نعم . فأنت ترى أن ماروللو مصاب بالنقرس ، وإلى جانب

ذلك لديه مهام أخرى » .

— « يمكننا أن نحفض قليلاً في الأمان » .

— « أعتقد أن ماروللو خفضها أكبر تخفيض ممكن . أجدر بك

أن تقابله » .

— « وهذا ما لا أرغب فيه ، إننى أريد الرجل الذى يمد الطلبيات ، وهذا

رجل هو أنت » .

— « اننى مجرد موظف » .

— « أنت تعد الطلبيات ، يا مستر هولى . يمكننى أن أخصم لك خمسة فى المائة كعمولة . »

— « قد يوافق ماروللو على مثل هذا الخصم إذا كان الصنف واحداً . »

— « أنت لا تدرك الأمر . أنا لا أريد تدخل ماروللو . هذه الخمسة فى المائة ستكون نقدا لا شيكات ، ولا سجلات ، ولا مشاكل مع رجال الضرائب ، مجرد ورق أخضر نظيف لطيف من يدى إلى يدك ومن يدك إلى جيبيك . »

— « ولماذا لا يستطيع ماروللو الحصول على هذا الخصم ؟ »

— « اتفاقيات الأمان . »

— « حسنا . افترض اننى أخذت الخمسة فى المائة وأعطيتها لماروللو ؟ »

— « أظنك لا تعرفهم مثلما أعرفهم فحين تعطيها له ، سيتساءل عن المبلغ الأكبر الذى لم تعطه له . وهذا أمر طبيعى تماما . »

وخفض إيشان صوته : « أتريد منى أن أخدع الرجل الذى أعمل عنده ؟ »

— « من الذى يخدع ؟ أنه لا يخسر شيئا فى حين تكسب أنت دولاراً .

من حق كل فرد أن يكسب دولاراً . لقد قالت مارجى إنك نظيف وذكى . »

وقال إيشان : « انه يوم مظلم » .

— « كلا ، إنه ليس كذلك . ولكنك اسدلت الستائر . أما الذهن المتشمم

فقد اشتم رائحة الخطر » .

-- « فأر حائر بين رائحة المصيدة السلكية وبين قطعة الجبن وقال بيجرز :  
« ماذا أقول لك ، عليك أن تفكر في الأمر . وسترى إذا كان في استطاعتك أن  
ترسل إلينا بعض الطلبات وسأنى لزيارتك حينما أكون في المنطقة إنى أفعل هذا  
كل أسبوعين إليك بطاقتى » .

بقيت يد إيثان إلى جانبه . ووضع بيجرز البطاقة فوق الثلجة الباردة .  
« وهناك تذكراً صغيراً نهديه لأصدقائنا الجدد » . وأخرج من جيبه الجانبي  
حافظة ثمينة بديعة الصنع من جلد الفقمة المحبب . ووضعها إلى جوار البطاقة فوق  
البورسلين الأبيض . « شىء لطيف صغير . تضع فيه رخصة قيادتك ،  
أو بطاقة ناديك » .

لم يجب إيثان .

وقال بيجرز : « سأمر عليك خلال أسبوعين . عليك أن تفكر في الأمر .  
سأمر عليك حتماً ، فلدى موعد مع مارجى . إنها فتاة رائجة » . ودون أن يتلقى  
رداً ، قال : « سأسمح لنفسى بالخروج ، وسأراك قريباً » . ثم اقترب فجأة من  
إيثان وقال : « لا تكن غيبياً ، فكل شخص يفعلها . كل شخص ! »

وخرج مسرعاً من الباب ، ثم أغلقه خلفه بهدوء .

استطاع إيثان أن يسمع فى السكون المظلم الأزيز المنخفض المنبعث من  
محول نور النيون فى الثلجة . واستدار فى ببطء الى المتفرجين المكومين  
والمرصوفين على الأرصف .

« حسبتم أصدقائى ! ولكنكم لم تحركوا يداً من أجلى . يا محار الجور الصاوى

وياخالات الجو الصافي ، وياخلطة كعك الجو الصافي . لا ترائيل بعد الآن من أجلكم . عجبى ماذا كان يقول القديس فرنسيس لو أن كلباً عضه ، أو طائراً ببرز عليه . أكان يقول : «شكراً مستر كلب متشكر جداً ، ياسينور طائر»؟ وأدار رأسه تجاه صوت قرعقة وخبط ودق على باب الحارة ، وذهب مسرعاً خلال المخزن وهو يغفم : « الزبائن أكثر مما لو كان المحل مفتوحاً »

دخل جوى مورفي متعثراً ، وهو يمسك برقبته وقال فى أنين ، « حيا فى الله . النجدة . كوكا كولا أو بيبسى كولا على الأقل ، فأنى ميت من العطش . لم كل هذا الظلام هنا ؟ أم أن عينى قد غشيتا أيضاً ؟

— لقد أسدأت الستار محاولاً تثبيت همّة الصرافين العطشى .

أخذ طريقه الى الثلاجة ، ونبش عن زجاجة مكسوة بالثلج ، وفتحها ، ومد يده بحثاً عن أخرى وقال : « اعتقد أنى سأتناول واحدة أنا الآخر » .

استند الفتى جوى إلى الزجاج المضىء ، وقبل أن ينزل الزجاجة عن فمه كان قد اجترع نصفها ثم قال : « هاى ! لقد نسى شخص ما حافظته الثمينة » والتقط الحافظة .

— « تلك هدية صغيرة من الوكيل للتجول لشركة ب. ب. د إنه يحاول

تسويق بعض بضائعه لنا »

— « حسناً ، أنه لا يسوق الفول . اما هذه ، يا بنى فهى من صنف ممتاز ،

وعليها الأحرف الأولى من اسمك أيضاً ، ومن الذهب »

« حقاً » .

— « أتعنى أنك لا تدري ؟ »

— « لقد انصرف منذ دقيقة لحسب . »

فتح جوى باصبعيه الجلد المطوى ، ثم خشخش بالأظرف البلاستيك الشفافة التي توضع فيها البطاقات الشخصية ، وقال « يجدر بك أن تبدأ في الانضمام إلى ناد ما » . وفتح ظهر المحفظة « والآن ، هذا ما أسميه التفكير الجيد » . وأخرج بين اصبعيه الأول والثاني ورقة جديدة من ذات العشرين دولاراً . « كنت أعلم أنهم يقومون بالغزو ، ولكن لم يكن في علمي أن معهم دبابات . ذلك تذكر يستحق التذكر » .

— « هل كانت تلك بداخلها ؟ »

— « أتخسبني زرعتها ؟ »

— « جوى ، أريد أن أتحدث معك . لقد عرض على الرجل خمسة في المائة

عمولة عن أية عملية أطلبها منهم » .

— « حسنا ، رائع ، رائع ، التوفيق أخيراً . ولم يكن وعداً فيه نكوص ؟ »

قدم لنا الكوكا كولا . فهذا يومك » .

— « أنت لا تعنى أنه على أن أقبل - » .

— « ولم لا ، ماداموا لا يضيفونها إلى الثمن ؟ من الذي سيخسر ؟ »

— « لقد قال إنه ينبغي علي ألا أخبر مارولو ، وإلا ظن أنني آخذ أكثر

من ذلك » .

— « أجل سيفظن ذلك . ماذا دهاك ، ياهولى ؟ هل أنت غبي ؟ أظن هذا



من أثر ذلك الضوء . إنك تبدو أخضر ، فهل أبدوا أنا أخضر ؟ لعلك لم تكن تفكر في التخلى عن العرض ؟ »

— « كان لدى من المتاعب ما يكفي لكيلا أركله في مؤخرته » .

— « أوه ! إن الأمر كذلك - معك أنت والدنيا صور » .

— « لقد قال إن كل شخص يفعلها » .

— « ولكن ليس بوسع كل شخص الحصول عليها . إنك أحد

لمحظوظين بحسب » .

— « ولكنه ليس عملاً أميناً » .

— « وكيف لا ؟ من الذي يضار ؟ أهو عمل ضد القانون ؟ »

— « أتعني أنك كنت تقبلها ؟ »

— « أقبليها - كنت أركع وأستجدي من أجلها . لقد أغلقوا على كل المنافذ

في عملي . وكل ما تستطيع عمله في مصرف يعتبر ضد القانون من الناحية العملية -

إلا إذا كنت مديراً . أنا لا أفهمك . ما الذي يجعلك تتردد في التفكير ؟

لو كنت تستقطعه من الصبي ألقبو ، لقلت لك أن هذا عمل ليس غاية في الاستقامة

ولكنك لا تفعل ذلك . أنت تسدى اليهم جيلاً - وهم يسدون إليك جيلاً -

جيلاً من ورق مالي لطيف هش أخضر . لا تكن أحقاً . عندك زوجة وأطفال

عليك أن تفكر فيهم ، وتربية الأطفال لن تخفض نفقاتها أى تخفيض » .

— « أود أن تنصرف الآن » .

وضع جوى موررو زجاجته التي لم تفرغ بعد بمنف فوق ظهر المشالاجة ، وقال

في برود : « مستر هولى - كلا ، مستر إيثان آلان هولى ، حين تعتقد أننى قد أفعل أى شىء غير أمين أو أقترحه عليك - فتستطيع أن تذهب وتدفن نفسك » .

وسار جوى فى كبرياء تجاه المخزن .

— « لم أقصد ذلك . لم أقصده . صادقا أمام الله ، لم أقصده ، يا جوى . لقد تلقيت لتوى عذمتين اليوم ، أضف إلى ذلك - أن هذه أجازة مرعبة - مرعبة » .

توقف مورفى . « ماذا تعنى ؟ أوه ! أجل ، أعرف . أجل ، إنى فعلا أعرف . اتعتقد أنى أعرف ؟ »

— « لقد لازمنى هذا الشعور كل عام ، منذ أن كنت صبيا ، ولكنه يزداد سوءاً فحسب لأن - ربما لأن إدراكى لمعناه يتزايد ، وأنا أسمع تلك الكلمات الموحشة ( إلهى لماذا تركتنى . ) »

— « أعرف ، يا إيثان ، أعرف . إن الأزمة على وشك الانتهاء الآن ، يا إيثان . تناس إساءتى إليك ، هل ستفعل ؟ »

ودق جرس الإطفاء الحديدى - دقة واحد مفردة .

فقال جوى : « لقد انتهت الأزمة الآن . زالت كلها ولمدة عام » .  
وتهادى فى هدوء خارجا عبر المخزن ، ثم أغلق باب الحارة فى سكون .

رفع إيثان الستائر ، وفتح المحل ثانية ، إلا أن حركة البيع لم تكن كبيرة .  
بضع صفار جاءوا يطلبون زجاجة لبن أو رغيفا من الخبز ، وشريحة صغيرة من لحم الخنزير وعلبة فاصولياء للمس بورتشر لتعد منها وجبة عشائها الساخنة ولم

يكن الناس قد بدأوا بعد سيرهم في الشارع . وخلال النصف ساعة الذي يسبق الساعة السادسة ، وبينما كان إيثان يعد العدة للإغلاق ، لم يدخل المحل شخص واحد . وأغلق بالمفتاح وسار مبتعداً قبل أن يتذكر حاجيات البقالة المطلوبة لبيته - كان عليه أن يعود ويرتبها في كيسين كبيرين ، ثم يعيد غلق المحل ثانية . لقد تملكته رغبة في أن يسير إلى شاطئ الخليج ، ويرقب الأمواج الرمادية بين أعمدة حوض السفن ، ويشم رائحة ماء البحر ، ويتكلم إلى نورس يقف على مرسي عائم ومتقاره في الريح وتذكر قصيدة لسيدة ، كتبها منذ زمن بعيد إنسانة ما ، كادت تجن لمنظر الانزلاق الخلزوني الذي يصنعه النورس في طيرانه .

كانت القصيدة تبدأ : « أوه ! أيها الطير السعيد - ما الذي يبعث فيك كل هذه النشوة ؟ » ولم تكتشف الشاعرة السبب أبداً ، ولعلها لم ترد أن تعرف .

أوهنت أكياس البقالة الثقيلة التي أخذها للعطلة عزيمته للمشي . وتحرك إيثان في تهالك عبر شارع هاي ، ثم اتخذ طريقه ببطء في شارع إلم متجهاً إلى بيت هولي العتيق .



## الفصل الثاني

جاءت إليه ماري من عند الموقد، وتناولت منه أحد كيسي البقالة الكبيرين.

— « لذي الكثير جداً لأخبرك به . لا أستطيع الانتظار » .

قبلها ولمست جلد شفتيه ، وسألته :

— « ماذا بك ؟ » .

— « متعب قليلاً » .

— « ولكنك أغلقت المحل ثلاث ساعات » .

— « كان أمامي الكثير لأعمله » .

— « آمل ألا تكون مكتئباً » .

— « إنه يوم كئيب » .

— « بل لقد كان يوماً رائعاً . أنتظر حتى تسمع » .

— « ابن الأولاد » ؟ .

— « في الطابق العلوي إلى جوار الراديو . ولديهم هم أيضاً شيء » .

يقولونه لك » .

— « مشكلة ؟ »

— « والآن ، لم تقول ذلك ؟ »

— « لأدري » .

— « أنت لا تشعر بأنك في خير حال » .

— « اللعنة ، أنني أشعر بهذا أيضاً » .

— « مع كل تلك الأشياء البديعة - سأنتظر إلى ما بعد العشاء حتى يجلس ورنانا. هل سيدهشك ذلك ؟ » .

اندفع آلان وماري إيلين نازلين السلم في جلبة ، ثم دخلا المطبخ . كانا نولان : « إنه في البيت . »

— « بابا، هل لديكم بيكس Peeks في المحل ؟ » .

— « أتقصد مسحوق العصيدة ذاك ؟ بالتأكيد ، يا آلان . » .

— « أود أن تحضر بعضاً منه . أنه ذلك الذي على علبته قناع على شكل ريمكنك أن تقصه . »

« ألت أكبر قليلاً لتستعمل قناعاً على شكل فأر . »

وقالت إيلين : « لو أرسلت غطاء العلبة وعشرة سنتات فإنك تحصل على لعبة تجملك تتكلم من بطنك مع تعليمات باستعمالها . لقد سمعنا ذلك لتونا الراديو . »

وقالت ماري : « أخبرا والدكما بما تنويان عمله . »

« حسناً ، نحن ننوي الاشتراك في المسابقة الوطنية « أحب أمريكا » . للجائزة الأولى هي الذهاب إلى واشنطنجتون ، ومقابلة الرئيس - مع الوالدين تشير من الجوائز الأخرى . »

قال إيثان : « رائع ولكن ماهي هذه المسابقة ؟ ماذا ينبغي عليك أن لا ؟ »

فصاحت إيلين : « ألم تسمع من الصحف ، في طول البلاد وعرضها عليك

فصّب أن تكتب مقالا موضوعه لماذا تحب أمريكا . وسيظهر جميع  
الفائزين في التليفزيون .»

وقال آلان : « إنها الشهرة . مارأيك في الذهاب إلى واشنطنجتون ،  
والفندق ، والمسارح ، ومقابلة الرئيس ، والمصانع . كيف يكون ذلك  
بالنسبة للشهرة ؟ »

— « وكيف حال عمك المدرسي ؟ »

— « ستكون المسابقة في هذا الصيف . وسيعلنون أسماء الفائزين في الرابع  
من يولييه . »

— « حسنا ، ربما لا يكون هناك بأس من ذلك . وهل تحبان أمريكيا  
حقيقة أم أنكما تحبان الجوائز ؟ »

وقالت ماري : « والآن ، أيها الأب ، لا تفسد عليهما بهجتهم . »

— « كنت أريد فحسب أن أفضل مسخوق العصيدة عن القناع الذي  
على شكل فأر . فقد اختلط الأمر كله على ؟ »

— « بابا ، أيمكن أن تقول لنا أين نبحث عن مصادر للمقال ؟ »

— « تبجثنا عن مصادر . »

— « بالتأكد ، مثلما قال بعض الفتية الآخرين . »

— « لقد كان لدى جدكم العظيم بضعة كتب رائعة جداً . إنها في  
السندرة . »

— « مثل ماذا ؟ »

— « أوه ، مثل خطب لينكولن ودانيال ويبستروهنرى كللى وىامكانك  
أن تلقى نظرة على كتب ثورو أووالى وىتمان أوإمرسون - ومارك توين  
أىضا . إنها جمىعا هناك بأعلى فى السندرة » .

— « وهل قرأتها ، بابابا . »

— « كان جدى هو الذى اعتاد أن يقرأها لى فى بعض الأحيان » .

— « ربما تستطيع مساعدتنا فى المقالات . »

— « وعندئذ لا تكون من صنعكما . »

فقال ألان : « حسنا ، هل ستذكر أن تحضر إلى البيت بعضاً من

البىكس ؟ إنه ملء بالحديد والمواد الغذائية . »

— « سأحاول . »

— « أىمكننا الذهاب إلى السىنا ؟ »

قالت مارى : « كنت أظن انكما ستقومان بتلوين بىض عىد الفصح . »

أننى أسلقه الآن تستطيعان أخذه إلى الخارج لتلوينه تحت السقىفة بعد العشاء . »

— « أىمكننا الصعود إلى السندرة والإطلاع على الكتب ؟ »

— « إذا اطفأتما النور بعد انتهاءكم . فقد ظل مضاء طيلة أسبوع ذات

صرة . لقد تركته أنت مضاء ، باباىشان . »

وحىن انصرف الطفلان ، قالت مارى :

— « ألىست مسرورا لدخولهما المسابقة ؟ »

— « بالتأكىد ، إذا أدياها على الوجه الصعىح . »



-- « أننى لأستطيع الانتظار لإخبارك -- لقد قرأت مارجى طالعى فى الورق اليوم ، ثلاث مرات ، لأنها -- كما قالت -- لم ترأبداً أى شىء كهذا . ثلاث مرات ! لقد رأيت الورق بنفسى وهو يتشكل . »

-- « أوه ! يا الهى ! »

-- « لن يكون لديك كل هذا الشك عندما تسمع . لقد كنت دائماً تحشر الفكاهة فيما يتعلق بأشخاص سمر غرباء . وأنت لاتستطيع أن تخمن عن أى شىء دار الطالع . حسناً -- أنريد أن تحزر ؟ »

وقال : « مارى ، أود أن أحذرك . »

-- « تحذرنى ؟ لماذا ، وأنت حتى لم تعرف بعد . إن طالعى هو أنت وقال كلمة خسنة لاذعة بصوت منخفض . »

-- « ماذا قلت ؟ »

-- « قلت ، فضلات تافهة . »

-- « هذا ماتعتقده ، ولكن ليس هذا ما يعتقد الورق . لقد فردته

ثلاث مرات . »

-- « الورق يعتقد ؟ »

قالت مارى : « إنه يعرف . لقد قرأت ورقى هنا وكان كله يدور حولك أنت ستصبح واحداً من أهم رجال هذه البلدة -- هذا ماقلته . من أهم رجالها . كما أن هذا لن يستغرق وقتاً طويلاً . إنه سيحدث سريعاً جداً . كانت كل ورقة تقلبها تبين نقوداً ومزيداً من النقود . إنك ستصير غنياً . »

وقال : « يا عزيزتى ، أرجوك دعيني أحذرك ، أرجوك ! »

— « وستقوم بعملية استثمار . »

— « بأى شيء ؟ — »

— « حسناء ، كنت أفكر فى نفودأحى . »

فصاح : « كلا لن المسها . إنها تخصك . وستظل ملكك . هل فكرت فى

ذلك من تلقاء نفسك أم هل . »

— هى لم تذكرها أبدا . وكذلك لم يذكرها الورق . أنت ستستثمر مالا

فى شهر يوليو ، ومنذ ذلك الحين فصاعداً ، سيتوالى شيء وراء الآخر — حق

وراء آخر . ولكن ألا يبدو وقع هذا بديعاً ؟ لقد قالتها بتلك الطريقة — إن

طالعك هو إثنان . إنه سيكون رجلا واسع الثراء وربما أهم رجل فى هذه البلدة .

— فلتحل عليها لعنة الله ! ليس لها أى حق فى هذا الكلام .

— « إثنان ! »

— « اتعرفين ماذا تفعل ؟ اتعرفين ماذا تفعلين ؟ »

— « أعرف أى زوجة صالحة وأنها صديقة طيبة . وأنا لا أريد شجاراً

والأطفال على مسمع منا . إن مارجى يانج هنت هى أفضل صديقاتى . أعلم أنك

لا تميل إليها . أما ماأعتقده فهو أنك تغار من صديقاتى — ذلك ماأعتقده .

لقد تمتعت بأصيل سعيد وأنت تريد أن تفسده . هذا ليس لطيفاً منك . »

وتلون وجه مارى بعدة ألوان بسبب خيبة الأمل والغضب ، واعتراه تعبير

انتقامى تجاه هذه العقبة التى اعترضت طريق حلم يقظتها .

— « أنت تجلس هناك بحسب ، أيها السيد الأنيق ، وتمزق فروات الناس

أنك تحسب أن مارجي رتبت الأمر كله . إنها لم تفعل ، لأنى قطعت الورق ثلاث مرات - بل وحتى لو فرضنا أنها فعلت ، فلماذا كانت ستفعل ذلك لو لا أنها ودودة عطوفة وتريد أن تقدم قليلا من المساعدة ؟ عليك أن تخبرنى بذلك أيها السيد الأنيق ! عليك أن تجـ سبباً كريماً لذلك » .

قال : « أود لو أعرف . ربما يكون مجرد الرغبة فى إلحاق الأذى . فليس لها من زوج أو عمل . ربما يكون مجرد الرغبة فى إلحاق الأذى » .

خفضت ماري من صوتها وتكلمت فى ازدراء : « أنت تتكلم عن الرغبة فى إلحاق الأذى - إنك لن تعرف الرغبة فى إلحاق الأذى حتى ولو صفعتك هذه الرغبة على وجهك . أنت لا تعرف ما تتعرض له مارجي . هناك رجال فى هذه البلدة يسعون فى أثرها طول الوقت . رجال مهمون ، رجال متزوجون ، يتهايمسون ويلحون - أقدار . وأحياناً لا تدرى أين تولى وجهها . لهذا السبب تحتاجنى ، كصديقة . أوه ، لقد حكى لى أشياء - عن رجال لا يمكن أن تصدق أنهم هم . بل أن بعضهم يتظاهرون بكرهيتها أمام الناس وبعدئذ يتسللون إلى بيتها أو يطلبونها فى التليفون ويحاولون الحصول على موعد - رجال يتظاهرون بالتقوى ، ودائماً يعظون بالأخلاق ، ثم بعدئذ يأتون أموراً كهذه . أنت تتكلم عن الرغبة فى إلحاق الأذى » .

— « وهل قالت من يكونون ؟ »

— « كلام لم تفعل ، وهذا برهان آخر . فارجى لا تريد إيذاء أحد حتى ولو آذوها . ولكنها قالت أن هناك واحداً لا يمكننى أن أصدق أنه هو . وقالت أنتى لو عرفت لأحال ذلك شعري شيئاً » .

أخذ إيثان نفساً عميقاً ، ثم استبقاه ، وتركه يخرج على شكل تنهيدة هائلة .  
وقالت ماري : « إنى لأعجب من يمكن أن يكون . » قالطريقة التي تكلمت  
بها جعلته يبدو وكأنه شخص ماتعرفه جيداً ، ولا يمكن أن نصدق عنه ذلك .  
— « ولكنها ستقول تحت ضغط ظروف معينة » . قالها إيثان بركة .

— « إذا أرغمت على ذلك فحسب . لقد قالت هذا بنفسها . إذا اضطرت  
فحسب ، إذا تعرضت شيء مثل - شرفها ، أو سميتها الطيبة ، أنت تعرف . من  
تظن أنه يمكن أن يكون ؟ »

— « أظن أنى أعرف » .

— « أنت تعرف ؟ من ؟ »

— « أنا » .

وفغرت فاهها . ثم قالت :

— « أوه ! أيها الأحمق ! لو لم أكن منقبه إليك ، لخدعتنى فى كل مرة  
حسناً ، هذا أفضل من الكتابة » .

— « مسألة محيرة رجل يعترف بخطايا الجسد التي ارتكبها مع أفضل  
صديقات زوجته ، فتضحك منه ساخرة » .

— « ليس ذلك كلاماً مهذباً » .

— « ربما كان ينبغي على الرجل أن ينكر الأمر . فحينئذ على الأقل  
كانت زوجته ستسبغ عليه شرف الريبة . عزيزتى ، إنى أقسم لك بكل  
ما هو مقدس ، إنى لم أحاول أبداً سواء بالقول أو بالفعل التقرب من مارجن يانج  
هنت والآن هل ستصدقين أنى مذنب ؟ »

— « أنت ! » .

— « أنت لانتقدين أنى صالح بما فيه الكفاية، ومرغوب بما فيه الكفاية،  
فى قول آخر ألا تظنين أنه فىمكنى أن أصل إلى المستوى ؟ »

— « إنى أحب النكات . وأنت تعرف هذا - ولكن ليس ذلك شيئاً  
للتدربه . أتمنى ألا يكون الأطفال قد بعثوا محتويات الصناديق التى هناك  
باعلى فهم لا يعيدون شيئاً إلى مكانه أبداً » .

— « سأحاول مرة أخرى يا زوجتى الجميلة . امرأة ما ، اختصار اسمها م . س . هـ  
وقد أحاطتنى بالفخاخ ، لأسباب معروفة لها وحدها . وأنا فى خطر عظيم  
من التردى فى واحد أو أكثر منها » ،

— « لم لاتفكر فى طالعك ؟ لقد قال الورق ، شهر يوليو ، وقالها ثلاث مرات  
وأنا رأيتة . ستحصل على نقود ، كميات وافرة من النقود . فكر  
فى ذلك » .

— « أنجبين النقود كثيرا ، أيها الأرنب الصغير ؟ »

— « أحب النقود ؟ ماذا تعنى ؟ »

— « اترغبين فى النقود للدرجة التى تبرر تحضير الأرواح ، أو الشعوذة ،

أو استخدام سحر قبائل غرب أفريقيا ، وأية عمليات سحرية أخرى ؟ »

— « لقد قلتها ! لقد بدأتها . ولن أدعك تختفى وراء كلماتك . هل أحب

النقود ؟ كلا ، أنا لأحب النقود ، ولكنى أيضا لأحب القلق . أحب أن

أكون قادرة على رفع رأسى فى هذه البلدة . لأحب أن يشعر الأطفال

بانخل لأنهم لا يستطيعون أن يلبسوا فى مثل أناقة - وفى مثل رفاهية -

بعض الأطفال الآخرين . أحب أن أرفع رأسى . »

— « وهل النقود هي التي ستدعم رأسك ؟ »

— « إنها ستزيل ابتسامات السخرية من وجوه أهل بلدتك المقدسة . »

— « لأحد يسخر من آل هولى . »

— « أهذا ماتعتقده ! إنا لا نرى سخريتهم فحسب . »

— « ربما لأننى لأبحث عنها . »

— « هل ستلقى على عظام آل هولى المقدسين ؟ »

— « كلا ، يا عزيزتى . إنها لم تعد بعد سلاحاً ذا قيمة . »

— « حسنا ، إنى سعيدة لأنك اكتشفت ذلك فوجود موظف بقالة من

من آل هولى فى هذه البلدة أو فى أية بلدة أخرى ، لا يجعله أكثر من

مجرد موظف فى محل بقالة . »

— « أتومينى على فشلى ؟ »

— « كلا . أنا لا أومك بالطبع . ولكنى أومك لأنك جالس تتمرغ

فى الفشل . كان بإمكانك الخروج منه لو لم تكن أفكارك العتيقة الخيالية .

إن كان فرد يضحك منك : إن سيداً مهذباً عظيماً و بلا نقود يكون صعلوكاً »

دوت الكلمة فى رأسها ، وتملكها الصمت والحجل .

وقال إيثان : « أننى آسف لقد علمتنى شيئاً ما . وربما ثلاثة أشياء ، يا أرنبتى

الحقراء . ثلاثة أشياء لا يمكن أن تصدق أبداً - الحقيقى ، والمحتمل ، والمنطقى

إننى أعرف الآن من أين أحصل على النقود لأبدأ تحقيق طالى . »

— « من أين ؟ »

— « ساسطو على مصرف » .

وتصاعد صفير بطيء منقطع من الجرس الصغير الذى فى الحاله  
الميقاتية .

قالت مارى : « اذهب وناد الأطفال . لقد نضح الأكل . قل لهم أن

يطفئوا النور » .

ثم أخذت تنصت لوقع أقدامه .

THE HISTORY OF THE

... of the ...

... of the ...

...



## الفصل الثالث

زوجتي ، عزيزتي ماري ، تشرع في النوم بنفس الطريقة التي تغلق بها باب حجرة . وكمن مرات عديدة كنت أرقبها في حسد . يتلوى جسدها الجميل لحظة وكأنها تهيب ، نفسها للدخول في شرنقة . وتتهد مرة وعند نهاية التنهيدة تغمض عينيها ، ودونما انزعاج ، تنهاوي شفتها إلى تلك الابتسامة الحكيمة الطفيفة التي لآلهة الإغريق القدماء . وتظل مبتسمة في نومها طول الليل ، ويهر نفسها في حنجرتها ، وهو ليس شخيرا ، ولكنه هرير قطة . وللحظة تتصاعد درجة حرارتها حتى يصبح في إمكانني أن أحس بوهجها إلى جواربي على الفراش ، وبعدئذ تهبط درجة الحرارة وتكون هي قد راحت في سبات . وأنا لا أدري إلى أين تروح . فهي تقول إنها لا ترى أحلاما . ولكن لا بد طبعاً من أن ترى وهذا معناه ببساطة ، أن أحلامها لا تشغلها ، أو أنها تشغلها إلى درجة كبيرة جداً بحيث تنساها قبل إستيقاظها . وهي تحب أن تنام ، والنوم يرحب بها . أود لو كان الأمر كذلك معي . إنني أحارب النوم ، وفي نفس الوقت أتوق إليه .

ولقد ظننت أنه ربما كان الفرق بيننا ، إن عزيزتي ماري تعرف أنها ستعيش إلى الأبد ، وأنها ستخطو من الحياة إلى حياة أخرى بمثل السهولة التي تزلق بها من النوم إلى اليقظة . وهي تعرف هذا بكامل جسدها ، تعرفه تماماً حتى أنها لا تفكر فيه أكثر من تفكيرها في التنفس وهكذا لديها وقت لتنام ، ووقت لتستريح ، ووقت تنفي فيه وجودها لبرهة قصيرة .

ومن ناحية أخرى ، أعرف أنا بعظامي وأنسجة جسدي ، أنه يوما ما سواء عاجلاً أو أجلاً سأنوقف عن الحياة ، وهكذا أقاوم النوم ، وأتوسل إليه ، بل أحاول حتى أن أخدعه ليحبي . ولحظة نومي هي تشويبه كبير ، وألم شديد : وأنا أعرف هذا لأنني استيقظت في هذه اللحظة ولا زلت أحس بالضربة الساحقة . وإذا حدث ونمت ، فإنني أقضي فترة حافلة بالمشاغل وأحلامي هي مشاكل يومية وقد خرجت إلى مرحلة عبث ، تشبه إلى حد قليل رجالا يرقصون وهم يلبسون قروناً وأقنعة لحيوانات .

إنني أنام في المرة الواحدة أقل من ماري بكثير . وهي تقول إنها تحتاج إلى كمية كبيرة من النوم ، وأوافقها أنا على أني أحتاج إلى كمية أقل ، ولكنني أبعث ما أكون عن الإيمان بهذا . فهناك فحسب مقدار من الطاقة مخزن في الجسم وهو يزداد طبعاً مع الغذاء . ويستطيع الإنسان أن يستهلكه بسرعة ، مثلما يلتمهم بعض الأطفال حلواهم ، أو يفضون الورق عنها ببطء . ودائماً توجد الفتاة الصغيرة التي تحتفظ بجزء من حلواها ليتبقى لديها بينما يكون المراهمون قد فرغوا منها منذ وقت طويل . أظن أن عزيزتي ماري سوف تعيش أطول مني بكثير . ستكون قد أدخرت بعض حياتها لما بعد . وإذا وصلنا للتفكير في هذا ، سنجد غالبية النساء يعشن مدة أطول من الرجال .

دائماً ما بعث في يوم الجمعة الحزينة الكدر . بل حتى في طفولتي كان يفتابني أسى عميق ليس مبعثه عذاب الصلب ، بل إحساسي بوحده المصلوب للدمرة . ولم أفقد مطلقاً الأسي ، الذي غرسه في «متي» حين كانت عمتي العظيمة ديبورا تقرأ إنجيله بإلقائها المتوتر المتكسر الذي من حصائص أهل نيوا إنجلاند .

وربما كان الأمر أسوأ هذا العام . فنحن نجعل من أنفسنا موضوع القصة  
م تتجسدها . فالיום تعلمت من ماروالو الحياة ، وهكذا فهمتها لأول مرة من  
خلال وجهة نظر التجارة . وبعد ذلك مباشرة قدمت لي أول رشوة . وغريب  
على من هو في مثل سني أن يقول ذلك ، ولكني لا أذكر أية رشوة غيرها .  
ينبغي أن أفكر في مارجي يانج هنت . هل هي شيء شرير ؟ ماغرضها ؟ أعرف  
أنها وعدتني بشيء وهددتني إذا لم أقبله . أيسطيع المرء أن يفكر خارج نطاق  
حياته ، أم ينبغي عليه أن يتابعها فحسب ؟

كم من ليالي عديدة رقدتها ساهراً ، أسمع هرير ماري الخافت إلى جوارى ،  
وإذا حدثت في الظلام فستبدأ نقط حمراء في السباحة أمام عينك ، ويطول  
الوقت . ماري تحب نومها جداً لذا أحاول أن أحميها في أثنائه حتى عندما يلسع  
تيار جسدها الكهربائي بشرتي . وهي تستيقظ لو غادرت الفراش . إذ يبعث هذا  
فيها القلق ، وتعتقد أنني لست بخير ، لأن تجربتها الوحيدة عن الأرق كانت  
في أثناء مرضها .

كان على في هذه الليلة أن أنهض وأخرج . وكان تنفسها يهر برقة وكنت  
أستطيع رؤية الابتسامة الأثرية على فمها . وربما كانت تحلم بحسن الطالع ، بالنقود  
التي سأحصل عليها . وماري تريد أن تتيه كبرياء .

إنه لأمر غريب كيف أن المرء يعتقد أنه يستطيع التفكير بطريقة أفضل في  
مكان خاص . ولدي مثل ذلك المكان ، ولقد كان لي دائماً ، ولكنني أعرف  
أن ما أقوم به هناك ليس التفكير ، بل الإحساس والتجربة والتذكر . إنه مكان  
أمان - ولا بد أن لكل شخص مكانه ، رغم أنني لم أسمع مطلقاً امرءاً يتحدث

عنه . غالباً ما توقظ حركة هادئة وخفية نائماً ، بينما لا يفعل ذلك حدث متعمد عدى . وأنا مقتنع أيضاً أن الأذهان النائمة تتجول في أفكار الناس الآخرين وأخذت أقنع نفسي بأننى أحتاج إلى الذهاب إلى الحمام ، وحين صار الأمر كذلك ، نهضت وذهبت . بعد ذلك نزلت الدرج في هدوء ، وأنا أحمل ملابسى ، ثم ارتديتها في المطبخ .

مارى تقول إننى أشارك الآخرين متاعب ليس لها وجود . ربما يكون الأمر كذلك ، ولكنى رأيت مشهداً قلما يحتمل حدوثه ، يتمثل أمامى فى المطبخ ذى الضوء المعتم - مارى مستيقظة وهى تنقب المنزل بحثاً عنى ، والانزعاج على وجهها . فكتبت ملحوظة على مفكرة البقالة تقول : « عزيزى - إننى لاقى . خرجت لأتمشى ، وسأعود سريعاً » . وأظن أنى تركتها فى منتصف مضدة المطبخ تماماً حتى إذا ما أضىء النور من مفتاح الحائط ، تكون هى أول لأشياء المرئية .

بعدئذ فتحت الباب الخلفى فى هدوء ، واختبرت الهواء . كان قارس البرد ، تهبث منه رائحة غشاء صلب من الجليد الأبيض . وتلفحت فى معطف ثقيل جذبت فوق أذنى طاقة بحارة من الصوف المحبوك . ودمدمت ساعة المطبخ كهربائية ، كانت تعلن الثالثة إلا الربع . كنت قد ظللت راقداً أرقب النقط لمرء فى الظلام منذ الحادية عشرة .

أن بلدتنا نيو بايتون بلدة أنيقة ، بلدة عتيقة ، واحدة من أول البلدان واضحة المحددة العالم فى أمريكا كلها ، أما سكانها الأول وكذلك أسلافى ، أعتقد ، فقد كانوا بناء أولئك البحارة المديمى الاستقرار ، المخادعين ، المحبين

للشجار ، المولعين بحشد المال ، الذين كانوا بسببون صداداً لأوروباً تحت حكم  
إليزابيت ، والذين استولوا على جزر الهند الغربية لأنفسهم تحت حكم كرومويل ،  
ثم جاءوا في النهاية ليستقروا على الشاطئ الشمالي ، وهم يحملون تراخيصهم من  
تشارلز ستيوارت العائد إلى العرش . ولقد وقعوا بنجاح بين القرصنة والتزمت  
الديني ، وهما شيئان على أقصى درجة من التشابه حين تتعمق في الموضوع .  
فكلاهما تتوفر فيه كراهية شديدة للمعارضة ، وكلاهما عين زائفة بالنسبة  
لممتلكات الآخرين . وحينما كانوا يمتزجون بالأهالي ، كانوا ينتجون حفنة  
من الصغار الصلبي الإرادة المنتصرين على الحياة . وأنا أعرف أمرهم ، لأن  
والدي جعلني أعرف كان نمطاً من الهواة العظام الذين يهتمون بأسلافهم ،  
ودائماً ما لاحظت أن الناس الذين يهتمون بأسلافهم ، غالباً ما يفتقدون الصفات  
التي للأشخاص الذين يحلونهم . كان أبي سيداً مهذباً ، أحسن تثقيفه ، وأسىء  
نصحه ، وكان أحياناً أحق رافعاً . فقد أضاع الأرض دون معين وكذلك  
النقود ، والهيبية ، والمستقبل ، والواقع أنه أضاع تقريباً كل ما جمعه آل آلان  
وهولى فيما يزيد على بضع مئات من السنين ، أضاع كل شيء ما عدا الأسماء  
-- وهي كل ما كان يهم أبي على أية حال . ولقد اعتاد أبي أن يعطيني دروساً  
فيما كان يسميه « دروس في التراث » . وذلك هو السبب في أنني أعرف  
الكثير عن الفتية القدامى . وربما كان ذلك أيضاً هو السبب في أنني أعمل  
موظفاً في بقالة صقلي في عمارة اعتاد آل هولى أن يمتلكوها . ليتني لم أمتعض  
من عملي إلى هذا الحد . فلم يكن الإفلاس أو الأزممة العصبية هي التي  
أطاحت بنا .

لقد حضرني كل ذلك عندما بدأت أقول أن نيوبايتون بلدة مديعة

استدرت يمينا في شارع ولم بدلا من يساراً ، وسرت مسرعا إلى شارع بورلوك ،  
الذي يستدير محاذيا لشارع هاي . سيكون وى ويلى ، كونستابل البلدة السمين ،  
وسنانا في سيارة البوليس في شارع هاي ، وأنا لا أريد أن أقضى الليل معه .  
ليسألنى . « ماذا تفعل بالخارج في مثل هذا الوقت المتأخر ، إيث ؟ هل أنت في  
ورطة صغيرة » وى ويلى تصيبه الوحشة ويحب الكلام ، ثم هو يتكلم مؤخراً .  
عما اعتاد أن يتكلم عنه . ومن شعور ويلى بالوحشة تمت بضع فضائح صغيرة .  
ولكها كريمة . أما الكونستابل الذى يعمل في أثناء النهار فهو ستونول  
جاكسون سميث ، وذلك ليس اسم دعاية . فقد سمي ستونول<sup>(١)</sup> جاكسون ، وقد  
ميزه هذا عن كل الآخرين الذين يحملون اسم سميث . أنا لا أدري لم يتعين على  
رجال شرطة البلدة أن يكونون متناقضين ، ولكنهم غالبا ما يكونون كذلك .  
وستونى سميث رجل خشن ، لا يبوح باسم اليوم الكائن ، إلا إذا كان واقفاً .  
على منصة الشهود بعد أن أدى القسم . ومدرس البوليس سميث يدير قسم البوليس  
في البلدة وقد كرس له نفسه ، ويدير أحدث الطرق ، وقد تلقى تدريب مكتب  
الأبحاث الجنائية الاتحادي في واشنطن . وأعتقد أنه رجل بوليس جيد مثلما  
يحتمل أن تجد ، طويل القامة هادى ، ذو عينين لها وميض المعدن وإذا كنت تدبر  
لارتكاب جريمة ، فسيكون مدير البوليس هو الرجل الذى عليك أن تتجنبه .  
لقد حضرنى ذلك كله من ذهائى إلى شارع بورلوك لى أنجنب الحديث  
مع وى ويلى . وفي بورلوك توجد المنازل الجميلة في بلدة نيو بايتون . أنت ترى .  
إننا كنا نمتلك في فترة مبكرة من القرن التاسع عشر ما يزيد على مائة سفينة  
لصيد الحيتان . وعند ما كانت السفن تعود من رحلة سنة أو سنتين بالخارج  
من مكان بعيد مثل القطب الجنوبي أو بحر الصين ، فإنها تكون محملة بالزيت  
(١) ستون وول معناها الحائط الحجرى وبهذا تتضح الدعاية في اختبار الاسم .

والغنى الكثير . ولكنها كانت على اتصال بموانئ غريبة تلتقط منها أشياء مثلما تلتقط أفكاراً ، وذلك هو السبب في أنك ترى أشياء صينية عديدة في منازل شارع بورلوك . ولقد كان لبعض أربابك الربابنة القدامى من أصحاب السفن ذوق طيب أيضاً . فقد أحضروا ، بكل ما لهم من نقود ، مهندسين معماريين إنجليز لكي يبنوا منازلهم . وذلك هو السبب في أنك ترى الكثير من تأثير فن آدم وإحياء فن العمارة الإغريقية في شارع بورلوك . لقد كانت موضة ذلك العصر في إنجلترا . ولكن رغم كل النوافذ المروحية الشكل فوق الأبواب ، ورغم الأعمدة ذوات التجاوير المستطيلة والأقواس الإغريقية ، فانهم لم يهتموا أبداً وضع ذلك الممر على السقف . وكانت الفكرة منه هي أن يصبح في استطاعة الزوجات المخلصات حبيسات المنزل الصعود الى هناك ليرقبن السفن العائدة ، وربما كان بعضهن يفعل ذلك . وقد كانت عائلتي ، آل هولى وكذلك آل فيليبس ، وآل إيلجر وبيكر أقدم من سكان شارع بورلوك فقد ظلوا يسكنون شارع الم ، وكانت منازلهم بسقوفها المدببة ودعاماتها ذات الخشب الملبس من الطراز المسمى « البيوت الأمريكية الأولى » . وعلى هذا الطراز كان منزلي ، منزل هولى العتيق . وكان شجر الدردار العملاق في ذلك الشارع في مثل عمر المنازل .

وقد أبقى شارع بورلوك مصابيحها التي كانت تضاء بالغاز ، وإن صارت تضاء الآن بلمبات كهربائية . ويأتي السياح في الصيف ليروا فن العمارة وما يسمونه « سحر العالم القديم » الذي في بلدتنا . لماذا ينبغي أن يكون السحر في العالم القديم ؟ :

إننى لا أذكر كيف امتزج آل فيرمونت آلان بآل هولى . حدث ذلك

عقب الثورة مباشرة وباستطاعتى طبعاً أن أعرف . فسيكون هناك سجل في مكان ما بالسندرة عندما توفي والدى ، كانت ماري قد سئمت تماماً تاريخ عائلة هولى ، ولهذا فحينما اقترحت تخزين كل شيء في السندرة ، كنت أفهم طبيمة شعورها . فمن الممكن أن تسأم تماماً تاريخ أسرة أناس آخرين . بل إن ماري ليست حتى من مواليد نيوباتيون . فقد انحدرت من أسرة ذات أصل أيرلندى ولكنها ليست كاثوليكية . ودائماً ما تشير إلى ذلك . عائلة ألستر ، كما تدعوها . وهى من بوسطن .

كلا ، بل إنها ليست كذلك من بوسطن . لقد التقيت بها هناك . وأستطيع الآن أن أرى كلينا ، ربما أكثر وضوحاً الآن عن ذى قبل ، ملازم ثان عصبي وخائف ، وهو الملازم هولى ومعه تصريح بأجازة نهاية الأسبوع ، ثم الرقة ، وخذان كورق الزهر ، والرائحة الحلوة التى تنبعث من فتاة عزيزة ، بل كان تأثير هذا كله مضاعفاً بسبب الحرب وكتب الدراسة . كم كنا جادين ، كنا جادين إلى درجة كبيرة . كنت معرضاً للقتل وكانت هى على استعداد أن تهيب حياتها لذكرى بطولتى . كان واحداً من مليون حلم متشابه يحلم به مليون زى رسمى زيتونى ، ومليون ثوب من القطن المطبوع . وربما كان قد انتهى بالخطاب التقليدى الذى يبدأ بعبارة « عزيزى جون » فيما عدا أنها قد وهبت حياتها لمحاربها . أما خطاباتهما ، الحلوه لما فيها من رصانة ، فقد تبعتنى فى كل مكان ، بخط منحني واضح فى حبر أزرق على ورق أزرق فاتح ، حتى عرفت فرقتى كلها خطاباتهما وكان كل فرد فى سعادة غريبة من أجلى . وحتى لو لم أكن راعباً فى الزواج من ماري ، لأرغمنى عليه وفاؤها ، رغبتى فى تخليد حلم العالم فى النساء الجميلات المختصات .



وهي لم تتهاو ، أمام إنتقالها من مسكنها ذى الطراز الأيرلندى فى بوسطن إلى بيت آل هولى العتيق فى شارع إلم . كما لم تتهاو مطلقاً أمام بأسى القاسى لفشلى فى العمل ، ولا أمام إنجاب أطفالنا ، أو أمام الشلل الذى ساد عملى كموظف فى محل زمنياً طويلاً . إنها ممن ينتظرون - أستطيع أن أرى ذلك الآن وأعتقد أنها بعد طول انتظار للنهائة ، تملكها السأم من الإنتظار فلم تبين أبداً من قبل عن صلابة رغباتها ، فعزىزنى مارى لم تكن ممن يسخرن ، ولم يكن الازدراء من أسلحتها . لقد كانت مستغرقة بكليتها فى جعل مواقف عدة تبدو فى أحسن صورة . فقط بدا واضحاً أن السم تسرب إلى ذهن ما ، لأنه لم يسبق له من قبل أن تسرب إليه . يالها من سرعة تلك التى كانت الصورة تتشكل بها مع وقع الخطوات التى تسحق الجليد على أرض الشارع المظلم . ليس هناك ثمة سبب للإحساس بأنى أسترق السير فى الصباح المبكر فى نيويهايتون ، « فوى وويلى » يسخر من هذا سخرية سخيفة ، ولكن غالبية الناس الذين يروننى أسير فى اتجاه الخليج فى الثالثة صباحاً ، سيفترضون أننى ذاهب نصيد السمك ولن تتبادر إلى ذهنهم أية فكرة أخرى . وقومنا يعرفون كل نظريات صيد السمك وبعضها سرى سرية وصفات الطبخ العائلية ، وأمثال هذه الأشياء تحترم وهى جديرة بالاحترام .

كانت أنوار الشارع تجعل الجليد الأبيض الصلب الذى يغطى عشب الحدائق والأرصفة يتألق وكأنه ملايين من الماسات الدقيقة . وجليد مثل هذا ينطبع عليه أثر القدم ، ولم يكن يوجد أسمى أى أثر لذلك . ولقد كنت أشعر دائماً ومنذ طفولتى باستشارة غريبة من السير فوق ثلج أو جليد ليس عليه أثر قدم . إن هذا يشبه أن تكون أول من يطأ عالماً جديداً ، ويبعث فىك إحساساً عميقاً

مريحاً باكتشاف شيء ما نظيف ، وجديد ، لم يستعمل ، ولم يتسخ . أما أهل الليل العاديون ، القطط ، فهم لا يحبون المشى فوق الجليد . وأذكر مرة ، وفي لحظة شجاعة ، أن خطوت حافياً على ممشى مغطى بالجليد ، فشعرت كأن قدمي تحترقان . ولكن الآن وأنا ألبس الأحذية الواقية من المطر والجوارب الثقيلة ، فإنني أضع النديبات الأولى على الجدة المتألقة .

وحيث يتقاطع شارع بورلوك مع شارع توركي ، أعني حيث يقع مصنع الدراجات ، وعلى مبعده من شارع هيكس ، كان الجليد النظيف مشوهاً بأثار طويلة لجر أقدام— إنه داني تيلور ، شبح قلق مترنح يرغب في أن يكون في مكان آخر ويجر نفسه إلى هناك وبعدئذ يود أن يكون في مكان آخر ؛ داني هو سكير البلدة . وأعتقد أن لكل بلدة سكيراً . وداني تيلور - ويهزأه كثيرون جداً من أهل البلدة رؤوسهم بيضاء من جانب إلى جانب - من عائلة طيبة ، بمائلة عريضة ، آخر سلاتها ، وعلى قسط طيب من التعليم . ألم يلق بعض المتاعب في الأكااديمية ؟ لماذا لا يلم شتات نفسه ؟ إنه يقتل نفسه بالشراب ، وهذا عيب لأن داني سيد مهذب . أنه أمر مخجل ، أن يشهد النقود من أجل الشراب . ومما يبعث العزاء أن والديه ایسا على قيد الحياة ليشاهدها . كان هذا سيقتلها - ولكنها قد توفيا الآن . ولكن ذلك كان مدار الحديث في نيوباتيون .

وداني يبعث في أعماقي أسى بارداً ويترتب على ذلك إحساس بالذنب . كان ينبغي أن أكون قادراً على معاونته . ولقد حاولت ، ولكنه لم يكن يدعني أفعل . وداني قريب إلى قرابة الأخ لو كان لي مطلقاً أخ ، نفس السن والنشأة ، نفس الوزن والقوة ، وقد يكون منشأً إحساسى بالذنب ، أنني الأمين على أخى ومع ذلك لم أنقذه . وبإحساسى له ذلك العمق المتأصل ، فإن المبررات - حتى

القوى منها - لاتقدم أى إحساس بالراحة فآل تيلور - عائلة عريقة مثل هولى أوبيكر أو أية عائلات عريقة أخرى . لا أستطيع أن أتذكر فى طفولتى أية رحلة ، أى سيرك ، أية مباراة ، أو أى عيد ملاد دون أن يكون دانى إلى جوارى ولصيقا بى كأنه ساعدى الأيمن . وربما لو كنا قد ذهبنا إلى الكلية سوياً ، لما كان هذا قد حدث . فقد ذهبت إلى هارفارد - وتنعمت باللغات واغتسلت بالعلوم الإنسانية ، وأقت فى القديم ، والجليل ، والغامض ، وانغمست بكليتى فى معرفة لم تفدى على الإطلاق فى إدارة محل بقالة ، حين نضجت . وكنت أود دائماً لو استطاع دانى أن يكون معى فى تلك الرحلة البهيجة المثيرة . ولكن دانى كان قد نشأ من أجل البحر كان التحاقه بالأ كاديمية البحرية قد تم تخطيطه وتمحيصه وكان مؤكداً حتى منذ أن كنا صبية . وكان أبوه يدعم هذا الالتحاق فى كل مرة يكون لدينا فيها مرشح جديد للـكوجرس .

وحظى بالشرف ثلاث سنوات وبعدهُ طرد . ويقولون إن هذا قتل والديه كما قتل معظم مافى دانى . وكل مابقى منه هو هذا الأسى الذى يجرجر قدميه - هذا الأسى المتجول فى أثناء الليل ليتسول دريهات يشتري بها نصف لتر من (مدمر الجماجم) . وأظن الإنجليز يعبرون عن هذا بقولهم : « أنه قد أسقط عن نفسه الكبرياء » ، وهذا يجرح دائماً من يسقط عن نفسه الكبرياء ، أكثر مما يجرح الكبرياء ودانى الآن متجول ليلى ، رجل يستيقظ فى البكور ، شىء وحيد يجرجر قدميه . وهو حينما يطلب ربع دولار ليشتري (مدمر الجماجم) ، ترجوك عيناه أن تفقرله لأنه لا يستطيع أن يغفر لنفسه . وهو ينام فى كوخ خلف مصانع الزوارق وحيث اعتاد آل تيلور أن يكونوا بناء سفن . وتوقفت عند آثار أقدامه لأرى

ماذا كانت قدماء قد اتجهتا ناحية البيت أم بعيداً عنه . ومن جر القدمين على الجليد عرفت أنه ذهب إلى الخارج وأننى قد ألتقى به في أى مكان . ولم يكن وى وى ليقبض عليه اذ ماجدوى ذلك ؟

لم يكن ثمة تساؤل بشأن المكان الذى أذهب إليه . فقد رأيتته وأحسست به . وشممت رائحته قبل أن أغادر القرأش . كان الميناء القديم قد رولى الآن منذ أمد بعيد فبعد امتداد حاجز الأمواج الجديد ورصيف البلدية ، كان الرمل وانطين قد زحفا إلى الداخل وجعلاه ضحلاً ذلك المكان الذى كان ذات يوم مرسى عظيم للسفن تحميه شعاب « ويتصن » ذات الأسنان المشرشرة . ذلك المكان حيث كانت توجد ذات يوم أحواض السفن ومصانع الحبال والحارن التجارية وعائلات بأكملها من صانعى البراميل الذين يصنعون براميل زيت الحوت ، وحيث كانت توجد أيضاً الأرصفة التى كانت المقدمات المدببة لسفن صيد الحوت تستطيع أن تندفع فوقها حتى سلاسل صواريخها ، بل وحتى التمثال المنحوت عليها أو النقوش المحفورة فيها . كانت غالباً سفناً ذوات ثلاثة أشرعة رئيسية ، تندفع أشرعتها الأساسية أفقياً على صواريخها ويحمل الصارى الخلفى أشرعة مربعة مثلما يحمل الصارى الطويل أشرعة المقدمة والمؤخرة - سفن ذوات غاطس عميق بنيت لتتحمّل سنوات فى البحر فى أى جو . كان صارى الشراع الأمامى الثانى صارياً منفصلاً والصارى العمودى المزدوج الذى تحت صارى المقدمة يؤدي هو الآخر مهمة الصارى الذى يرفع مقدمة شراعى المقدمة والمؤخرة .

لدى رسم محفور على الصلب للميناء القديم وهو يعج بالسفن ، وبعض الصور الفوتوغرافية الحائلة مطبوعة على صفيح ، ولكنى فى الواقع لا أحتاجها

فأنا أعرف الميناء وأعرف السفن . كان جدى يعيد بناؤها لى بعصاه المصنوعة من ناب الحوت ، وهو يرغنى على معرفة التسميات ؛ ويصرخ بالمصطلحات وعصاه تخبط جذع ركيزة خشبية تأكلت من المد والجزر ، وكانت ذات يوم رصيف آل هولى ، كان رجلا عجوزاً قاسياً ذا سوائف أطرافها بيضاء وكنت أحبه كثيراً جداً لدرجة أن هذا الحب كان يوجعنى .

« حسنا ، » كان يقولها ، بصوت لا يحتاج إلى مكبر صوت وهو عند القنطرة ، « أنشد بصوت مرتفع أسماء القلوع والأشربة والصواري ، أنشدها بصوت عال . فأنا أكره الهمس » .

وكنت أنشد بصوت مرتفع ، وكان هو يخبط الركيزة الخشبية بعصاه التى من ناب الحوت مع كل إيقاع . كنت أنشد : « الشراع الأمامى المستعرض ( خبطة ) ، الشراع الأمامى الخارجى ( خبطة ) ، الشراع الأمامى الداخلى ، الشراع الأمامى المستعرض الثانى ( خبطه ! خبطة ! ) .

— « ارفع صوتك منشداً ! أنت تهمس » .

— « الشراع الأمامى المستعرض الأول ، الشراع الأمامى المستعرض الثانى ، الشراع الأمامى المستعرض الثالث ، الشراع الأمامى المستعرض الرابع ، الشراع الأمامى المستعرض الخامس ، الأشربة الأمامية المستعرضة » — ومع كل شراع خبطة .

— « الأشربة الرئيسية ! ارفع صوتك منشداً » .

— الشراع الرئيسى العلوى ، — خبطة .

ولكنه أحياناً ، وحين زاد به تقدم العمر ، كان يصيبه التعب فيصبح : اطو الأشربة الرئيسية انتقل الى أشربة المؤخرة . والآن ارفع صوتك منشداً .

— « حاضر ، ياسيدى . شراع المؤخرة العلوى الأول ، شراع المؤخرة  
الثانى ، شراع المؤخرة الثالث ، شراع المؤخرة الرابع ، شراع المؤخرة الخامس ،  
عارضه الأشرعة الوسطى - »

— « وبعد ذلك ؟ »

— « الشراع الخلفى . »

— « كيفية إعداده ؟ »

— « صارى عند القاعدة وصارى منتصب ياسيدى » .

خبطة - خبطة - خبطة - بالعصا التى من ناب الحوت على الركيزة الخشبية  
المستقرة فى الماء .

وكما تزايد التشويش فى سمعه ، كان يتهم مزيداً ومزيداً من الناس بالهمس ،  
كان يصيح : « لو كان شىء صحيحاً ، أوحى غير صحيح وأنت تعنيه ، فصح به » .

وربما يكون الضعف قد أصاب أذنى القبطان العجوز قرب نهاية  
حياته ، ولكنه لم يصب دأكرته . كان يستطيع أن يسرد لك جملة وسيرة كل  
سفينة ، وكان يبدو من سرده ، وكأنه يعرف كل سفينة أبحرت من الخليج  
وماذا أحضرت عند عودتها وكيف قسم هذا ، وكان الشىء الغريب أن أيام صيد  
الحيتان الرائجة كانت قد انتهت تقريبا قبل أن يصير قبطاناً . كان يسمى  
الكيروسين زيت الظربان ومصاييح الكيروسين أوعية الفتن وعندما أتى  
الوقت الذى وصلت فيه المصاييح السكرائية ، لم يكن يهتم بالأمر كثيراً ، أو  
ربما كان مسروراً بمجرد الذكرى . ولم تكن وفاته صدمة لى . كان العجوز قد  
أدخل إلى ذهنى فكرة موته مثلما أدخل إليه فكرة السفن . كنت أعرف كيف

أتصرف ، داخل نفسي وخارجها .

وعلى حافة الميناء القديم الذى غطاه الطين والرمل ، وفي نفس المكان الذى كان فيه رصيف آل هولى بالضبط ، كان الأساس الحجري لايزال هناك . إنه إلى أسفل مباشرة وإلى مستوى الجزر المنخفض ، وتصدم الأمواج العالية ببناءه الحجري المربع . وبعد عشر أقدام من نهايته يوجد ممر صغير عرضه حوالى أربع أقدام وارتفاعه أربع أقدام وعمقه خمس أقدام . سقفه مقبوء . ربما كان مصرفاً فى يوم ما ولكن نهايته التى ناحية اليابسة مسدودة من الداخل بالرمل وحطام الصخور . ذلك هو مكانى ، المكان الذى يحتاجه كل واحد . فبداخله تكون مخفياً عن الأنظار ما عدا ناحية البحر . والميناء القديم لا يوجد فيه شيء الآن سوى بضع عشش لصائدى الحار ، وهى عشش هشة يصدر عنها صرير ، وغالباً ما تكون مهجورة فى فصل الشتاء . وعلى أية حال فصيادو الحار قوم هادئون إلى حد كبير . فهم نادراً ما يتكلمون من بداية اليوم إلى نهايته ؛ وهم يسرون خافضى الرؤوس معنى الأكتاف .

ذلك هو المكان الذى كنت متوجهاً إليه . لقد أمضيت هناك فترة الجزر الليلية قبل أن أنضم إلى الخدمة العسكرية ، وفترة الجزر الليلية قبل أن أتزوج مارى ، وجزءاً من الليلة التى ولدت فيها إيلين وقد آلمها هذا إلى درجة قاسية . كنت مرغماً على الذهاب والجلوس هناك بالداخل وسماع الأمواج الصغيرة وهى تصفق الأحجار وأنا أتطلع إلى صخور « ويتصن » التى كأسنان المنشار . رأيت مكانى هذا ، وأناراقد فى فراشى أرقب رقصة النقط الحمراء ، وعرفت أنه ينبغى

على أن أجلس هناك . إن التغيرات الكبيرة هي التي تأخذني إلى هناك .  
التغيرات الكبيرة .

يجرى شارع سوٲ ديفون على امتداد الساحل ، وتوجد أضواء مساطة على  
الشاطيء وضعها أناس طيبون لكي يجنبوا العشاق الوقوع في المآزق . إذ سيكون  
عليهم أن يذهبوا إلى مكان آخر للتلاقى . وهناك تشريع من البلدية يقرر أن على  
وي ويلي أن يقوم بدورية مرة كل ساعة . لم يوجد ثمة مخلوق على الشاطيء -  
ولا مخلوق ، وكان ذلك شاذاً ، لأنه دائماً ما كان يوجد ثمة شخص على وشك  
الصيد ، أو بصطاد ، أو يأتي إلى الشاطيء . أدليت جسدى من فوق الحافة  
ووجدت الحجر البارز على السطح ثم ثنيت جسدى داخلًا في الكهف الصغير .  
ولم أكد أستقر في مكاني حتى سمعت سيارة وي ويلي تمر . بذلك أكون قد  
تجنبت قضاء الليل معه مرتين .

قد يبدو غير مريح وسخيفاً ، أن تجلس بساقين متقاطعين في كوة وكأنك  
بوذا بعينين تطرفان ، ولكن الحجر يناسبني بشكل ما ، أو أنا الذي أناسبه .  
وربما كنت أتردد هناك منذ فتره طويلة حتى تشكل عجزى بشكل الأحجار .  
أما بالنسبة لسخافة العمل ، فأنا لا أهتم بذلك . فأحيانًا تكون السخافة فكاهة  
عظيمة ، مثل الأطفال الذين يمثلون التماثيل ثم يستغرقون في الضحك وأحياناً  
عندما ما يتملكك السخف فإنه يحطم إيقاع حياتك المنتظم ويجعلك تبدأ بداية  
جديدة . وحينما أكون مهموماً ، فإننى أمثل دور السخيف حتى لا تنتقل عدوى  
الهم منى إلى عزيزتى . وهى لم تكشف لعبتى بعد ، وإذ كانت قد فعلت ، فلن  
أعرف هذا أبداً . هناك أشياء عديدة لا أعرفها عن مارى ، ومن بينها ، مقدار



ما تعرفه عنى . لا أظنها تعرف شيئاً عن المكان . وكيف كانت تستطيع ؟ أنا لم أخبر أحداً عنه . فليس له أى اسم فى ذهنى سوى المكان - إنه ليس قدسياً أو طقسياً أو أى شىء . إنه بقعة فمياتفكر فى أشياء . لا يوجد إنسان يعرف حقاً ما يتعلق بالبشر الآخرين . وأحسن ما يستطيع عمله هو أن يفترض أنهم يشبهونه . والآن ، وأنا جالس فى المكان ، محتجباً عن الريح ، أرى تحت أضواء الحراسة المد يزحف إلى الداخل ، أسود بلون السماء المظلمة كنت أعجب إذا ما كان لكل رجل مكان ، أو يحتاج إلى مكان أو يرغب فى واحد وليس لديه واحد . لقد رأيت أحياناً نظرة فى عينين ، نظرة حيوان مجنون وكأنها تحتاج إلى مكان هادىء خفى حيث تستطيع رعدات النفس أن تهدأ ، حيث يكون الإنسان بمفرده ويستطيع أن يحاسب نفسه . أنا أعرف طبعاً نظريات الرجوع إلى الرحم والرغبة فى الموت ، وربما تكون هذه صادقة مع بعض الرجال ، ولكنى لا أحسبها تصدق على ، إلا إذا كانت وسائل سهلة لقول شىء معقد . وأنا أسمى أى شىء يحدث فى المكان « حساب النفس » . وقد يسميه البعض الآخر صلاة ، وقد يكونا نفس الشىء . ولورغبت فى رسم صورة لنفسى عما يحدث ، فستكون صورة ملاءة نديه تدور وتصطفق فى نسمة حلوة ، ثم تجف ويكتسب بياضها الجمال . وما يحدث لى حق ، سواء أكان خيراً أم لا .

كانت توجد مسائل عدة تستوجب التأمل ، وكانت تقفز وتلوح بأيديها لتسترعى الانتباه مثل صببية فى مدرسة . وعندئذ سمعت الدمدمة البطيئة المنبمئة من آلة قارب ، قارب ذى محرك واحد ، مركب صيد . كان الضوء الذى على قمة صاريتها يتحرك إلى الجنوب خلف صخور « ويتصن » . كان على أن أترك

كل شيء جانبا حتى أطفأت أضواءها الحمراء والخضراء دلالة على وصولها سالمة إلى القناة، مركب محلي لأنها عثرت على المدخل بمنتهى السهولة وألقت المرساة في المياه الضحلة، ثم جاء رجلان في زورقها في اتجاه الشاطئ. ومسحت الأمواج الصغيرة الشاطئ، واستفرقت طيور النورس المنزعجة وقتنا، قبل أن تعود لتستقر فوق مراسي السفن الطافية.

بند: كانت هناك ماري، عزبتي، لأفكر فيها، وهي نائمة وابتسامتها الغامضة على شفيتها. وتمنيت ألا تستيقظ وتبحث عني. ولكن لو فعلت، فهل ستخبرني على الإطلاق؟ أشك في ذلك. وأعتقد أن ماري، مع كل ما يبدو عليها من أنها تخبرني بكل شيء، تخبرني بالقليل جداً. كان هناك الطالع للتفكير فيه. هل كانت ماري ترغب في طالع أم كانت تريد من أجلي؟ وحقيقته أنه كان طالعاً زائفاً، دبرته مارجي يأنج هنت لأسباب لا أعلمها، لم تكن تعني بالنسبة لي أي فرق على الإطلاق. ولقد كان الطالع الزائف مفيداً فائدة أي طالع آخر ويحتمل أن يحتوي جميع الطوابع قليلا من الزيف. فأى رجل على مستوى معقول من الذكاء يمكنه أن يجمع ثروة إذا كان ذلك هو ما يريده. ولكنه غالبا ما يرغب حقيقة في النساء أو الثياب أو الإعجاب وهذا ما يحيد به عن غرضه. وفنانون المال العظام أمثال مورجان وروكفلر لم يجد بهم شيء عن غرضهم. لقد أرادوا المال وحصلوا عليه، مجرد مال بسيط. أما ماذا فعلوا به بعد ذلك فهذا شيء آخر. ولقد كنت أشعر دائماً أن الخوف دب فيهم من المارد الذي أثاروه، وأنهم حاولوا أن يرشوه ليتخلصوا منه.

بند: النقود، وكانت تعني بالنسبة لماري ستائر جديدة، وتعليماً مضموناً

الأولاد وأن ترفع رأسها إلى أعلى قليلاً و— فلنواجه الأمر ونقول ، أن تكون  
نخورة بي بدلاً من خجلها الضئيل منى . لقد قالت هذا في ساعة غضب ولكنه  
كان حقيقياً .

بند : هل أريد أنا نقوداً ؟ حسناً ، كلا . كان شىء ما في أعماق يكره  
لى أن أكون موظفاً في محل بقالة . ففي الجيش وصلت إلى رتبة كابتن ، ولكنى  
أعرف ما الذى نقلنى من بين المجندين إلى معسكر تدريب الضباط . كانت  
العائلة والصلوات . لم يتم اختياري لسواد عيني ، ولكنى جعلت من نفسى  
ضابطاً جيداً . ولكنى لو كنت حقاً أحب الأمر والنهى ، وفرض إرادتى على  
الآخرين ورؤيتهم وهم يثبون عند سماع أوامرى ، فربما كنت بقيت بالجيش ،  
وصرت كولونياً الآن . ولكنى لم أفعل . كنت أرغب فى التخلص منه .  
وهم يقولون إن الجندى الجيد يقاتل معركة ، وليس حرباً أبداً ، فذلك متروك  
لمدنيين .

بند : كان ماروللو يقول لى الحقيقة عن التجارة ، فالتجارة هى عملية الحصول  
على المال . وكان جوى مورفى يقولها بشكل صريح ، وكذلك مستر بيكر  
والوكيل المتجول . لقد قالوها جميعاً بصراحة . فلماذا أثار هذا ثائرتى وترك فى فمى  
طعماً كالبيض الفاسد ؟ أأكون أنا فى غاية الطيبة أو العطف أو العدل ؟ لا أعتقد  
أن الأمر كذلك . هل أكون فى غاية الكبرياء ؟ حسناً ، عندى شىء منها .  
أنا كسول ، فى غاية الكسل بحيث لا أتورط فى الأمر ؟ لدى مقدار هائل من  
الشفقة الخاملة التى ليست شيئاً سوى الكسل ، وعدم الرغبة فى أية متاعب ،  
أو اضطراب ، أو مجهود .

تتولد ثمة راحة واحساس بالفجر قبل ظهور الضوء بفترة طويلة ولقد كان هذا في الهواء الآن ، خفت حدة الريح ، وأضاء نجم جديد أو كوكب الأفق متجها ناحية الشرق . كان ينبغي على أن أعرف أى نجم أو كوكب هذا ، ولكنى لا أعرف . ومع الفجر الكاذب تنشط الريح أو تسكن . إنها تفعل ذلك فعلاً . وسيكون على أن أتأهب للعودة حالاً . وهذا النجم الصاعد قد تأخر به الوقت كثيراً ليظهر الكثير من اشراقته قبل أن يطلع عليه النهار . ما هو المثل — « حين تنحرف النجوم عن مساراتها ، تفقد سيطرتها » ؟ حسنا ، لقد سمعت أن عدداً كبيراً جداً من رجال المال الجادين يذهبون إلى المنجمين طلباً لمشورتهم فيما يتعلق بالمضائع التي يشترونها . فهل تنحرف النجوم في اتجاه سوق للثيران ؟ هل تتأثر المدافع المضادة للدبابات والدبابات بالنجوم ؟ لا شيء في طالعي حلوه بعيد مثل نجم . مجموعة مخلوطة من أوراق اللعب التي تستخدم في التنبؤ بالطالع في يد امرأة كسولة خبيثة ، ثم إنها تلاعبت بالورق . هل ينحرف الورق عن مساره ثم لا يفقد سيطرته ؟ حسنا ، لقد انحرف بي الورق إلى المكان في منتصف الليل ، وانحرف بي ليجعلني أفكر أكثر مما أردت في موضوع أشمئز منه . وذاك جزء من الانحراف . فهل يستطيع الورق أن ينحرف بي الى ذكاء في الشغل لم يتوفر لي أبداً ، والى حب تملك غريب على ؟ أيمكن أن انحرف بحيث أريد بالم أكن أريد ؟ في عالمنا يوجد الآكل والمأكول . وتلك قاعدة جيدة نبدأ بها . ال يكون الآكل أكثر لا أخلاقية من المأكول ؟ ثم في النهاية يؤكل الجميع الجميع — نلتهمهم الأرض ، حتى أكثرهم وحشية وأشدهم دهاء .

منذ وقت طويل والديسكة آخذة في الصباح فوق تل « كلام » ، وكنت

قد سمعتها ولم أسمعها . وددت لو استطعت البقاء لأرى الشمس وهي تشرق مباشرة من خارج المكان .

لقد قلت إنه لا توجد قدسية تكثف المكان ، ولكن ذلك ليس صحيحاً تماماً ، ففي فترة معينة من كل زيارة أعيد بناء الميناء القديم من أجل متعتي الذهبية - الأرصفة ، مخازن الميناء ، غابات الصواري وشجيرات قلع السفينة وقماش القلع : ثم أرى أسلافي ، دمي - وفتيانهم على سطح السفين ، والمبتلون شباباً عند قمتها ، والناضجون على الجسر المفضى إلى مقر الربان . لم يكن يثار حينذاك أى هراء عن شارع مايسون أو عن تقليم أوراق كثيرة جداً من القرنبيط . كان للإنسان حينذاك شيء من عظمة ، شيء من أهمية . كان باستطاعة الإنسان أن يتنفس .

كان ذلك ما يدور حوله حديث أبي ، الأحق ، أما القبطان العجوز فكان يذكر المعارك التي تقوم من أجل الأنصبه ، والتلاعب بالموثن والشك في كل ملاءة وسروال . والقضايا . أجل ثم التفاؤل - هل من أجل النساء ، والمجد ، والمخاطرة كلا بتاتاً . بل من أجل المال . كان يقول إنها شركة نادرة تلك التي كانت تستمر أكثر من رحلة واحدة ، ثم يتلوها عداً مستحكماً ، يظل قائماً بعد أن يكون سببه قد نسي .

كانت هناك ضغينة واحدة لم ينسها القبطان هولى العجوز ، جريمة لا يستطيع أن يفتقرها . ولا بد أن يكون قد قص على أمرها سرات عديدة : وهو واقف أو جالس على حافة الميناء القديم . كنا نمضى هناك وقتاً طيباً ، أنا وإياه . وأذكره وهو يشير بعصاه المصنوعة من ناب الحوت . كان يقول :

— « انظر إلى تلك الصخرة الثالثة من شعاب « ويتصن » هل رأيتها ؟  
والآن ، أربطها بخط مع رأسي بورتي يوبنت ساعة ارتفاع المد . أتراها هناك؟ والآن  
على مبعدة ٣٠٤ قدم ناحية البحر على هذا الخط يوجد المكان الذي ترقد فيه  
أو على الأقل قاعدتها . »

— « البيل آدير ؟ »

— « نعم ، البيل آدير . »

« سقيفتنا . »

— نصفها كان لنا ، كانت شركة . احترقت وهي رأسية - احترقت حتى

خط منسوب الماء . ولم أصدق أبدا أن يكون هذا مصادفة «

— « أتعتقد ، ياسيدي ، أن النار أشعلت فيها عمداً ؟ »

— « أجل . »

— « ولكن — ولكنك لايمكن أن تفعل ذلك ؟ »

— « لم أكن أستطيع . »

— « من فعلها ؟ »

— « لأعرف ؟ . »

— « ولماذا ؟ »

— « من أجل التأمين . »

— « إذن فالأمرايس مختلفاً عنه الآن . »

— « كلا ليس مختلفاً . »

— « ولكن لا بد أن يوجد إختلاف ما » .

— « في رجل واحد بمفرده فحسب — في رجل واحد بمفرد فحسب . تلك هي القوة الوحيدة — رجل واحد بمفرده . لا أستطيع الاعتماد على أى شيء آخر » .

أخبرني والدي أنه لم يكلم السكايتن بيكر . بعد ذلك أبداً ، ولكنه لم يحمل نفس الشعور تجاه ولده ، مستر بانكر بيكر . لم يكن ليفعل ذلك ثانية فقد كان أهون عليه أن يشعل النار في سفينة .

ياإلهي الرحيم ، على أن أذهب إلى البيت ، ونهضت . كنت أجرى تقريباً وذهبت إلى شارع « هاي » دونما تفكير . كانت الدنيا لا تزال ظلمتها سائداً ؛ ولكن إطاراً من الضوء كان يرقد على حافة البحر ويجعل الأمواج بلون رمادي كلون الحديد . ودرت حول نصب الحرب التذكاري وتجاوزت مكتب البريد . وفي مدخل باب ، كان داني تيلور يقف كما توقعت أنه لا بد أن يكون ، يدها في جيوبه ، وياقة معطفه المهلهل مرفوعة إلى أعلى ، وطاقية صيده العتيقة المدببة قد فرد غطاء أذنيها إلى أسفل . كان وجهه أزرق رمادياً من البرد والمرض .

قال : « إيث ، آسف لإزعاجك — آسف . ينبغي أن أحصل على شيء من ( مدمر الجماجم ) . أنت تعرف أنني لم أكن لأطلب ذلك لولا اضطراري إليها » .

— « أعرف . أقصد أنني لا أعرف ، ولكنني أصدقك » . وأعطيته

ورقة من فئة الدولار .

« هل ستفي تلك بالعرض » ؟

كانت شفتاه ترتعشان بنفس الطريقة التي ترتعد بها شفتا طفل حين يكون حلي وشك البكاء وقال :

« شكراً لك ، يا إيث . أجل ، فستجعلني تلك أغيب عن وعيي طول النهار ووربما طول الليل » وبدا التحسن يبدو عليه من مجرد التفكير في الأمر .  
— « داني — عليك أن تقلع عن هذا . أتظنني نسيت ؟ لقد كنت أخألي ، يا داني . ولا زلت كذلك . وسأفعل أى شيء في العالم لمساعدتك » .  
وتسرب قليل من اللون إلى وجنتيه الفاحلتين . تطلع إلى النقود في يده ، وبدا كما لو كان قد تناول جرعة الأولى من (مدمر الجاجم) ثم تطلع إلى بعينين قاسيتين باردتين .

— « أولاً ، ليس هذا من اختصاص أى إنسان لعين . وثانياً ، إنك ليس ملك مخ ، يا إيثان . أنت أعمى مثلى ، ولكنه نوع مختلف من العمى فحسب » .  
— « أصغ إلى ، يا داني » .

— « لماذا ؟ إنني أفضل منك حالياً ، فلدى ورقة رابحة في يدي . أتذكر خضعتنا في الريف ؟ »

— « حيث احترق المنزل وتقوض ؟ وحيث اعتدنا أن نلعب في فجوة البدروم ؟ »

— « ما زلت تذكرها جيداً . إنها ملكي » .

— « داني ، يمكنك أن تبيعها وتبدأ بداية جديدة » .

— « لن أبيعها . الدولة تستولى كل سنة على قطعة صغيرة منها نظير

«الضرائب . ولكن المرجة الكبيرة لا تزال ملكي » .

— « ولم لا تبيعها ؟ »

— « لأنها قطعة مني ، إنها دانييل تيور . فطالما امتلكها لن يقدر أولاد



الكلاب أن يحددوا ما أفعل ولن يستطيع الأوغاد إرسالى إلى السجن من أجل  
مصلحتى الخاصة هل فهمت؟» .

— « اسمع ، يا داني » .

— « لن أسمع . اذا كنت تعتقد أن هذا الدولار يعطيك الحق فى أن

تمعظنى - فهالك . خذه ثانية » .

— « احتفظ به » .

- « سأفعل . فأنت لا تدرى عن أى شىء تتحدث . إنك لم تكن أبداً

سكيراً . إني لا أقول لك كيف تلف لحم الخنزير ، هل أفعل ! والآن لو سرت  
فى طريقك ، فسأطرق محلاً وأحصل على شىء من ( مدرس الجماجم ) - ولا تنس -  
أنى أفضل منك حالا . فأناست موظفاً » .

استدار ووضع رأسه فى زاوية الباب المغلق مثل طفل ينفى وجود العالم

بالتطلع بعيدا عنه ثم بقى هناك حتى يئست وسرت فى طريقى » .

كان وبنى ويلي قد أوقف سيارته أمام الفندق . أفاق من غفوته ، وأدار

زوجاج سيارته الشفرولية الى أسفل . وقال :

— « طاب صباحك ، يا إيثان . هل استيقظت مبكراً أم تأخرت بالخارج » .

— « الأمران معاً » .

— « لا بد أن تكون قد وجدت لنفسك امرأة رائعة » .

— « بالتأ كيد يا ويلي ، حورية بحر » .

— « والآن ، يا إيثان ، لاتقل لى أنك تصادق أية امرأة تلقاها فى الطريق »

— « أقسم أننى سأفعل » .

— « لا أستطيع أن أصدق شيئاً بعد ذلك . أراهن أنك كنت تصطاد

السمك . كيف حال السيدة ؟ »

— « نائمة » .

— « وهذا مأساً كونه ، بعد أن تنتهى نوبة عملي » .

وغادرت دون أن أذكره بأن هذا هو ما كان يفعله .

صعدت الدرجات الخلفية لمنزلي بهدوء ثم أضأت نور المطبخ . كانت

الورقة على المنضدة إلى اليسار قليلاً من الوسط . وإني لأقسم أنني تركتها في  
وسط المنضدة تماماً .

وضعت القهوة على النار وجلست أنتظر أن تغلي ، وكانت قد بدأت لتوها

في الغليان حين نزلت ماري . وزوجتي العزيزة تبدو مثل فتاة صغيرة حين

تستيقظ من النوم . ولا أستطيع أن تتصور أنها أم لطفلين كبيرين . وتنبعث

من بشرتها رائحة محببة ، مثل العشب المشذب حديثاً ، وهي أكثر الروائح التي

أعرفها دفئاً وتهديئة .

— « ما الذي تفعله في مثل هذا الوقت المبكر » ؟

— « حسناً ، في إمكانك أن تسألني ، قد يسرك أن تعلمي أنني ظلت

ساهرأ معظم الليل ، أنظري إلى حذائي الواقى من المطر هناك إلى جوار الباب

وتحسنيه لتعرفي أنه مبلل » .

— « وأين ذهبت » ؟

— « هناك إلى جوار البحر يوجد كهف صغير ، يابطتي ، لقد زحفت

داخلاً إليه وتأملت الليل » .

— « والآن كفاك » .

— « ورأيت نجماً يخرج من البحر ، وحيث إنه لم يكن له صاحب فقد أخذته ليكون نجماً ، وقد استأنسته ثم أعدته ليسمن » ،  
— « لقد بدأت السخف ، أعتقد إنك قد استيقظت لتوك ، وذلك ما أيقظني » .

— « إن كنت لا تصدقيني ، فسلي وبي وبلي ، لقد تحادثت معه أو سلى داني تيلور ، لقد أعطيته دولاراً » .

— « كان ينبغي ألا تفعل ، فهو سيسكر به فحسب » .

— « أعرف ، وتلك كانت رغبته ، أين تستطيع نجمتنا النوم يا زهرتي الحلوة » ؟

— « ألا تجد رائحة القهوة طيبة ، إنني سعيدة لأنك عدت لسخافتك فإن الأمر يكون مزعجاً حين تستولى عليك الكتابة ، وإني لآسفة من أجل موضوع الطالع ذاك ، أنا لا أريدك أن تظن أنني لست سعيدة » ؟

— « لا تقلقي بالك بهذا الشأن ، فهو أمر أبانه الورق » ؟

— « ماذا » ؟

— « أنا لا أمزح ، سأحقوق طالعنا » .

— « أنا لا أعلم مطلقاً في أى شيء تفكر » .

— « ان أصعب الأمور هو قول الحقيقة ، هل أستطيع أن أضرب الأطفال قليلاً احتفالاً باليوم السابق لعيد القيامة ، وأعدك أنني لن أكسر لهم عظماً » .  
قالت : « إنني لم أغسل وجهي بعد ، فلم أكن أستطيع أن أتصور من الذى كان يعبث في المطبخ » .

عندما صعدت إلى الحمام ، وضعت الورقة التي كنت قد كتبتها لها في جيبى ، وكنت لازلت لا أعرف ، هل استطاع امرؤ قط أن يعرف حتى ولو الغشاء الخارجى لشخص آخر ، ماذا تشبهين فى أعماقك ؟ مارى - هل تسمعين ؟ من تكونين فى دخيالتك ؟

## الفصل الرابع

بدأ صباح يوم السبت ذاك وكان له نمطاً خاصاً ، وإني لأعجب إذا ما كان لكل الأيام أنماطها ، كان يوماً ينسحب على الماضي ، وجاء في همس العمه ديورا الكتيب الخافت ، « طبعاً ، المسيح ميت وهذا هو اليوم الوحيد من أيام العالم الذى يكون فيه ميتاً ، كل الرجال والنساء أيضاً يموتون ، ولكن غداً ، انتظر إلى الغد فحسب ، وحينئذ سترى شيئاً ما » .

أنا لا أتذكر شكلها بوضوح تام ، مثلما لا أتذكر شكل شخص يكون وثيق الصلة جداً بك بحيث لا تحاول التطلع إليه ، ولكنها كانت تقرأ لى فى الكتاب المقدس وكأنه جريدة يومية ، وأحسب أن تلك كانت فكرتها عنه ، كما لو كان شيئاً دائماً الحدوث بشكل خالد ، ولكنه دائماً مثير وجديد ، فى كل عيد قيامة ، يقوم يسوع حقاً من بين الأموات ويحدث تفجر متوقع ، ولكنه لا يفقد جدته بحال من الأحوال ، فبالنسبة له لم يكن الأمر قد انقضى عليه ألفى عام ، بل كان وكأنه يحدث الآن ، ولقد غرست فى شيئاً من ذلك .

لا أستطيع أن أتذكر أنه كانت لدى الرغبة من قبل فى فتح الحبل ، أظن أنى كنت أكره كل ما يتعلق بالصباح من كسل وتشويش فى الهندام ، ولكنى فى هذا اليوم كنت أريد الذهاب ؛ وأنا أحب عزيزتى ماري من كل قلبى ؛ وفى بعض الأحيان أكثر من نفسى بكثير ؛ ولكن الحقيقة أيضاً أننى لا أصنى إليها دائماً بانتباه تام ؛ وحينما تحكى أخبار الملابس والصحة ومحادثاتها التى تتمتعها وتسرى عنها ؛ فإننى لا أنصت لها على الإطلاق ؛ لدرجة أنها تصبح

أحياناً في دهشة : « ولكن لا بد أنك تعرف ! لقد أخبرتك ؛ إنى أذكر جيداً جداً أننى قلت لك هذا صباح يوم الخميس » ، وليس تمة شك على الإطلاق في هذا ، لقد قالت لى ، فهى تقول لى كل شيء ضمن مواضيع معينة .

ولم يكن الأمر في هذا الصباح إننى لم أصغ إليها فحسب ، بل إننى كنت أريد الابتعاد عنها . وربما كنت أنا نفسى أرغب فى الحديث ولم يكن لدى أى شيء أقوله ، لأنها - أقول ذلك إبقاء لحقها - لا تنصت إلى هى أيضاً ، ويكون هذا أحياناً شيئاً جيداً ، فهى تنصت لنعمة الكلام ووقعه ، ومنهما تجمع حقائقها عن صحتى وحالتى المزاجية وهل أنا متعب أم مرح . وتلك طريقة جيدة كآية طريقة أخرى . والآن وحينما أفكر فى الأمر ، فإنها لا تصفى إلى لأننى أتحدث إليها ، وإنما أتحدث إلى مستمع ما خفى يقبع داخلى . كما أنها فى الواقع لا تتكلم إلى هى أيضاً . وطبعاً يتغير ذلك كله ، حينما يتعلق الأمر بالأطفال أو ببعض الأزمات الخطيرة .

كنت أفكر فى أغلب الأحيان ، وكيف أن الحديث يتغير بتغير طبيعة المستمع . فمعظم حديثى أخاطب به أناساً توفوا ، مثل عمى الضئيلة الحجم ديورا التى كانت فى بلايموث روك ، أو القبطان العجوز . وأجد نفسى أجادلهم . وأذكر ذات مرة أننى فى أثناء نزاع مزعج كئيب ، ناديت على القبطان العجوز ، وقلت « هل ينبغى على أن أستمع » ؟ فأجاب بصوت غاية فى الوضوح ، « طبعاً ، ينبغى عليك . ولا تهمس » . ولم يجادل - فهو لم يفعل ذلك أبداً قال فحسب إنه ينبغى على أن أفعل ، وفعلت . وليس فى هذا شيء غامض أو مبهم . إنه طلب المشورة أو المبرر من دخيلتك التى تم تشكيلها وأصبحت مؤكدة .

أما فيما يتعلق بالتحدث الخالص ، الذى هو طريقة أخرى لإلقاء السؤال ،

فإن بضائعي الصامتة البليغة في عليها المحفوظة وزجاجاتها في المحل ، تؤدي الغرض على خير وجه. مثلما يفعل أي حيوان عابر أو طير . فهي لا تجادل ولا تكرر ما تسمع .

قالت ماري : « إنك لست ذاهباً الآن ؟ لازالت أمامك نصف ساعة . هذا ما تجنيه من الاستيقاظ مبكراً هكذا » .

فقلت : « على أن أفتح حشداً بأكمله من صناديق الفاكهة ، وأن أضع الأشياء على الأرفف قبل أن أفتح المحل . ثم على أن أتخذ قرارات خطيرة : هل يتوافق وضع المخملات والطاظم على نفس الرف ؟ هل يتشاجر الشمس المحفوظ في العلب مع الخوخ ؟ إنك تعرفين مقدار أهمية علاقات الألوان بالنسبة لفستان » .  
وقالت ماري : « إنك لتجعل من كل شيء فكاكة . ولكني مسرورة ، فهذا أفضل من حدة الطبع . وكثيرون جداً من الرجال حادو الطبع » .

كان خروجي مبكراً ، ولم يكن « رد بيكر » قد خرج بعد . في استطاعتك أن تضبط ساعتك على هذا الكلب ، أو أي كلب . فهو سيبدأ جولته المقررة في خلال نصف ساعة بالضبط . كذلك لن يظهر جوي مورفي ، أقصد لم يظهر بعد . فالمصرف لن يفتح أبوابه ، ولكن ليس معنى ذلك أن جوي ان يكون هناك منكباً على الدفاتر . كانت البلدة هادئة للغاية ، وهذا طبعاً لأن كثيراً من الناس غادروها التمضية عطلة عيد القيامة . كان ذلك العيد ، ويوم الرابع من يوليو ، وعيد العمل هي أضخم العطلات . فالناس يغادرون البلدة حتى ولو لم يرغبوا في ذلك . بل إنني أعتقد أنه حتى عسافير شارع ألم كانت قد غادرت البلدة .

رأيت ستونول جاكسون سميت يقوم بالخدمة . كان آتياً لتوه بعد تناول

فنجان من القهوة في محل فورماستر للقهوة . كان نحيفاً للغاية وهشاً حتى بدت مسدساته وقيوده الحديدية أكبر من حجمها . وهو يلبس قبعة الضابط بزواوية ، مرح ، ويخلل أسنانه بريشة إوزة مسنونة .

— « عمل ضخيم ، يا ستوني . أماي يوم طويل شاق لكسب النقود » .  
قال : « هه ؟ لا أحد في البلدة » كان يقصد أنه يتمنى لو كان هو أيضاً قد رحل .

— « هل توجد أية جرائم قتل يا ستوني ، أو أي مباحج أخرى شنيعة ؟ »  
قال : « إن الحالة هادئة إلى حد كبير . حطم بعض الفتيان سيارة عند الجسر . ولكن ، ياللاجيم ، كانت سيارتهم هم . سيجعلهم القاضي يدفعون ثمن إصلاح الجسر . هل سمعت عن حادثة المصرف في فلود هامبتون ؟ »  
— « كلا » .

— « ولا حتى في التليفزيون ؟ »  
— « ليس لدينا جهاز ؛ حتى الآن . هل استولوا على كثير ؟ »  
— « ثلاثة عشرة ألفاً ، فيما يقال . كان ذلك بالأمس قبل موعد الإغلاق مباشرة . ثلاثة فتيان ، وأبلغ الإنذار إلى أربع ولايات ، لقد ذهب ويلى الآن إلى الطريق العمومي وهو يشكو من أن رأسه ستنفجر » .  
« إنه ينال حظاً وافراً من النوم »

— « أعرف ، أما أنا فلا . لقد ظللت بالخارج طول الليل »  
— « أتظنهم سيمسكون بهم ؟ »  
— « أوه ! أظن ذلك . إذا كانت نقوداً فغانباً سيمسكون بهم ، فشركات التأمين تظل تلاح ولا تياس مطلقاً » .



— « يمكن أن تكون عملية لطيفة إذا لم يشركوك فيها » .

قال : « بالتأكيد تكون كذلك » .

— « ستونى ، أود لو تبحث عن داني تيلور . فهو يبدو فى غاية المرض » .

وقال ستونى : « إنها مسألة وقت فحسب . ولكنى سأذهب للبحث عنه .

إنه لأمر مخجل . شاب لطيف ومن عائلة طيبة » .

— « إن هذا يعذبني ، فأنا أحبه » .

— « حسنا ، إنك لا تستطيع أن تفعل شيئاً من أجله . الدنيا ستمطر ،

يا إيثان . وويلي يكره أن يبلله المطر » .

لأول مرة فيما تعى ذا كرتى ، ذهبت إلى الحارة وأنا سعيد وفتحت الباب

الخلفى وأنا فى نشوة . كان القط بجوار الباب ، ينتظر . ولا يمكننى تذكر صباح

لم ينتظر فيه ذلك القط النحيل المقتدر ليحاول الدخول من الباب الخلفى ، ولم

أفشل أنا إطلاقاً فى قذفه بعضاً أو طرده بعيداً . وحسب أوثق معلوماً ،

لم يتمكن أبداً من الدخول . وأنا أدعو القط « هو » لأن أذنيه ممزقتان من

العراك . هل القط حيوانات غريبة عنا أم أنها قريبة الشبه بنا لدرجة أننا نجدها

غريبة عجيبة مثلما نحس تجاه القردة ؟ فلقد حاول ذلك القط ربما ستائة أو ثمانمائة

مرة أن يدخل ولم يتوصل إلى ذلك أبداً .

قلت للقط : « أنت تستحق مفاجأة مذهلة . » كان جالسا وسط دائرة من

ذيله ، ونهاية الذيل تتردد بين قدميه الأماميتين . دخلت إلى الخزن المظلم ،

وتناولت من فوق الرف علبة لبن ، وضغطت عليها ففتحتها ، ثم تركت اللبن

يندفع فى فنجان ، وبعدئذ حملت الفنجان إلى الخزن ووضعتة فى الداخل تقريباً

وتركت الباب مفتوحاً . راقبني باهتمام ، وتطلع إلى الابن ، وبعدئذ سار مبتعداً  
وانزلق فوق السور الذي خلف المصرف .

كنت أراقبه وهو ينصرف حين دخل جوى مورفي الحارة وقد أعد  
في يده مفتاح باب المصرف الخلفي . كان يبدو معتلاً - مفضناً . كأنه لم يأو  
إلى فراشه .

- « هاى ، مستر هولى » .

- « حسبتمكم تغلقون اليوم » .

- « يبدو أنتى ان أغلق أبدا . توجد غلطة فى ستة وثلاثين دولاراً فى

الدفاتر . لقد ظلت أعمل حتى منتصف الليل ليلة أمس » .

- « عجز » ؟

- « كلا -- زيادة » .

- « لا بد أن ذلك جيد » .

- « حسنا ، إنه ليس كذلك . على أن اكتشف الخطأ » .

- « هل المصارف بهذه الأمانة ؟ »

- « إنها كذلك . الناس فقط هم الذين ليسوا كذلك . ولو كنت أنوى

الحصول على أية عطله فينبغى أن أجد الخطأ » .

- « ليتنى كنت أعرف شيئاً عن العملية » .

- « أستطيع أن أخبرك بكل ما أعرف فى جملة واحدة - النقود

تجلب النقود » .

- « ذلك يفيدنى كثيراً » .

- « وكذلك أنا . ولكنى أستطيع بالتأكيد أن أقدم نصيحة » .

— « مثل ماذا ؟ »

— « مثل ، لاتقبل أبداً العرض الأول ، ومثل ، لو أراد شخص ما أن يبيع فيلابد أن لديه سبباً ، ومثل إن قيمة الشيء تكون بالنسبة للراغب فيه . »

— « هل هذا هو منهج الدراسة السريع ؟ »

-- « إنه كذلك ، ولكنه لايعنى شيئاً بالمرّة دون الفقرة الأولى »

— « النقود تجلب النقود ؟ »

-- « وهذا مايستبعد الكثيرين منا . »

— « ألا يقتض بعض اناس ؟ »

— « أجل ، ولكن ينبغي أن يكون لديك رهن ، وهذا أحد أنواع النقود . »

— « أعتقد أنه من الأفضل لي أن أتزم بالبقالة » ،

— « يبدو أن الأمر كذلك . أسمعت بما حدث في مصرف فلودهايمتون ؟ »

— « لقد أخبرني ستوني . إنه لأمر مضحك ، فقد كنا نتحدث عن هذا

بالأمس فحسب ، أتذكر ؟ »

— « لي صديق هنا . قال إنهم ثلاثة فتیان - أحدهم يتكلم بكلنة ، وواحد

أعرج . ثلاثة فتیان . سيمسكونهم بالتأكيد . ربما خلال أسبوع ، وربما خلال أسبوعين . »

— « يا للبراءة ! »

— « أوه أنا لأدرى . إنهم أغبياء . هناك قانون ضد الأغبياء . »

-- « أنا آسف على ما حدث بالأمس » .

— « انس ذلك - إننى أتكلّم كثيراً ، وتلك قاعدة أخرى - لاتتكلم . لن

أتعلم أبداً تلك القاعدة . قل لي ، إنك تبدو في صحة جيدة . »

« ما كان ينبغي أن أكون ، فلم يتيسر لي كثير من النوم » .

« أديك شخص مريض ؟ »

« كلا . مجرد ليلة من تلك الليالي » .

« ألم يكن في علمي ... »

كنت المحل ورفعت الستائر ولم أكن أدري هل كنت أقوم بالعمل أم أمارس كراهيته . كانت قواعد جوى تدور وتدور بسرعة في رأسي . وناقشت الأمور مع أصدقائي على الأرفف ، وربما تم ذلك بصوت مرتفع ، وربما لا . فأنا لا أدري .

قلت : « يا أفراد عشيرتي الأعزاء ، لو كان الأمر يمثل تلك السهولة ، فلم لا يقوم به عدد أكبر من الناس ؟ لماذا يقع كل فرد تقريباً في نفس الأخطاء مرات ومرات ؟ هل يوجد دائماً شيء لينسى ؟ ربما كان الضعف الحقيقي الأساسي شكلاً من أشكال الشفقة . لقد قال ماروللو إن النقود لا قلب لها . ألا يكون من الصدق إذن أن أية شفقة تنتاب رجل للمال هي نوع من الضعف ؟ كيف يتأتى لك أن تجعل الأفراد البسطاء العاديين يذبحون الناس في حرب ؟ حسناً ، قد يساعد على ذلك أن العدو يبدو مختلفاً في الشكل ، أو أنه يتكلم بلغة أخرى . ولكن كيف يكون الحال في حرب أهلية إذن ؟ كان الاتحاديون يأكلون الأطفال ، والثوار يميتون أسراهم جوعاً . ذلك ما يساعد على قيامها . سأستدير إليك في لحظة يا حبات البنجر ويا عيش الغرباء المخروطي المحفوظ في العلب . أعرف أنكم تريدون مني أن أحدث عنكم . كل واحد يريد ذلك . ولكنني على وشك الوصول إلى نقطة أستشهد بها . لو كانت قوانين التفكير هي قوانين الأشياء ، إذن ستكون الأخلاقيات نسبية أيضاً ، وكذلك الفضيلة

والرذيلة — ذلك أيضاً نسبي في دنيا نسبية . وينبغي أن تكون كذلك .  
لا مهرب منها ، هذه نقطة أستشهد بها .

« أنت يامسحوق العصيدة الجاف ، ذا الصندوق الذي عليه قناع ميكي ماوس  
والشريط الذي هو أداة الكلام من البطن ، والتمن الذي هو عشرة سفنات . سيكون  
على أن آخذك إلى البيت ؛ ولكن ينبغي عليك الآن أن تجلس وتنصت . إن ماقلته  
للمارى العزيرة على أنه فكاهاة ، هو الحقيقة من المؤكد أن أسلافى أولئك الربابنة  
وملاك السفن المبجلين جداً ؛ كانوا مكلفين بالإغارة على التجارة خلال الثورة ،  
وأيضاً خلال عام ١٨١٢ . كانوا في غاية الوطنية والفضيلة ، ولكنهم بالنسبة  
للبريطانيين كانوا قراصنة ، وكانوا يستولون على ما يأخذون . ويتلك الطريقة  
بدأ تكوين ثروة العائلة ، تلك الثروة التي بددها أبى . ومن هناك أتت النقود .  
ونستطيع أن نفخر بذلك » .

أثبت بصندوق يحتوى علب صلصة الطماطم ، ومزقته ففتحتته ، ثم رصصت  
العلب الصغيرة الأنيقة البديعة على رفها الفارغ . « ربما لا تعلمون فأنتم نمط من  
الغرباء . فالنقود لا تفتقد القلب فحسب بل الشرف وأية ذاكرة أيضاً . إن النقود  
تكون جديرة بالاحترام تلقائياً لو أبقيت عليها فترة من الوقت . لا ينبغي أن  
تحسبوا أنى أحط من قيمة النقود . فأنى أعجب بها أشد الإعجاب . أيها السادة ،  
هل يمكننى أن أقدم لمجموعتنا بعض الوافدين الجدد . فائز ، سأضعهم هنا بجواركم  
ياعلب عصير الطماطم المركز . فلنحتف بمخللات شطائر الزبد هذه في بيتها  
الجديد . إنها من نيويورك ، ولدت وقطعت إلى شرائح وعبئت هناك . كنت  
أناقش موضوع النقود مع أصدقائى هنا . إن عائلة من أرقى عائلاتكم — أوه ،  
لا بد أنكم تعرفون اسمها ! وأظن أن أى فرد في العالم يعرفه . حسنا ، لقد بدأت

بدايتها الضخمة من بيع اللحم البقري للبريطانيين حينما كانت بلدنا في حرب مع البريطانيين ، وثروة هذه العائلة تحظى بالإعجاب مثل أية ثروة . وكذلك أفراد أسرتها . هناك أسرة أخرى ، وربما كانت نتكون من أعظم رجال المصارف جميعاً . لقد اشترى مؤسسها ثلاثمائة بندقية من الجيش . كان الجيش قد نبذها لأن بها تلفاً خطيراً ، وهكذا اشتراها هو بثمان بخس ، ربما بخمسين سنتاً للقطعة . وبعد فترة قصيرة جداً كان الجنرال « فريمونت » قد استعد ليبدأ هجرته البطولية إلى الغرب ، واشترى البنادق ، دون معاينة ، بعشرين دولاراً للقطعة . ولم يسمع أحد مطلقاً إذا ما كانت قد انفجرت في أيدي قواته . وتلك كانت النقود التي تجلب النقود . لا تهتم كيفية الحصول عليها طالما أنك تحصل عليها وتستغلها للحصول على المزيد . إنني لا أهتمكم . فولى نعمتنا وسيدنا ماروللو ، ذو الاسم الروماني القديم ، بحق كل الحق . فحين يتعلق الأمر بالنقود ، تقوم قواعد السلوك العادية بأجازة . لِمَ أتحدث إلى أصناف البقالة ؟ ربما لأنكم تكتمون السر . فأنتم لا ترددون كلماتي ، ولا تنقلون الإشاعات . النقود موضوع سمج وغير محمود حينما تكون متوفرة لديك فحسب . أما الفقير فيجدها ساحرة . ولكن ألا توافقونني على أنه إذا اهتم المرء فعلاً بالنقود ، فينبغي عليه أن يعرف شيئاً عن طبيعتها وشخصيتها وميولها ؟ أخشى أن يكون المهتمون بالنقود لذاتها باستثناء الفنانين العظماء والمقترين قلة نادرة من الرجال . وباستطاعتك أن تركل بعيداً أولئك المقترين الذين يقيد الخوف تصرفاتهم .

كانت على الأرض الآن كومة ضخمة من صناديق الورق المقوى الفارغة . حملتها إلى المخزن لكي تسوى حافاتها وتحفظ . فكثير من الناس يحملون فيها مؤنهم إلى البيت ، وهي كما قد يقول ماروللو : « إنها توفر كياس ، يافتي » .

وها هي كلمة «فتى» تعود ثانية . لن آبه لها أكثر من ذلك . إننى أريده أن يدعونى «فتى» بل حتى أن يفكر فى على أنتى «فتى» . بينما كنت أحرص الصناديق، تنهى إلى طرق على الباب الأمامى ، وتطلعت إلى ساعتى الضخمة الفضية العتيقة التى من طراز ساعات السكة الحديد ، هل تعلم أننى لأول مرة فى حياتى لم أكن قد فتحت حالما صارت الساعة التاسعة . وها قد بدأ واضحاً أمامى أنها التاسعة والرابع . لقد استغرقتنى تلك المناقشة مع أصناف البقالة . كنت أستطيع من خلال ستار الباب الزجاجى الذى يقطعه الحديد أن أرى أنها كانت مارجى يانج هنت . لم أكن فى الحقيقة قد تطلعت إليها من قبل ، ولم أكن قد تفحصتها . وربما كان ذلك هو سبب قيامها بقراءة الطالع - مجرد أن تتأكد من إحساسى بوجودها . لا ينبغى أن أتغير بسرعة كبيرة .

دفعت الأبواب ففتحتها .

- « لم أكن أقصد إزعاجك » .

- « ولكنى تأخرت فى الفتح » .

- « صحيح ؟ »

- « بالتأكيد . إنها تجاوزت التاسعة » .

دخلت وهى تسير فى تلكؤ ، وبرز ردفاها إلى الخارج ، بديعين مستديرين كان ندياها نافرين ، ولذا لم تكن فى حاجة إلى تأكيد وجودها . ومارجى هى ما قد يطلق عليه الفتى جوى اسم « وجبة » ، وربما سماها كذلك ابنى آلان أيضا . ربما كنت أراها للمرة الأولى . كانت تقاطعها متناسقة ، وأنفها طويل قليلاً ، والشفتان قد حددتا بشكل أكثر امتلاء عما هما ( م ٧ - شتاء السخط )

عليه ، والسفلى على الأخص . كان شعرها مصبوغا بلون بنى كستنائى غامق مما لا يحدث فى الطبيعة ، ولكنه كان بديعاً . كان ذقنها رقيقاً ومحددأ ، ولكن كان بالوجنتين كثير من العضلات ، وعظام الوجنتين متسعة جداً . وقد لقيت عينا مارجى كل عناية . وكانتا بذاك اللون الذى كلون البندق الضارب إلى الزرقة وإلى لون الصلب الذى يتغير فى الضوء . كان وجهها فيه جلد ، وجهها تحمل واستطاع أن يتحمل حتى العنف ، وحتى اللكم . كانت عيناها تضربان فيما حولها ، ناحيتى ، وناحية أصناف البقالة ، ثم تعودان إلى . وتخيلت أنها ذات ملاحظة دقيقة جداً وذات ذاكرة قوية أيضا .

— « أتعشم ألا تكون لديك نفس مشكلة الأمس . »

وضحكت : « كلا ، كلا . أنا لا ألتقى بوكيل متجول كل يوم . هذه المرة

نفدت القهوة التى لدى فعلاً . »

— « معظم الناس كذلك . »

— « ماذا تقصد ؟ »

— « حسنا ، إن الأفراد العشرة الأول فى كل صباح يكونون ممن نفدت

قهوتهم »

— « صحيح ؟ »

— « بالتأكد . على فكرة ، أريد أن أشكرك على إرسالك وكيلك

المتجول لى . »

— « تلك كانت فكرته . »

— « ولكنك اقترحتها . أى نوع من القهوة ؟ »



— « لا يهم ، إننى أصنع قهوة رديئة مهبا كان النوع الذى آتى به . »  
— « هل تستعملين المكياج ؟ »

— « بالتأكيد ، ولكنها تظل رديئة . إن القهوة ليست هى - كدت أقول ليست مثل « فنجانى من الشاي » .

— « لقد قلتها فعلا . جربى هذه الخلطة » . والتقطت علبة من الرف وعندما مدت يدها لتأخذها منى - ومع تلك الحركة الصغيرة فحسب - تحرك كل جزء فى جسدها ، وأعلن عن نفسه فى هدوء : « إننى هنا ، ليس هناك ما هو أفضل منى . كان كل شىء جديداً ، أراه من جديد . وحبست أنفاسى . مارى تقول إن المرأة تستطيع أن تبعث بإشارات أولاً تبعث ، حسباً تشاء . وإذا كان الأمر كذلك ، فإن مارجى تملك نظام ارسال يمتد من طرف حذائها المدبب ذى الجلد اللامع حتى شعرها المتموج الكستنائى الناعم .

— « يبدو أنك تخلصت من آلام أمعائك » .

— « كانت آلامها شديدة على بالأمس ، ولا أعرف من أين تانى » .

— « أنى لى أن أعرف ! فهى حينما تحدث لى لاتكون لنفس السبب المعتاد » .

— « لقد أديت عملاً طيباً بقراءة ذلك الطالع » .

— « وهل أزعجك هذا ؟ »

— « كلا . أردت أن أعرف فحسب كيف قت بذلك » .

— « أنت لا تعتقد فى هذه الأمور » .

— « إن الأمر ليس باعتقاداً . لقد أصبت بعض الأشياء فى الصميم . أشياء

كنت أفكر فيها ، وأشياء كنت أقوم بها .

— « مثل ماذا ؟ »

— « مثل أن الوقت قد حان لحدوث تغيير ما . »

« أنت تحسبني قد رتبت الورق ، أليس كذلك ؟ »

— « هذا لا يهم . لو كنت قد قمت بذلك - فما الذي جعلك تفعلين ؟ »

هل فكرت في ذلك ؟ « أمعنت النظر في عيني ، في شك ، وتساؤل . وقالت

في رقة : « أجل ! لم أقصد ذلك ، لم أفكر أبدا فيه . فلو كنت قد رتبته ، فما

الذي جعلني أفعل ذلك ؟ كان ذلك سيبدو وكأنه تحطيم لنظام ثابت . »

أطل مستر بيكر برأسه من الباب ، وقال : « طاب صباحك ، يا مارجي .

إيثان ، هل فكرت أي تفكير في إقتراحي ؟ »

— « أجل بالتأكيد . وأود أن أتحدث إليك . »

— « في أي وقت تشاء ، يا إيثان . »

— « حسناً ، أنا لا أستطيع الخروج خلال الأسبوع . أنت تعلم أن ماروللو

لا يكاد يأتي إلى هنا إطلاقاً . هل ستكون بالبيت غداً ؟ »

— « بالتأكيد ، بعد العودة من الكنيسة . تلك فكرة . فلتأت بماري

حوالي الساعة الرابعة . وبينما تثرثر السيدات حول قبعات عيد القيامة ، نتسلل

نحن و - . »

— « لدى مائة شيء أود السؤال عنها . أعتقد أنه من الأفضل أن أكتبها . »

— « مرحباً بأي سؤال يتعلق بأي شيء أعرفه . إلى اللقاء أذن . طاب

صباحك ، يا مارجي . » . وحين انصرف ، قالت مارجي : « إنك تبدأ بسرعة »

— « ربما كان مجرد إنصياح . على فكرة - أتعرفين ما الذي سيكون

ممتعا؟ كيف سيكون الحال إذا قلبت الورق دون توضيب أو شيء من هذا القبيل  
ورأيت مدى مطابقته للأمس .

قالت : « كلا ! ذلك لن ينفع — أتسخر مني ، أم أنت تعنى ذلك حقاً ؟ »

— « إن الكيفية التي أنظر بها إلى الأمر ، لا تهتم باعتقادي . فأنا

لا أومن بالإدراك الحسي الزائد ، ولا بالبرق أو القنبلة الهيدروجينية ، ولا حتى

بأزهار البنفسج أو مدارس تربية الأسماك — ولكنني أعرف أنها موجودة . أنا

لا أومن بالأشباح ولكنني رأيتها . »

— « إنك تسخر الآن . »

— « كلا أنا لا أسخر . »

— « أنت تبدو نفس الرجل . »

— « وأنا لست كذلك . وربما لن يكون أحد ، لمدة طويلة . »

— « ما الذي سبب هذا التغير ، يا إيثان ؟ »

— « لا أدري ربما مللت بقاءى موظفاً في محل بقالة . »

— « لقد آن الآوان . »

— « هل تحبين مارى حقاً ؟ »

— « أحبها بالتأكيد ، لماذا تسأل ذلك السؤال ؟ »

— « لأنه لا يبدو عليك أنك من نفس النوع — حسناً ، إنك مختلفة عنها

أشد الإختلاف . »

— « أدرك ماذا تعنى . ولكنني أميل إليها فعلاً ، أحبها . »

— « وكذلك أنا . »

— « محظوظ . »

— « أعرف أنى كذلك » .

— « كنت أتصدها هي . حسناً ، سأذهب لأصنع قهوتي الرديئة . وسأفكر

في اتفاق الورق ذاك »

— « كلما أسرعت كان أخضل ، قبل أن تهبط فورة الحماس » .

خرجت بصاحبها وقع أقدامها ، ووجدت كم من الناس كنت أنظر إليهم طيلة

حياتي ولكنني لم أرم قط . إن التفكير في ذلك أمر مخيف . ها هي نقطة استشهاد

مرة أخرى . حين يلتقي اثنان من الناس ، يتغير كل واحد منهما بتأثير الآخر

وهكذا يكون لديك شخصان جديدان . وربما يعني ذلك - ياللعجب ، إنها مسألة

معقدة . لقد انفتحت مع نفسي أن أذكر في مثل تلك الأشياء ليلاً حيناً لا أستطيع

النوم . لقد أفرغني عدم فتح الحل في الموجد المحدد . ذلك يشبه إسقاط هدياك

أو عويناتك لدى رؤيتك مشهداً لجرمة قتل . مثل أولئك الذين يسموهم

ماذا - في شيكاغو . ما معنى ذلك ؟ أية جريمة ؟ وأي حل ؟ .

عند الظهر أعددت أربع شطائر من الجبن ولحم الخنزير بالخس والمايونيز .

« لحم خنزير وجبن ، لحم خنزير وجبن - حين يتزوج الرجل ، يعيش في جبن »

وأخذت اثنين من الشطائر وزجاجة كوكاكولا إلى باب المصرف الخلفي وناولتها

للفتى جوى « هل وجدت الغلطة »

— « ليس بعد . أعرف إننى قريب جداً منها ، ولكنني أعشى » .

— « لم لا تستريح حتى يوم الاثنين ؟ »

— « لا أستطيع ، فالعمل في المصارف عملية غريبة الشكل » .

— « أحياناً إذالم تفكر في شيء فإنه يتباهر إلى ذهنك » .

— « أعرني ذلك . شكرًا من أجل الشيطان » وتطلع داخلهما ليستوثق من وجود الخس والمايوتيم .

أن العمل في محل البقالة في أصيل يوم السبت السابق لعيد القيامة هو ما يمكن أن يطلق عليه ابني الجاهل المبجل « عملي يذهب للشيطان » . ولكن حدث فعلاً شيئان أثبتتا على الأقل أنه كان يجري في أعماق بعض التغير العميق الكامن . أقصد أنه بالأمس ، أوفى أي أمس ، لم أكن لأفعل ما فعلت . كان الأمر يشبه النظر إلى عينات لورق الخائط . وأظن أنني فضضت نموذجاً جديداً .

كان أول ما حدث هو دخول ماروللو . كان داء النقرس المصاب به يؤلمه بشكل فظيع جداً ، وكان يوالى ثني ذراعيه مثل حامل الأثقال .

— « كيف تسير الأمور ؟ »

— « ببطء ، يا ألفيو » لم أكن قد ناديته بالاسم الأول من قبل أبدا .

— « لأحد بالبلدة »

— « أنني أفضل أن تنادينني بياقتي » .

— « ظننت أنك لاتحب هذا »

— « لقدنا كتشفت أنني أجه ، يا ألفيو »

— « الجميع غادروا البلدة . لا بد أن كنت فيه كأننا محترقان وكان رملاً ساخناً .

كان يجري في مفاصله .

— « منذمتي أتيت من صقلية » .

— « منذ سبع وأربعين سنة . رمي طويل » .

— « وهل عدت مطلقاً إلى هناك »

— « كلا »

— « لم لا تذهب في زيارة ؟ »

— « لماذا ؟ لقد عدل كل شيء . »

— « ألا يتتابك الفصول للذهاب إلى هناك ؟ » .

« ليس كثيراً » .

— « مالك أي أقارب أحياء ؟ » .

— « بالتأكيد ، هناك أخي وأولاده ؛ وقد أحب أولاده أولاداً » .

— « أظنك تريد رؤيتهم ؟ »

وأعتقد أنه تطلع إلى : مثلما تطلعت إلى مارحى ، وبأنى

لأول مرة .

— « ماذا دبرت في ذهنك ، يافتى » ؟

— « يؤلمنى أن أراك مريضاً بالنقرس . وقد فكرت كيف يكون

الجودافنا في حقيقته وربما خلصك هذا من الألم » .

ونظر إلى في شك : « ماذا جرى لك ؟ »

— « ماذا تعنى : »

— « أنت تبدو متغيراً » .

— « أوه ! لقد توهمت إلى بعض الأنباء الطيبة »

— « انت لا تنوى ترك العمل ؟ »

— « ليس الآن وإذا كنت تود القيام برحلة إلى إيطاليا ، مع كنى أن

أعدك بأنى سأبقى هنا » .

— « ماهى الأنباء الطيبة ؟ »

— «لأستطيع بعد أن أخبرك . إنها تشبه الآتى .. » ومددت راحتي إلى  
الأمام وإلى الخلف .

— « نقود » .

— « محتمل . اسمع ، إنك غنى بما فيه الكفاية : لماذا لا ترجع إلى صقلية  
وتريهم كيف يبدو الثرى الأمريكى ؟ وتغمر جسدك ببعض حرارة  
الشمس . يمكننى أن أعنى بالمحل ، وأنت تعلم هذا . »

— « ولن تترك المحل ؟ »

— « كلا ، يالللجحيم . أنت تعرفنى بما يكفى لتعلم أننى لن أتركك  
وأهرب ؟ »

— « إنك تغيرت يا فتى . لماذا ؟ »

— « لقد قلت لك اذهب وداعب الأطفال » .

قال : « إننى لأتمنى إلى هناك . »

ولكنى كنت أعلم أننى غرست فى نفسه شيئاً ما - شيئاً ما بالفعل .

وكانت أعلم أنه سيأتى إلى المحل فى ساعة متأخرة تلك الليلة ويتفحص  
الدفاتر . إنه وغد شكاك .

كان قد انصرف لتوّه حين - حسناً ، مثلما حدث بالأمس - دخل انوكيل

المتجول لشركة ب . ب . د .

قال : « لست فى عمل ، أننى أقضى عطلة نهاية الأسبوع فى مونتوك ،

وفكرت فى المجيء إلى هنا » .

وقلت : « إننى سعيد أنك فعلت ، فإننى أود إعطائك هذه »

ومددت المحفظة وقد برزت منها الورقة ذات العشرين دولاراً .

— « يا للجهيم ، تلك نية حسنة . لقد أخبرتك أنى لست فى عمل »  
— « خذها ! »

— « ما الذى ترمى إليه » .

— « أنها فى عرفنا تمثل عقداً » .

— « ما الأمر ، هل أنت متضايق ؟ »

— « كلا بالتأكيد » .

— « إذن لماذا ! »

— « خذها ! إنها لا تحتوى كل الزيادات »

— « يا للمسيح — عرضت عليك شركة وايلاند عرضاً أفضل ؟ »

— « كلا » :

— « من إذن ، مؤسسات التنزيل اللعينة ؟ »

ودفعت الورقة ذات العشرين دولار فى جيبه الأمامى خلف منديله

المدبب ، وقلت :

« سأحتفظ بالحفظه ، إنها لطيفة » .

— « اسمع ، لا أستطيع أن أقدم عرضاً دون التحدث إلى المكتب

الرئيسى . لا تغلق الباب بيننا حتى يوم الثلاثاء . وسأتصل بك تليفونياً . وإذا

قلت أنى هيو الذى يتكلم ، فستعرف من يكون » .

— « أنت الذى ستدفع أجر المكالمة التليفونية » .

— « حسناً ، إذن أبق الباب مفتوحاً بيننا ، هل ستفعل ؟ »

قلت : « إنه مفتوح . هل ستقوم بصيد السمك ؟ »

— « من أجل السيدات فحسب . لقد حاولت أن آخذ تلك المرآة الشبيهة



مارجى إلى هناك ، ولكنها لم ترد الذهب . لقد ردت على بوقاحة تقريباً . أنا لا أفهم السيدات » .

— « أنهن يزددن غرابة على غرابة » .

قال : « تستطيع أن تقول ذلك ثانية . » ولم أكن قد سمعت ذلك التعبير خلال خمسة عشر عاماً . وبدأ عليه القلق ، فقال :

— « لا تتصرف أى تصرف قبل أن تسمع نبأ منى . يا للمسيح ، وكنت أحسب أننى أستطيع أن أخدع فتى ريفياً » .

— « لن أبيع معلمى بثمن بخس » .

— « هراء . أنت رفعت النسبة فحسب » .

— « بل رفضت رشوة فحسب ، إذا كنت تحس بدافع للكلام عن الموضوع » .

وأظن ذلك يثبت أننى كنت مختلفاً عن الآخرين . وبدأ الشاب يتطلع إلى فى احترام ، وارتحت إلى ذلك بل أحببته . كان الغبي يعتقد أننى مثله ، وأننى أمهر منه فى التجارة فحسب .

قبل أن أستعد مباشرة لخلق المحل ، طلبتنى ماري فى التليفون . قالت :

— « إيثنان ، والآن لا يركبك الجنون — »

— « من أى شىء ، ياساق الزهرة ؟ »

— « حسناً ، هى تشعر أنها فى غاية الوحشة وظننت — حسناً ، لقد دعوت .

مارجى للغذاء » .

— « ولم لا ؟ »

- « أأست حانقاً ؟ »
- « يا للجهيم ، كلا . »
- « إياك أن تسب ، فغداً عيد القيامة . »
- « هذا يذكرك بشيء ، اكوا أجل ثيابك ، فسندهب إلى منزل بيكر في الساعة الرابعة . »
- « إلى منزلهم ؟ »
- « أجل ، لتناول الشاي . »
- « سيكون على أن أرتدى ثوبي الذي أعددتَه للذهاب إلى الكنيسة في عيد القيامة . »
- « رأى طيب ، يارأس نبات السرخس . »
- « أأست حانقاً بسبب دعوة مارجي ؟ »
- واجبتها : « إني أحبك . » وأنا أحبها . أحبها حقاً . هنا تذكرت تفكيري في كيف يمكن للانسان أن يتحول من نمط إلى نمط :

## الفصل الخامس

عندما اقتربت من نهاية شارع إلم واستدرت في المشى المرصوف بالحصى والأحجار ، توقفت وتطلعت إلى البيت العتيق . كان يبدو مختلفا ، يبدو أنه ملكي . لم يكن ملكا لماري ، ولا لأبي ، أو للقبطان العجوز ، ولكنه كان ملكي . كنت أستطيع أن أبيعته أو أحرقه أو أحتفظ به .

كنت قد صعدت درجتين فحسب من درجات السلم الخلفي ، عندما انفتح الباب الزجاجي محدثا ضجة ، واندمع آلان خارجا وهو يصيح :

— « أين البيكس ؟ ألم تحضر لي البيكس ؟ »

قلت : « كلا » . وزدت دهشة على دهشة ، لأنه لم يصرخ معبرا عن ألمه وخسارته . ولم يضرع إلى والدته كي توافقه على أنني قد وعدت .

قال : « أوه ؟ » وانصرف في هدوء .

— « طاب مساؤك » قلتمها لظهره المتقهقر ، فتوقف وقال : « طاب

مساؤك » . وكأنه يقول كلمة غريبة قد تعلمها لتوه .

جاءت ماري إلى المطبخ ، وقالت : « لقد قصصت شعرك . وهي تشخص

أي تبدل في على أنه إما حمى أو قص شعر .

— « كلا ، يادبوس الشعر ، لم أفعل » .

— « حسنا ، كنت أدور كالسيخ لأهبيء البيت » .

— « لتهبيء البيت ؟ »

— « لقد قات إن مارجي قادمة لتناول الغداء » .

- « أعرف ولاكن لم كل ضجة الأعياد تلك ؟ »
- « لم يتوفر وجود ضيف عندنا لتناول الغداء منذ دهور » .
- « ذلك صحيح . ذلك صحيح فعلاً » .
- « هل تنوى أن ترتدى حلتك الغامقة ؟ »
- « كلا ، بل الأولد دو بين ، حلتى الرمادية اللطيفة » .
- « ولم لا ترتدى الغامقة ؟ »
- « لا أريد أن أفسد كيهها ، لأذهب بها إلى الكنيسة غداً » .
- « يمكنى ان اكويها غداً صباحاً » .
- « سأرتدى الأولد دو بين ، أكثر اللحل أناقة فى المقاطعة » .
- وصاحت : « يا أولاد ، لا تلمسوا أى شىء ! لقد أخرجت الصحف . الا تريد ارتداء الحلة الغامقة ؟ »
- « كلا » .
- « ستكون مارجى فى أنم أناقه وأحلى هندام » .
- « مارجى تحب الأولد دو بين » .
- « وكيف تعرف ؟ »
- « لقد أخبرتنى » .
- « إنها لم تخبرك » .
- « كتبت خطاباً إلى الصحيفة بهذا الشأن » .
- « كن جاداً . هل ستكون لطيفاً معها فعلاً ؟ »
- « إننى أنوى أن أطارحها الهوى » .

- « كنت أحسب أنك تفضل ارتداء الفامقة — بمناسبة حضورها » ،  
- « اسمعى ، يازهرتى ، حين جئت إلى هنا ، لم أكن أهتم أدنى إهتمام  
بما أرتديه أو بأى شيء . وفى لحظتين قصيرتين جعلت من المستحيل على أن  
أرتدى أى شيء سوى الأولد دويين » .

- « لجرد أن تكون مزعجاً ؟ »

- « بالتأكيد » .

- « أوه ! » قالتها بنفس النغمة التى استعمالها آلان .

- « ماذا أعددت للغداء ؟ أريد ان ارتدى ربطة عنق تناسب مع  
اللحم » .

- « دجاج محمر . ألا تستطيع شم رائحته »

- « أظن أنى لم أستطيع - مارى - » ولكنى - أتم عبارتى . ولماذا أتمها ؟  
أنت لانستطيع أن تقاوم غريزة قومية . لقد ذهبت مارى إلى محل « سيف رايت »  
يوم سوق الدجاج . لأنه يباع هناك أرخص منه عندما روالو . ولكنى طبعاً حصل  
عليه بسعر الجملة وقد سبق أن شرحت لمارى المساومات اللبقة التى تحدث فى  
المحلات ذات الإدارة الواحدة . فالصفقة تجتذبك وتجعلك تشتري عديداً من  
من الأشياء الأخرى التى لا يكون شراؤها صفقة مجرد أنك تجدها فى متناول  
يدك . وكل واحد يعرف هذا وكل واحد يفعله »

ماتت محاضرتى لمارى منى فوراً قبل أن تولد . إيثان آلان هولى الجديد  
يتماشى مع المحابقات القومية ويستفيد منها عندما يستطيع .

قالت ماري : « آمل ألا تعتبرني خائنة » .

— « عزيزتي ، وماذا يمكن أن يكون فاضلاً ! وإنما فيما يتعلق بدجاجة » .

— « كانت غاية في الرخص »

— « أعتقد أنك فعلت الصواب .. فعلت ما يليق بزوجة » .

— « إنك تهزل » .

كان آلان ينتظرنى فى غرفة نومى : « هل أستطيع أن أتفرج على سيف الفرسان الرهبان الذى لديك ؟ »

— « بالتأكيد . إنه فى ركن الدولاب » .

كان يعرف جيداً جداً أين يوجد . وبينما كنت أخلع ملابسى ، أخرجته من جرابه الجلدى ثم من غمده وشرع السلاح المطلق المتألق فى الضوء ثم تطلع إلى وقفته النبيلة فى المرأة .

— « كيف تسير فى كتابة المقال ؟ »

— « هه ؟ »

— « أليس ماتقصده هو : عقواً يا سيدى ؟ »

— « أجل ، ياسيدى » .

— « قلت ، كيف يسير العمل فى المقال ؟ »

— « أوه ! رائع » .

— « هل تنوى أن تتمه ؟ »

— « بالتأكيد » .

— « بانتأ كيد » ؟ .

— « بالتأ كيد ، يا سيدى » .

— « تستطيع التفرج على القبعة أيضا . أنها فى ذلك الصندوق الجلدى الكبير على الرف . لقد اصفرت ريشتها نوعا ما » .

دخلت حوض الاستحمام الضخم العتيق المتسع القاع ذى الأرجل التى على شكل أقدام أسد . كانوا يصنعونها ضخمة فى تلك الأيام لينعم المرء فيها بحمامة . وفركت عن جلدى بفرشاة آثار ماروللو واليوم كله ، وحلقت ذهنى وأنا فى حوض الاستحمام دون النظر فى مرآة ، وأخذت أتحمس باطراف أناملى بحثا عن سالفى . وقد يجمع الكل على أن ذلك عمل مومن فى رومانيتها وانحطاطه . وعندما مشطت شعرى ، نظرت فى المرآة . لم أكن قد رأيت وجهى منذ فترة طويلة . من المحتمل جدا أن تحلق ذقنك كل يوم ، ولكنك فعلا لا ترى وجهك أبدا ، خاصة إذا كنت لا تهتم به كثيرا . إن الجمال لا يعدو أن يكون بسمك البشرة فحسب ، ولكنه يجب أيضا أن ينبع من الداخل ، وأفضل لى أن أكون الثانى إذا كان على أن أحصل على مكانة ما . ليس معنى هذا أن لى وجهاً قبيحاً ، كل ما فى الأمر ، أنه بالنسبة لى لا يثير الاهتمام . ورسمت بوجهى بعض تعبيرات ثم أقلعت . فلم تكن تعبيرات نبيلة أو متوعدة أو متكبرة أو هازلة . بل كان الوجه هو نفس وجهى اللعين يتصنع تلك التعبيرات .

حين عدت إلى مخدعى ، كان آلان يرتدى قبعة الفرسان ذات الريشة ، وإذا كان ارتداؤها يجعانى أبدو أبلها إلى ذلك الحد فينبغى أن أتنازل عنها . كان صندوق القبعة الجلدى مفتوحا فوق الأرض . وكانت له سائدة من الورق المقوى المكسو بالقطيفة تشبه سلطانية حساء مقلوقة .

— « ترى هل يستطيعون تبيض ريشة النعام تلك ، أم ينبغي على أن آتى

بواحدة جديدة ؟ »

— « لو أتيت بواحدة جديدة ، فهل أستطيع أن آخذ هذه ؟ »

— « ولم لا ؟ اين إيلين ؟ انى لم أسمع صوتها الفتي الزاعق . »

— « إنها تكتب فى مقالاتها ، أنا أحب امرىكا . »

— « وأنت ؟ »

— « إننى أفكر فيها . هل ستأتى ببعض البيكس إلى البيت ؟ »

— « ربما أنساه . لم لاتأت إلى المحل يوماً وتأخذه ؟ »

— « حسنا . أتسمح لى أن أسألك عن شىء ما - ياسيدى ؟ »

— « سأحس بالتملق . »

— « هل كنا نمتلك شارع هاى بأكمله ماعدا عمارتين ؟ »

— « أجل . »

— « وهل كانت لدينا سفن لصيد الحيتان ؟ »

— « أجل . »

— « حسنا ، ولماذا لا نمتلكها الآن ؟ »

— « لقد فقدناها . »

— « وكيف حدث ذلك ؟ »

— « حين أفقنا من نومنا ، كنا قد فقدناها . »

— « تلك نكتة . »

— « إنها نكتة عميقة جدا وجادة ، لو شرحتها . »



— « كنا نشرح ضفدعة في المدرسة » .

— « هذا في صالحك ، ولكنه ليس في صالح الضفدعة . أية ربطة من هذه الربطات الجميلة ألبس ؟ »

— « الزرقاء » ، قالها دونما اهتمام . « قل لي هل تستطيع — بعد أن ترتدى ملابسك — هل يسمح وقتك بالصعود إلى السندره ؟ »

— « سأدبر أمر الوقت إذا كان الموضوع هاماً » .

— « وهل ستأني ؟ »

— « نعم » .

— « حسنا . سأصعد الآن وأضيء النور » .

— « سألحق بك خلال لحظتين من اللحظات التي يستغرقها ربط رباط العنق » .

كان وقع قدميه يبعث صوتاً أجوف فوق سلم السندرة الذي لا تغطيه سجادة إذا فكرت في عملية عقد ربطتي في أثناء أدائها ، فإن العقدة تميل إلى أخذ شكل مستدير ، أما إذا تركت أصابعي تتابع طريقها وحدها ، فإنها تتم العملية بإتقان . وولت الأمر إلى أصابعي . وأخذت أفكر في سندرة منزل آل هولي العتيق ، منزلي ، وسندرتي . إنها ليست سجنًا مظلمًا يماؤه العنكبوت ، ويلقى فيه الحطام وما نحن في غنى عنه . فلها نوافذ ذات ضلف زجاجية صغيرة من القدم بحيث يتسرب الضوء منها بنفسجياً ، ويبدو المنظر الخارجى متمايلاً مثل عالم سرّي خلال الماء . والكتب المخزونة هناك ليست كتباً تنتظر إقامتها بعيداً أو إعطائها إلى معهد البحرية . بل إنها تجلس مستريحة على أرففها تنتظر من يكتشف قيمتها من جديد . والكراسي بعضها قد انقضت موضته منذ بعض الوقت ، وبعضها تراخت

مقدمته ، ولكنها لاتزال ضخمة لينة . وهي أيضا ليست مكاناً مترباً ، فتنظيف المنزل يشمل تنظيف السندرة أيضا ، وحيث إنها تظل مغلقة معظم الوقت ، فإن الغبار لا يدخلها . وأذكر حين كنت طفلاً أحبوا بين روائع الكتب ، أو حين كانت الكروب تثقل على ، أو عند ما كنت أصل إلى مرحلة خيالية لاتنبض تماما بالحياة وتتطلب الوحدة ، أنى كنت أعتكف في السندرة ، لأرقد مكوماً في كرسي ضخم واتخذ قالب الجسم ، في ضوء اللافندر البنفسجي المنبعث من النافذة ، كنت أستطيع هناك أن أتأمل الدعائم الضخمة ذات الأربعة أوجه التي تسند السقف - وأرى كيف عشقت واحدة في الأخرى وكيف ثبتت في مكانها بخوابير من خشب البلوط . وحتى حينما تمطر الدنيا مطراً يتدرج وقعه على السقف من خشخشة الرذاذ إلى الرثير ، تظل السندرة مكاناً لطيفاً آمناً . ثم هناك الكتب ، الكتب التي يسبغ عليها الضوء لونا هادئاً ، الكتب المصورة التي كانت ملك أطفال نموا ، وتركوا ذريتهم ، ثم مضوا ، كتب « الثرثارين » وسلسلة « رولو » وألف كتاب عن أعمال الرب - النار ، والطوفان ، وأمواج المد ، والزلازل - وكلها حافلة بالصور ، ثم « جحيم جوستاف دوريه المصورة » ومعها قصائد دانتي الرباعية وكأنها قوالب طوب بين الصور ، ثم قصص « هانز كريستيان أندرسن » التي تحز في القلب ، والعنف والقسوة اللذان يجمدان الدم في العروق في كتب الإخوة جريم ، ثم كتاب « وفاة آرثر » بجلاله ولوحاته التي رسمها « أوبري بيروسلي » ذلك المخلوق الملتوى العليل ، وكيف كان اختياره غريباً حين صور « الوري » العظيم الممتلىء رجولة .

أذكر كيف كنت أفكر في مدى حكمة رجل مثل « ه . ك . أندرسن » .

لقد باح الملك بأسراره إلى أعماق بئر ، فبقيت أسراره في مأمن . والرجل الذي يباح بأسرار أو يحكى قصصاً ينبغى عليه أن يفكر فيمن يسمعه أو يقرؤه ، لأن للقصة عدداً من التأويلات بمثل عدد مالها من قراء . فكل امرئ يأخذ منها ما يريد ، أو يقدر عليه وهكذا يغيرها بما يتناسب معه . البعض ينتقى أجزاء وينبذ الباقي ، والبعض يصفى القصة خلال شبكة تحيزه ، والبعض يصفون عليها ابتهاجهم . وينبغي أن يكون في القصة بضع نقاط اتصال مع القارئ لكي تجعله يحس معها بالألفة فينبغى أن يكون في القصة بضع نقاط اتصال مع القارئ لكي تجعله لأن ينبغى أن يختلف بناؤها عن بناء نفس الحكاية حين تحكى لمارى ، وتلك بدورها تشكل بشكل يتناسب مع ماروللو ، إذا كان ماروللو سيشارك في سماعها . ولكن ربما يكون بئر هوساى أندرسون هو الأفضل . فهو يتلقى بحسب ، والصدى الذى يردده منخفض وسرعان ما يزول .

أحسب أننا جميعاً ، أو أن غالبيتنا ، نقيم من أنفسنا حراساً على علم القرن التاسع عشر ، ذلك العلم الذى أنكر وجود أى شىء لم يتمكن من قياسه أو تفسيره . فالأشياء التى لم نستطع تفسيرها ، استمرت ، ولكن المؤكد أنها استمرت دون أن نؤيدها ببركاتنا . ونحن لم ندرك ما لم نستطع تفسيره ، وخلال ذلك ترك جزء كبير من العالم للأطفال والمجانين والأغبياء والمتصوفين ، لأولئك الذين كان اهتمامهم بما هو كائن أكثر من اهتمامهم بسبب وجوده . وكثيرة جداً هى الأشياء القديمة الحلوة المخزونة فى سندرة العالم ، لأننا لا نريدها من حولنا ولا نجسر على إقامتها بعيداً .

تدلى من إحدى دعامات السقف مصباح وحيد غير مظل . أما أرضية

السندرة فتكسوها ألواح من خشب الصنوبر المحفور باليد ، عرض الواحد منها عشرون بوصة وسمكه بوصتان ، وهي ركيذة متينة فسيحة الأكداس المرتبة من الحقائق الكبيرة والصناديق ، والمصاميح والغازات المنفوفة في الورق ، وكل ما استبعد من أنواع الحلى . ويتألق الضوء في رقة على أجيال من الكتب موضوعة في خزانات كتب مكشوفة - وكلها نظيفة لا يعلوها التراب . وعزيزنى مارى متعقبة تراب حازمة لاتلين ، وهى أنيقة الهندام مثل باشجاويش . لنا ترتب الكتب حسب حجمها ولونها .

كان آلان يسند جبهته إلى الجزء الأعلى لخزانة كتب ويحملك بناظرية إلى أسفل حيث الكتب . وقد وضع يده اليمنى على شعيرة سيف الفرسان المقدسين وجعل طرفه المدبب إلى أسفل وكأنه عصا .

— « أنت تشكل صورة رمزية ، يابنى . فلنسمها ( شباب ، وحرب ، وتحصيل ) » .

— « أريد أن أسألك - لقد قلت إنه توجد كتب أرجع إليها للحصول على المادة » .

— « أى نوع من المادة ؟ » .

— « وطنيه عصر الجاز ، لأكتبها في المقالة » .

« أفهم . وطنية عصر الجاز . ما رأيك في هذا ؟ » ( هل عزت الحياة وحلا السلم ، بحيث صار ثمن شرائهما هو الأغلال والعبودية ؟ ألاقتنم عننا هذا ، ياإلهى العظيم ! أنا لا أعرف أى طريق سيملك الآخرون . ولكن فيما يتعلق بى امنحنى الحرية أوهبنى الموت ! ) «

- « عظيم ! تلك هي البذور » .
- « هي كذلك بالتأكيد . في تلك الأيام كانت الأرض مأهولة بالعمالقة » .
- « ليتني عشت حينذاك . في سفن القراصنة . ويالى من صبي ! بانج بانج ! ليتني عشت فعلاً حينذاك . لقد عاش بعض أهلنا تلك الفترة - عاشوها فعلاً . لقد قلت هذا أنت نفسك » .
- « كان نمطاً من القرصنة المهدبة - كانوا يسمونها سفناً تجارية تابعة للأسطول الحربى . وأظن أن الحياة لم تكن بمثل العذوبة التي تبدو بها من بعد . لحم مملح وبسكويت . ففي تلك الأيام أيضاً كان مرض الأسقربوط موجوداً على سطح الأرض » .
- « لم يكن ذلك ليهمنى . كنت سأحصل على الذهب وأعود به إلى البيت . أظنهم لن يدعوك تفعل هذا الآن » .
- « كلا - لقد صارت القرصنة الآن أكثر ضخامة وتنظيماً . إنهم يسمونها ديبلوماسية » .
- « هناك ولد في مدرستنا كسب جائزتي تليفزيون - خمسين دولاراً ثم مائتي دولار . فكيف حدث ذلك ؟ »
- « لا بد أنه ذكى » .
- « هو؟ طبعاً لا . إنها حيلة كما يقول . عليك أن تتعلم الحيلة وحينئذ تصير ملماً بسر المهنة » .
- « سر المهنة ؟ »

— « بالتأكيد - مثل قولك أنك مقعد أو أنك تعول أمك العجوز بتربية الضفادع . وذلك يكسبك اهتمام الجمهور وهكذا يختارونك . ولديه مجلة تنشر فيها أية مسابقة تجرى في القطر كله هل أستطيع الحصول على واحدة من تلك المجلات ، يا بابا ؟ »

— « حسناً ، لقد انتهت القرصنة ، واسكني أعتقد أن دافعها لا يزال حياً »  
— « ماذا تقصد ؟ »

— « الحصول على شيء من لا شيء . ثروة دون ما جهد . »

— « هل أستطيع الحصول على تلك المجلة ؟ »

— « كنت أظن أن أمثال تلك الأشياء قد لطحها العار منذ فضاءح البايولا »

— « يا للجميم ، كلا . أقصد كلا ، ياسيدي . إنهم بدلوا قليلاً في شكلها .

انني أحب فعلاً أن اقتطع نصيبي من بعض تلك الأسلاب . »

— « هي أسلاب ، أليس كذلك ؟ »

— « كلها نقود ، ولاتهم كيفية الحصول عليها . »

— « إنني لا أومن بذلك . فإن الحصول على النقود بتلك الطريقة لا يضرها

ولكنه يضر الشخص الذي يحصل عليها . »

— « لا أدرك كيف . أنه ليس عملاً منافياً للقانون . كما أن بعض أعظم

الناس في هذا البلد ... »

— « تشارلز ، يا ولدي ، يا ولدي . »

— « ماذا تقصد بقولك ، تشارلز ؟ »

— « هل ينبغي أن تكون غنياً ، يا آلان ؟ هل ينبغي أن تكون ؟ »

— « أتظننى أحب أن أعيش دون موتوسيكل ؟ ينبغي أن يكون هناك  
عشرون فتى لديهم موتوسيكلات . ثم كيف يكون الحال إذا لم تكن لدى  
أسرتك ولو سيارة ، ولندع جانباً التلفزيون ؟ »  
— « إننى مذهول حقاً » .

— « إنك لا تدري كيف يكون الحال ، يا بابا . فى أحد الأيام كتبت فى  
الفصل موضوعاً عن جدى العظيم وكيف كان قبطان سفينة لصيد الحيتان » .  
— « أجل ، لقد كان كذلك فعلاً » .

— « ثم انفجر الفصل كله ضاحكاً . أتدري ماذا يطلقون على ؟ الحيتانى .  
فهل يعجبك ذلك ؟ » .  
— « بالشناعة » .

— « لم يكن الأمر ليصير بهذه الشناعة ، لو كنت محامياً أو موظفاً فى  
مصرف أو شيئاً من هذا القبيل . أتدري ماذا أنوى أن أفعل بأول جزء أكسبه  
من الأسلاب ؟ »

— « كلا ، ماذا تنوى أن تفعل ؟ »

— « سأشتري لك سيارة ، لكيلا تشعر بالأسى وأنت ترى الآخرين  
جميعاً يمتلكون سيارات » .

وقلت : « شكرالك ، يا آلان . » وأصاب الجفاف حلقى .

— « أوه حسناً . على كل أنا لا أستطيع الحصول على رخصة الآن » .

— « ستجد كل خطب أمتنا العظيمة فى ذلك الصندوق يا آلان . وأنعمش

أن تقرأ بعضها » .

— « سأفعل حتماً ، فإنى أحتاج إليها » .

— « إنك تحتاج إليها بالتأ كيد. صيد طيب ». نزلت السلم بهدوء ، وكنت أبلل شفتي في أثناء نزولي . كان آلان على حق ، فقد كنت شعر بالأسى . عندما جلست في كرسي الكبير أسفل مصباح القراءة ، وأحضرت لي ماري الجريدة .

— « كم أنت مبعث راحة ، يا حبيبتي » .

— « تلك البذلة تبدو لطيفاً حقاً » .

— « أنت تخسرين جيداً وتطبخين جيداً » .

— « وربطة العنق تناسب لون عينيك » .

— « أنت تدبرين شيئاً ما . أستطيع أن أحس . سأبادلك سرّاً بسر » .

قلت : « ولكن ليس لدى سر » .

-- « اعنمي واحداً ! »

— « لا أستطيع ، هيا ، يا إيثان ، أخبرني » .

— « هل ثمة أطفال متسمعون يسترقون السمع ؟ »

— « كلا » .

— « حسناً ، زارتني اليوم مارجي يانج هنت . نفذت قهوتها ، هذا ما قالته » .

ولكني أعتقد أنها تستحشني على شيء ما » .

— « هيا ، تكلم » .

— « حسناً ، كنا نتكلم عن الطالع وقلت إنه سيكون من الممتع أن نعيد

قراءته مرة أخرى لنرى ماذا قد بقي بلا تغيير » .

— « غير معقول ! »

— « بل هذا ما فعلته وقد قلت أنه سيكون أمراً ممتعاً » .



- « ولكنك لا تحب مثل تلك الأمور » .  
— « إني أحبها حينما تكون مفيدة . »  
— « وتعتقد أنها ستفعل ذلك الليلة ؟ »  
— « لو اهتممت بأن تعطيني بنسأ نظير أفكارى ، فإننى أظن أن ذلك هو سبب قدومها » .

- « أوه ، كلا ! بل أنا التى دعوتها » .  
— « بعد أن هيات ذهنك لذلك » .  
— « إنك لا تميل إليها » .  
— « بالعكس — لقد بدأت أميل إليها جداً ، وأحترمها » .  
— « أود لو أستطيع معرفة متى تهزل » .

حينئذ دخلت إلين فى هدوء بحيث لا يسمعك أن تعرف ما إذا كانت تسترق السمع أم لا ، وإن كنت أشك فى أنها كانت تسمع علينا . وإيلين فتاة بكل ما فى الكلمة من معان ، وتبدو عليها أنوثة فتاة الثالثة عشره بكل وضوح ، حلوة وحزينة ، مرحة ورقيقة ، بل متارضة حين تدعو الحاجة . وهى فى تلك المرحلة التى تشبه المجين الذى بدأ فى التخمر . وربما تغدو جميلة ، وربما لاتغدو . وهى تحب الاستناد ، وتسند إلى ، وتتنفس فى وجهى أيضاً ، ولكن نفسها حلوة كتنفس بقرة . كما أنها تحب اللبس أيضاً . . .

استندت إيلين إلى مسند كرمى . ولمس كتفها الصغير الرقيق كتفى وجرت بأصبع قرمزى منحدره مع كم ردائى ثم وصلت إلى الشعرات التى على معصمى فسرت فيه دغدغة . كان الشعر الأشقر الذى على ذراعها يلمع ، مثل العبر تحت

ضوء المصباح. فتاة منحرفة، إنها كذلك ، ولكنى أعتقد أن كل الفتيات الممثلات  
أنوثة ، منحرفات أيضا .

قلت : « أتستعملين طلاء أظافر » .

— « ماما تسمح لى باستعماله إذا كان قرمزيا فحسب . أظافرك غير

مشذبة »

— « هل هى كذلك ؟ »

— « ولكنها نظيفة » .

— « لقد دعكتها » .

— « إنى أكره الأظافر القذرة التى كأظافر آلان » .

— « لعلك تكرهين آلان كله ، جملة وتفصيلاً » .

— « أجل » .

— « هذا خير لك . ولماذا لا تقتاينه » .

— « أنت أحق » . وتسالت أصابعها خلف أذنى .

ربما تكون قد وصلت بالفعل إلى مرحلة إنارة بعض الصبية .

— « سمعت أنك تعملين فى مقالك » .

— « أخبرك ، آلان » .

— « هل هى مقالة جيدة ؟ »

— « أوه ، أجل ! جيدة جداً . سأدعك تقرؤها حين تم » .

— « لى الشرف . أرى أنك ارتديت ثيابك استعدادا للمناسبة » .

— « هذا الثوب القديم ؟ اننى أدخر ثوبى الجديد للغد » .

— « فكرة طيبة ، فسكون هناك فتيان » .

— « أنا أكره الفتیان . أنا أكره الفتیان فعلاً » .

— « أعلم أنك تكرهيينهم . فالعداوة مبدؤك . أنا نفسي لا أميل إليهم .

كثيراً . والآن دعى الاسناد إلى دقيقة ، أريد قراءة الصحيفة » .

وانتفضت مثل كواكب السينما في عام ١٩٢٠ ، وانتقمت لنفسها في الحال

حين سألت :

« متى ستصبح غنياً ؟ »

أجل ، إنها ستهب رجالاً ما وقتاً سيئاً . كانت غريزتي تدفعني إلى أن  
أجذبها إلى ثم أصفعها ، ولكن هذا بالضبط ما كانت راغبة فيه . وإني واثق  
أنها كانت تظلل عينها . فقد انبعث منها قليل من الشفقة مثل تلك التي تجدها  
في عيني نمر أوقط .

قلت : « يوم الجمعة القادم » .

— « حسناً ، أود أن تسرع ، فقد سئمت الفقر » :

وانسلت خارجه بسرعة : وهي أيضاً متسمة من وراء الأبواب . إنني أحبها

فعلاً ، وذلك غريب لأنها تمثل كل ما يثير اشمئزازي في أي شخص آخر —  
ولكنني أعبدها .

ليست الجرائد لي فقد وصلت مارجي يابح هنت حتى قبل أن أفض

جريدتي ، كانت أنيقه الهندام — أناقة الهندام التي يضيفها حلاق السيدات .

وأظن أن ماري كانت تعرف كيف تم إضفاء تلك الأناقة ، أما أنا فلم أعرف .

في الصباح كانت مارجي التي نفذت قوتها قد تهيأت من أجلى مثل فنج

لصيد الدببة : وفي مساء نفس اليوم ، كانت تصوب رميتها إلى ماري ،

كانت ضيفة كاملة -- وبالنسبة لامرأة أخرى — مسعفة ، وساحرة ، ومجاملة ،  
وحصيفة ، ومتواضعة ، كانت تعاملنى كما لو كنت قد أمضيت أربعين سنة منذ  
الصباح ، كم هى شىء مدهش ، المرأة . أستطيع أن أعجب بما يفعلن وإن  
كنت لا أفهم لماذا يفعلنه .

بينما انهمكت مارجى ومارى فى ثرثرتها المرححة ، « ماذا فعلت بشعرك؟ » ،  
« إنه يعجبنى » . . . « ذلك هو لونك الذى يلائمك . ينبغى أن ترتديه دائماً »  
— شارأت التعرف غير المؤذى بين النساء — كنت أفكر فى أن أكثر  
القصص التى سمعتها أنثوية ، تلتقى امرأتان وتصيح إحداهن « ماذا فعلت  
بشعرك؟ إنه يشبه الشعر المستعار » ، « إنه شعر مستعار » ، « حسناً ، إنك لم  
تكونى لتعرفيه أبداً » ،

ربما كانت تلك استجابات أعمق مما نعرفه أو مما لنا أى حق فى معرفته :  
كان الغداء سلسلة من صيحات الإعجاب بروعه الدجاج المحمر ، وعمليات  
إنكار أنه لا يصلح للأكل ، وكانت إيلين تدرس ضيفتنا وعينها تسجل ما ترى ،  
كل تفاصيل تصفيف شعرها وزينة وجهها : وعرفت حينئذ إلى أى حد يبدأن  
صفاراً فحصهن الدقيق لما يبنين عليه ما يسعى بسرعة بديهتهن ، وتجنبت إلين  
عينى ، كانت تعلم أنها قد أطلقت سهمها ليردى ، وكانت تتوقع الانتقام ،  
حسناً جداً ، يا ابنتى المتوحشة . سأقتص من نفسى بأقسى طريقة يمكنك تصورها ،  
سأنسى الأمر .

كان غداء طيباً ، فاخراً جداً وبكميات كبيرة جداً ، مثلما ينبغى أن

تكون عليه وليمة ، واستعملنا جبلاً من الصحف مما لا يستعمل عادة : وتلت  
«قهوة المساء ، وتلك أيضاً لا نتناولها عادة .

— « ألا تبقى ساهرة ؟ »

— « لا شيء ، يبقى ساهرة »

— « ولا أنا ؟ »

— « إيثان ! »

وتلا ذلك الحرب الساكنة المميتة مع الصحف : « دعيني أساعدك » ،

— « لا يمكن ، فأنت الضيفة » .

— « حسناً ، دعيني أحملها عنك » ؟

وبحثت عينا ماري عن الطفلين واستحثتهما همتها بسونكي مشرع . كانا  
يعرفان ماهرات ، ولكنهما كانا عاجزين .

وقالت ماري : « دائماً ما يقوم الطفلان بهذه العملية ، بل إنهما يجبان القيام

بها ، كما أنهما يؤديانها على خير وجه . إنى لفخورة بهما » .

— « أليس ذلك لطيفاً ؟ لم تعودى ترى ذلك كثيراً الآن » .

— « أعرف . ونحن نشعر بأننا محظوظان لأنهما يرغبان في المعاونة . »

كنت أستطيع قراءة ما يدور في ذهنيهما الصغيرين المتصيدين ، وهما يبحثان

عن مهرّب ، ويفكران في الاحتجاج ، أو التمازض ، أو إسقاط الصحف الجميلة

العتيقة . ولا بد أن تكون ماري أيضاً قرأت ما يدور في ذهنيهما الشريرين .

قالت : « والجدير بالملاحظة أنهما لا يكسران أبداً أي شيء ، بل حتى لم

تشرخ منهما كوب » .

وقالت مارجى : « طوبى لك ! وكيف علمتها ذلك ؟ »  
— « أنا لم أعلمها . إنه شيء فطرى فيهما . أنت تعرفين أن بعض الناس  
أغبياء بالسليقة ، ولسكن آلان وإيلين مفظوران على الذكاء فيما يتعلق  
بمهارتهما اليدوية » .

نظرت إلى الطفلين لأرى كيف تقبلا الأمر . كأننا يعرفان أنهما قد غلبا على  
أمرهما . وأظنهما تساءلا إذا ما كانت مارجى يأنج هنت تدرك هذا . كأننا  
لا يزالان يبحثان عن مهرب . وأسقطت الحمل عليهما بكامل ثقله .

قلت : « إنهما يودان طبعا سماع المديح ، ولكننا نعطينهما . ستفوتهما السينما  
إذا لم نتركهما يلحقاها » .

كانت مارجى من الكياسة بحيث لم تضحك ، ومننت على مارى بنظرة  
إعجاب سريعة متحيرة . لم يكونا قد طلبنا حتى الذهاب إلى السينما .

الأطفال فى سن المراهقة حتى إذا لم يحدثوا صوتاً ما ، إلا أن الجو يصير  
أكثر هدوءاً بعد انصرافهم ، فهم يبثون فى الهواء حولهم جواً من الغليان .  
فحينما انصرفا ، بدا وكأن البيت كله يرسل زفرة ارتياح ويستكن . لا عجب  
إذن فى ألا تغزو أشباح الضوضاء الغامضة إلا المنازل التى بها أطفال مراهقون .

كننا ثلاثتنا ندور فى حرص حول الموضوع الذى أدرك كل منا أنه آت  
ولا ريب . ذهبت إلى الدولار ذى الواجهة الزجاجية ، وأخرجت ثلاث كتووس  
طويلة العنق ، على شكل زهرة الزنبق ، وفيها التفافة زهرة القطن ، وقد أحضرت  
من إنجلترا ، يعلم الله منذ متى وصيبت من قنينه سعة جالون مغطاه بالقش ، أحال  
الزمن لونها وجعله داكناً .

وقلت : « روم جامايكا . لقد كان آل هولى رجال بحر » .

فردت مارجى يانج هنت : « لا بد أنها معتقة جداً » .

— « أكبر سنا منك ومنى ومن أبى » .

وقالت ماري : « إنها ستفقدك الوعى . ولكن ، حسناً ، لا بد أن هذا

حفل حقيقى . فإيثان لا يأتى بها إلا فى الأفراح وللآتم فحسب . أتظن أن شرب

هذا صواب ، يا عزيزى ؟ أعنى ، قبل عيد القيامة مباشرة » ؟

— « لم يكن العشاء الربانى كوكا كولا ، يا حبيبتي » .

— « ماري ، أنا لم أر زوجك أبداً بمثل هذا الجبور » .

وقالت ماري : « إنه الطالع الذى قرأته ، لقد بدله فى ليلة » .

كم هو شىء مرعب ذلك الكائن البشرى ، حشد من المقاييس والأرقام

والمجلات ، ونحن لا نستطيع أن نقرأ منها إلا القليل فحسب ، وربما لا تكون

قراءتنا لذلك القليل متقنة . وهج من الألم اللافت الدامى تكون فى أحشائى

وتحرك إلى أعلى حتى انتشر فى المكان الذى تحت ضلوعى مباشرة ومزقه .

وزارت فى أذنى ربح هائلة دفعتنى مثل سفينة عاجزة ، تحطمت صوارىها قبل أن

تتمكن من إنزال قلعها . وأصبح لقمى مذاق للملح المر ، ورأيت غرفة تنبض

وتلهث . كانت كل إشارة تحذير تصرخ بالدمار ، تصرخ بالصدمة . واقتنصتنى

بينما كنت أمر خلف كراسى السيدات وثنتنى على نفسى فى ألم احتضار مززل ،

وهلما حدثت فجأة اختفت فجأة . شددت جسدى وواصلت حركتى ولم تدركا

حتى أن شيئاً حدث . أدرك الآن كيف اعتقد الناس ذات يوم أن الشيطان

يستطيع أن يستولى عليهم . وأنا غير واثق أنتى لا أومن بذلك ... الاستيلاء !

الليلاذ المضطرم لشيء غريب ، بينما كل عصب يقاوم ويفقد الحركة ثم يستقر مهزوماً ليعقد الصلح مع غازيه . الاغتصاب - تلك هي الكلمة ، إذا أمكنك التفكير في وقع كلمة يحدها هيب أزرق كذلك المنافع من وابور الحام .

وجاء في صوت حبيبتي ، كانت تقول : « ليس من المؤذى حقاً أن يسمع المرء أشياء لطيفة » .

وجربت صوتي ، كان قوياً ثابتاً ، « قليل من الأمل ، بل حتى الأمل الذي لا أمل فيه ، لا يؤذى أحداً على الإطلاق » .

قلتها ووضعت القنينة في الدولاب ، ثم عدت إلى كرسي ، وشربت نصف كأس الروم العتيق ذي الرائحة الفياحة ، ثم جلست ووضعت ساقاً على ساق وشبكت أصابعي في حجري .

قالت ماري : « أنا لا أفهمه . كان دائماً يمقت قراءة الطالع ، و بسخر منها بالنكات . إنني فعلاً لا أفهم » .

كانت أطراف أعصابي تخشخش مثل عشب الشتاء الجاف حين تحركه الرياح ، وقد ابيضت أصابعي المتشابكة من الضغط عليها .

قلت : « سأحاول شرح الأمر لمسز يانج هنت - أقصد ، لمارجي . إن ماري تنحدر من عائلة إيرلندية نبيلة ولكنها فقيرة » .

— « لم تكن فقراء إلى ذلك الحد » .

— « ألا تستطيعين سماع الفقر في حديثها ؟ »

— « حسناً ، والآن ما دمت تذكر هذا » .

— « حسناً ، إن ماري قديسة ، أو كان ينبغي أن تكون ، فقد كانت

جدتها مسيحية طيبة ، ألم تكن كذلك يا ماري ؟ »



- بدا لي أن قليلاً من العداوة بدأ ينمو في أعماق عزيزتي ، واستطردت :
- « ولكنها لم تصادف مشكلة في الاعتقاد في أهل الجان ، ورغم أن الاثنين لا يلتقيان من وجهة نظر علم اللاهوت المسيحي الخالص الذي لا التواء فيه » .
- « ولكن الأمر مختلف » .
- « طبعاً إنه كذلك ، يا حبيبتي . كل شيء تقريباً مختلف . هل تستطيعين أن تكفري بشيء لا تعرفين عنه شيئاً » .
- وقالت ماري : « اتبهي إليه فسيوقعك في فخ من الكلمات » .
- « لن أفعل ، فأنا لا أفهم في الطوائف وقراءة الطوائف . فكيف أستطيع إنكارها ؟ إنني أؤمن بوجودها لأنها تتحدث » .
- « ولكنك لا تؤمن بصحتها » .
- « الصحيح هو أن الناس يارسونها ، الملايين منهم ، ويدفعون النقود من أجلها . ويكفي أن يعرف المرء ذلك ليهتم بها ، أليس كذلك ؟ » .
- « ولكنك لا - » .
- « انتظري ! إن الأمر ليس هو إنني لا أؤمن بل إنني لا أعرف . وما ليس نفس الشيء . وأنا لا أعرف أيهما يأتي أولاً - الطالع أم قراءة الطالع » .
- « أحسبني أعرف ماذا يعني » .
- « صحيح ؟ » لم تكن ماري مسرورة .
- « فلنفترض ان قارئ الطالع كان ذا حساسية تجاه أشياء ستقع مهما كان الحال . أهذا ما تقصدين ؟ »
- « ذلك شيء مختلف . ولكن كيف يستطيع الورق أن يعرف ؟ »

قلت : « الورق لا يستطيع مجرد الحركة دون أن يكون هناك ثمة شخص ليقبله » .

لم تنظر مارجى إلى ولكنى أدركت أنها أحست بتزايد قلق ماري، وكانت تريد توجيهات .

وسألت : « الا تستطيع أن تقوم باختبار ؟ »

- « حسنا ، ذلك أمر مضحك . إذ يبدو أن هذه الأشياء تقاوم الاختبار

وتهرب ، ولكن لا ضرر من المحاولة . أتستطيع أن تفكر في اختبار ؟ »

- « انما لم تمسسا شرابكما » .

رفعنا كأسيهما معاً وارتشفنا ثم وضعناهما . وأفرغت كأسى ثم أحضرت

الزجاجة .

- « إيشان ، أتظن أنه لا بد أن تشرب ؟ »

- « أجل ، يا عزيزتى » . وملأت كأسى . « لم لا تستطيعين أن تقبلي

الورق وأنت مغمضة العينين ؟ »

- « لأنه ينبغي أن يقرأ » .

- « وكيف يكون الحال لو قلبته ماري أو أنا ، ثم قرأته أنت ؟ »

- « من المفروض أن يكون هناك اتصال وثيق بين القارىء والورق ،

ولكنى لا أعرف - نستطيع أن نجرب » .

وقالت ماري : « اعتقد أننا إذا كنا سنقوم بالقراءة بأية حال من الأحوال ،

فينبغي أن نقوم بها على الوجه الصحيح » . إنها دائماً كذلك . لا تحب التغيير -

أقصد ، التغيير الطفيف . أما التغييرات الضخمة فتستطيع معالجتها أفضل من أى

شخص آخر ، فهي تنفجر نائرة إذا جرح لها أصبع ، ولكنها تكون هادئة

متناسكة إذا قطعت رقبتها . كنت أحس باختلاجة قلق لأننى سبق أن أخبرت

مارى أننا ناقشنا هذا الموضوع ، ثم هانحن أولاء يبدو عاينا أننا نفكر فيه للمرة الأولى .

— « لقد تكلمنا عن الموضوع فى الصباح » .

— أجل ، حين ذهبت للاتيان بالقهوة . لقد كنت أفكر فى الأمر طوال اليوم . وأحضرت الورق » . إن مارى على استعداد أن تشوش على التصميم بالفضب ، وعلى الفضب بالمنف ، ولكنها ترتعب من العنف . وقد غرس ذلك الرعب فيها بعض أعمامها ممن يدمنون الخمر ، وهذا عار . كنت أستطيع أن أحس بخوفها يتزايد .

قلت : « فانتترك العبث بالطوالع ، وانلعب لعبة الباتشيكا<sup>(١)</sup> بدلا من ذلك » . وأدركت مارجى التكتيك ، عرفته ، وربما سبق لها أن استعملته .  
— « هذا يلائمنى » .

— « إن طالعى تقرر . سأصبح غنياً . فدعو الأمر يسير فى ذلك الاتجاه » .  
— « ها أنت ترين ، لقد أخبرتك أنه لا يؤمن به . إنه يدور بك حول الموضوع تماماً و بعدئذ يتخلى عنك . إنه يدفعنى إلى الجنون أحياناً » .

— « صحيح ؟ أنت لم تظهرى ذلك أبدا . أنت دائماً زوجتى العزيزة » .  
أليس غريباً ما يحدث أحياناً من قدرتك على الإحساس بتغيرات مضادة لها . ليس دائماً ، بل أحياناً فحسب . إن مارى لا تستخدم عقلها فى التفكير المنظم وربما يجعلها ذلك أكثر استجابة للتأثيرات . كان ثمة توتر قد أخذ ينمو فى الغرفة . وعبرت ذهنى فكرة أنها قد لا تصبح من أحسن صديقات مارجى بعد الآن . إنها قد لا تترتاح إليها أبداً بعد ذلك .

(١) إحدى الألعاب التى تمارس بورق اللعب .

قلت : « إننى أحب فى الواقع أن أفهم ما يتعلق بالورق . فإنى جاهل بهذا الأمر . سمعت دائماً أن العجزة يمارسون قراءة الورق ، فهل أنت عجزية ؟ لا أظن أننى التقيت بواحد منهن أبداً » .

وقالت مارى : « لقد كان اسمها الأول قبل الزواج روسياً ، واسمها من آلاسكا » .

إذن فذلك ما يفسر عظمتى الوجنة العريضتين .

قالت مارجى : « لدى سر آثم لم أبح لك به أبداً من قبل ، يامارى ، وهو كيف حدث أن جئنا إلى آلاسكا » .

قلت : « كانت ملك الروس ، ثم اشتريناها منهم »

— « أجل ، ولكن هل عرفت أنها كانت سجنًا ، مثل سيبيريا ، سجنًا لأبشع الجرائم ؟ »

— « أى نوع من الجرائم ؟ »

— « أبشعها . لقد حكم على جدتى لأمى بالنفى إلى آلاسكا لممارستها فنون السحر » .

— « وماذا فعلت ؟ »

— « كانت تثير العواصف » .

وضحكت : « أرى أنك توصات إلى هذا بطريقة طبيعية » .

— « إلى إثارة العواصف ؟ »

— « بل إلى قراءة ورق اللعب — فهى نفس الشئ تقريباً » .

وقالت مارى : « إنك تمزحين ، ليس ذلك حقيقياً » .

— « ربما كنت أمزح ، يامارى ، ولكنه حقيقى . كانت تلك هى أبشع من القتل . ولا زلت أحتفظ بأوراقها - إلا أنها باللغة الروسية فحسب . »

— « أتستطيعين الكلام بالروسية ؟ »

— « القليل منها فحسب ، الآن . »

وقلت : « ربما لا تزال ممارسة فنون السحر هى أبشع الجرائم . »

قالت مارى : « أفهمت ماذا أعنى ؟ إنه يقفز إلى هذا الجانب وذاك الجانب .

ولا تعرفين أبداً فى أى شىء يفكر .. وليلة أمس استيقظ - نهض قبل شروق

الشمس هذا الصباح ، وذهب ليتمشى . »

وقلت : « إننى وغدا ! نذل لارابع له ولا يعوض . »

— « حسنا ، أحب أن أرى مارجى تقلب الورق - ولكن بطريقتها

الخاصة ودون تدخلك . وإذا بقينا نتكلم ، فسيأتى الأطفال إلى البيت وحينئذ لن

نستطيع ممارسة التجربة . »

قلت : « معذرة للحظة . صعدت الدرج إلى مخدعنا . كان للسيف فوق

الفراش وصندوق القبعة مفتوحا على الأرض . ذهبت الحمام وشدت السيوف .

تستطيع أن تسمع الماء مندفعاً فى البيت كله بلات قطعة قماش فى الماء البارد وضغطتها

على جبهتى وبالذات على عيني . كأننا تبدوان كأنهما تبحظان بفعل ضغط داخلى .

وكان ملمس الماء البارد حلواً ، فجلست على قعدة المرحاض وخفضت وجهى إلى

المسفة المبللة وحين صارت دافئة بللتها ثانية . وفى أثناء عودتى خلال المخدع ،

التقطت قبعة الفرسان ذات الريشة من صندوقها ، ونزلت الدرج فى خطوه عسكرية

وأنا أرتديها .

قالت ماري : « أوه ، أيها الأحق » .  
وبدا عليها السرور والراحة . لقد مضى الكرب من الجو .  
وسألت : « هل يستطيعون قصر لون ريش النعام ؟ لقد استجالت ريشتها  
صفراء » .

— « أظن ذلك . سل مسترشولتز » .

— « سأخذها معي يوم الاثنين » .

— وقالت ماري « أتمنى أن تقوم مارجي بتقليب الورق . إنني توافقة  
جداً لذلك » .

وضعت القبعة على العمود الأخير في الدرازين ، وبدأ منظرها مثل أميرال  
مخمور لو كان يوجد شيء كذلك .

— « أحضر منضدة الورق ، يا إيثان . فالعملية تحتاج إلى مكان فسيح »

أحضرتها من دولاب الصالة ، وجذبت أرجلها ففتحتها .

— « مارجي تحب كرسيًا مستقيم الظهر » .

ووضعت أحد كراسي مائدة الطعام « . أينبغي علينا أن نفعل شيئاً ؟ »

فأجابت مارجي : « ركز تفكيرك » .

— « في أي شيء » .

— « قريباً بقدر الإمكان من لاشي » . الورق في حقيبة يدي هناك على

الأريكة » .

كانت فكرتي دائماً عن الورق المستعمل في قراءة الطالع أنه قدر وسيميك

ومشى ، ولكن هذا الورق كان نظيفاً لامعاً ، وكأنه مغطى بطبقة من البلاستيك .  
كان ورقاً أطول وأقل عرضاً من ورق اللعب وأكثر بكثير من اثنتين وخمسين  
ورقة . جلست مارجي منتصبه إلى المتضدة وفردت الورق على شكل مروحة -  
صوراً زاهية الألوان ومجموعات معقدة . كانت الأسماء مكتوبة بالفرنسية :  
الإمبراطور ، الناسك ، المركبة ، العدالة ، الهماري ، الشيطان - أرض ، وشمس ،  
وقمر ، ونجوم ، ومجموعات من السيوف ، والفناجين ، والمراوات ، والنقود ، فيما  
أعتقد ، لو كانت ، كلمة درهم تعني النقود ، ولكن شعار الورق كان على شكل  
وردة مما تزين به الدروع ، وكان لكل مجموعة ملكها ، وملكاتها ، وفارسها  
وبعدئذ رأيت ورقاً غريباً - ورقاً مزعجاً - برج شرخته الصاعقة ، عجله حظ ،  
رجل معلق من ساقيه في مشنقة ، يسمى المشنوق ثم الموت - La mort ، هيكل عظمي  
معه منجل . وقلت : « كئيبة بعض الشيء . هل تعني الصور وما تبدو عليه » ؟

— « الأمر متعلق بكيفية حدوث علاقتها ببعضها . فلو جاء وضع الصور

بالمقلوب ، فإنها تعني عكس معناها » .

— « وهل يوجد اختلاف في المعنى ؟ »

— « نعم . وذلك هو تفسير الطالع »

اللحظة التي أخذت مارجي فيها الورق ، صارت جامدة المظهر . وتحت

الأضواء أظهرت يداها ما كنت قد رأيت من قبل ، وهو أنها أكبر سنّاً مما تبدو .

وسألتها : « أين تعلمت قراءة الورق » ؟

— « اعتدت أن أرقب جدتي ، ومارستها مؤخراً كخدعة في الحفلات -

أعتقد كوسيلة لجذب الانتباه » .

— « وهل تؤمنين بها » ؟

— « لأدرى ، فأحياناً ينتج عنها أشياء ملحوظة . لأدرى » .  
— « أيمكن أن يكون الورق نوعاً من التركيز الدينى — التمرين  
النفسى » .

— « أحياناً أعتقد أن هذا صحيح . حينما أجد أننى أسبغ على ورقة قيمة  
لم تكن لها من قبل ، حينئذ غالباً ما يكون الطالع صحيحاً » . كانت يداها  
كشيئين ينبضان بالحياة وهما تخلطان الورق وتقطعان ثم تخلطان وتقطعان ثانية ،  
ثم تمدهما إلى لأقطع .

— « طالع من الذى سأقرأه » ؟

وصاحت ماري : « اقرئى طالع إيثان ، لنرى إذا ما كان سيتفق مع  
طالع الأمس » .

ونظرت ماري إلى ، وقالت : « شعر أشقر ، وعينان زرقاوتان . هل أنت  
أقل من الأربعين » ؟

— « بالضبط »

— « ملك الهراوات » وعثرت على الورقة فى الشدة . « هذا هو أنت » —  
صورة ملك متوج يلبس لباس الملك ويمسك صولجاناً ضخماً لونه أحمر وأزرق  
ومطبوع تحت الصورة بالفرنسية (ملك الهراوة) . وضعت مارجى الورقة ووجهها  
إلى أعلى ثم أعادت خلط الشدة . وبعدئذ قلبت الورق بسرعة ، وهى تتكلم  
بصوت غنائى أثناء قيامها بذلك . ورقة فوق ورقى — « هذه تغطيك » . وورقة  
مقاطعة مع الورقة العلوية — « هذه تعترضك » . وواحدة أعلاها — « هذه  
تتوجك » . وواحدة إلى أسفل — « هذه أساسك . وهذه أمامك ، وهذه



خلفك » . كانت قد كوت صليباً من الورق فوق المنضدة . وبعدئذ وبسرعة قلبت أربع ورقات وجعلتهم فى خط إلى يسار الصليب ، وهى تقول ، « نفسك ، وبيتك ، وآمالك ، ومستقبلك » . كانت الورقة الأخيرة هى الرجل المشنوق بالقلوب ، وقد كتب تحتها بالفرنسية ( المشنوق ) ولكن من حيث كنت أجلس عبر المائدة كان وضعه معتدلاً إلى أعلى .

- « هذا كثير جداً على مستقبلى » .

قالت : « قد يعنى هذا النجاة . » كانت سبابتها تتابع خط شفها السفلى .

وتساءلت مارى : « هل النقود موجودة هناك » ؟

- « أجل - إنها هناك » قالتها بذهن شارد . ونجاة جمعت الورق ، وخلطته مرات ومرات ، ثم فردته ثانية ، وهى تغغم ترتيلها بصوت هامس . لم يكن يبدو عليها أنها تدرس أوراقا بعينها ، بل كانت تنظر إلى المجموعة كلها مرة واحدة ، كانت عيناها غائمتان تأهتان .

وفكرت ، إنها خدعة جيدة ، مثار الشغف فى الأندية النسائية - أو فى أى مكان آخر . لابد أن العرافة القديمة كانت بهذا الشكل ، باردة ومعقدة ومركبة . فلو استطعت أن تبقى الناس متوترين ، يأخذون أنفاسهم بصعوبة ، وينتظرون وقتاً طويلاً ، فهم سيصدقون أى شىء - إنه ليس التمثيل ، بقدر ماهو التكتيك ، والتوقيت الجيد . هذه المرأة كانت تضيع مع الوكلاء التجاريين للتجولين . ولكن ما الذى أرادته منا أو بالأحرى منى ، ونجاء جمعت الورق ، وربت عليه لتسويته فى شكل مربع ، ثم وضعت فى الصندوق الأحمر الذى كتب عليه بالفرنسية : رقم واحد . موللومى . مصنع أوراق لعب .

قالت : « لأستطيع القراءة . يحدث هذا أحياناً » .  
قالت ماري مبهورة الأنفاس : « هل رأيت شيئاً لا تريد أن تقول ؟ »  
— « أوه ، بل سأقول كل شيء . ذات يوم عندما كنت صبية صغيرة ،  
رأيت حية تغير جلدها ، حية من ذوات الأجراس مما يوجد في جبل روكي .  
وأخذت أرقب الأمر كله . حسناً والآن ، في أثناء تطلعي إلى الورق ، اختفى  
الورق ورأيت الحية تغير جلدها ، جزء منه مغبر وممزق وجزء نظيف وجديد .  
وعليك أنت تتصورى الأمر » .

قلت : « يبدو أنها حالة غيبوبة . هل حدثت لك مطلقاً من قبل ؟ »

— « ثلاث مرات قبل هذه » .

— « وهل كان لها أية دلالة في المرات الأخرى ! »

— « لا ، على ما أعلم ؟ »

— « ودائماً تبدو الحية ! »

— « أوه كلا ؟ أشياء أخرى ، ولكنها بنفس السخف » .

وقالت ماري بحماس : « ربما كانت رمزاً لتغير الحظ الذي سيحدث لإيثان » .

— « هل إيثان حية ذات أجراس ؟ »

— « أوه . أدرك ما تقصدان » .

قالت مارجي : « هذا يجعلني أحس بالتوتر والخوف . ففجأ مضى كنت

أحب الحيات ولكنني حين كبرت صرت أكرهها . إنها تسبب لي الرعب .

يحسن بي أن أذهب » .

— « يستطيع إيثان أن يوصلك إلى البيت » .

— « لم أكن لأفكر في ذلك » .

— « سيسعدني أن أفعل » .

وابتسمت مارجي لماري ، وقالت : « إن عليك تبقية هنا معك . لأنك

لا تعرفين كيف يكون الحال حين تكونين بدون رجل » .

فردت ماري : « هراء ، كنت تستطيعين الحصول على زوج بإشارة من

أصبعك » .

— « وذلك ما فعلته من قبل . ولكن هذا لافائدة منه ، فهم إذا جاءوا

بهذه السهرلة ، لا يستحقون عناء الحصول عليهم . احتفظي به في بيتك . فقد

يحتطفه شخص منك » . وأتت بمعطفها بينما كانت تتكلم — يالها من امرأة

سريعة الانسحاب . « غداء ممتع . أنعشم أن تدعواني مرة أخرى . آسفة من

أجل قراءة الطالع ، يا إيثنان » .

— « هل سراك غداً في الكنيسة » !

— « كلا . إنني ذاهبة إلى مونتوك الليلة » .

— « ولكن الجو بارد جداً ورطب » .

— « إنني أحب أن أرى إشراقات الصباح فوق البحر هناك . طابت

ليلتكما » .

كانت قد خرجت قبل أن أتمكن حتى من فتح الباب لها ، خرجت

وكان شيئاً ما كان يطاردها .

قالت ماري : « لم أكن أعلم أنها ذاهبة الليلة إلى هناك » ؟

ولم أستطع أن أقول لها : « وكذلك هي لم تكن تعلم » .

— « إيثنان — ماذا تستنتج من قراءة الطالع الليلة ؟ »

- « إنها لم تقرأ طالماً . »
- « أنك تنسى ، لقد قالت إنه ستكون هناك نقود . ولكن ماذا تستنتج من هذا؟ أظن أنها رأت شيئاً ما لم ترد قوله ، شيئاً بث فيها الرعب . »
- « ربما تكون قد رأت الحية ذات مرة ولا زالت ذكرها باقية في ذهنها . »
- « ألا تعتقد أن لها - معنى ؟ »
- « يا قرص العسل ، إنك أنت الخبيرة في الطوائع فكيف أستطيع أنا أن أعرف ؟ »
- « حسناً ، إنني سعيدة على أية حال لأنك بت لا تكرهها . وكنت أظنك تكرهها . »
- قلت : « إنني خداع ، فأنا أخفي أفكارى . »
- « ليس عني ، إنك لا تستطيع أن تفعل . إن الأطفال سيقفون إلى العرض الثاني . »
- « وهل سيعودون ثانية ؟ »
- « أقصد الأطفال . إنهما دائماً يفعلان ذلك . في اعتقادي أنك كنت حدهشاً في قصة الأطباق . »
- قلت : « إنني ملتو . وبالمناسبة ، لدى خطط لتكريمك . »

## الفصل السادس

لقد عودتني خبرتي أن أضع جانباً اتخاذ قرار ، إلى أن أفكر فيه مستقبلاً .  
و ذات يوم ، كنت أنسج قطعة من الزمن لأواجه بها المشكلة ، فوجدتها قد  
أكملت فعلاً ، وحلت واتخذ فيها قرار . ولا بد أن هذا يحدث لكل شخص ،  
ولكني لا أملك أية وسيلة لمعرفة ذلك . إن الأمر يبدو كما لو أن هيئة محلفين  
بلا وجوه قد التقت في كهوف العقل المظلمة المنعزلة ، واتخذت قرارها . ولقد  
اعتدت وإنما أن أخيل هذه المنطقة الغامضة الأرقعة مني ، على أنها تشبه ماء  
أسود ، عميقاً ، بلا أمواج ، منطقة تفريخ لا يبرز منها إلى السطح سوى بضعة  
أنماط فحسب . أو ربما كانت مثل مكتبة عظيمة تحتوي تسجيلاً لكل شيء  
حدث على وجه الإطلاق للكانن الحى منذ اللحظة الأولى التي بدأ فيها الحياة .  
وأظن أن بعض الناس أكثر دنوا إلى هذا المكان من الآخرين —  
كالشعراء مثلاً ، وذات مرة ، حينما كنت أعمل مبكراً وليس لدى منبه ،  
استخدمت وسيلة أرسل بها اشاره ثم أتلقى الرد عليها . ففي أثناء رفاذي على  
القراش ليلاً ، كنت أرى نفسى واقفاً على حافة الماء الأسود . وكنت أتصور  
حجرأ أبيض أمسك به في يدي ، حجرأ مستديراً . كنت أكتب على وجهه  
بمحروف حالكة السواد « الساعة الرابعة » ، وبعدئذ ألقى بالحجر وأرقبه وهو  
يفرق ، ثم يدور ويدور ، حتى يختفي . وأفلحت هذه الطريقة معي . ففي الرابعة  
بالثانية ، كنت استيقظ . واستطعت فيما بعد أن استعملها لإيقاظي في الرابعة  
إلا عشر دقائق أو في الرابعة والرابع . ولم تحب معي هذه الطريقة أبداً .

وكان يندفع إلى السطح حينئذ شيء غريب ، وأحياناً شيء مرعب وكان  
ثعبان بحر أو وحشاً بحرياً قد برز الأعماق الهائلة .

منذ عام مضى فحسب ، توفي دنيس شقيق ماري في بيتنا ، مات ميتة شنعاء  
بسبب مرض أصاب الغده الدرقيه وأرغم إفرازات الخوف على البقاء داخل  
جسده ، لدرجة أنه صار عنيفاً ، ومرعوباً ، وشرساً . وصار وجهه الأيرلندي  
العطوف الذي يشبه وجة حصان ، وجهاً وحشياً . وقد ساعدت في الإمساك به ،  
وتهديته ، وطمأنته خلال أحلامه بالموت . واستمر الحال أسبوعاً قبل أن تبدأ  
رئته في الامتلاء بالإفرازات . ولم اشأ أن تراه ماري وهو يموت . لم تكن قد  
رأت أبداً منظر الموت ، وكنت أعلم أن هذا المنظر الحالى ، قد يزيل ذكراها  
الخلوه عن رجل عطوف كان أخاها . وبمدئذ ، وأثناء جلوسى منتظراً بجوار  
فراشه ، سبح مسخ طافياً من مائى الأسود . وكرهته . وددت أن أقتله ، أن  
أقضم رقبتة بأسناني . وانقبضت عضلات فكى واعتقد أن شفتى تراجعتا إلى  
الخلف مثل ذئب على وشك القتل .

وحين انتهى الأمر ، وفى إحساس مريع بالذنب ، اعترفت بما كنت أحسه  
للطبيب العجوز بيل ، الذى وقع شهادة الوفاة .

قال : « لا أعتقد أن هذا أمر غير عادى . لقد رأيت على وجوه الناس ،  
ولكن قليلين منهم يصرحون به » .  
وسألته : « ما الذى يسببه ؟ »

أجاب : « لعلها ذكرى قديمة ، لعلها عود إلى زمن القبيلة حين كان الفرد  
المريض أو المصاب يعتبر خطراً . وبعض الحيوانات ومعظم الأسماك تمزق أخاه  
الضعيف وتأكله » .

« ولكنى لست حيوانا - ولا سمكة » .  
« كلا ، إنك لست كذلك . وربما كان ذلك هو السبب فى أنك  
تجد الأمر غريباً . ولكنه موجود . إنه جميعه موجود هناك » .  
إنه رجل طيب عجوز ، الطيب بيل ، رجل عجوز منك . لقد ولد نساء  
عائلتنا ، ودفن أمواتنا طيلة خمسين عاما .  
فلنعد إلى ذلك المؤتمر المنعقد فى الظلام - - لابد أنه كان يعمل بعد انتهاء  
الوقت المحدد له . أحيانا يبدو على امرى أنه يناقض نفسه لدرجة أن تقول :  
« لا يمكن أن يفعل ذلك . إن هذا مناف لشخصيته » . وربما لا يكون الأمر  
كذلك . ربما بدت صورته من زاوية أخرى ، أو ربما يكون الضغط فوقه  
وتحتة قد غير من صورته . وأنت ترى هذا كثيراً فى الحرب - جبان ينقلب  
بطلاً ، شجاع يرتعد فرقاً . أو تقرأ فى صحيفة صباحية عن رجل لطيف ، ورب  
عائلة عطوف ، يقطع رقبة زوجته وأطفاله ببلطة ، أعتقد أنى أو من بأن المرء  
يتغير طوال الوقت . ولكن هناك لحظات بعينها يصير التغير فيها ملحوظاً .  
ولو أردت أن أنقب بالعمق الكافى لاستطعت أن أتعقب فى الماضى مباشرة  
جذور تغيرى منذ ولادى بل وقبلها . فى الفترة الأخيرة بدأ كثير من الأشياء  
الصغيرة يشكل نمطاً لأشياء أكبر . وكأن الأحداث والخبرات كانت تتركزنى  
وتدفعنى بالمناكب فى اتجاه مضاد لاتجاهى العادى ، أو للاتجاه الذى توصلت إلى  
التفكير فى أنه عادى - اتجاه الموظف فى محل بقالة ، وفشله ، اتجاه الرجل  
المقيد بمسئوليات ملء بطون أفراد أسرته وكساء أجسادهم ، الرجل الذى حبس  
داخل قفص من العادات والتصرفات التى كنت أفكر فى أنها أخلاقية  
وقاضلة . وربما انتابنى نوع من الرضا عن النفس لكونى أصبحت ما أطلق عليه  
« رجلاً طيباً » .

وكنت أعرف بالتأكيد ماذا يدور حولي . لم يكن ماروللو في حاجة لأن يخبرني . فأنت لا يمكنك العيش في بلدة بحجم نيويابتون دون أن تعرف كل شيء . لم أفكر كثيراً في الأمر . لقد ثبت القاضي « دور كاس » ، ثمن تذاكر للمواصلات لقاء مجاملات . وحتى هذا لم يكن سراً . والمجاملات تتطلب المجاملات . والعمدة ، وهو أيضا مقاول لأعمال البناء في شركة « بد » لمواد البناء كان يبيع المعدات للبلدية بسعر مرتفع ، ولم تكن هناك حاجة إلى بعضها . فلو أن شارعاً مرصوفاً جديداً كان سيعد ، فعالباً ما يتبين أن المستر بيكر وماروللو ونصف دسته من قادة رجال الأعمال الآخرين قد اشتروا جميع الأراضي قبل أن يعلن تخطيط الشارع . كانت هذه مجرد حقائق عن الطبيعة ، ولكنني أو من دائماً أنها ليست حقائق طبيعية . كان ماروللو ومستري بيكر والوكيل المتجول ومارجي يانج هنت وجوى مورفي يدفعونني في تراحم ، وفجأة تحول دفعهم إلى دفعة قوية ، جعلتني أقول : « ينبغي أن أحتجز بعض الوقت لكي أتدبر الأمر . »

كانت عزيزتي تهر في نومها ، بابقسامتها الأثرية على شفقتها ، وقد بدأ عليها التائق الزائد المنبعث من الراحة والسلى .

كان لا بد أن ينتابني النعاس بعد تجوالي في الليلة السابقة ، ولكنني لم أكن كذلك . وقد لاحظت أنني نادراً ما أنعس إذا علمت أن باستطاعتي النوم طويلاً في الصباح . كانت البقع الحمراء تسبح أمام عيني ، وضوء الشارع يلقى ظلال أغصان شجرات الدردار الجرداء على السقف ، فشكلت أمهاداً بطيئة الحركة ومستقرة ، لأن ريح الربيع كانت تهب . كانت النافذة نصف مفتوحة ،



والستائر البيضاء تنتفخ وتمتلئ كأشعة فوق سطح مركب ألقى مراسيه . كانت ماري تصر على أن تكون ستائرها بيضاء نظيفة دائماً . وكانت تبعث فيها إحساساً بالركة والطمانينة . وهي تتظاهر بشيء من الغضب حين أقول لها إن سبب ذلك هو روحها الأيرلندية الموشاة بستائر الدانتيل .

كنت أحس أنني بخير وأنتى مشبع أيضاً ، ولكن حين تفوص ماري في لجنة النوم ، تنتفى لدى الرغبة في النوم . كنت أريد أن أستمر في التذوق الكامل للإحساس الطيب . كنت أريد أن أفكر في مسابقة مقال « أحب أمريكا » التي كان أولادى سيدخلونها . خلاف تلك الأشياء وغيرها ، كنت أريد أن أفكر فيما كان يحدث لى وماذا سأفعل فيه ، ولذا كان طبيعياً أن أستخرج آخر شيء لأضعه في المقدمة . ووجدت أن محافى الظلام السود قد اتخذوا قرارهم فعلاً بشأنى . كان هناك ، منشوراً ومؤكدأ . كان الأمر كأنه تدريب لسباق ثم استعداد ثم تجد نفسك أخيراً عند نقطة البدء وأنت على أهبة الاستعداد . لا خيار فى الأمر إذن . عليك أن تتحرك حين يطلق المسدس . ووجدتني مستعداً وعلى أهبة الاستعداد . ، وفى انتظار الطلقة فحسب . ومن الواضح أنتى كنت آخر من يعلم . كان جميع الناس الذين التقيت بهم فى يومى قد لاحظوا أنتى أبدو فى خير حال ، وكانوا بهذا يقصدون أنتى أبدو مختلفأ ، أكثر ثقة بالنفس ، ومتغيرأ . لقد كان يبدو على ذلك الوكيل المتجول أثر الصدمة عصر اليوم . ولقد تفحصنى ماروالو فى قلق . وأحس الفتى جوى بحاجته للاعتذار عن شيء فعلته . وبعد ذلك مارجى يانج هنت لعلها كانت أحدهم بصيرة فى حلها عن الحية ذات الأجراس . فلقد نفذت إلى أعماق بطريقة ما ، واكتشفت فى شيئاً مؤكداً

قبل أن أتأكد أنا منه . وكان الرمز حية ذات أجراس . ووجدت نفسى أبتسم فى الظلام . وبعده ، وفى اضطراب ، لجأت إلى أقدم حيلة — التهديد بالخيانة الزوجية ، طعم يلقى فى مد مناسب لمعرفة أى أنواع السمك يقتات هناك . لم أذكر النداء الخفى لجسدها المستتر — كلا ، كانت الصورة صورة يديها الخليليتين اللتين تبينان السن والعصبية ، وصورة القسوة التى تتأتى للمرء حين يفقد السيطرة على موقف ما .

أحياناً أرغب فى معرفة طبيعة الأفكار الليلية لأنها وثيقة الصلة بالأحلام . فتارة أستطيع توجيهها ، وتارة أخرى تجمح وتأتى مندفعة مثل خيل قوية لا يمكن التحكم فيها .

ودخل دانى تيلور الصورة . لم أرغب فى التفكير فيه والشعور بالحزن عليه ولكنه جاء إلى الصورة على أية حال . كان على أن أستعمل خدعة تعلمتها ذات مرة من شاويش عجوز صلب المراس ، وكانت تفلح . فى أثناء الحرب كان يحمل نهار ثم ليل ثم نهار وكلها تشكل قطعة واحدة . وحدة واحدة تدور كل أجزائها حول سائر الفضاءات القذرة التى قد تحدث فى تلك العملية المقرزة . وفى أثناء ذلك لم أكن موقناً أننى أعرف آلامها لأننى كنت مشغولاً ومنتعياً بدرجة لاتوصف ، ولكن مؤخراً عاودتنى تلك الوحدة من نهار ثم ليل ثم نهار ، ثم أخذت تعاودنى ثانية فى أفكارى الليلية ، حتى صارت بالنسبة لى مثل ذلك الهوس الذى يطلقون عليه اسم « التعب من المارك » والذى سموه ذات مرة صدمة القنابل . واستخدمت كل حيلة تسعها طاقتى كيلا أفكر فى تلك الوحدة ، ولكنها كانت تزحف عائدة على الرغم منى . كانت تنتظر النهار لىكي تهاجمنى بالليل . وذات مرة وأنا مقلوب المعدة من الويسكى حكيت

الأمر للباشجاويش الذي يعمل تحت إمرتي وهو رجل عجوز اشترك في حروب  
فسينا نحن إذا ما كانت قد حدثت على الإطلاق . ولو ارتدى أوسمته ، لما  
تبقى مكان لأزراره - مايك بولاسكي ، بولندي شيكاغو ، ولا علاقة له بالبطل  
الذي بهذا الاسم . ومن حسن الحظ ، أنه كان مخمورا بدرجة خفيفة ، وإلا فرما  
كان قد أغلق فمه خوفاً من تهمة مؤكدة وهي التأخر مع ضابط .

استمع مايك إلى ذاهلا ، وهو يحدق في نقطة بين عيني . وقال « أجل !  
أعرف هذه الحالة . والمشكلة هي ، أن المرء يحاول دفعها بعيداً عن ذهنه ثم لا يجدي  
ذلك . والذي ينبغي عليك عمله هو الترحيب بها » .

— « ماذا تقصد ، يامايك بها » .

— « فلتتناول الأمر بشيء من التطويل — لتبدأ من البداية ولتتذكر كل  
ما تستطيع ، حتى تصل مباشرة إلى النهاية . وكلما عاودتك أفعال ذلك أبدأ من  
البداية حتى النهاية مباشرة . وسرعان ما ستعجب من معاودتك فتزول أجزاء منها  
ولن يمضي كثير من الوقت قبل أن تزول كلها » .

وجربتها وأتت ثمارها . ولا أدري إذا ما كان مقلصو الرؤوس يعرفون هذا  
ولكن ينبغي عاينهم أن يعرفوه .

وحين جاء داني تيلور إلى مجال رؤيتي عاجلته بطريقة الشاويش مايك .

حينما كنا صبيدين معاً ، بنفس السن ، ونفس الحجم ، ونفس الوزن ،  
كانت عادتنا أن نذهب إلى مخزن الحبوب والعلف في شارع هاي ونعتلى  
الميزان . كنت أسبوعاً أكون أثقل من داني برطل ، وفي الأسبوع  
التالي كان داني يصل إلى وزني . وكانت عادتنا أن نصطاد السمك والطيور  
ونسبح معاً ونخرج في نزعات مع نفس الفتيات . وكانت عائلة داني في حالة

طيبة من الاستقرار مثل معظم العائلات القديمة في نيو بايتون . وبيت آل تيور هو ذلك البيت الأبيض ذو الأعمدة الطويلة المخططة والقائم بشارع بورلوك . وذات يوم كان آل تيور بيت ريفي أيضا — على مبعده حوالى ثلاثة أميال من المدينة .

الريف الذى حولنا كله تلال متدحرجة مغطاة بالأشجار ، بعضها من الصنوبر الوحشى ، وبعضها الآخر من النمو الثانى لأشجار البلوط ، وشجر الجوز الأمريكى وبعض شجر الشر بين . وذات يوم ، وقبل مولدى بزمن طويل ، كانت أشجار البلوط عملاقة ، كانت من الضخامة بحيث كانت تقطع منها قواعد السفن المصنوعة محليا ودعاماتها وأواحها الخشبية من على مسافة قصيرة من الترسانة حتى اختفت كل تلك الأشجار . وفى هذا الريف ذى المساحة الصغيرة الكثيفة كان آل تيور ذات يوم بيت مقام وسط مرجة كبيرة ، هى المسكان الوحيد المنبسط فى عدة أميال حولنا . ولا بد أنه كان ذات يوم قاع بحيرة لأنه كان منبسطة مثل منضدة ومحاطاً بتلال واطئة . وربما احترق بيت آل تيور منذ ستين عاماً مضت ، ولم يعد بناؤه ثانية . وحين كنا أطفالاً اعتدت أنا ودانى أن نركب الدراجات إلى هناك . كنا نلعب فى البدروم الحجرى ، وبنينا كوخ صيد من طوب الأساس القديم . ولا بد أن الحداثق كانت رائعة . فقد كان باستطاعتنا أن نرى طرقات على جانبيها الأشجار ، وما يشير إلى سياج نباتى مرسوم وحواجز ، بين الآثار المشوشة للغاية المتراجعة . وقد يوجد هنا أو هناك امتداد لسور حجرى ، وقد وجدنا ذات مرة تمثالاً نظيفاً للإله « بان » على حامل مخروطى الشكل . كان قد سقط على وجهه ودفن قرنيه وذقنه فى الأرض الرملية الرطبة . فأقنناه ونظفناه واحتفلنا به لبعض الوقت ، ولكن الشره والفتيات

استحوذا علينا . وفي النهاية نقلناه على عربة إلى فلود هامبتون وبعناه إلى تاجر عاديات بخمسة دولارات . ولا بد أنه كان قطعة جيدة ، بل ربما كان قطعة أثرية قديمة .

كنت أنا وداني صديقين مثلما ينبغي أن يكون لكل الصبية أصدقاء . وبعدئذ تم التحاقه بالأ كاديمية البحرية . ورأيتُه مرة واحدة بالزي الرسمي ولم أراه ثانية طيلة سنوات . ولقد كانت نيو بايتون ولا تزال بلدة ضيقة . صلات أهلها ببعضهم وثيقة . كان كل امرئ يعلم أن داني قد طرد ولم يناقش أحد الأمر . انقرض آل تيلور ، حسناً ، تماماً مثلما انقرض آل هولى . فإني الوحيد الذي تبقى منهم ، وكذلك طبعا آلان ، ولدى . ولم يعد داني إلا بعد أن ماتوا جميعا وعاد سكيراً . وحاولت في أول الأمر مساعدته ولكنه لم يكن يريدنى . لم يكن يريد أى شخص ولكن بالرغم من ذلك كنا واثقى الصلة - واثقى الصلة جداً .

نقبت في كل ما أستطيع تذكره ، إلى أن وصلت إلى ذلك الصباح حين أعطيته دولاراً لينسى له أن يجد مسكنه الموضعى .

كان تركيب تحولى ناجماً عن إحساس بضغط خارجية ، من رغبة مارى ورغبات آلان ، وحنق إيلين ، ومعونة المستر بيكر . وفي النهاية فحسب وحينما يصبح العمل مهيناً ومعداً ، يرسى الفكر السقف على البناء ويأتى بالكلمات للشرح والتبرير . فلنفترض أن وظيفتى للتواضعة التى لانتتهى لم تكن فضيلة وإنما كانت كسلاً أخلاقياً ! فأى نجاح ، يتطلب جرأة . وربما كنت مجرد جبان ، أخشى النتائج - وفي كلمة واحدة ، كسولاً . والنجاح العملى فى بلدتنا ليس معقداً أو غامضاً ، كما أنه ليس نجاحاً واسع المدى ، لأن من يمارسونه

قد وضعوا حدوداً مصطنعه لنشاطاتهم . فجرائمهم صغيرة وكذلك نجاحهم صغير .  
فلو حدث لك أن فحست بتعمق الحكومة المحلية وتعقيد العمل في نيويبايتون  
فسيتضح لك أن مائة قانون تشريعي وألف قاعدة أخلاقية قد كسرت ، ولكنها  
انتهاكات بسيطة — اختلاسات طفيفة . لقد ألغوا من حياتهم جزءاً من الوصايا  
العشر واحتفظوا بالباقي . وحينما يحصل أحد رجالنا الناجحين على ما يحتاج إليه  
أو يريد يماود انتحال فضيلته بمثل البساطة التي يغير بها قيمه ، وكما قد يتضح  
لكل إنسان ، فهو لا يؤدي على تقصيره ، مادام يأخذ على عاتقه ألا يمسك  
متلبساً . هل فكر أي منهم في هذا ، لا أدري . وإذا أمكن التجاوز عن الجرائم  
الصغيرة ، فلم لامع جريمة خاطفة ، عنيفة ، جريئة ؟ وهل القتل بوساطة الضفط  
البطيء ، الثابت أخف وطأة بأي شكل من الأشكال عن قتل سريع رحيم بطعنة  
سكين ؟ إنني لا أشعر بالاثم من أجل حياة من قضيت عليهم من الألمان .  
ولنفترض أنني لوقت محدد ألغيت كل القوانين ، وليس مجرد بعضها . ألا يصير  
ممكناً استعادتها جميعاً ، حالماً أتم التوصل إلى مقصدى ؟ ! مما لا شك فيه أن  
التجارة نوع من الحرب . لماذا ، إذن ، لا نجعلها حرباً شاملة سعياً وراء السلام ،  
إن مستريبيكر وأصدقائه لم يطلقوا على أبي الرصاص ، ولكنهم نصحوه وحينما  
انهار كيانه ، ورثوه . أليس ذلك نوعاً من القتل ، هل هناك أية ثروة واحدة  
مضخمة مما نعجب به ، جمعت دون قسوة قلب ؟ لا يستطيع التفكير أن يهديني إلى  
أية واحدة .

وإذا كان ينبغي على أن أضع القوانين جانباً بعض الوقت ، فأنا أعلم أنه  
ستصينني بعض الندبات . ولكن هل ستكون أسوأ من ندبات الفشل التي

أصابتنى ؟ كوز المرء حياً بأى شكل من الأشكال معناه أن يصاب بالندبات .

كان هذا التفكير كله هو دوارة الهواء على سقف بناء من القلق والضجر  
كان من الممكن أن يحدث لأنه قد حدث فعلاً . ولكن هل أستطيع إذا فتحت  
ذلك الباب . أن أغلقه ثانية بأية حال من الأحوال ؟ لم أكن أستطيع أن أعرف  
إلى أن أفتحه . . . . هل كان مستريبكر يعرف ؟ وهل حدث أن فكر  
فيه مستريبكر قط ؟ . . . . كان القبطان المعجوز يعتقد أن آل بيكر  
أحرقوا « البيلادير » من أجل التأمين . فهل يمكن أن يكون ذلك — متحالفاً  
مع سوء حظ أبي — هما السبب في رغبة مستريبكر في مساعدتى ؟ هل كانت  
تلك ندباته ؟

كان من الممكن وصف ما يحدث بأنه مثل سفينة ضخمة تجذبها وتخبطها  
وتدفعها وتسحبها قاطرات صغيرة عديدة . وحالما تستدير بفعل المد والقاطرات ،  
ينبغى عليها أن تتخذ طريقاً جديداً ثم تبدأ فى إدارة آلاتها . وعلى القنطرة  
التي هى مركز التخطيط ، فينبغى أن يطرح السؤال : « حسناً ، إننى أعرف الآن  
إلى أين أريد الذهاب . فكيف أذهب إلى هناك ، وأين توجد الصخور  
الكامنة ، وكيف سيكون حال الطقس ؟ »

وكنتم أعرف أن الكلام هو إحدى الشعب المهلكة . فكثيرون جداً  
يوشون بأنفسهم قبل أن يوشى بهم ، ويدفهم لذلك نوع من الجوع التواق إلى  
العظمة ، ولوحتى عظمة العقاب . إن بثر أندرسن هى محل الثقة الوحيد الذى  
يوثق به — بثر أندرسن .

ناديت على القبطان العجوز « هل أتخذ طريقى ، ياسيدى ؟ هل هو طريق  
جيد ؟ هل سيوصلنى إلى هناك ؟ »  
ولأول مرة أنكروا على قيادته : « سيكون عليك أن تنفذها بنفسك .  
وما هو خير بالنسبة لشخص يكون شراً بالنسبة لآخر ، ولن تعرف ذلك  
إلا فيما بعد » .

ربما كان الوغد العجوز قد ساعدنى حينذاك ، ولكن ربما لم تؤد مساعده  
إلى أى اختلاف . ما من أحد يريد النصيحة - وإنما التأيد فحسب .



## الفصل السابع

عندما استيقظت ، كانت ماري العجوز النائم قد استيقظت وغادرت فراشها ، وكان إعداد القهوة ولحم الخنزير يجري على قدم وساق . كنت أستطيع شم رائحتها . وما كان عليك أن تبحث عن يوم أفضل للقيامه ، يوم اختلط فيه اللون الأخضر والأزرق . ومن نافذة حجرة النوم كنت أستطيع أن أرى أن كل شيء قد بدأ يبعث — المشب ، والأشجار . لقد اختاروا لذلك العيد فصلاً مناسباً . وارتديت ( الروب دي شامبر ) الذي أرتديه في عيد الميلاد وخفي عيد ميلادي . ووجدت في الحمام بعضاً من دهان الشعر الذي يستعمله آلان ، فدهنت منه حتى أحسست أن فروة رأسي المشطبة التي سويتها بالفرشاة قد ضاقت على مثل قبعة .

وإفطار يوم الأحد الموافق لعيد القيامة هو خليط من البيض والفطير المقلي ، ولحم الخنزير الذي يلتف حول كل شيء . وتسالت إلى ماري وربت عليها . وقالت : « أوه . إني لم أسمعك وأنت قادم . » ونظرت إلى « الروب دي شامبر » المتقوس ، ثم قالت : « جميل ، أنت لا تلبسه كثيراً » .

— « لا وقت لدي ، لم يكن لدي الوقت » .

قالت : « حسناً ، إنه جميل » .

— « ينبغي أن يكون كذلك . فقد اخترته أنت . هل ينام الأطفال رغم

تلك الروائح الرائحة ؟ »

— « أوه ، كلا . إنهم بالخارج خلف البيت ، يلونون البيض . إني لأعجب ما الذى يريد مستر بيكر » . والقفزة السريعة فى الكلام لا تفشل أبدا فى إثارة ربكته . « مستر بيكر ، مستر بيكر . أوه . ربما يريد أن يساعدى على البدء فى تحقيق طالى » .

— « هل أخبرته ؟ عن موضوع الورق ؟ »

— « كلا ، بالطبع يا عزيزى . ولكن ربما يكون قد خمن » . ثم قلت بلهجة جادة . « اسمعى ، يا فطيرة الجبن ، أنت تعتقدين أننى أمتع بعقلية رجل أعمال عظيمة ، أليس كذلك ؟ »

— ماذا تعنى ؟ « كانت معها فطيرة لكي تقلبها ، وظلت الفطيرة مرفوعة .

— « يعتقد المستر بيكر أنه ينبغى على أن أستثمر ما أوصى لك به أخوك » .

— « حسنا ، إذا كان مستر بيكر — »

— « والآن انتظرى . أنا لا أريد فعل ذلك ، فتلك نقودك التى تكفل لك الأمن » .

— « ألا يعرف المستر بيكر عن تلك الأمور أكثر مما تعرف يا عزيزى ؟ »

— « لست متأكد . كل ما أعرفه أن أبى كان يعتقد أنه يعرف . وذلك هو السبب فى أننى أعمل لدى ماروللوا » .

— « لازلت أعتقد أن مستر بيكر — »

— « هل ستهددين برأى ، يا حبيبتي ؟ »

- « حسناً ، طبعاً ... » .
- « فى كل شىء ؟ »
- « هل بدأت سخفك » .
- « إننى جاد جداً - جداً » .
- « أعتقد أنك كذلك . ولكنك لا تستطيع أن تستمر فى الشك فى مسترييكر . لماذا ، إنه - إنه - » .
- « إنه المسترييكر . سنستمع إلى ما عليه أن بقوله ثم بعدئذ - إننى لا أزال أرغب فى إبقاء تلك النقود فى المصرف حيث هى » .
- اندفع آلان عبر الباب الخلفى كما لو كان قد قذف بذبلة . وقال : « ماروللو - المستر ماروللو بالخارج . إنه يريد رؤيتك » .
- وتساءلت ماري : « والآن ما الأمر ؟ »
- « حسناً ، ادعه للدخول » .
- « لقد فعلت ولكنه يريد رؤيتك بالخارج » .
- « إيثنان ، ما الأمر ؟ أنت لا تستطيع الخروج بروبك . إنه أحد عيد القيامة » .
- وقلت : « آلان ، عليك أن تخبر مستر ماروللو أننى لست مرتدياً ملابسى . قل له إنه يستطيع العودة فيما بعد . ولكن إذا كان فى عجلة من أمره ، فيمكنه أن يدخل من الباب الأمامى إذا كان يريد أن يرانى بمفردى . » وانطلق مسرعاً -
- « لا أعرف ماذا يريد . ربما يكون المحل قد سرق » .
- واندفع آلان عائداً . « إنه يستدير إلى واجهة البيت » .
- « والآن ، يا عزيزى ، لا تدعه يفسد عليك إفطارك ، أسمعنى ؟ »

مررت خلال البيت وفتحت الباب الأمامي ، كان مارو للو واقفا تحت السقيفة ، وهو يرتدى أحسن ملابسه حلة من الجوخ الأسود الناعم وسلسلة ساعة ذهبية ضخمة . كان يمسك قبعته السوداء بيده وابتسم لي في عصبية مثل كلب خرج عن نطاق بيته .

— « تفضل » .

قال : « كلا ، لدى كلمة واحدة فحسب أقولها ، لقد سمعت كيف قدم لك

ذلك الفتى رشوة » .

— « أجل ؟ »

— « وسمعت كيف طردته »

— « من أخبرك ؟ »

— « لا أستطيع أن أقول » . وابتسم مرة أخرى .

— « حسنا ، وماذا بشأن ذلك ؟ أنحاول أن تقول إنه كان ينبغي علي

أخذها ؟ »

خطا إلى الأمام وهز يدي ، رفعها وخفضها مرتين بطريقة رسمية . وقال :

« إنك فتى طيب » .

— « ربما لم يقدم عرضا كافيا » .

— « أتمرح ؟ أنت فتى طيب . هذا كل ما في الأمر إنك فتى طيب » .

حد يده إلى جيبه الجانبي المنتفخ وأخرج كيسا . « خذ هذا » . ربت علي كتفي

وبعدئذ استدار في حماة ارتبأ كه وانصرف هاربا ، كانت ساقاه القصيرتان تدفمانه

جعيدا ورقبته السمينة ملتبهة حيث تبرز فوق ياقته الصلبة البيضاء .

— « ما ذاك ؟ »

- نظرت داخل الكيس - بيض ملون من الحلوى لعيد القيامة . كان لدينا منه ملء برطمان زجاجى مربع كبير فى الحبل . وقلت : « لقد أتى بهدية للأطفال » .
- « ماروللو؟ أتى بهدية . لا أستطيع تصديق ذلك » .
- « حسناً ، ولكنه فعل »
- « لماذا؟ إنه لم يفعل شيئاً مثل ذلك من قبل أبداً » .
- « أعتقد أنه بصراحة ، يحبني » .
- « هل يوجد ثمة شيء لا أعرفه ؟ »
- « يا زهرتى الأليفة ، يوجد ثمانية ملايين شيء لا يعرفها واحد منا » .
- كان الطفلان إلى الداخل من الباب الخلفى المفتوح . ومددت الكيس إليهما .
- « هدية من معجب . لا تبدأ فى التهامها إلا بعد الإفطار » .

\* \* \*

- بينما كنا نرتدى ملابسنا استعداداً للذهاب للكنيسة ، قالت مارى : « أود أن أعرف ، لماذا كان كل ذلك » .
- « تقصدين ماروللو؟ على أن أعترف ، يا عزيزتى ، بأننى أود أن أعرف أنا أيضاً لماذا كان كل ذلك » .
- « ولكن كيساً من الحلوى الرخيصة » .
- « أتعتقدين أنها ربما كانت إمعاناً فى البساطة ؟ »
- « لا أفهم »
- « زوجته متوفاة . وليس له فرخ ولا ولد . وقد أخذ السن يتقدم به . ربما - حسناً ، ربما يحس بالوحشة » .
- « إنه لم يأت إلى هنا من قبل أبداً . وبما أنه يشعر بالوحشة فينبغى

عليك أن تطلب منه رفع مرتبك . عسى ألا يأتي لزيارة المستر بيكر ، فسيجعلني هذا عصبية .

لقد راعيت أناقتي مثل زهور الحقل فارتديت حلتى الغامقة الأنيقة ، حلة الجناز السوداء ، والقميص والياقة المنشين اللذين بلغا من البياض حداً جعلهما يلقىان بضوء الشمس ثمانية في وجهها والربطة الزرقاء السماوية ذات النقط الحريرية المنمقة .

هل كانت المسز مارجى يانج هنت تثير عواصف الأجداد ؟ من أين أتى مارولو بمعلوماته ؟ لا يمكن أن يكون المستر بجر قد حكي إلى المسز يانج هنت ، ثم حكته هي إلى المستر مارولو . إنني لا أثق بك يا مارجى يانج ، والسبب لا يمكنني التفوه به . ولكن هذا ما أعرفه ، ما أعرفه تماماً . إنني لا أثق بك يا مسز يانج . وبهذا الغناء المتردد في رأسي ، أخذت أنقب في الحديقة عن زهرة بيضاء أضعها في عروتي في عيد القيامة . في الزاوية التي صنعها التقاء أساس البيت مع باب البدروم المنحدر يوجد مكان مصان ، والتربة يدفئها الفرن وتعرض لكن شعاع صغير من شمس الشتاء . وهناك ينمو البنفسج الأبيض ، الذي جلب من الجبانة حيث ينمو برياً فوق قبور أسلافي . قطفت لعروتي ثلاث زهرات صغيرة شكلها كوجه الأسد ثم جمعت دسته من الزهور المستديرة لعزيتي ، ورتبت حولها أوراقها الشاحبة لتصير باقة ، ثم ربطتها جيداً بقطعة من سلك الألومينيوم من المطبخ .

قالت ماري : « يا لله ، إنها جذابة . انتظر حتى آتي بدبوس ، سوف أتزين بها » .

— « إنها أولى الزهرات — إنها التبشير الأولى ، يادجاجتي الحلوة . إنني  
عبدك . المسيح قام ، وعم الخير العالم » .

— « أرجوك ، لا تسخر من الأشياء المقدسة يا عزيزتي » .

— « يا لله ، ماذا فعلت بشعرك ! »

— « أيعجبك هكذا ؟ »

— « إنني أحبه هكذا . صفقيه دائماً بتلك الطريقة » .

— « لم أكن واثقة أنه سيعجبك . لقد قالت مارجي إنك لن تلاحظه

مطلقاً : انتظر حتى أخبرها أنك فعلت . » وضعت على رأسها تاجاً من الزهور «

هدية الربيع السنوية إلى عيد القيامة . أيعجبك ؟ »

— « إني أحبه » .

كان الصغيران يمران الآن بمرحلة الفحص ، فحص آذانهما ، وأنفيهما «

وتألق حدائيهما ، وكل دقائق هندامهما ، وكانا يقاومان كل لحظة من هذه

المرحلة . كان شعر آلان كثير الدهان إلى حد صعب عليه معه أن يطرف

بميينيه . وكان كعبا حدائيه غير ملمعين ولكنه وبعنايه فائقة كان قد سوى

خصلة من الشعر لكي تتأرجح فوق حاجبيه الهلالي مثل موجة صيف .

كانت إيلين فتاة الفتيات ، وكان كل ما يبدو منها منسقاً . جربت حظي

مرة أخرى وقلت : « إيلين ، لقد غيرت طريقة تصفيف شعرك ، ولكنها

تناسبك . ألا تعجبك يا عزيزتي ماري » .

وقالت ماري : « أوه . لقد بدأ الزهو يملكها » .

وشكلنا موكباً سار من ممرنا إلى شارع « الم » وبعدئذ اتجه يساراً إلى

بورلوك ، حيث توجد الكنيسة ، كنيسةنا العتيقة ذات الأبراج البيضاء ،

والتي سرق تصميمها بكامله من تصميمات كريستوفرورن . كنا جزءاً من مجرى متزايد ، وكانت كل امرأة في أثناء مرورها تبدى بهجتها بقبعات النساء الأخريات .

قلت : « قد صممت قبعة لعيد القيامة ، تاج بسيط أعلى الوجه من الشوك المصنوع من الذهب مع قطرات صغيرة من العقيق الحقيقي على الجبهة » .  
— « إيثنان . » قالتها ماري بحزم . « افترض أن شخصاً سمعك » .  
— « كلا ، لا أظنها يمكن أن تشيع . »

— « أعتقد أنك شنيع » . قالتها ماري ، وهذا ما كنته ، أسوأ من شنيع . ولكنني كنت أعجب كيف سيستجيب مستر بيكر للتعليق على شعره .

انضم نهر عائلتنا إلى السيالات الأخرى وتبادلنا تحيات فخمة ثم صار السيلان نهراً يصب في كنيسة سانت توماس الأسقفية ، وهي كنيسة متوسطة الارتفاع ، ربما أعلى قليلاً من الوسط .

حين يأتي الوقت الذي ينبغى علي فيه أن أعرف ابني بأمرار الحياة ، والتي لاشك في أنه يعرفها ، فينبغى علي أن أتذكر أن أقدم له معلومات عن الشعر فسيواصل إلى أبعد ما يرغب فيه قلبه الشهواني الصغير إذا تسلىح بكلمة رقيقة عن الشعر . وعلى أية حال ، ينبغى علي أن أحذره فبوسعه أن يرفسهن ، يضربهن ، يسقطهن ، يوشوشهن ، أو يضربهن بالأرض . ولكنني عليه ألا يهمل أبداً — أبداً — شعرهن وبهذه المعرفة يستطيع أن يكون ملكاً عليهن .

كان آل بيكر يصعدون الدرجات أمامنا مباشرة ، وتبادلنا تحيات منمقة :



« أعتقد أننا سنراكم على تناول الشاي » .

— « أجل ، حقا : عيد قيامة سعيد لكم » :

— « أيمن أن يكون ذلك الآن ! كم كبير ، وماري إيلين : حسناً ، لم

يعد بإمكانى التعرف عليهم وهم ينهون بهذه السرعة » ،

هناك شيء ماغال جداً بالنسبة لكنيسة ترعرعت فيها ، فأنا أعرف كل

ركن خفي ، وكل باب سرى في كنيسة سانت توماس ، ففي هذا الحوض عمدت

وعند ذلك الدرايزين وثق تعميدي ، وعلى ذلك المقعد جلس آل هولى مدة

يعلم الله مداها ، وليس ذلك مجرد كلام . فلا بد أن القداسة تركت

في نفسى أثراً عميقاً ، وذلك لأننى أتذكر كل تدنيس ، وقد كان يوجد

منه الكثير ، وأظننى أستطيع أن أبين كل مكان حفرت فيه الحروف الأولى

من اسمى بمسار ، وعند ما تقبت أنا ودانى تايلور أحرف كلمة مفردة قبيحة بدبوس

في كتاب الصلوات العامة ، أمسك بنا مستر هويلر وعوقبنا ، ولكنهم اضطروا

لفحص كل كتب الصلوات والتراتيل ليتأكدوا أنه لا يوجد المزيد .

وذاذ مرة ، في مكان المرتلين ذاك أسفل منبر قراءة الكتاب المقدس ،

حدثت شيء فظيع . كنت أرتدى الدانتيل وأحمل الصليب وأغنى بصوت كالثور

من طبقة السوبرانو . وحدث أن كان القس يقوم بالطقوس الدينية ، وهو رجل

عجوز لطيف ، بلا شعر ، ورأسه مثل بصلة مسلوقة ، ولكنه كان بالنسبة

لى يتألق بأشعة القدسية . كان الحال كذلك ، وأنا مأخوذ بالإلهام ، حين

وضعت الصليب في جرابه عند نهاية الاحتفال ، ونسيت أن أسقط المزلاج

النحاسى الذى يثبت بالداخل . وعند قراءة الدرس الثانى رأيت — وأنا مرعوب —

الصليب النحاسى الثقيل يتأرجح ، ثم يصدم تلك الرأس المقدسة الخالية من

الشعر . وتهاوى القس إلى أسفل مثل بقرة ضربت ببلطة . وفقدت الدانقيل لصبي لم يكن يستطيع الغناء بمثل جودتى ، صبي كان اسمه « سكنك فوت هيل » ، وهو الآن عالم فى تاريخ الأجناس البشرية ، فى مكان ما بالغرب . وبدأت الحادثة وكأنها تبرهن لى أن النوايا ، سواء كانت خيرة أو شريرة ، ليست كافية . فهناك حظ أو قدر أو شىء ما آخر ، يتم وقوع الحوادث .

جاسنا طيلة أداء الطقوس ، وسمعنا الأنباء تعلن أن المسيح قد قام فعلاً . وكالعادة جعل ذلك الرعدة تسرى فى عمودى الفقرى . وأخذت العشاء الربانى بقباب خالص . لم يكن تعميد آلان ومارى إيلين قد ثبت بعد ، وصارا فى غاية القلق وكان لابد من أن يريا النظرة الصلبة لىكى يتوقفا عن حركتهما . وحين تكون نظرات مارى عدائية ، فإنها تستطيع أن تخرق حتى درع للراهقة .

وبعدئذ وفى ضوء الشمس الغامر ، شددنا على الأيدى وحيننا ، ثم شددنا على الأيدى وتمنينا للفيف جيراننا أطيب التمنيات بحلول الربيع . وكل أولئك الذين تحدثنا إليهم وهم يدخلون ، أعدنا تحيتهم وهم يخرجون - استمرار للترتيل ، لالترتيل مستمر يأخذ شكل عادات سلوكية طيبة منمقة ، وتوسل هادىء يفرض ملاحظته واحترامه .

— « صباح الخير . وكيف حالك فى هذا اليوم البديع ؟ »

— « بخير تماماً ، شكراً لك . كيف حال والدتك ؟ »

— « العمر يتقدم بها - يتقدم بها - إنها آلام ومتاعب تقدم السن .

سأخبرها أنك سألت عنها » .

لا معنى للكلمات إلا فى مجال الإحساس . فهل يتصرف أى فرد نتيجة

للتفكير أم أن الإحساس هو الذى يستحث على القيام بالفعل ، وأحياناً ما يستحث التفكير على القيام به ، وفي مقدمة استعراضنا الصغير تحت الشمس سار مستر بيكر ، وهو يتجنب الخطوف فوق الحفر ، فأعاد إلى ذهني صورة والدته التى توفيت منذ عشرين عاماً ، والتي ظلت في مأمن من كسر ظهرها . أو السز بيكر ، واسمها إمليا ، فكانت تتعثر إلى جواره ، محاولة أن تتوافق مع خطوة الغير منتظم بمقدميها المترددين ، كانت امرأة ضئيلة تشبه طائراً متألّق العينين ، ولكنه طائر يتغذى على الحبوب .

سار ابني ، آلان بجوار أخته ، ولقد حاول كلاهما أن يعطى الانطباع بأنه غريب عن الآخر تماماً . أعتقد أنها تحقره وأنه يشمئز منها . وقد يستمر هذا طيلة حياتيهما ، ولكنهما قد يتعلمان إخفاءه في سحابة وردية من كلمات الحب . امنحيهما غداءها ، يا شقيقتي ، يا زوجتي - بيضها المسلوق جيداً والمخللات ، وشطائرهما المحشوة والبقول والزبد ، تفاحهما الأحمر الذى لا تزال تنبعث منه رائحة البرميل ، ثم أطلقيهما أحراراً في الدنيا لينجبا .

وكان ذلك ما فعلته . وسارا مبتعدين ، وهما يحملان كيسهما المصنوعين من الورق ، وكل واحد منهما إلى عالمه الخاص المفضل .

— « هل امتمتعت بالخدمة الدينية ، يا عزيزتي ؟ »

— « أوه ، أجل . إنى أستمتع بها دائماً . ولكن أنت - أحياناً ما أتعجب إذا كنت مؤمناً - كلا ، إنى أعنى ما أقول . حسناً ، إن ذكائك - أحياناً ما - »

— « ارفعى مقعدك ، يا عزيزتي الحلوة . »

— « ينبغي أن أتناول غذائي عليه . »

— « غذاء الأقدار » .

— « ذلك ما أعنيه . نكاتك » .

— « ليس الغذاء شيئاً مقدساً . ولو كان أكثر دفئاً لاستطعت أن أحملك إلى قارب بمجدافين ولا نطلق بعيداً عن حاجز الأمواج واصطدنا سمك البورجى » .

— « إننا ذاهبون إلى آل بيكر . هل تعرف إذا ما كنت تؤمن بالكنيسة أم لا ، يا إيثان ؟ لماذا تطلق على أسماء سخيفة ؟ إنك لا تكاد أبداً تستعمل اسمي » .

— « لأتلافى أن أكون متكرراً ومملاً ، ولكن اسمك يرز في قلبي مثل جرس . هل أومن ؟ ياله من سؤال . هل أستخلص من « مجمع نيقية » كل جملة البراقة ، المشحونة مثل رصاصة بندقية سريعة الطلقات ، ثم أتفحصها ؟ كلا . ليس هذا ضرورياً . إنه شيء فريد يمارى . فلو جف عقلي وروحي وجسدي من الإيمان جفاف حبة بقول ، فإن الكلمات ، « الرب راعي فلا يعوزني شيء » . في مراع خضر يربضني . « لازالت قلب معدتي رأساً على عقب وتحدث خفقة في صدري وناراً في عقلي » .

— « لا أفهم »

— « فتاة طيبة . ولا أنا . فلنقل إنه عندما كنت طفلاً صغيراً ، وكل عظامي لينة رخوة ، وضعت في صندوق أسقي صغير على شكل الصليب وهكذا اتخذت شكلي . وبعدئذ ، حين كسرت الصندوق وخرجت منه ، بنفس الطريقة التي يهرب بها الفروج من البيضة ، هل يكون غريباً أنني أكون بشكل الصليب ؟ ألم تلاحظي إطلاقاً أن الفراريج تكون بشكل البيضة بوجه عام ؟ »

- « إنك تقول مثل هذه الأشياء المرعبة ، حتى للأطفال . »
- « وهم يقولونها لى . فلقد سألتنى إيلين ، الاليلة الماضية فحسب ، «بابا ، متى سنصبح أغنياء ؟ »
- ولكنى لم أقل لها ما أعرفه ، وهو : « سنصير أغنياء سريعاً ، وأنت يامن تعاملت مع الفقر بشكل سيء ستتعاملين مع الغنى أيضا بشكل سيء . » وذلك صحيح . فهى فى الفقر حسودة . وفى الغنى قد تصبح وضيفة متعاطمة . فالنقود لاتغير الداء ، بل الأعراض فحسب . »
- « إنك تتكلم بهذا الشكل عن أطفالك فما الذى سيكون عليك أن تقوله عنى ؟ »
- « أقول إنك نعمة ، إنك غالية ، إنك الإشراقة فى حياة مليئة بالضباب . »
- « إنك تبدو مخموراً - على أية حال لست ثملاً . »
- « إننى كذلك . »
- « لست كذلك . وإلا لاستطعت أن أشم رائحتك » .
- « أنت تشمينها ، يا حبيبتى » .
- « ما الذى اعتراك ؟ » .
- « آه . أنت تعرفين ، أليس كذلك ؟ تحول - عاصفة ضخمة لعيفة من التحول ، وأنت تحسين بالأمواج القصية فحسب . »
- « إنك تقلقنى ، يا إيثان . إنك تقلقنى حقا ، ففك وحشية » .
- « أتذكرين أوسمى ؟ »
- « ميدالياتك التى نلتها فى الحرب ؟ »

— « لقد منحت جائزة للوحشية - للضياع . لم يكن هناك رجل على ظهر الأرض قط يحمل في قلبه قدراً من القتل أقل منى . ولكنهم صنعوا صندوقاً آخر وحشروني فيه . كانت الفترة ، اللحظة ، تتطلب أن أذبح مخلوقات بشرية وفعلت » .

— « كان ذلك زمن الحرب وفعلت ما فعلت من أجل بلدك »  
— « إنه دائماً نوع مامن الزمن . كم من وقت طويل تجنبت فيه زمني الخاص . كنت جندياً بارعاً لعينا ، ومن صنف سيء - ذكي وسريع ومجرد من الرحمة ، كنت وحدة ذات فعالية ، في زمن الحرب . وقد أستطيع أن أكون وحدة بنفس المقدرة في هذا الزمن » .

— « أنت تحاول أن تخبرني بشيء ما » .

— « من المحزن بما فيه الكفاية إنني أحاول . ووقع الكلام يرن في أذني كأنه اعتذار . وأتعشم ألا يكون » .

— « أنا ذاهبة لإعداد الغداء » .

— « لست جائعاً بعد إفطار عيد القيامة ذلك » .

— حسناً ، باستطاعتك أن تأكل شيئاً ما . هل رأيت قبعة مسز بيكر ؟

لابد أن تكون قد أتت بها من نيويورك » .

— « ما الذي فعلته بشعرها » .

— « هل لاحظت ذلك ؟ إنه بلون الشليك تقريباً » .

— حتى يكون ، ( نور إعلان للأمم )

— « ولم ترد مارجي الذهاب إلى مونتوك في هذا الوقت من العام » .

— « إنها تحب الصباح المبكر » .

- « إنها ليست ممن يبكرن في الاستيقاظ . وأنا أمزح معها بشأن ذلك .  
ولكن ألا تظن أن إحضار مارللو لخلوى البيض أمر غريب » .
- « أتربطين بين الحادثين ، استيقاظ مارجى المبكر وإحضار  
ماروللو للبيض » .
- « لاتكن سخيلاً » .
- « لست كذلك ، ولمرة واحدة لست كذلك . إذا بحثت بك بسر ، فهل  
تعددين بعدم البوح به » ؟
- « إنها نكتة » .
- « كلا » .
- « حسناً ، أعدك » .
- « أعتقد أن ماروللو ينوى القيام برحلة إلى إيطاليا » .
- « وكيف تعرف ؟ هل أخبرك » .
- « ليس تماماً . إننى أرتب الأشياء مع بعضها ، أربطها ببعضها » .
- « ولكن ذلك يعنى أنه سيتحرك وحدك في المحل . سيكون عليك  
أن تجد شخصاً مالىساعدك » .
- « أستطيع معالجة الأمر » .
- « إنك تقوم الآن بكل شيء من الناحية . سيكون عليك أن تجد شخصاً  
مالىساعدك » .
- « تذكرى - إن الأمر ليس مؤكداً وأنه سر » .
- « أوه ، إننى لا أنسى وعداً مطلقاً » .

— « ولكنك قد تلمحين إليه » .  
— « لن أفعل ، يا إيشان » .  
— « أتعلمين من تكونين ؟ أرنب صغير عزيز توج رأسه بالزهور »  
— « فلتتناول ماتشاء من طعام في المطبخ . إننى ذاهبة لأغتسل » .  
حينما ذهبت ، تمددت فى مقعدى وسمعت فى أذنى الخفيتين : « الآن تطلق  
عبدك ياسيدى حسب قولك بسلام » . وملعون أنا إذا لم أستغرق فى النوم .  
سقطت على صخرة عالية إلى جوف الظلام ، هناك مباشرة فى غرفة الجلوس ، وأنا  
لأفعل ذلك عادة . ولأننى كنت أفكر فى داني تيلور فقد حامت بدانى تيلور  
لم نكن صغيرين ولا عظيمين بل مكتملى النمو ، وكنا فى قاع البحيرة المسطح  
الجاف ومعنا أساس المنزل العتيق وفتحه البدروم . كان الوقت بداية الصيف ،  
لأننى أبديت ملاحظة بشأن امتلاء أوراق الشجر وكان العشب من الثقل بحيث  
كان ينثنى تحت ثقله ، إياه ذلك النوع من الأيام الذى يجعلك تشعر بالسمنة والحماقة  
أيضاً . ومضى داني خلف شجرة « دفران » فتياً منتصباً ورشيقاً كأنه عمود .  
وسمعت صوته ، مشوهاً وغليظاً مثل كلمات ينطق بها تحت ماء وبعدئذ صوت  
معه وكان هو يذوب ويسيل منحدرًا فوق إطار جسده . وحاولت براحتى أن ألمه  
برقة إلى أعلى ، إلى مكانه مرة أخرى ، بالطريقة التى تحاول بها أن تلم إسمنتاً لزجاً  
حين ينساب من القالب ، ولأننى لم أستطع . كان جوهره ينساب بين أصابعى .  
وهم يقولون إن الحلم لحظة . ولكن هذا الحلم أخذ يستمر ويستمر وكلما زادت محاولتى  
زاد ذوبانه .

حين أيقظتنى مارى كنت ألهث من الجهود .



قالت : «إنهاجمي الربيع ، تلك أولى بوادرها . حين كنت فتاة في طور النمو كنت أنام كثيراً جداً ، حتى أرسلت أمي في طلب الدكتور جرادي . كانت تظني مريضة بمرض النوم ، كل مافي الأمر أنني كنت أنمو في فصل الربيع » .  
— « لقد اعتراني كابوس نهاري . لأأتمنى لأحد أن يرى حلماً مثل ذلك » .

— « سبب هذا كل مايحيط بك من اضطراب . اصعد ومشط شعرك واغسل وجهك : إنك تبدو متعباً ، ياعزيزي . هل أنت بخير ؟ لقد حان تقريباً وقت ذهابنا . لقد نمت ساعتين : لا بد أنك كنت تحتاجها : ليتني أعرف ما الذي يدور بخلد مستر بيكر » .

— « ستعرفين ، ياعزيزتي . عديني أنك ستنصتين لكل كلمة » :  
— « ولكنه قد يود الكلام معك على انفراد . فرجال الأعمال لا يحبون أن تنصت إليهم السيدات » .

— « حسناً ، إنه لا يستطيع أن يتناول الأمر هكذا . فأنا أريدك معي » .  
— « أنت تعرف أنه لاخبرة لي بالأعمال » .

— « أعرف — ولكن نقودك هي ماسوف يتحدث عنه » .  
لاستطيع أن تعرف أناساً مثل آل بيكر إلا إذا ولدت وأنت تعرفهم .  
فالعلاقة ، بل حتى الصداقة ، شيء مختلف . وانا اعرفهم لأن آل هولبي وآل بيكر كانوا متشابهين في الدم ، ومنبت الأصل ، والتجربة ، وثروة الماضي . وهذا يوجد نواة مسورة ومحفورة حولها خندق ضد الدخلاء . وحين فقد والدي نقوده ، لم أنبذ تماماً . ولا زال آل بيكر يتقبلونني كفرد من آل هولبي ربما طيلة حياتي لأنهم يحسون بأنني قريب لهم . ولكنني قريب فقير : والنبالة دون

حال تقل تدريجياً ولن تظل نبالة . ودون نقود، لن يعرف آلان، ولدى، آل بيكر وسيكون ابنه غريباً عليهم ، دون أن يهتم اسمه أو أسلافه . لقد صرنا أصحاب ضياع بلا أرض ، وقادة بلا فيالق ، وخيالة نسير على الأقدام . ولا نستطيع أن نبقى أحياء ، وربما كان ذلك أحد الأسباب في التحول الذي أخذ يحتل مكانه في نفسى ، إننى لا أريد النقود ، ولم أرد لها ابداً ، من أجل ذاتها ، ولكن النقود ضرورية لأحتفظ بمكانى في مرتبة اعتدتها واسترحت إليها ، ولا بد أن هذا كله كان يعمل في المكان المظلم الكائن أسفل مستوى تفكيرى ، وهو لم يبرز كفكرة بل كاعتقاد .

قالت مسز بيكر : « طاب أصيلكم ، إنى فى منتهى السعادة لأنكم تمكنتم من الحضور ، لقد أهملتمونا، يامارى، ألم يكن يوماً رائعاً ؛ هل استمتعت بالقداس . اما فيما يتعلق بالقس فإننى أعتقد أنه رجل ممتع جداً » .

وقال المستر بيكر : « نحن لانكاد نراك بما فيه الكفاية ، وإننى لأتذكر جدك وهو جالس فى نفس ذاك المقعد ، يحكى أن الأسبانيين القذرين قد أغرقوا السفينة « مين » ، وانسكب منه الشاى ، ولكنه لم يكن شاياً فحسب ، كان القبطان هولى العجوز معتاداً أن يخلط الروم بقليل من الشاى . كان رجلاً عنيفاً ، وكان البعض يعتقدون أنه رجل مشاكس » .

كنت أستطيع أن أرى أن مارى بهتت أول الأمر ، ثم تملكها السرور بعدئذ من حرارة اللقاء . كانت لا تدرى طبعاً أننى قد رقيتها بجملها وارثة . وصيت امتلاك النقود غالباً ما يكون مثار حديث كالنقود نفسها .

أما المسز بيكر ، ورأسها تهتز فى شىء من الإضطراب العصبى ، فكانت تصب الشاى فى فناجين رقيقة وهشة مثل براعم زهرة المانوليا ، وكانت يدها

الجزء الوحيد الثابت من جسمها .

كان المستر بيكر يقلب بملعقة متأمله ، وقال : « لا أدري ما إذا كنت أحب الشاي أم الاحتفال المصاحب له . إننى أحب كل الاحتفالات - حتى الحفء منها » .

وقلت : « أحسبني أفهم . لأننى أحسست هذا الصباح بالراحة فى أثناء أداء الطقوس لأنه لم تكن بهامفاجآت . كنت أعرف الكلمات قبل أن ينطق بها » .

— « فى أثناء الحرب ، ياليثان - استمعن إلى هذا ايها السيدات ، لترين إذا ما كنتن تستطيعين تذكر أى شىء يشبهه - أثناء الحرب كنت اعمل كمستشار لوزير الحرب . وأمضيت بعض الوقت فى واشنطنجتون » .  
— « كنت أمقتها . » قالتها مسز بيكر .

— « حسنا ، كان ثمة حفل شاي حربى ضخيم ، حفل حقيقى ، فيه ما يقرب من خمسمائة ضيف كانت سيدة الحفل الأولى زوجة جنرال بنجوس نجوم والثالية لها فى الأهمية زوجة لفتنانت جنرال . وطلبت زوجة الوزير ، وهى المضيفة ، من السيدة زوجة الجنرال ذى النجوم الخمس أن تصب الشاي ومن زوجة ذى النجوم الثلاث ان تصب القهوة . حسنا ، رفضت السيدة ذات المركز العالى لأن ، وأنا أستخدم كلماتها : « كل واحد يعلم أن القهوة أعلى مرتبة من الشاي » . والآن ، هل سمعتم مثل ذلك قط ؟ » وضحك . « وعندما إنتهى الحفل ، كان الويسكى أعلى مرتبة من أى شخص » .

وقالت مسز بيكر : « كان مكاناً لا استقرار فيه . وكان الناس يرحلون قبل أن يتوفر لديهم الوقت ليلموا بمجموعة من العادات أو الأخلاق » .

وقصت مارى حكايتها عن شاي إيرلندى فى بوسطن كان يعمل بغليه فى  
الماء فى أوعية مستديرة فوق نار مكشوفة ويقدم من مغارف من الصفيح .  
وقالت . « وكانوا لا ينعمون الشاى ، بل يغلونه . ومثل ذلك الشاى قد يزيل  
طلاء منضدة » .

لابد أنه توجد بوادر شعائرية فى مناقشة جادة أو عمل ، وكلما زادت حدة  
الموضوع ، كلما انبغى أن يزيد الفناء طولاً ومرحاً . إذ يجب على كل شخص أن  
يضيف إلى اللوحة قطعة من ريش أو قطعة ملونة . فلو لم تكن مارى ومسز بيكر  
جزءاً من الموضوع الجاد ، لكائنا قد حددنا منذ مدة طويلة نمطهما الخاص  
لتبادل الحديث . كان مسز بيكر قد صب ببييد فوق تربة الحادثة وكذلك فعلت  
عزيزتى مارى ، وقد كانت مبتهجة ومنفعلة لإثارة انتباههما . وبقى على مسز  
بيكر وعلى أن ندلى بنصيبتنا ، وشعرت أن الكياسة فحسب تقضى أن أكون  
الأخير .

أخذت دورها واشتقت منبع حديثها من إناء الشاى مثلما فعل الآخرون .  
« أذكر الوقت الذى كانت توجد فيه عشرات الأنواع من الشاى ، « ومهدت  
لحديثها مبتهجة : « أجل كان لكل امرئ صفات لكل شىء تقريباً . وأعتقد  
أنه لم يكن هناك عشب أو ورقة شجر أو زهرة لم يصنع منها نوع ما من الشاى .  
أما الآن فيوجد نوعان فحسب ، الهندى والصينى ، ولا يوجد الكثير من  
الصينى . أتذكرون حشيشة الدود والبابونج وأوراق البرتقال وأزهاره - ثم  
شراب الكامبرك ؟ » رسأت مارى : « ماهو الكامبرك ؟ »

— « مقادير متساوية من الماء الساخن واللبن الساخن . ويجهب الأطفال .  
وليس له طعم الماء واللبن . » كانت تلك قصة مسز بيكر .

وجاء دورى ، وقصدت أن أبدى بضعة ملاحظات حريصة لامعنى لها بشأن حفل شاي بوسطن ، ولكنك لا تستطيع دائماً أن تفعل ماتقصده ، فالنفاجات تفلت دون إذن .

سمعت نفسى أقول : « لقد ذهبت للنوم بعد القداس ، وحملت بدانى تيلور حليماً فظيماً . أنتم تذكرون داني »

وقال مستر بيكر : « ياله من شاب مسكين » .

— « لقد كنا ذات يوم أقرب من الاخوة . ولم يكن لى أخ . وأظننا كنا أخين بصورة من الصور . إننى أحس أنه ينبغى على أن أكون حارساً لأخى داني ، رغم أننى لا أنفذ ذلك طبعاً » . انزعجت ماري منى لكسرى مجرى المحادثة . واقتصت قصاصاً صغيراً : « إن إيثان يعطيه نقوداً . ولا أعتقد أن هذا صواب . فهو لا يستغلها إلا فى الشراب » .

وقال مستر بيكر : « حسناً ! »

— « إنى لأعجب - على أية حال لقد كان الحلم كابوس ظهيرة . إننى أعطيه القليل جداً - دولاراً بين الحين والآخر . و، ذا يستطيع أن يفعل بدولار سوى أن يسكر ؟ ربما يستطيع بمبلغ محترم أن يحسن حاله »  
وصاحت ماري : « لا يجرؤ أحد على فعل ذلك . سيكون ذلك بمثابة قتله . أليس الأمر كذلك يا مستر بيكر ؟ »

وقال مستر بيكر : « يا للشباب المسكين . لقد كانت عائلة تيلور عائلة محترمة .

ومما يؤلمنى أن أراه على هذه الحالة . ولكن ماري على صواب . فيحتمل أنه قد يشرب حتى الموت . »

— « إنه يفعل ذلك على أية حال . ولكنه فى مأمن منى . فليس لدى

المبلغ المحترم لأعطيه له .

وقال مستر بيكر : « إن الأمر أمر مبدأ . »

ساهمت مسز بيكر بوحشية نساوية : « ينبغي أن يكون في إصلاحية حيث يمكنهم أن يرعوه » وتضايق ثلاثتهم جميعا منى ، إذ كان ينبغي على أن أظل في موضوع حفل شاي بوسطن . غريب كيف أن العقل يأخذ في المرح ، ولعب لعبة « الكيكا » أو « نغز ذيل الحمار » ، حينما يكون عليه أن يستخدم كل ملاحظة ، لكي يجد طريقاً خلال حقل الألفام الذي يتكون من خطط سرية وعقبات . كنت أفهم منزل بيكر ومنزل هولى ، الجدران المعقمة والستائر ، ونباتات الجناز المطاطية التي لاعلاقة بينها وبين الشمس ، الصور النصفية والمطبوعة ، وذكريات أزمنة أخرى مصنوعة من نغار ومحار ، ومن أقمشة وخشب تربطها بالواقع وبالديمومة . المقاعد تتغير مع مقتضيات الموضة والراحة ولكن الصناديق والمناضد وأرفف الكتب ومناضد الكتابة تنتهى إلى ماض جامد . لقد كان اسم هولى يعنى أكثر من عائلة . كان بيتاً . وكان ذلك هو السبب في تعلق داني للمسكين بمرجة تيلور . فبدونها ، سيكون بلا عائلة - وسرعان ما سيكون بلا اسم أيضا . فمن نعمة الحديث وإيقاعه وعن رغبة ، لعى الثلاثة الجالسون هناك اسم تيلور . وربما كان الأمر أن بعض الرجال يتطلبون بيتاً وتاريخاً ليطمئنوا أنفسهم أنهم موجودون - إنها صلة واهية ، في أغلب الحالات . ففي المحل كنت أمثل الفشل والموظف ، وفي بيتي كنت أسمى هولى ، وهكذا لا بد أن أكون أنا الآخر غير واثق من وجود اسمى . كان بيكر يستطيع أن يمد يد المعونة لهولى . ولولا بيتى ، لكنت قد ألقيت أنا الآخر . لم يكن الأمر أمر رجل لرجل ، بل بيت لبيت . لقد قاومت إزاحة داني تيلور من الواقع ، ولكنى لم أكن أستطيع أن واقف الأمر .

وقد شحذت هذه الفكرة ذهني وقومته . كان بيكر سيحاول إعادة صقل علاقته  
بآل هولي ، لكي يشارك في ميراث ماري الموهوم . كنت آلان على حافة حقل  
الألغام . وقسى قلبي على محسنى الكريم . وأحسست به يقسو ويتزايد ضرره  
وخطورته . وبتوجيه من عقلي جاءني الإحساس بالمعركة ، وبقوانين الوحشية  
المتحكمة فيها ، والقانون الأول هو : دع حتى دفاعك يأخذ مظهر الهجوم .

قلت : « مستر بيكر ، نحن لا نحتاج إلى استعراض الماضي . فأنت تعرف خيراً  
منى الوسيلة البطيئة المتقنة التي فقد بها أبي ثروة آل هولي . لقد كنت متغيباً في  
الحرب . فكيف حدث الأمر ؟ »

— « لم يكن هذا مقصده ، ولكن حكمه . — »

— « أعرف أنه لم يكن رجل دنيا . ولكن كيف حدث الأمر ؟ »

— « حسنًا ، كانت الفترة هي فترة الاستثمارات التهورية . وقد استثمرت

ماله بتهور . »

— « هل قدمت إليه أية نصيحة ؟ »

« لقد وضع ثروته في أسلحة كان استعمالها قد بطل فعلاً . وبعدئذ حينما

ألقيت العقود ، خسر . »

— « أنت كنت في واشنطنجتون . فهل كنت تعلم بأمر العقود ؟ »

— « بشكل عام فحسب . »

— « ولكنه كان كافياً لكيلا تستثمر أموالك . »

— « كلا ، لم أستثمرها . »

— « هل نصحت والدي بشأن الاستثمارات ؟ »

— « كنت في واشنطنجتون . »

— « ولكنك كنت تعلم أنه استدان النقود بضمان ممتلكات آل هولى،

النقود التي سيستثمرها ؟ »

— « أجل ، كنت أعلم ذلك . »

— « هل نصحته بعكس ذلك ؟ »

— « كنت فى واشنجتون . »

— « و لكن مصرفك قام بالحجز »

— « ليس لمصرف أى خيار ، يا إيثان . أنت تعرف ذلك . »

— « أجل ، أعرف . إن المخجل فقط هو أنك لم تستطع نصحه . »

— « ينبغي ألا تلومه ، يا إيثان »

— « آ لان بما أننى افهم الأمر ، فإننى لألومه . وانا لم اقصد لومه ، و لكنى

لم أكن أعرف أبداً ما حدث بالضبط . »

أظن أن مستر بيكر كان قد أعد افتتاحية . وبما أنه فقد فرصته ، فقد كان

عليه ان يتلمس حواليه للحركة التالية . سعل ، وتمخض ثم مسح أنفه بمنديل من

الورق من رزمة جيب مبططة ، ومسح عينيه بورقة ثانية ، ولمع نظارته بثالثة .

ولكل شخص طريقته الخاصة لكسب الوقت ، وأعرف رجلاً يستغرق خمس

دقائق ليعبىء غليونه ويشعله .

حين استعد ثانية ، قلت : « أعلم أنه ليس لى أى حق بينى وبين نفسى فى

أن أسألك المساعدة . ولكنك أنت نفسك استرجعت شركة عائلتنا الطويلة . »

قال : « أناس طيبون . وغالباً ما كانوا رجالاً ذوى تقدير ممتاز ، ومحافظين . »

— « ولكنهم لم يكونوا عشوائين أيضاً ، يا سيدى . أعتقد أنهم كانوا

إذا استقر رأيهم على طريق ما ، فإنهم كانوا يسرون فيه . »



- « هذا ما كانوا يفعلون . »
- « حتى ولو أدى إلى إغراق عدو - أو إحراق سفينة ؟ »
- « كانوا مفوضين لفعل ذلك طبعاً . »
- « أعتقد ياسيدى ، أنه في عام ١٨٠١ ، كانوا يسألون عما يشكل عدواً بالنسبة لهم . »
- « دائماً ما يعاد تعديل بعض الاصطلاحات عقب حرب . »
- « بالتأكيد . ولكنى لن أتعرض في حديثى للموضوعات القديمة . بصراحة ، يامستر بيكر ، إننى أريد أن أسترد مركزى المالى . »
- « تلك هى الروح المعنوية ، ياإيثان . لقد اعتقدت لبعض الوقت أنك فقدت لمسة هولى العجوز . »
- « لقد فقدتها أو ربما لم أتمها . لقد عرضت للمساعدة ، فمن أين أبدأ ؟ »
- « المشكلة هى ، أنك تحتاج رأس مال تبدأ به . »
- « أعرف ذلك . ولكن لو كان لدى بعض رأس المال ، فمن أين سأبدأ ؟ »
- وقال : « لا بد أن يكون هذا الحديث مملاً بالنسبة للسيدات - ربما كان علينا أن نذهب إلى المكتبة . فالعمل شئ كئيب بالنسبة للسيدات . »
- نهضت مسز بيكر : « لقد كنت على وشك أن أسأل مارى مساعدتى فى إنتقاء بعض ورق الحائط للمخدع الكبير . العينات فى الطابق العلوى ، يا مارى . »
- « أود أن تسمع مارى - »

ولكنها وافقتهما ، مثلما عرفت أنها ستفعل .  
قالت : « لئلا أعرف شيئاً في الأعمال ، بولكنى أعرف في ورق الحائط . »

— « ولكن الأمر يخصك ، يا عزيزتى . »

— « إن الأمر يختلط على ، يا إيثان . أنت تعلم أن كذلك . »

— « ربما يختلط الأمر على أكثر بدونك ، يا عزيزتى . »

يحتفل أن يكون مستر بيكر هو الذى اقترح حكاية ورق الحائط . وأعتقد

أن تزوجته لتختار الورق . فمن المؤكد أنه ما من امرأة اختارت الورق المصمم ذا  
الأشكال الهندسية لهجرة ، التى كنا مجلس فيها .

« وبعد أن انصرفنا ، قال : « إذن ، مشكلتك هى رأس المال ، يا إيثان ،

إن منزلك خال من الرهونات . تستطيع أن ترهنه . »

— « لن أفعل ذلك . »

— « حسناً . أستطيع أن أحترم ذلك ، ولكن هذا هو الرهن الوحيد

الذى تملكه . هناك أيضاً نقود ماري . إنها ليست كثيرة ، ولكنك ببعض

النقود تستطيع أن تحصل على مزيد من النقود . »

— « لا أريد أن أمس نقودها . فملك هى ضمانها . »

— « إنها مودعة فى الحساب الجامد وهى لا ترح شيئاً . »

— « فلتقل إننى تغلبت على حبرتى ، فما الذى يدور فى ذهنك ؟ »

— « هل لديك أية فكرة عن قيمة ميراث أمها ؟ »

— « كلاً . ولكن يبدو وافرأ . »

نظف نظارته بعناية فائقة . « ماسأقوله مرتبط بأن يظل سرّاً . »

— « طبعاً . »

— « من حسن الحظ أنني أعلم أنك لست ثرثاراً . وكذلك لم يكن أي فرد من آل هولى ، ربما باستثناء والدك . وآلان ، إننى أعرف كرجل أعمال أن نيوباتيون توشك أن تنمو . ففيها كل مقومات النمو - ميناء ، شواطئ ، استحمام ، مياه جوفية . وإذا حدث أن بدأت نموها ، فلن يستطيع شيء أن يوقفها . وإن رجل أعمال طيب ليكون مديناً لهذه البلدة بمساعدتها على التطور » .

— « والحصول على مكسب » .

— « طبعاً » .

— « ولماذا ؟ ألم تم حتى الآن ؟ »

— « أعتقد أنك تعرف سبب ذلك - الرجعيون الذين فى المجلس . إياهم

يعيشون فى الماضى . وهم يعوقون التقدم » .

دائماً ما كان يثير شغفى أن أسمع كيف يمكن أن يرتبط الحصول على ربح بحب البشرية . فلوجدنا المستر بيكر من نظرة التطلع إلى الأمام وثوب العمل لخير المجموع ، فإنه كان بالضبط ما اعتاد أن يكون . فهو وأقلية أخرى ، أقلية صغيرة جداً ، سوف يساندون إدارات البلدة الحالية حتى يشتروا ويسيطروا على كل التسهيلات فى المستقبل . وبعدها سوف يقبلون المجلس والعمدة ويتركون التقدم يسيطر ، وأتذكر فحسب سيتكشف أنهم كانوا يمتلكون كل منفذ يمكن للتقدم أن يأتى عن طريقه . ومن باب العاطفة الخضة ، رغب فى اشتراكى معهم نظير نصيب ضئيل . ولا أدرى ما إذا كان قد قصد أن يدعى أعرف جدول الأعمال ، أو أن حماسه تغلب عليه ، ولكن الأمر جاء عن طريق التعميمات . فانتخابات البلدة تجرى فى السابع من يوليو . وعندما يحين ذلك الوقت ينبغى

على الجماعة المتطلعة إلى المستقبل أن تكون قد أمسكت بعجلة التقدم تحت سيطرتها .

أعتقد أنه لا يوجد ثمة رجل في العالم لا يجب أن يقدر النصيحة . وكما أصرت على إبداء بعض الملل زادت حمية أستاذي وتحديدته للأمر .

قلت : « سيكون على أن أفكر في الموضوع ، ياسيدي . إن ما يبدو سهلاً بالنسبة لك هو شيء غامض بالنسبة لي . وسيكون على طبعاً أن أناقش الأمر مع ماري » .

فقال : « وذلك ممكن خطئك ، فلقد تزايد تدخل النساء كثيراً جداً في الأعمال هذه الأيام » .

— « ولكنه ميراثها »

— « أفضل ما تستطيع أن تفعله من أجلها هو أن تجمع لها بعض النقود ك مفاجأة . فهن يفضلنه هكذا » .

— « أتعشم ألا أبدو في نظرك ناكراً للجميل ، يامستر بيكر . فإني أفكر ببطء وسأمعن التفكير في الموضوع فحسب . هل سمعت أن ماروللو ذاهب إلى إيطاليا ؟ »

وصارت نظراته حادة « خيراً ؟ »

— « كلا ، مجرد زيارة » .

— « حسناً ، أتمنى أن يهيئ تديراً ما لحمايتك في حالة إذا ما حدث له

شيء ما . إنه لم يعد شاباً . هل كتب وصيته ؟ »

— « لا أدري » .

— « لو جاءت شردمة من أقاربه المهاجرين ، فربما تجد نفسك بدون وظيفة » .

وسكنت إلى غموض وقأى ، وقلت : « لقد قدمت لى أشياء كثيرة لأفكر فيها . ولكننى أتساءل إذا ما كان فى استطاعتك أن تقدم لى فكرة مبسطة عن موعد بدء العملية » .

— « أستطيع أن أقول لك هذا : النمو يعتمد إلى حد كبير جداً على المواصلات » .

— « حسناً ، ولكن طرق المواصلات الكبيرة أخذت تمتد إلى خارج البلدة » .

— « ولكن طريق الحجىء إلى هنا لا يزال طويلاً . ونوع الرجال الذين معهم نمط النقود التى نريد أن نجتذبها سيودون الحجىء بطريق الجو » .  
— « ونحن لا نملك مطاراً ؟ »

— « هذا صحيح » .

— « والأكثر من ذلك ، أنه ليس لدينا مكان لإنشاء مطار دون إزاحة التلال المحيطة » .

— « عملية باهظة التكاليف . وستكون تكاليف العمل عائقاً » .

— « إذن ماهى خطتك ؟ »

— « إيثنان ، عليك أن تثق بى وتسامحنى . لا أستطيع أن أخبرك بذلك فى الوقت الحاضر . ولكننى أعدك أنك لو استطعت أن تجمع بعضاً من رأس لئال ، فسأعمل على أن أجعلك تصل إلى أدق الأسرار . وأستطيع أن أخبرك

- أنه يوجد موقف حرج جدا ، ولكن ينبغي أن يحل » .
- « حسناً ، أظن هذه المعلومات أفضل مما أستحق » .
- « ينبغي على العائلات القديمة أن تقاسم معاً » .
- « وهل ماروللو جزء من المجموعة ؟ »
- « كلا بالتأكيد . إنه يتخذ طريقه الخاص مع جماعته الخاصة به » .
- « إنهم يسيرون في توفيق كبير ، أليس كذلك ؟ »
- « توفيق أكبر مما أعتقد إنه في صالحهم . أنا لأحب أن أرى أولئك الأعراب يزحفون وسطنا » .
- « والسابع من يوليو هو موعد الانطلاقة » .
- « هل قلت ذلك ؟ »
- « كلا ، أظنني خنته لحسب » .
- « لا بد » .
- ومع تلك الجملة عادت مارى من مهمة ورق الحائط وقدمنا واجبات الاحتفاء وسرنا في بطاء تجاه المنزل :
- « ما كان في مقدورهما أن يكونا ألطف من ذلك . ماذا قال لك ؟ »
- « نفس الشيء القديم . إنه ينبغي أن أستخدم نقودك لتكون لدى البداية ، وأنا لن أفعل ذلك » .
- « أعلم أنك تفكرنى ، يا عزيزى . ولكنى أرى أنك إذالم تعمل بنصيحتته فإنك تكون غيباً » .
- « أنا لأميل إلى ذلك ، يامارى . افترضى أنه مخطيء . ستكونين بلا حيايته » .

- إننى أقول لك ، يا إيثان ، إنك إذا لم تفعل ، فساخذ النقود وأسلمها إليه . أعدك أننى سأفعل » .
- « دعيني أفكر فى الأمر . إننى لأريد توريطك فى العمل » .
- « ليس عليك أن تفعل . تلك النقود مودعة فى الحساب الجامد . وأنت تعرف ما تنبأ به الطالع » .
- « أوه ، يا إلهى - الطالع مرة أخرى » .
- « حسنا ، إننى أعتقد فيه » .
- « لوفقدت نقودك . فستكرهينى » .
- « لن أفعل . وأنت نصيبي ، ذلك ماقالته مارجى »
- « ماقالته مارجى ، محفور فى دماغى ، بأحرف حمراء حتى يأخذنى الموت » .
- « لا تجعل الأمر نكتة » .
- « لعلى لأفعل . ولكن لاتدعى الطالع يفسد حلاوة فشلنا »
- « لأفهم كيف يمكن اقليل من المال أن يفسد أى شىء . ليس الكثير من المال - بل مايكفى فحسب . » ولم أرد ، فسألت : « حسنا - هل تفهم أنت ؟ »
- وقلت : « يا ابنة الأمير ، لا يوجد ثمة شىء يسمى ، مايكفى من النقود فحسب . هناك معياران فحسب : لانقود ، أو نقود دون الكفاية » .
- « ذلك ليس صحيحاً » .
- « بل صحيح . أتذكرين بليونير تكساس الذى مات حديثاً ؟ كان

يعيش في غرفة بفندق ولا يمتلك سوى حقيبته وملابسه . لم يترك وصية ، ولا وريثة  
ولكنه لم يملك القدر الكافي من النقود — وكلما زاد ماله ملكه ؛ قالت  
كفايته .

قالت ساحرة : « أعتقد أنك تجدها خطيئة بالنسبة لى أن أرغب فى ستائر  
جديدة لحجرة الجلوس ، وسخان من الكبر بحيث يكفى لكى يستطيع أربعة  
أشخاص أن يستحموا فى نفس اليوم ، ولكى أستطيع غسل الصحاف أيضاً .  
— « إننى لم أتعرض للخطيئة ، أيتها السحابة ، بل كنت أقرر حقيقة ،  
قانوناً من قوانين الطبيعة . »

— « يبدو أنك لاتمكن أى احترام للطبيعة البشرية . »

— « إنها ليست الطبيعة البشرية ، يا عزيزتى مارى — بل الطبيعة المطلقة . »

السنجاب تخزن عشرة أضعاف ما يمكنها أن تستعمله من حبات الجوز .  
والسنجاب ذو الفم الواسع ، معدته الممتلئة إلى حد الانفجار ، يظل يحشوشدقيه  
ليصيرا كالحقائب . وكمن العسل الذى نجده النحلة الذكية ، تأكله النحلة  
الذكية ؟

حينما يختلط الأمر على مارى أو ترتبك ، فإنها تنفث غضبها بنفس الطريقة  
التي ينفث بها الأخطبوط الحبر ، ثم تختفى فى سحابه المظلمة .  
قالت : « إنك تضايقتى . أنت لا تستطيع أن تدع أى إنسان يتمتع  
بقليل من السعادة . »

— « يا عزيزتى ، الأمر ليس كذلك . إن ما أخشاه هو التعاسة اليائسة ،

الرعب الذى تجلبه النقود ، والانزعاج والحسد . »

ولابد أنها كانت تخشى نفس الشيء دون أن تدري . وسددت إلى



ضربتها ، تحسنت مكاناً مؤلماً ، ووجدته وأدارت فيه كلماتها السنونة : « هاهو  
ذا موظف فى محل بقالة لا يملك شروى تغير أصابه الانزعاج مما سيكون عليه حاله  
حين يصير غنيا . أنت تتصرف كما لو كنت تستطيع أن تلتقط ثروة فى أى  
وقت تشاء . »

— « أحسبى أستطيع ذلك . »

— « كيف ؟ »

— « ذلك هو منار القلق . »

— « إنك لا تعرف كيف ، وإلا لفعلت من قبل . إنك تخادع فحسب

وأنت دائماً تخادع . »

تعمد التجريح يثير الغضب . وكنت أستطيع الإحساس بالحى تنمو بداخلى .

كانت الكلمات القبيحة ، الحانقة تتحرك إلى أعلى كالسم . وأحسنت

بكرهية مريرة .

قالت مارى : « انظر . هاهى ذى تذهب إلى هناك . هل رأيتها ؟ »

« أين ؟ ماذا ؟ »

— « ذهبت هناك خلف الشجرة مباشرة ثم دخلت فناءنا . »

— « ماذا كانت ، يامارى ، أخبرينى . ماذا رأيت . »

ورأيت ابتسامتها فى الفسق ، تلك الابتسامة النسائية التى لاتصدق .

إنهم يسمونها حكمة ، ولكنها ليست كذلك ، بل هى أقرب إلى إدراك يجعل

الحكمة بلا ضرورة .

— « إنك لم ترى أى شىء ، يامارى . »

- « رأيت مشاجرة - ولكنها ذهبت بعيداً » .  
وضعت ذراعي حولها وأدبتها ناحيتي . « فلنذهب حول البناية قبل أن  
ندخل » .  
أخذنا نسير الهويناء في جوف الليل ولم نتكلم ثانية ، فلم تنكس بنا حاجة  
الكلام » .

## الفصل الثامن

عندما كنت طفلاً كنت أصطاد المخلوقات الصغيرة وأقتلها في نشاط ومرح . كانت الأرناب والسناجب ، والطيور الصغيرة ، ثم مؤخراً البط والأوز البري تهوى مصطدماً بالأرض ، وهي حطام متفغن ، وربما كنت مثل طفل زاد انغماسه في هذا . كان يحيط بالأمر ثمة إبداع وحشي ليس فيه كراهية أو حقد أو شعور بالذنب . وحدثت الحرب من شهيتي للتدمير ، وربما كنت مثل طفل بالغ في الانكباب على الحلوى . ولم يعد صوت انطلاق بندقيته سريرة الطلقات صرخة سعادة وحشية .

ومع بداية هذا الربيع أخذ زوج من الأرناب السمينة يقوم بزيارات يومية لحديقتنا . وكان يحب أكثر ما يحب زهور القرنفل التي للماري العزيزة ، وكان يأكلها حتى تويجاتها الفضة .

وقالت ماري : « عليك أن تتخلص منها » .

وأحضرت بندقيتي من عيار ( ١٢ ) ، وكانت لزجة من الشحم ، ثم وجدت بعض الرصاصات القديمة السميكة مركبة على طلقات نمره ( ٥ ) . وعند المساء جاست على الدرجات الخلفية وحين صار الأرنبان في خط واحد نسفتها كليهما بطلقة واحدة . وبعدئذ دفنت الحطام ذا الفراء تحت شجرة اليلق الضخمة ، وأنا أشعر بالنعاسة في معدتي .

كان الأمر ببساطة أنني صرت غير معتاد على قتل الأشياء . ويمكن للمرء أن يعتاد أي شيء . الذبح أو الدفن أو حتى الإعدام ، ولا ريب أن عملية التقذيب تجذب الأطراف ، تصير مجرد وظيفة حين يعتادها المرء .

وحين ذهب الأطفال إلى فراشهم قلت : « إننى خارج بعض الوقت »  
لم تسأل مارى أين أو لماذا ، مثلما كانت تفعل منذ بضعة أيام مضت .

— « هل ستأخر ؟ »

— « كلا ، لن أتأخر »

قالت : « لن أبقى مستيقظة ، فإنى نعساة » . قالتها . وبدأ أنها حين  
قبلت اتجاهها ما ، كانت قد قطعت فيه شوطاً أبعد منى . كنت لا أزال أشعر  
بالأسى من أجل الأرناب . وربما يكون الوضع الطبيعى بالنسبة للرجل الذى  
يكون قد دمر شيئاً ما ، أن يحاول استعادة اتزانة بخلق شىء ما . ولكن هل  
كان ذلك هو دافعى ؟

تلست طريقى إلى داخل الكوخ ذى الرائحة المنتنة الذى يعيش فيه  
دانى تيلور . كانت هناك شمعة تحترق فى طبق إلى جوار فراشه العسكرى .  
كان دانى فى حالة سيئة ، أزرق اللون ، هزيبلاً ومريضاً . وكان لبشرته  
لعان الزنك . كان من الصعب ألا يتقرزز المرء من الرائحة التى تنبعث من المكان  
لقدر والرجل القدر ، وهو تحت غطاءه القدر . كانت عيناه مفتوحتان وتتهيجان  
توقعت منه أن يهذى فى غيبوبة ، ولكنى صدمت حين تكلم بوضوح وبنغمة  
طريقة دانى تيلور .

— « ما الذى تريده هنا ، يا إيث ؟ »

— « أريد أن أساعدك »

— « أنت تعلم أن هناك خيراً من ذلك »

— « إنك مريض » .

— « أتظننى لأعرف ؟ إننى أعرفه خيراً من أى شخص آخر » . وتحسس خلف فراشه وأتى بزجاجة « اولدفورستر » مملوءة إلى ثلثها . « أتريد جرعة ؟ » .  
— « كلا ، يادانى . ذلك ويسكى غالى الثمن » .  
— « لى أصدقاء » .

— « من أعطاهالك ؟ »

— « ليس ذلك من شأنك ، ياإيث . » أخذ جرعة ووضعها إلى أسفل ، ولكنها ظلت غير مستقرة لحظة . وبعدئذ ارتد لونه إليه . وضحك . « كان صديقى يريد الكلام فى الأعمال ولكننى خدعته . زغت قبل أن يستطيع الكلام فى الموضوع . لم يكن يعلم مقدار الوقت القصير الذى يستغرقه الزوغان . أتريد الكلام فى الأعمال ، ياإيث ؟ إننى أستطيع الزوغان بسرعة مرة ثانية » .  
— « هل تشعر ناحيتى بأى شعور ، يادانى ؟ أية ثقة ؟ أى — حسناً ، شعور ؟ »

— « بالتأكيد ، ولكن حين يصل الأمر إلى ذلك الحد أكون سكيراً ، والسكير يكون أقوى شعوره متجها للشراب »

— « لو استطعت أن أهيم ، النقود ، فهل تبحث لك عن علاج ؟ »  
كان الشئ الخفيف هو مدى السرعة التى انقلب بها عادياً وبسيطاً و — مثل نفسه . « قد أقول إننى سأفعل ، ياإيث . ولكنك لا تعرف مدمنى الخمر . سأأخذ النقود وأشرب بها » .

— « حسناً ، افترض أننى دفعتها للمستشفى مباشرة ، أو لأى مكان آخر » .  
— « إننى أحاول أن أقول لك . سأتمشى مع أنبل المقاصد ، وفى خلال بضعة أيام سأهرب منها إنك لا تستطيع أن تثق بسكير ياإيث ، ذلك هو ما لا تستطيع

فهمه . دون ما اهتمام بما فعلت أو قلت - سأطرح أنهر ب «

— « هل تريد أن تتخاص من هذا الوضع ، يادانى ؟ »

— « أحسبني لا أريد . وأظنك تعرف ما أريد . » ورفع الزجاجاة ثانية ، وعجبت

مرة أخرى لسرعة رد الفعل . لم يعد داني القديم الذي عرفته فحسب ، ولكن

حواسه وإدراكه صارا حادين ، كان من الشفافية فعلاً بحيث قرأ أفكارى .

وقال . « لا تتق بهذه اليقظة ، إنما تستغرق القليل من الوقت فحسب فالكحول

ينعش ثم بعد ذلك يصيب بالكآبة . وأتمنى ألا تبقى هنا لترى ذلك . ففي هذه

اللحظة بالذات ، لا أصدق أنه سيحدث . ولا أصدق أبداً حين أكون منتبهاً .

ثم تطلعت إلى عيناه ، نديتين لامعتين في ضوء الشمعة وقال : « إيشان ، لقد

عرضت أن تدفع لشفائى ، وأنت لا تقود لديك ، يا إيشان . »

— « أستطيع الحصول عليها ، فقد ورثت ماري بعض المال عن أخيها . »

— « وأنت ستعطينى تلك النقود ؟ »

— « أجل . »

« حتى رغم قولى لك ألا تتق أبداً فى سكير ؟ حتى حين أوكد لك أننى

سأخذ نقودك ثم أحطم قلبك . »

— « أنت الآن تحطم قلبى ، يادانى . لقد رأيت حفاً يتعلق بك . كما

هناك فى المكان القديم - أتذكره . »

رفع الزجاجاة ثم وضعها على الأرض وهو يقول : « كلا ، ليس بعد -

ليس بعد . إيث - أبداً - أبداً لا تتق فى سكير . فحينما يكون - حينما أكون -

فظيع - شيئاً ميتاً - فلا يزال يوجد عقل ذكى خفى يعمل ، وهو ليس عقلاً

صديقاً . فالآن تماماً ، وفي هذه اللحظة بالذات ، أنا رجل كان صديقك . لقد كذبت عليك بشأن أنني زغت . أوه ، لقد زغت فعلاً ، ولكنني أعرف ما وراء الزجاجة .

وقلت : « انتظر ، قبل أن تتماهى إلى أبعد من ذلك ، وإلا فسيبدو الأمر — حسناً ، ربما تتناوبك الظنون بي ، لقد كان بيكر هو الذي أحضر الزجاجة ، أليس كذلك ؟ »  
— « أجل » .

— « وأراد منك أن توقع على شيء ما » .

— « أجل ، ولكنني زغت » . وضحك لنفسه ضحكة مبهوكة ثم رفع الزجاجة إلى شفتيه مرة أخرى ، ولكنني في ضوء الشمعة رأيت أصفر فقاعة . لقد تناول نقطة فحسب .

— « ذلك أحد الأشياء التي أريد أن أخبرك بها ، يا داني . هل كان ما أراده المكان القديم ؟ »

— « أجل » .

— « وكيف حدث أنك لم تبعه ؟ »

— « أعتقد أنني أخبرتك . إنه يجعلني سيدياً ، وإن كان يفتقد سلوك السيد فحسب » .

— « لا تبعه ، يا داني . تمسك به » .

— « وماذا يعنيك في الأمر ؟ ولم لا أبعه ؟ »

— « من أجل كبريائك » .

— « لم يعد متبقياً لي أية كبرياء ، إنه وضع فحسب » .

— « بلى ، لديك كبرياء . فحين طلبت منى نقوداً ، كنت خجلاً . وذلك  
يعنى الكبرياء » .

— « كلا ، لقد أخبرتك . تلك كانت خدعة . إننى أقول لك إن مدمنى  
الخر أذكىاء . لقد ارتبكت ، وأعطيتنى دولاراً لأنك حسبتنى خجلاً .  
كنت أريد شراباً فحسب » .

— « لا تبعه ، يا داني . إنه مكان قيم . ويكر يعلم هذا . إنه لا يشتري  
أى شيء لا تكون له قيمة » .

— « وما القيم فيه ؟ »

— « إنه المكان الوحيد القريب من هنا ، والمسطح بما يكفي لإنشاء مطار » .

— « أفهم » .

— « لو احتفظت به ، فيمكن أن يكون بداية كاملة بالنسبة لك يا داني .  
تمسك به . باستطاعتك أن تبدأ العلاج وحين تخرج سيكون لديك  
عش مليء بالبيض » .

— « ولكن لن تتوفر لى الراحة . لعله من الأفضل أن أبعه وأشرب

بشمنه ثم — « حين ينكسر الغصن سيسقط المهد ، وإلى أسفل سيهوى

الطفل والمهد وكل شيء » . « كان يقنى بصوت حاد ويضحك . « أترغب

فى المكان يا إيث ؟ ألهذا السبب جئت إلى هنا ؟ » .

— « ما أترغب فيه هو أن تكون بخير » .

— « إننى بخير » .

— « أريد أن أشرح لك الأمر ، يا داني . لو أنك صطوك ، لاستطعت أن

تكون حراً فى فعل ما تشاء . ولكنك تمتلك شيئاً ترغبه وتحتاجه



مجموعة من المواطنين المتطلعين إلى المستقبل .

— « مرجة تيلور . وأنا أنوى التمسك بها . إننى الآخر متطلع إلى المستقبل . »  
وتطلع فى وله إلى الزجاجه .

— « داني ، لقد أخبرتك . إنها المكان الوحيد الصالح لإقامة مطار . إنها  
مكان أساسى . عليهم أن يمتدكوها — إما ذلك وإما أن يسووا التلال ، وهم  
لا يستطيعون تحمل تكاليف ذلك » .

— « إذن فأنا أمسكهم من خناتهم ، وإنى أنوى أن أوى » .

— « لقد نسيت ، يا داني . إن رجلاً ذا ممتلكات ، وعاء ثمين . لقد سمعت  
التوى أن أكثر عطفهم عليك سيكون وضعك فى إصلاحية حيث ستلقى العناية  
التي تحتاجها »

— « إنهم لن يجسروا » .

— « أوه ، بلى إنهم سيجسرون وسيحسون ببرهم من أجل ذلك . إنك  
تعرف العملية . فالقاضي ، وأنت تعرفه ، سيحكم عليك بأنك غير أهل لإدارة  
ممتلكات . وسيعين وصياً ، وباستطاعتى أن أخن من سيكون . وهذا كله  
سيكون باهظ التكاليف ، وهكذا ستباع ممتلكاتك طبعاً لدفع النفقات ، وأضمن  
أيضاً من سيكون موجوداً لشرائها »

كانت عيناه تتألقان ، وكان ينصت وقد ففر فاه ، كان الآن يتطلع بعيداً .

— « أنت تحاول أن تخيفنى ، يا إيث . لقد اخترت وقتاً غير مناسب .

تصدنى فى الصباح حين أكون برداناً والعالم أمامى قبيء أخضر . أما فى هذه

اللاحظة بالذات — فإن قوتى تعادل قوة عشرة لأن الزجاجه هنا » . ولوح بها

كالسيف وصارت عيناه ككوتين تتألقان فى ضوء الشمعة .

« هل قلت لك يا إيث ، ؟ أظنني فعلت - إن للسكير نوعاً خاصاً من

الذكاء الشرير »

— « ولكنني أخبرتك بما سوف يحدث » .

« أوافقك ، وأعلم أنه صواب . لقد حددت هدفك . ولكنك بدلاً

من أن تخيفني ، أيقظت في شيطاني . ان من يظن أن السكير عاجز هو أحق .

إن السكير عربة خاصة جداً ولها قدراتها الخاصة . أستطيع أن أبادل القتال ،

ويبدو أنني الآن بالذات أريد ذلك » .

— « يا للفتى الرائع . ذلك هو ما أود أن أسمع » .

صوب إلى عنق زجاجة الويسكي وكأنها حبة التصويب التي تكون في نهاية

البندقية .

— « أنت ستقرضني نقود ماري ؟ »

— « أجل »

— « دون ما أي ضمان » .

— « أجل »

— « مع علمك أن فرصة استردادها واحد في الألف » ؟

— « أجل » .

— « ثمة شيء قبيح يرتبط بالسكير ، يا إيث وهو أنني لا أصدقك » وعلق

شفتيه الجافتين .

— « هل ستضع النقود بين يدي » ؟

— « وقتما تقول » .

— « لقد قلت لك ألا تفعل » .

-- « ولكنى سأفعل » .

في هذه المرة أمال الزجاجاة للخلف وارتفعت الفقاعة الكبيرة داخل الزجاج  
وحين توقف عن الشرب ، كانت عيناه ، قد ازدادتا لمعاناً ، ولكنهما كانتا  
باردتين ومبهمتين مثل عيني حية . « أستطيع الحصول على النقود هذا الأسبوع ،  
يا إيث ؟ » .

— « أجل » .

— « هل معك الآن دولاران ؟ »

كان ذلك مامعى بالضبط - ورقة من فئة الدولار ، ونصف ، وربع وقطعتان  
من فئة العشرة سنتات وقطعة من فئة الخمسة سنتات ، ثم ثلاث قطع من فئة  
السنت . وصببتها في يده المدودة .

أفرغ الزجاجاة وأسقطها على الأرض : « إنني لم أضعك أبداً في عداد  
الأدكياة يا إيث . هل تعلم أن مجرد العلاج الأساسي سيتكلف حوالي ألف  
دولار ؟ » .

— « حسناً » .

— « هذه مهزلة يا إيث . ليس لعب شطرنج ، إنه لعب بوكر . وقد اعتدت  
أن أكون بارعاً جداً في البوكر - بارعاً جداً . إنك تتعشم أن أجعل من مرحتي  
رهناً . كما أنك تتعشم أن ما قيمته ألف دولار من الشراب سوف يقتلني ، وهكذا  
سيكون لك مطار ملك يمينك » .

— « ذلك شيء قدر ، ياداني »

— « لقد حذرتك من أنني قدر »

— « ألا تستطيع أن تظن أنني قصدت نفس ماقلت ؟ »

« كلا . ولكن لدى وسيلة لكي - أبقى الأمر كما قلت . أنت تتذكرني في الأيام الخوالي ، يا إيث أتظنني لا أتذكرك ؟ كنت الصبي ذا القاضى القابع في داخله - حسناً بدأت أشعر بالظماً ، والزجاجة فارغة . إننى خارج .  
تمنى ألف دولار » .

— « حناً » .

— « نقداً يوم الأربعاء » .

— « سأحضرها » .

— دون ملحوظة ، ودون توقيع ودون أى شيء . ولا تظن ، يا إيثان ، أنك تتذكرني كما كنت في الأيام الخوالي . لقد غير صديقى الذى هنا كل ذلك . لا إخلاص عندى ، ولا استقامة . ولن تحصل على أى شيء ، سوى ضحك من القلب » .

— « سأطلب منك فحسب أن تحاول » .

— « بالتأكد ، سأعدك بذلك ، يا إيث . ولكننى آمل أن أكون قد أقنعتك بقيمة وعد كبير . عليك فحسب أن تحضر النقود . ابق طالما تشاء ، فببتي بيتك . إننى خارج ، وسأراك يوم الأربعاء ، يا إيث . » رفع نفسه خارجاً من فراش الجندي العتيق ، وقذف الغطاء خلفه ، وسار إلى الخارج في خطوط مترج لم تكن سوستة سرواله مقفولة .

جلست لحظة أرقب الشمعة وهى تذوب وتتقطر فى الدهن الذى بالطبق . كان كل ما قاله صحيحاً . ما عدا شيئاً واحداً كنت قد راهنت عليه لم يكن قد تغير إلى ذلك الحد الكبير . فى مكان ما من الحطام ، كان يوجد داني تيلور لم أصدق أنه يستطيع أن يستأصل داني ، كنت أحب داني وكنت على استعداد

لسكى - لسكى أفعل ماقاله بالضبط . كنت فعلاً على استعداد . ومن مبعده سمعته .  
يفنى في صوت رائق مرتفع من طبقة الفالستو :  
أسرع ، أيها المركب الأنيق ، كطائر فرد الجناح .  
« إلى الامام » يصيح بها الملاحون .  
واحمل الغلام الذي ولد ليكون ملكاً  
على البحر والسماء .

\* \* \*

بعد لحظة موحشة نفخت الشمعة ثم سرت إلى البيت عن طريق شارع هاى  
لم يكن ويلى قد نام بعد في سيارة البوايس .  
قال : « يبدو لى أنك تخرج كثيراً ، يا إيث » .  
— « أنت أدرى بالسبب » .  
— « بالتأكيد . إنه الربيع ، حلم الشباب » .  
كانت مارى نائمة ، وهى تبتسم ، ولكنى حينما دلفت إلى جوارها ،  
استيقظت نصف بقطة . كان الأسى فى معدتى — الأسى البارد ، المؤلم .  
واستدارت مارى على جنبها وضمتنى إليها وكنت فى أشد الحاجة إليها . كنت  
أعلم أن الأسى سيقبل ، ولكنى الآن بالذات كنت أحتاج إليها . ولا أدرى  
ما إذا كانت قد استيقظت فعلاً ، ولكنها حتى فى أثناء نومها كانت  
تحس بوجودى .

بعد ذلك استيقظت ، وقالت : « أعتقد أنك جوعان » .

— « أجل يا هيلين » .

— « ماذا تريد » ؟

— « سندويتش بالبصل - كلا ، سندويتشين بالبصل في خبز الشعير » .

— « سيكون على أن آخذ واحداً لأجاريك » .

— « ألا تريدن واحداً ؟ »

— « طبعاً » .

نزلت السلم في خفة وعادت في فترة وجيزة ومعها الشطائر وعلبة ابن من

الورق المقوى وكوبان .

كان بصلاً حاراً جداً ، وبدأت قولي : « ماري » .

— « انظر حتى تبلع » .

— « هل تمنين بذلك أنك لا تريدن معرفة أمور الأعمال ؟ »

— « طبعاً - أجل » .

— « حسناً ، عندي مشروع ، وأريد ألف دولار » .

— « أكان ذلك شيئاً مما قاله لك مستر بيكر ؟ »

— « بشكل ما . ولكنه سرى أيضاً » .

— « حسناً ، عليك فحسب أن تكتب شيئاً » .

— « كلا ، يا عزيزتي ، أريد منك الحصول عليه نقداً . ولا بأس من أن

تذيعي في المصرف أنك تشتين أثاثاً جديداً أو سجاداً أو شيئاً ما » .

— « ولكني لا أفعل ذلك » .

— « ستفعلين » .

— « هل هو سر ؟ »

— « لقد قلت إنك تريدن الأمر على تلك الصورة » .

— « أجل - حسناً - إنني أريده فعلاً . إنه أفضل بتلك الصورة . هذه

«بصلة حارة . وهل سيوافق مستر بيكر على مشروعك؟»

- « سيوافق عليه ، لو قام هو بتنفيذه . »

- « ومتى تريدھا ؟ »

- « غداً . »

- « لا أستطيع أكل هذه البصلة . أحسب أن رأيتي قد صارت كريهة

الآن بما فيه الكفاية . »

- « إنك حبيبتى . »

- « لا أستطيع فهم ماروالو . »

- « ماذا تعنين ؟ »

- « محيئه إلى المنزل ، وإحضاره الحلوى . »

- « إن الرب يعمل بطريقة غامضة . »

- « والآن لا تسخر من المقدسات . فعيد القيامة لم ينقض بعد . »

- « بلى ، لقد انقضى ، فالساعة الآن الواحدة والرابع . »

- « يا إلهى الرحيم . يجدر بنا أن ننام . »

- « آه . تلك هى المضايقة - نقلاً عن شيكسبير . »

- « أنت تجعل من أى شىء نكتة . »

ولكنها لم تكن نكتة . بقى الأسمى ، لم أكن أفكر فيه ولكنه أخذ

بعض ، وأحياناً كنت أسائل نفسى ، لم أتالم ؟ يستطيع الرجال أن يعتادوا أى

شئ ، ولكن الأمر يستغرق وقتاً . فذات مرة منذ زمن بعيد ، اشتغلت بوظيفة

سائق، أحمل النيتر وجلسرين فى مصنع ديناميت . كان الأجر عالياً لأن المادة

خداعة . وفى بداية الأمر كنت أجزع مع كل خطوة أخطوها ، ولكن فى

خلال أسبوع أو حوالى ذلك صار الأمر مجرد وظيفة . أجل ، لقد اعتدت حتى العمل كموظف فى محل بقالة . يوجد ثمة شىء مرغوب فى أى شىء اعتدته حين تقارنه بشىء لم تعتده .

فى الظلام والبقع الحمراء تسبح فى عيني ، سألت نفسى عما اعتادوا أن يسموه أمور الضمير ، ولم أستطع أن أجد أى جرح . وتساءلت عما إذا كنت أستطيع ، بعد أن خططت طريقى ، أن أغير الاتجاه أو حتى أرجع البوصلة تسعين درجة ، وفكرت فى أننى كنت أستطيع ذلك ، ولكنى لم أرغب فيه .

كان لدى بعد جديد ، وكنت مأخوذاً به . كان الأمر كأنه اكتشاف مجموعة من العضلات غير المستعملة ، أو كأن حلم الطفولة بقدرتى على الطيران قد تحقق . وغالباً ما أستطيع إعادة تمثيل الأحداث ، والمناظر ، والمحادثات ، ثم أختار من بين التفاصيل المتقهقرة التى هربت منى فى العرض الأول .

كانت ماري تجد غرابة فى مجيء ماروللو إلى المنزل بحلوى البيض ، وأنا أتفق فى إحساس ماري بالغرابة . وكنت قد فكرت فى الأمر على أنه نوع من تقديم الشكر لأننى لم أخدعه . ولكن سؤال ماري جعلنى أعيد الفحص بحثاً عن شىء أعرفه ولكنى فاتنى .

إن ماروللو لا يكافىء على أشياء مضت ، إنه يرشو لأشياء قادمة . وهو لم يكن راغباً فىّ إلا بقدر ما يمكنى أن أكون ذا نفع بالنسبة له . واسترجعت تعليماته بشأن التجارة والحديث عن صقلية . لقد فقد ثقته فى مكان ما . كان يرغب بشكل ما فى شىء منى أو كان يحتاج إلى شىء ، وكانت هناك وسيلة لاكتشاف ذلك . فلو أننى طلبت منه شيئاً ، ثم رفض كالعادة ، وبعد ذلك أحصل منه عليه ، فإننى كنت أعرف عندئذ أنه فقد إنزانه وأنه منزعج إلى حد



كبير . تركت ماروللو جانباً واتجهت إلى مارجى . مارجى - ذلك يعطيك فكرة عن عمرها . « مارجى ، إننى دائماً أحلم بك ، يامارجى . إننى أهب العالم نظير ... »

أعدت تمثل مناظر مارجى فوق البقع السابحة على السقف ، محاولاً ألا أضيف أية زيادة عما هو موجود حقاً . خلال مدة طويلة ، ربما عامين ، كانت توجد ثمة مسز هنت التى هى صديقة لزوجتى ، ولم أكن أصغى لأى جزء من الحديث الدائر بينهما . وفجأة بعد ذلك ، برزت مارجى يأنج هنت ، ثم بعد ذلك مارجى . ولا بد أنها جاءت إلى المحل قبل يوم الجمعة الحزينة ، ولكنى لم أستطع تذكر هذا . فى ذلك اليوم بدأ الأمر وكأنها تعلن عن نفسها . وقبل ذلك يحتمل أنها لم ترنى أكثر مما كنت أراها . ولكنها منذ ذلك الوقت فصاعداً صارت حاضرة - فى كل مناسبة - محرّكة ومسببة للارتجاف ماذا كانت تريد ؟ هل من الممكن أن يكون الأمر معاكسة بريئة خالصة من امرأة ليس أمامها سوى القليل جداً لتفعله ؟ أم أنها كانت تتحرك تبعاً لخطة ؟ كان يبدو لى أنها قد أعلنت عن نفسها إلى - جعلتنى أشعر بوجودها وأبقتنى قلقاً من ناحيتها . بدا لى أنها بدأت قراءة الطالع ثانياً ، بإيمان خير ، قاصدة أن تجعل منه عرضها المعتاد ، بما فيه من صقل واحتراف . ثم حدث شىء ما ، شىء مزق هذا الإيمان تماماً . فلم تقل لها مارى ما يسبب لها التوتر ، وكذلك لم أفعل أنا . هل رأيت حقيقة ، رؤيا الحياة ؟ سيكون هذا أبسط التفسيرات وربما أصدقها . ربما كانت حقاً ذات بصيرة ، داخلية على عقول الآخرين . وقد جعلتنى حقيقة أنها أمسكت بى فى منتصف طريق تحولى ميلاً لتصديق هذا ، ولكن يحتمل أنها كانت مصادفة . إذن ما الذى جعلها تهرع إلى مونتك حين لم تكن تقصد الذهاب ، ألتلحق بالبائع

المتجول ، أم لتكشف الأمر للارللو؟ على أية حال لم أصدق أنها تبوح بأشياء  
لم تعتمد البوح بها . في مكان مامن صناديق الكتب التي في السندرة كانت  
هناك قصة حياة من - أكان اسمه بيرنج ، كلا ، بارانوف إسكندر بارانوف ،  
الحاكم الروسي في مكان ما حوالي عام ١٨٠٠ . وربما يوجد ثمة ذكر لألاسكا  
على أنها كانت سجنا للساحرات . كانت قصة مارجي بعيدة الاحتمال جداً .  
ينبغي أن أراها . وفكرت في أنني قد أستطيع الزحف إلى أعلى هناك الآن دون  
أن أوقظ ماري .

حينئذ سمعت صريراً على درجات السلم البلوطي العتيق ، ثم صريراً ثانياً  
وثالثاً ، وهكذا عرفت أنه لم يكن استقراراً للبيت ناجماً عن تغيير درجة حرارة  
الجو ! بل لا بد أنها إبلىن تسير في نومها .

إنني طبعاً أحب ابنتي ، ولكنها أحياناً تخيفني ، لأنها تبدو وكأنها ولدت  
ذكية ، وفي نفس الوقت غيورة ومحبة . كانت دائماً تغار مني . بدا لي أن انشغالها  
بأمور الجنس بدأ في سن مبكر جداً ، ولعل ذلك هو شعور الآباء دائماً .  
فحينما كانت فتاة صغيرة جداً ، كان شغفها الذي لا يحد بشئون الجنس الآخر  
محيراً . وبعدئذ سرت في سر التحول الجسدي ، وهنا لم تكن توجد ثمة فتاة  
ملائكية ظاهرة مثلما يوجد في المجلات . بل كان البيت يغلي من العصبية  
والجدران تهتز من القلق . لقد قرأت أن الفتيات البالغات في العصور الوسطى  
كن يعتبرن عرضة لممارسة السحر ، وأنا غير متأكد أن الأمر ليس كذلك .  
فلفترة ما وجد لدينا ما سميناه على سبيل المزاح الشبح المثير للشغب . كانت الصور  
تسقط من علاقاتها ، والصحاف تقذف إلى الأرض . وكان يوجد دق في السندرة ،  
وطرق في البدروم . ولا أدري ماذا كان سبب ذلك ، ولكن اهتمامي بالموضوع

كان كافيًا لكي أبقى عيني على إيلين ، وعلى حضورها وانصرافها الخفى . كانت تشبه قطاة ليلية وأقنعت نفسي بأنها ليست مسئولة عن السقوط والتحطيم والدق والطرق ، ولكنى وجدت أيضا أن هذه الأشياء لم تكن تحدث أبداً حينما تكون خارج المنزل . ربما كانت تجلس وهي تمدق في الفراغ حين يأتي الشبح المثير للشغب ، ولكنها كانت دائماً موجودة عند حضوره .

وأذكر أنني سمعت في طفولتي أن بيت آل هولى العتيق مسكون منذ فترة طويلة بروح أحد أسلافنا من القراصنة الطهوريين ، ولكن ، تبعاً للحكايات فإنه كان روحاً مهذباً يسير ويتجول ويثن كما ينبغي . كانت الدرجات تصر تحت وزنه غير المرئي وكان يدق على الجدار حين كانت ثمة وفاة وشيكة الوقوع ، كانت كل تصرفاته سليمة كلها ذوق . أما الشبح مثير للشغب فكان شيئاً مختلفاً تماماً — حقوداً ، وخبيثاً ، ومشاكساً ، ومنتقماً . فهو لم يكسر أبداً شيئاً غير ذى قيمة . وبعدهذا غادرنا . وأنا لم أصدق إطلاقاً بحقيقة وجوده . كان نكتة العائلة ، فيما عدا أنه كان موجوداً هناك ، وهناك كانت توجد الصور المحطمة والحزف المبعثر .

حين غادرنا ، بدأت إيلين السير في نومها ، كما تفعل الآن . كان باستطاعتي أن أسمع خطواتها البطيئة الواثقة من نفسها وهي تهبط السلم . وفي نفس الوقت تهتت عزيبي ماري في عمق وغنمته وهي إلى جوارى . وقفزت نسمة فخرت على السقف ظللال الأغصان الموروقة .

انزلت بهدوء من الفراش وانسلت داخل ثوب حمى ، لأننى ، مثل أى شخص آخر كنت أومن أن من يسير في نومه ينبغي عدم إزعاجه وإيقاظه .

قد يبدو من هذا أنى لم أكن أحب ابنتى ، ولكنى أخافها نوعاً ما لأنى

لا أفهمها .

لو أنك استعملت درجاتنا قرب نهايتها من جهة الحائط ، فإنها لا تصر .  
وقد اكتشفت ذلك حين كنت صبياً أجد التسلسل وأنا آت إلى البيت من عند  
الأسوار الخلفية للبلدة . ولا أزال أستخدم معرفتى عند ما لا أرغب فى إزعاج  
مبارى . واستخدمتها الآن — تحركت فى سكون نازلاً على الدرج وأنا أسحب  
أصابعى على الحائط كمرشد لى . كان هناك ضوء سفلى معتم كالدانتيل ينفذ من  
الجانب الذى فيه مصباح الشارع ثم يتبدد إلى شبه ظلمة بعيداً عن النافذة .  
ولكنى استطعت رؤية إيلين . وبدت وكأن لها وميضاً ، ربما بسبب رداء نومها  
الأبيض . كان وجهها يحجبه الظل ، ولكن ذراعيها ويديها كانت تلتقط  
الضياء . كانت تقف عند الدولاب ذى الواجهة الزجاجية حيث تحفظ كنوز  
العائلة التى لا قيمة لها ، أوانى العاج المحفور ، ونماذج الحيتان التى تنتج دهن  
القيطس والقوارب كاملة بمجاذيفها وحديدتها وبحارتها ، وحرقة صيد الحوت  
فى مقدمتها — وجميعها منحوتة من أسنان الحيتان التى تشبه العظم ومن أنياب  
خيل البحر ، ونموذج مصغر للسفينة « بيل آدير ، بطلائها اللامع ، وقد علا التراب  
أشرعتها الطويلة وحبالها البنية اللون . وكانت توجد بالدولاب قطع من التحف  
الصينية التى أتى بها القباطنة القدامى من الشرق بعد أن جردوا المنطقة الصينية  
من حيتان القيطس ، قطع ومنتف صغيرة ، من العظم والعاج ، آلهة ضاحكة  
ووجادة ، تماثيل لبوذا ، مهيبة ومتسخة ، زهور محفورة على حجر المرورى  
وحجر الطلق وبعضها على حجر اليشم الأخضر — أجل ، على نوع جيد من  
حجر اليشم — وفناجين رقيقة شبه شفافة وجميلة . وقد تكون بعض الأشياء

قيمة - مثل الأحصنة الصغيرة التي لا شكل لها والتي لا زالت تدب فيها الحياة -  
ولكنها لو كانت ذات قيمة ، فإن هذا يكون محض مصادفة ، بل لا بد أنها  
كانت محض مصادفة . فكيف كان يمكن لرجال البحر أولئك ، قتلة الحيتان ،  
أن يعرفوا الجيد من الرديء - أم أنهم كانوا يعرفون ؟ أم أنهم عرفوا ؟

كان الدولار دائماً بالفسبة لى هو المكان المقدس لأصل العائلة -  
الأقنعة الرومانية التي كانت للسلف ، أو معبودات وآلهة البيت التي ترد إلى  
حجر سقط من القمر . بل كان لدينا أيضاً جذر من نبات تفاح الجن - على  
شكل رجل صغير كامل ، وكان عندنا أيضاً عروس بحر حقيقية ، وقد صارت  
رثة جداً الآن ، ولكنها صنعت بإتقان عن طريق حياكة الجزء الأمامي لقرد  
مع الجزء الخلفي لسمكة سويا . وقد تقلصت بمضى السنين وظهرت الفرز ،  
ولكن أسنانها الصغيرة كانت لا تزال تبين في ابتسامة وحشة .

أعتقد أن لدى كل عائلة شيئاً سحرياً ، شيئاً يرتبط بها ، وهو الذي يشعل  
حماسها ويبعث فيها الراحة والإلهام من جيل لجيل . وكان مالدينا هو - ماذا  
سأقول ؟ نوعاً من كتلة صغيرة من حجر شبه شفاف ، ربما كان حجر المرو  
أو الحجر اليشم الأخضر أو حتى حجر الطلق . كانت مستديرة ، قطرها أربع  
بوصات وتبلغ بوصة ونصف عند قمتها المستديرة . وعلى سطحها حفر شكل مضفر  
لا نهاية له ، بدا وكأنه يتحرك ولكنه لا يصل إلى مكان . كانت شكلاً حياً ،  
ولكن لا رأس له ولا ذنب ، ولا بداية أو نهاية . ولم تكن الصخرة زلقة  
الملمس ، بل كانت تلتصق قليلاً مثل اللحم ، وكان ملمسها دائماً دافئاً . كان  
باستطاعتك أن تنظر فيها ولكن في الواقع ليس خلالها . أعتقد أن أحد رجال  
البحر من دمي قد أحضرها من الصين عند عودته . كانت سحراً - جميل أن

تراها ، وتلمسها ، وتفركها بوجنتك أو تربت عليها بأصابعك . كانت هذه الكتلة الغريبة السحرية تعيش في الدولاب الزجاجي . وكطفل وصبي ورجل ، كان مسموحاً لي أن ألمسها ، وأمسكها ، ولكن لا أحملها بعيداً أبداً . كان لونها ولفاتها ومادتها تتغير تبعاً لتغير حاجاتي . فافترضت ذات مرة أنها صدر ، وبالنسبة لي كصبي صارت صديقاً حميماً ، يثير الحماس ويؤلم . وربما تطورت فيما بعد إلى مخ أو حتى أحجية ، ذلك الشيء الذي لا رأس له ، ولا نهاية ، ذلك الشيء المتحرك - السؤال الكامن جميعه بداخله ، والذي لا يحتاج إلى إجابة لتدميره ، أو لبداية أو نهاية لتحديده .

كان للخزانة الزجاجية قفل نحاسي منذ عهد المستعمرات ومفتاح نحاسي مربع ، موجود دائماً في القفل .

كانت ابنتي النائمة تمسك بالكتلة السحرية في يديها ، وهي تربت عليها بأصابعها ، وتدلها كما لو كانت شيئاً حياً . كانت تضغطها إلى صدرها الذي لم يتشكل بعد ، وتضعها على وجنتها أسفل أذنها ، وتحكها بأنفها مثل الجرو الرضيع ، وكانت تترنم بأغنية خافتة مثل أنه فرح واشتياق . كان حب التدمير من خصالها . وتملكني الخوف باديء الأمر من أنها قد ترغب في تحطيمها إلى فتات أو إخفائها بعيداً ، ولكنني أدركت الآن أنها كانت أما ، وحبیباً ، وطفلاً ، بين يديها .

عجبت كيف يمكنني إيقاظها دون إزعاجها . ولكن لماذا يوقظ السائرون في نومهم ؟ أخوفاً من أنهم قد يؤذون أنفسهم ؟ إنني لم أسمع قط عن أذى وقع في هذه الحالة ، اللهم إلا في أثناء إيقاظهم . ولم ينبغي على التدخل ؟ لم يكن هذا كابوساً مليئاً بالألم والخوف بل كان أقرب إلى السرور والمشاركة التي تتمدى

مفهوم اليقظة . فأى حق لى فى إفساده ؟ وتحركت فى سكون عائداً ثم جاست فى مقعدى الضخم ، أنتظر .

بدت الغرفة المعتمة وكأنها تموج بذرات من الضوء الناصع وهى تتحرك وتدور مثل سحببات من فراش الليل . وأظن أن هذه الذرات لم تكن موجودة هناك حقاً ، وإنما كانت فحسب وخزات الإنهك وهى تسبح فى سائل عيني ، ولكنها كانت مقنعة جداً . وقد بدا حقيقياً فعلاً ، أن تألقاً كان ينبعث من ابنتى إيلين ، نيس من بياض منامتها فحسب ، بل ومن بشرتها كذلك . كنت أستطيع أن أرى وجهها ، وكان المفروض ألا أتمكن من ذلك فى الغرفة المظلمة . وبدأ لى أنه لم يكن وجه فتاة صغيرة على الإطلاق - وكذلك لم يكن وجهاً ناصباً ومكتملاً ومحدد للملامح . كانت شنتها مضمومتين بحزم ، وهذه مالم تكونا عادة تفعلا نه .

بعد فترة أعادت إيلين الطلسم بثبات ودقة إلى مكانه ، وأغاقت الخزانة ذات الواجهة الزجاجية وأدارت المفتاح النحاسى الذى يبقياها مغلقة . وبعدئذ استدارت وسارت متجاوزة مقعدى ثم صعدت الدرج . هناك شيئان لعانى تخيلتهما - الأول ، أنها لم تكن تسير كطفلة بل كامرأة مكتملة ، والثانى ، أنها فى أثناء انصرافها أخذ ضياؤها يستنزف بعيداً قد تكون هذه انطباعات ، وليدة ذهنى ، ولكن شيئاً ثالثاً لا يكون كذلك . فى أثناء صعودها الدرج ، لم يكن هناك ثمة صرير للخشب . ولا بد أنها كانت تسير قريباً من الجدار ، حيث لا يجار وقع الخطوات بالشكوى .

بعد بضعة لحظات تبعتها ، ووجدتها فى فراشها ، نائمة ومغطاة بعناية . كانت تنفس من فمها ، وكان وجهها وجه طفل نائم .

ومرغماً ، نزلت الدرج ثانية وفتحت الدولاب الزجاجي • تناولت كتلة  
الحجر بين يدي . كانت دافئة من جسم إيلين • وكما كنت أفعل في طفولتي ،  
تعقبت بظرف سباتي الشكل المناسب الذي لا ينتهي ، واستدحت إلى ذلك •  
وأحسست بأنني وثيق الصلة بإيلين بسبب هذا •  
إني أعجب ، هل جعلتها الصخرة بشكل ما وثيقة الصلة بي —  
وبآل هولي ؟



## الفصل التاسع

في يوم الاثنين راغ الربيع المخاتل متجهاً إلى الشتاء بمطر بارد وريح عاصف  
قارس قطع الأوراق الرقيقة في أشجار كانت واثقة به تمام الوثوق . أما العصافير  
الضخمة الجريئة الشبقة في المروج ، والتي كانت تقصد ممارسة الحب ، فقد تمزق  
شملاً مثل خرق ، مبتعدة عن طريقها وعن هدفها ، وأخذت تزقزق في غضب  
ضد الجو المتقلب .

حيث السيد « رد بيكر » في جولته ، وذيله يدفع للجانبين مثل راية  
معركة حربية . كان أحد المعارف القدامى ، وقد أخذ ينظر بعينه شذراً إلى المطر .  
وقلت : « من الآن فصاعداً يمكن أن نكون أنا وأنت صديقين في الظاهر ،  
ولكنني أشعر أن الصواب هو أن أخبرك أن ابتسامتي تخفيان تنافساً وحشياً ،  
صراعاً لإنهاء العمل ثم الاختفاء تحت الغطاء »

كان مورفي موجوداً في مواعده . وربما كان ينتظرنى — ربما ، وقال : « ياله  
من يوم فظيع » . بينما كان معظمه الواقى من المطر والمصنوع من الحرير العازل  
للمطر يخفق وينتفخ حول ساقيه . « سمعت أنك قمت بزيارة إجتماعية لرئيسي » .  
— « كنت في حاجة إلى بعض النصح . وقد قدم إلى الشاي أيضا » .

— « إنه خير من يفعل ذلك » .

— « أنت تعرف كيف تكون النصيحة ، أنت ترغب فيها لحسب ، إذا

اتفقت مع ما أردت أن تفعله بأية حال من الأحوال » .

— « يبدو وكأن هناك استثماراً » .

— « عزيزتى مارى تريد بعض الأثاث الجديد . وحين تريد امرأة شيئاً ما فإنها تغلف الأمر أولاً فى ثوب يبدو معه وكأنه استثمار طيب » .  
وقال مورفى : « ليس النساء فحسب ، إننى أفعل ذلك أنا نفسى » .  
— « حسناً ، إنها تقودها . وهى تريد أن تذهب للتسوق والمساومة » .  
وعند ناصية شارع هاى راقبنا لافتة من الصفيح تنتزع مفكوكة من محل « راب » للعب ، ثم تذهب منزلة وتصر باعثة صوتاً كصوت منبعث من حادثة تصادم .

— « قل لى ، سمعت أن رئيسك يفوى القيام برحلة إلى وطنه إيطاليا » .  
— « لا أدرى . وإن كنت أستغرب أنه لم يذهب قبل ذلك مطلقاً ، فتلك العائلات وثيقة الصلة ببعضها إلى حد فظيع » .  
— « ألدريك وقت لتناول فنجان من القهوة ؟ »  
— « ينبغى أن أقوم بالكفيس . من المؤكد أنه سيكون يوماً حافلاً بالشغل بعد العطلة » .

— « أوه ، تعال . عش فى ترف . إن الصديق الشخصى لمستري بيكر يمكنه أن يدبر الوقت لتناول فنجان من القهوة » . لم يقلها بمثل الوضاعة التى تبدو بها وهى مطبوعة . كان يستطيع أن يجعل أى شىء يبدو بريئاً حسن المقصد .

طيلة كل تلك السنوات لم أذهب إلى مقهى فورماستر لتناول فنجان قهوة فى الصباح ، وربما كنت الرجل الوحيد فى البلدة الذى لم يفعل ذلك . كان عرفاً ، وعادة ، ومنتدى . صعدنا إلى المقاعد المرتفعة بجوار الطاولة ، ثم صبت لنا مس لينش - التى كانت زميلتى فى المدرسة - القهوة دون أن تسكب

أيامها في الطبق . كانت تستند إلى الفنجان زجاجة صغيرة من القشدة ولكنها  
دحرجت مكعبين من السكر ملفوفين بالورق مثلها تدحرج زهر الورد ، لدرجة  
أن صاح مورفي « يا عيننا الحية » .

مس لينش - مس لينش . كانت كلمة « مس » جزءاً من اسمها الآن ، بل  
جزءاً منها هي نفسها . وأعتقد أنها لن تستطيع أبداً أن تستأصلها . وأنفها يزداد  
احمراراً كل عام ، ولكن بسبب الجيوب الأنفية ، لا الشراب .

قالت : « طاب صباحك ، يا إيثان . أحتفل بشيء ما ؟ »  
— « لقد جرتني إلى هنا » . قالتها ، وبعدئذ ، كتجربة في الشفقة ،  
قلت : « آني » .

استدارت رأسها فجأة كما لو كانت قد سمعت طلقة مسدس ، وبعدئذ ،  
عندما نفذت الفكرة إلى ذهنها ، ابتسمت ثم ، أتدرى ، بدت تماماً مثلها كانت  
في الفصل الخامس ، بأنفها الأحمر وكل شيء .  
— « إنه لجميل أن نراك ، يا إيثان » . قالتها ثم نفضت أنفها في منديل  
من الورق .

قال مورفي : « حين سمعت بالأمر ، تملكنتي الدهشة » . والتقط الورقة  
التي كانت على مكعب السكر . كانت أظافره مصقولة . « تطراً عليك فكرة ،  
وبعدئذ تصبح ثابتة ثم تعتقد أنها حقيقية . ثم تصيبك الدهشة حين لا تجد لها  
كذلك » .

— « لا أدري عمم تتكلم » .  
— « وأظنني أنا الآخر لا أدري . ملعونة أوراق الالف هذه . لم لا يمكنهم  
أن يضعوه سائياً في طبق خبز ؟ »

— « ربما لأن الناس قد يستعملون منه كمية أكبر . »  
-- « أظن الأمر كذلك . اعرف فتى عاش ذات يوم على السكر فترة من  
الوقت . كان يذهب إلى المقهى ، ويدفع عشرة سنتات ثمناً لفنجان من  
القهوة ، يشرب نصفه ، الذى يكون قد ملاء بالسكر . على الأقل لم  
يمت جوعاً . »

وكالمعتاد ، كنت أعجب إذا لم يكن ذلك الفتى هو مورفى - شخص غريب ،  
قوى ، رجل لا يبدو عليه السن ويضع طلاء أظافر . واعتقد أنه كان رجلاً متملماً  
بدرجة لا بأس بها ، ولكن ذلك كان مبعثه فحسب عملياته وأسلوبه فى التفكير .  
كان علمه مختلفياً فى لهجة نصف دنيوية ، هى لغة الجاهل اللامعة الصلبة  
المصقولة . وسألت :

— « لهذا السبب تستعمل قطعة سكر واحدة » ؟

وابتسم وقال : « لكل شخص نظريته ، أنا لا أهتم إلى أى مدى يبلغ  
الإرهاك بالفتى ، فستكون له نظرية عن سبب إنها كه . إن نظرية تستطيع أن  
تجعلك تفضل الطريق ، لأنك ستتبعها رغم علامات الطريق . وأظن أن ذلك  
هو ما خدعنى بشأن رئيسك » .

لم أكن قد تناوت قهوة خارج البيت منذ مدة طويلة . ولم تكن القهوة  
طيبة جداً . لم يكن لها مذاق القهوة إطلاقاً وإنما كانت ساخنة وسكبت  
بعضها على قميصي ، فعرفت أنها بنية اللون أيضاً  
-- « أظننى لا أعرف قصدك » .

— « كنت أحاول أن استرجع من أين تولدت لدى الفكرة . أظن لأنه

قال أنه ظل هنا أربعين عاماً . لعلها خمسة وثلاثون أو سبعة وثلاثون عاماً ،  
حسناً ، ولكنها ليست أربعين عاماً » .

- « احسبني لست ذكياً جداً » .

- « وهذا يجعل قدومه في عام ١٩٢٠ . الأزمات لم تفهم بعد ؟ حسناً ،  
حين تكون في مصرف يتعين عليك أن تصرف للناس بسرعة ، وأن تتحرى  
عن المتزاحمين ، كما تعلم . وسرعان ما تتوفر لديك مجموعة مبنية من الأحكام .  
إنك حتى لا تفكر فيها . إنها تحدث عند موطن الخطر - ويمكن أن تكون  
مخطئاً . فلعله جاء في عام ١٩٢٠ ، ويحتمل أن أكون مخطئاً » .

فرغت من قهوتي ، وقلت : « حان الوقت للانصراف » .

وقال مورفي : « وأنت أيضاً تستغفني لو كنت قد سألت أسئلة ، لأصبحت

ضعب المنال عليك . ولكنك لا تفعل ، وهكذا أجدني مضطراً لإخبارك .

ففي عام ١٩٢١ صدر أول قانون طارىء للهجرة » .

- « ثم ؟ »

- « في عام ١٩٢٠ كان باستطاعته الدخول . وفي عام ١٩٢١ يحتمل

أنه لم يكن يستطيع » .

- « وبعد ؟ »

- « وهكذا - على أية حال أن ذهني الذكي يقول - أنه جاء بعد

عام ١٩٢١ عن طريق الباب الخلفي . ولهذا فهو لا يستطيع الذهاب إلى بلده لأنه

لا يستطيع الحصول على جواز سفر للعودة » .

- « يا إلهي . إنني سعيد لأنني لست مصرفياً » .

- « يحتمل أنك كنت تكون أفضل مني . فإنتى أتكلم كثيراً جداً » .

لو كان سيعود إلى بلده، فإنني أكون مخطئاً حقاً . انتظر - إنني آت . القهوة  
على حسابي .

وقلت : « إلى اللقاء ، يا آني » .

— « تعال مرة أخرى ، بإيثان . إنك لا تأتي أبداً » .

— « سأفعل » .

بينما كنا نعبث الشارع قال مورفي : « لاتبح لسيادة المهاجر الإيطالي أنني

كشفت ورقة في كونه طعاماً معرضاً للإبعاد ، هل ستفعل » ؟

— « ولماذا أبوح بذلك » ؟

— « ولم بحث أنا به ؟ ماذا يوجد في حقيبة الجواهر تلك » ؟

— « قبعة فرسان أورشليم . وقد اصفرت ريشتها . سأرى إذا ما أمكن

إعادة لونها الأبيض » .

— « هل تنتمي إلى تلك الفئة » ؟

— « إنه تقليد في العائلة . لقد كنا ماسونيين قبل أن يصبح جورج

واشنجتون الأب الأكبر » .

— « وهل كان كذلك ؟ أينتمي إليهم مستر بيكر » ؟

— « إنه تقليد في عائلته أيضا » .

كنا قد صرنا في الحارة الآن . وتحسس مورفي جيبه بحثاً عن مفتاح باب

المصرف الخلفي . « ربما كان ذلك هو السبب في أننا نفتتح الخزانة وكأننا في

اجتماع المحفل . وربما كان مجرد بنا أيضاً أن نمسك بالمشروع . إنه نوع من

الأشياء للقدسة » .

وقلت : « سورفي ، إنك ملآن بالتجديف هذا الصباح • وعيد القيامة  
لم يظهر نفسك بالمرة » •

قال : « سأعرف في بحر ثمانية أيام • كلا ، إنني أعني ما أقول ، فحين  
تصير الساعة التاسعة تماماً نقف مجردين أمام قدس الأقداس ، وبعدئذ يفتح  
القفل الميقاتي وينحني الأب بيكر ويثني ركبته اليمنى احتراماً ثم يفتح الخزانة ،  
ونحن نحن جميعاً إلى الأرض تحية لإله العملة العظيم » •

— « إنك أحق يامورفي » •

— « ربما يكون الأمر كذلك • اللعنة على هذا القفل العتيق • بإمكانك أن  
تفتحه بملقط ثلج ، ولكن لا تستطيع بالمفتاح » •  
هز المفتاح ورفس الباب حتى اندفع في النهاية مفتوحاً •

أخرج من جيبه قطعة من ورق الكلينكس وكبسها في مركز زنبرك  
القفل • وأمسكت نفسي وأنا على وشك السؤال ، أليس ذلك خطراً ؟  
وأجاب دون ما سؤال ، « الشيء اللعين لا يفتح للمفتاح - طبعاً بيكر  
يتفحصه بعد فتح الخزانة ليرى ما إذا كان مقفولاً . لا تنقل شكوكي القدرة  
لماروللو ، هلا فعلت ؟ إنه عظيم الاقتدار » •

— « حسناً ، يامورفي . » قلتما واستدرت إلى بابي الخاص على الجانب  
الذي يخصني من الحارة ، وتطلعت حوالى بحثاً عن القط الذي كان يحاول الدخول  
دائماً ، ولكنه لم يكن هناك .

في الداخل ، بدا لي المحل متغيراً وجديداً . رأيت أشياء لم أكن قد رأيتها  
أبداً من قبل ، ولم أر أشياء كانت تقلقني وتزعجني . ولم لا ؟ أحضر عينين

جديدين لترى بهما عالماً ما ، أو حتى عدستين جديدين ، وسرعان - ما ترى عالماً جديداً .

كان الصمام الذي ينز منه الماء في ( سيفون ) المرحاض العتيق ينبعث منه فحيح ناعم . ولم يكن مارولوليأتى بصمام جديد لأن الماء لم يكن على حسابنا ، فمن كان يهيمه الأمر . ذهبت إلى مقدمة المحل ، ورفعت صنجة مشققة تزن رطلين من النوع القديم الطراز الذي كان يستعمل في الميزان ذى الكفتين . وفي المرحاض علقت الصنجة على السلسلة أعلا الدلاية البلوطية المزركشة . اندفع الماء بعنف في المرحاض وواصل الاندفاع . وعدت ثانية إلى مقدمة المحل لأنصت ، واستطعت أن أسمع الماء وهو يفور في صحن المرحاض إنه صوت لا يمكن أن يختلط عليك بأى صوت آخر . بعد ذلك أعدت الصنجة إلى قضيبها على الميزان واتخذت مكانى على منصتى خلف الطاولة . كان شعب كنيستى على الرفوف واقفاً ينتظر .

بالشياطين المسكينة ، إنها لم تكن تستطيع الابتعاد عن أما كنها . وقد لاحظت بالذات قناع ميكي ماوس ، وهو يتسم لى من صندوقه بأعلا في مقعده الكنسى من ما كولات الإططار . وذكرتنى ذلك بوعدى لآلان . وجدت العصا المناولة التى تستعمل فى الإتيان بالأشياء من الأرفف العليا ، وأنزلت صندوقاً وأقته تحت معطنى فى المخزن . وحين عدت إلى منصتى ، ابتسم لى من أعلى ثانى ميكي ماوس فى الصف .

مددت يدى خلف الأطعمة المحفوظة وأخرجت الحقيبة الكتانية الرمادية ، التى تحفظ بها قطع النقود الصغيرة لتوضع فى آلة عد النقود ، وبعدها ، وحين تذكرت شيئاً ما ، مددت يدى إلى أبعاد ، حتى عثرت على المسدس العتيق من عيار ٣٨



ذلك الذى كان هناك منذ أبعد ما أستطيع أن أتذكر . كان مسدساً من ماركة  
!يفرجونسون مطلياً بالفضة ، وقد تقشرت عنه معظم الفضة . كسرت المسدس  
ورأيت الرصاصات خضراء بفعل صدأ النحاس . كانت ساقيته بطيئة الحركة جداً  
بسبب الشحم القديم ، لدرجة أنها كانت تدور بصعوبة . وضعت قطعة السلاح  
المشينة والتي يحتمل أن تكون خطيرة فى الدرج أسفل آلة عد النقود ، وجذبت  
ميدعه نظيفة ، ولفقتها حول خصرتى ، وأنا أثنى طرفها العلوى إلى أعلى بإتقان  
لكى أخفى الخياطات .

هل يوجد ثمة شخص لم يفكر فى قرارات وأفعال وغزوات ذوى القدرة والبطش  
فى هذه الأرض ؟ وهل يولدها العقل وتوجهها الفضيلة ، أم يمكن أن يكون بعضها  
نتاج الحوادث ، نتاج أحلام اليقظة ، نتاج التخيل ، ونتاج القصص التى تخكيها  
لأنفسنا ؟ إننى أعرف حتى متى ظلت ألعب لعبة التخيل ، لأنى أعرف كيف  
بدأت بقواعد مورفى للقيام بسطو ناجح على مصرف . كنت قد تمتعت فى كلماته  
بمرح طفولى ، ان يعترف به البالغون عادة . كانت لعبة مضحكة تجرى متوازية  
مع الحياة فى المحل ، وكان كل شىء يحدث يقع فى مكانه من اللعبة . المرحاض  
الذى ينز الماء ، قناع ميكى ماوس الذى أراده آلان ، حكاية فتح الخزانة .  
وسقطت منحنيات جديدة وزوايا فى مكانها من اللعبة ، ورقة الكلينكس التى  
تدس فى قفل الباب الذى فى الحارة . وقليلًا قليلًا تمت اللعبة ، ولكنها كانت  
كلها مرسومة فى ذهنى حتى هذا الصباح . وكان موضع صنجة الميزان فوق سلسلة  
المرحاض هو أول مشاركة جسمانية قمت بها من أجل الباليه الموجود فى الذهن .  
وكان إخراج المسدس العتيق هو المشاركة الثانية وكنت قد بدأت الآن أتساءل  
عن التوقيت . كانت اللعبة تنمو فى شكلها السليم .

إننى لأزال أحمل ساعة والذى الفضية من طراز «هاميلتون السكة الحديدية» بعقر بيها السميكين وأرقامها السوداء الضخمة ، وهى ساعة مذهشة من حيث الإخبار عن الوقت ، إن لم يكن من حيث الجمال . وقد وضعتها فى الصباح فى جيب قميصى قبل أن أكنس المحل . وكنت أراجع الوقت ، بحيث إننى فى التاسعة إلا خمس دقائق كنت قد فتحت الأبواب الأمامية وبدأت لتوى أولى ضربات المقشة التى أقوم بها طواعية لرصيف الشارع . وإنه لمن المدهش مدى كثرة القمامة التى تتجمع بعد عطلة نهاية الأسبوع ، ثم ماذا حدث مع المطر ، صارت القمامة طيناً رقيقاً .

بالمصرفنا من آلة دقيقة مذهشة - مثل ساعة والذى طراز السكة الحديدية . فى التاسعة إلا خمس دقائق جاء مستر بيكر مع الريح من شارع الم . ولا بد أن هارى رويدت ، وأديث آلدن كانا يراقباناه . فقد خرجا من الباب الخلفى لمقهى فورماستر ، وانضما إليه فى منتصف الشارع .

ناديت : « طاب صباحك ، يامستر بيكر . طاب صباحك ، إديث . طاب

صباحك ، ياهارى . »

— « طاب صباحك ، ياإيثان . إنك ستحتاج إلى خرطوم ماء لإزاله ذلك»

ودخلوا المصرف .

أسندت مقشيتى إلى مدخل المحل ، وأخذت الصنجة من الميزان ، وذهبت خلف آلة النقود ، فتحت الدرج ، ثم قمت بتنفيذ تمثيل صامت سريع ، ولكنه رزين . سرت إلى المخزن ، وعلقت الصنجة على سلسلة المرحاض ، وشبكت طرف ميدعتى بأعلى قماطها الذى يكون على البطن ، وارتديت معطفى الواقى من المطر ، ثم خطوت إلى الباب الخلفى وفتحته مؤارباً . وعندما عبر عقرب الدقائق

الأسود في ساعتى رقم ١٢ ، بدأ جرس ساعة دار الإطفاء صلصاته ، عددت ثمان خطوات عبر الحارة ، وبعدئذ عشرين خطوة في ذهنى . حركت يدي وليس شفقتى وتركت عشر ثوان تنقضى ، ثم حركت يدي مرة أخرى . رأيت هذا كله في ذهنى - كنت أعد بينما تقوم يدي بحركات معينة - عشرين خطوه ، سريعة ولكنها رزينة ، وبعدئذ ثمان خطوات أخرى . أغلقت باب الحارة ، خلعت معطفي ، وفردت ميدعتى ، وذهبت إلى المرحاض ، تناولت الضنجة من فوق السلالة وأوقفت خريير الماء ، وتحركت إلى خلف الطاولة ، فتحت الدرج ، فتحت صندوق قبعتى ثم أغلقتة ولصقتة ، وعدت إلى الداخل مرة أخرى ، وتناولت مقشيتى ، ثم تطلعت إلى الساعة . كانت قد تجاوزت التاسعة بدقيقتين وعشرين ثانية . رائع جداً ، ولكن بقليل من المران يمكن اختصار الوقت إلى أقل من دقيقتين .

كنت قد فرغت من كنس نصف الرصيف فقط ، حين جاء ستونى ، مدير البوليس ، عبر الشارع من مقهى فورما-تر .

« طاب صباحك يا إيشان . ناولنى بسرعة نصف رطل من الزبد ، ورطلاً من لحم الخنزير ، وزجاجة لبن ، ودسته من البيض لقد نفذ كل ما كان لدى زوجتى . »

— « بالتأكيد ، يا حضرة المدير . كيف حال كل شىء ؟ » أحضرت الأشياء دعماً ، وفردت كيساً بصوت عال . قال : « بخير . لقد جئت من دقيقة مضت ، ولكننى سمعتك فى المرحاض . »

— « سيستغرق الأمر منى أسبوعاً حتى اتخلص من آثار ذلك البيض المسلوق »

وقال ستونى : « ذلك حق . على المرء أن يمضى ، عليه أن يمضى . »

- إذن كان الأمر على مايرام .
- « وبينما كان على وشك الرحيل ، قال : « ما أمر صديقك ، داني تيلور ؟ »
- « لأدرى - هل هو في إحدى نوباته ؟ »
- « كلا ، كان يبدو بخير تماماً ، ونظيفاً بدرجة لا بأس بها . كنت جالساً في السيارة ، وقد جعل مني شاهداً على توقيعته . »
- « على أى شيء . . ؟ »
- « لأدرى . كان معه ورقتان ولكنهما كانتا مطويتين إلى الخلف ولذا لم أستطع أن أرى . »
- « ورقتان ؟ »
- « أجل ، اثنتان . وقع مرتين وشهد مرتين . »
- « هل كان في وعيه ؟ »
- « بدا كذلك . وكان شعره متصوصاً ويرتدى ربطة عنق . »
- « ليتنى أستطيع تصديق ذلك ، يا حضرة المدير . »
- « وأنا كذلك . ياللفتى المسكين . أحسبهم لا يكفون أبداً عن المحاولة . على أن أذهب للبيت . » وخب مبتعداً . إن زوجة ستونى نصغره بعشرين عاماً . عدت وأزلت بالفرشاة قطع القمامة الكبيرة عن الرصيف . شعرت بالحقارة . ربما تكون المرة الأولى دائماً قاسية .
- كنت مصيباً بشأن العادة الملحة . بدالى أن كل شخص بالبلدة قد تقدم عنده كل شيء . . . وحيث إن طلبياتنا من الفواكه والخضراوات إلا قرب الظهر فقد كانت للمبيعات ضئيلة جداً . ولكن حتى مع قلة الموجود لدينا ، فإن الزبائن أتقونى أقفز هنا وهناك .

دخل مارو اللو حوالى الساعة العاشرة ولدهشتى مدلى يد العون ، بقيامه بالوزن  
واللف وضرب النقود فى آلة عد النقود . لم يكن قد عاوننى فى المحل منذ مدة  
طويلة . كان غالباً ما يتجول فيه فحسب ثم يتطلع حواليه وينصرف وكأنه مالك  
أرض يعيش بعيداً عن أملاكه ولا يهتم فى هذا الصباح عاون فى فتح علب وسناديق  
المواد الجديدة حين أتت . وبدأ لى أنه قلق ، وأنه كان يدرسنى حينما كنت لا أنظلم  
إليه . لم يكن لدينا الوقت للكلام ، أستطعت أن أحس بعينيه مستقرتين على .  
وخطر لى أنه لا بد قد سمع بأننى رفضت رشوة . ربما كان مورفى مصيباً . فهناك  
نوع معين من الرجال ، حين يسمع أنك كنت أميناً يتحسس بحثاً عن الخيانة  
التي دفعت إلى الأمانة . إن فكرة ، « ماذا يستفيد من هذا » ؟ لا بد أن  
تكون قوية بالذات فى رجال يلعبون بحياتهم نفسها كما لو كانوا يلعبون البوكر .  
بعثت فى الفكرة ضحكة ساخرة صغيرة ولكنها عميقة ، بحيث لم تدفع حتى  
ولو ببقاعة إلى السطح .

حوالى الساعة الحادية عشرة ، دخلت عزيزتى ماري ، متأقمة فى ثوب جديد  
من القطن المطبوع . كان تبدو جميلة وسعيدة ولاهثة الأنفاس قليلاً ، وكأنها قد  
فعلت شيئاً مبهجاً ولكنه خطير — وكانت قد فعلت فعلاً . ناولتنى مظروفاً بنياً  
من ورق مانيلاً التين .

قالت : « ظننت أنك قد تحتاج إلى هذا » . وابتسمت لما روللو ابتسامتها  
المشرقة التي تشبه ابتسامه طائر ، والتي تبسمها حين لا تكون ميالة فعلاً لشخص  
ما . وهي لم تسكن تميل أو تثق بمارو اللو وكان هذا دأبها ودأبها ما أرجع هذا إلى  
حقيقة أن الزوجة لا تميل مطلقاً إلى رئيس زوجها أو سكرتيرته .

قلت : أشكرك ، يا عزيزى . إنك حصيفة جداً وآسف لأننى لأستطيع أن  
أأخذك إلى نزهة فى زورق فى النيل توأ .

قالت : « أنت مشغول . »

— « حسناً ، ألم ينفذ كل ما لديك من مؤن ؟ »

— « بانئنا كيد ، ومعى قاعة . هل ستأتى بالأشياء إلى المنزل الليلة ؟ إننى

أعلم أن انهما كلك لا يمكنك من إعدادها الآن . »

— « ولكن لا بيض مسلوق . . . »

— « كلا ، يا عزيزى . كلا لسنة بأكملها . »

— « من المؤكد أن أرايب عيد القيامة كانت جد مشغولة »

— « مارجى تريد أن تأخذنا لتناول العشاء فى مقهى فورماستر الليلة . وهى

تقول إنهم لا يتمكن أبدا من تكريرنا . »

قلت : « رائع »

— « وتقول إن بيتها صغير جداً »

— « أهو كذلك ؟ »

قالت : « إننى أعطلك عن عمالك . »

كانت عينا مارولو على المظروف البنى الذى فى يدى . فوضعتة تحت

ميدعتى وحشوته فى جيبي . كان يعرف أنه مظروف من مصرف . وكنت

أستطيع أن أشعر بذهنه يتصيد مثل كلب صيد يتعقب الفيران فى مقلب قمامة مدينة .

قالت مازى : « لم تتح لى فرصة لأشكرك من أجل الحلوى ، يا ماستر مارولو .

لقد أحبها الأطفال . »

قال : « إنها مجرد أمنيات طيبة بمناسبة عيد القيامة . إن ثوبك يشبع الربيع » .

— « شكراً . إننى ابتلت أيضا ، إذ حسبت أن المطر ولى ، ولكنه عاد ثانية » .

— « خذى معطفى الواقى ، يامارى » .

— « لن أفكر فى هذا . إنه الآن مجرد رذاذ . فلتعد أنت الى زبائنك » .  
زادت الحركة سوءاً . أطل مستر بيكر إلى الداخل ورأى صف الناس المنتظرين ثم انصرف . وصاح : « سأعود فيما بعد » .

وظلوا يجيئون ، وهم يتزايدون حتى الظهر ، وعندئذ ، ومثلما يحدث عادة ، توقفت الحركة كلها . كان الناس يتناولون غداهم . وخفت صوت المواصلات فى الشارع . ولأول مرة منذ الصباح لم يكن هناك من يريد شيئاً . شربت مزيداً من اللبن من علبة الورق المقوى التى فتحتها . وإننى أقيد أى شىء آخذه من الحل ، ثم أخصمه فحسب من راتبي . وماروللو يدعنى أخذ الأشياء بسعر الجملة . وهذا يكون فرقاً كبيراً . ولا أعتقد أننا كنا نستطيع أن نعيش براتبي لو لم يفعل ماروللو ذلك .

أسند ظهره إلى الطاولة وعقد ذراعيه وآلمه ذلك ، ولذا دفع يديه فى جيوبه الى أن آلمه ذلك أيضاً .

قلت : « إننى مسرور جداً لأنك مددت لى يد العون . لم أر أبداً تراحماً كهذا من قبل ، على كل أحسبهم يستطيعون مواصلة الحياة على ما تبقى من سلطة البطاطس » .

— « إنك تؤدى العمل بشكل رائع ، يافتى » .

- « إننى أودى وظيفتى » .
- « كلا ، إنهم يعودون ، لأنهم يميلون إليك »
- « اعتادوا على فحسب ، إذ أننى هنا منذ الأزل . » وعندئذ حاولت  
محاولة بسيطة دقيقة لسبرغوره . « أراهن أنك تتطلع إلى تلك الشمس الحامية  
فى صقلية . إنها حامية فى صقلية . فقد كنت هناك إبان الحرب » .
- وتطلع ماروللو بعيداً : « إن عزمى لم يستقر بعد » .
- « ولم لا ؟ »
- « حسناً ، لقد ابتعدت عنها فترة طويلة جداً — أربعين عاماً . وأنا  
لا أعرف أحداً هناك » .
- « ولكن لك أقارب » .
- « وهم أيضاً لا يعرفوننى » .
- « إننى أود بالتأكيد لو أستطيع أن قضى عطلة فى إيطاليا — دون  
جندقية وحرمة ميدان . وورغماً عن ذلك ، فإن أربعين عاماً فترة طويلة . فى أى  
سنة جئت إلى هنا ؟ »
- « ١٩٢٠ — منذ أمد بعيد » .
- بدا أن مورفى قد أصاب الهدف . ربما يكون لدى رجال المصارف ورجال  
الشرطة ورجال الجمارك غريزة ما . وحينئذ ، تبادرت إلى ذهنى محاولة سبر غور  
أخرى ، وربما أعمق قليلاً . فتحت الدرج وأخرجت المسدس المتيق وقذفته  
خوق الطاولة . وضع ماروللو يديه خلف ظهره : « ماذا لديك هناك ، أيها الفتى ؟ »
- « كنت أفكر فحسب فى أنه ينبغى عليك الحصول على ترخيص له ،



إذا لم يكن لديك ترخيص . فقانون سوليفان قانون قاسى » .

— « ومن أين آتى ؟ »

— « لقد كان موجوداً هنا طيلة ذلك الوقت ؟ »

— « لم أره مطلقاً . إنه لا يخصنى إنه ملكك » .

— « ليس ملكى . وأنا أيضا لم أره قبل ذلك أبداً . وينبغى أن يكون

ملكاً لشخص ما . وطالما هو موجود هنا أن تعتقد أنه يجدر بك أن تقدم طلباً

للحصول على ترخيص ! أمتاً كد أنت أنه لا يخصك ؟ »

— « إننى أقول لك إننى لم أره أبداً . وأنا لا أحب الأسلحة النارية » .

— « ذلك مضحك . كنت أعتقد أن جميع رجال المافيا الكبار يحبونها » .

— « ماذا تعنى بمافيا ؟ أتحاول أن تقول إننى من المافيا ؟ »

وجعلت من الأمر نكتة كبيرة بريئة : « حسباسمعت ، فإن جميع الصقليين

ينتمون للمافيا » .

ألقيت بالمسدس فى الدرج ، وقلت : « عش وتعلم ! حسناً ، أنا بانأ كيد

لا أرغب فيه . ربما يكون من الأفضل أن أعطيه لستونى ، وأقول له إننى عثرت

عليه خلف شىء ما ، لأن ذلك هو ما حدث » .

وقال ماروللو : « فلتفعل ذلك فأنا لم أره طيلة حياتى . وأنا لا أريده .

إنه ليس ملكى » .

قلت : « حسناً ، فلينته ذلك الموضوع » .

إن استخراج ترخيص تبعاً لقانون سوليفان يتطلب مجرد بضع مستندات

وغالباً بنفس العدد اللازم لاستخراج جواز سفر .

لعبت الأفكار بعقل رئيسي . ولعل أشياء صغيرة كثيرة قد وقعت بشكل متقارب جداً من بعضها البعض .

دخلت مس الجار العجوز تجر جر نفسها في خطوات متقاربة ، وهي ترتدى جوناة جاهزة ، وهي الأميرة الملكية في نيوبايتون . وبين مس الجار والعالم كان يوجد لوحان من الزجاج غير القابل للكسر ، وبينهما فراغ . وساومت على دسنة من البيض . وحيث إنها كانت تعرفني منذ كنت صبياً صغيراً ، فهي لم تعتقد أبداً أنني يمكن أن أكون شيئاً آخر . واستطعت أن أرى دهشتها ومرورها لأنني تمكنت من حساب باقي النقود .

قالت : « شكراً لك يا إيثان » . وانزلت نظراتها على طاحون البن وعلى ماروللو وأبدت اهتماماً متساوياً بكليهما . « كيف حال أبيك يا إيثان ؟ »

قلت . « بخير ، يامس الجار » .

- « بلغه تحياتي ، أيها الولد الشاطر » .

- « حاضر يا سيدتي . سأفعل بالتأكيد ، يا سيدتي » . ولم أكن أنوي

أن أعيد تصحيح إحساسها بالزمن . . وهم يقولون إنها لا تزال تملأ ساعة جدها ليلة كل أحد ، رغم أنه تمت كهربتها منذ سنوات . لن يكون الأمر شيئاً في تلك الحالة ، أن يتوقف بها الزمن — لن يكون شيئاً بالمرّة ، أن ينتج من هذه اللحظة أصيل لا نهاية له . وأومات برأسها في جدية محيية طاحون البن قبل أن تنصرف .

- « مخلولة في عقلها » . قالها ماروللو وأدار سبابته في صدغه .

- « لا يغير ذلك من شخص ، ولا يهيب بالأذى شخصاً » .

- « إن أبك متوفى . لماذا لم تخبرها إن أبك متوفى ؟ »

— « لوأنها صديقتنى ، فإنها ستنبسى . وهى دائماً ماتسأل عنه . ولم ينقض وقت طويل منذ أبطلت السؤال عن جدى . وهم يقولون ، إنها كانت صديقته ، تلك العنزة العجوزة » .

أبدى ماروللو ملاحظته : « مخلولة فى عقلها » . ولكنه تمالك نفسه لسبب ما ، مرتبط بإحساس مس الجار غير العادى بالزمن . من الصعب أن تعرف إلى أى مدى يكون الرجل بسيطاً أو معقداً . وحين نكون فى غاية التأكد ، تكون فى العادة مخطئاً . وإننى أعتقد ، عن طريق العادة والممارسة ، أن ماروللو قد قصر صلته بالناس على ثلاث علاقات : الأمر ، والتلق ، والشراء . ولا بد أن العلاقات الثلاث قد نجحت فى أغلب الأحوال بما يسمح له بالاعتماد عليها . وعند نقطة ما من تعامله معى فقد العلاقة الأولى .

قال : « إنك فتى طيب ، كما أنك صديق طيب أيضاً »

— « إن القبطان العجوز ، الذى كان جدى ، اعتاد أن يقول : « لوأردت الاحتفاظ بصديق فلا تختبره أبداً » .

— « ذلك ذكاء » .

— « لقد كان ذكياً » .

— « ظلت طيلة يوم الأحد أفكر ، يافتى — وحتى فى الكنيسة كنت أفكر » .

وعرفت أنه قلق بشأن عملية الرشوة ، أو اعتقدت ذلك على الأقل ، وهكذا أثرت القضية لى أوفر عليه الوقت .

— « كنت تفكر فى تلك الهدية اللطيفة ، هه ؟ »

— « أجل » . وتطلع إلى فى إعجاب : « إنك ذكى أيضاً » .

- « لست ذكياً بالدرجة التي تجملني أعمل لصالحى » .
- « لقد بقيت هنا مدة طويلة — اثنتى عشرة سنة ؟ »
- « إنه كذلك — مدة طويلة جداً . وقد حان الوقت للتغيير ،  
ألا تعتقد ذلك ؟ »
- « ولم تأخذ أبداً أى شىء من الثريات ، ولم تأخذ أبداً إلى البيت أى شىء دون أن تقيده » .
- « إن الأمانة إحدى ماأخذى » .
- « لا تجعل من الأمر نكتة . إن قولى صحيح ، فأنا أراجع عليك ،  
وأعرف » .
- « بإمكانك أن تشبك الميدالية على قاية سترتى اليسرى » .
- « كل واحد يسرق — البعض أكثر ، والبعض أقل — ولكنك أنت لا تسرق ، أنا أعرف » .
- « ربما كنت أنتظر لأسرق الحل بأكمله » .
- « لا تمزح إن ما أقوله صحيح » .
- « ألفيو ، أنت تملك جوهرة ، فلا تلعنى كثيراً جداً ، وإلا أظهر معجون التلميع ما بالداخل » .
- « لماذا لا تكون شريكى ؟ »
- « بأى شىء ؟ بمرتبى ؟ »
- « سنتحايل على ذلك بطريقة ما » .
- « وحينئذ لا أستطيع أن أسرقك دون أن أسرق نفسى » .
- « وضعك فى إعزاز . « إنك ذكى ، يافتى . ولكنك لا تسرق » .

- « إنك لم تنصت إلى . ربما أدبر أخذ المحل بكامله » .
- « إنك أمين ، يافتي » :
- « ذلك ما أقوله لك . حينما أكون أكثر الناس أمانة ، لا يصدقني أحد . إنني أقول لك يا ألفيو أن تخفى بواعثك ، وتقول الحقيقة » .
- « ماهذا الكلام الذي تقوله » ؟
- « *Ars est celare Artem* . الفن لا يفسره إلا الفن » .
- وحرك شفثيه بتلك الجملة ، وبعدئذ انفجر ضاحكا . وصاح : هو ! هو ! هو !
- *Hic erat demonstrandum* وهذا هو المطلوب » .
- « أتريد زجاجة كوكا كولا باردة » ؟
- « إنها تسيء إلى هنا ! » وطوح ذراعيه متقاطعين على معدته .
- « أنت لم تبلغ من كبر السن ما يجعل معدتك رديئة ، فأنت لم تتعد الخمسين » .
- « بل في الثانية والخمسين ، ومصاب بمعدة رديئة » .
- وقالت : « حسناً ، إذن فقد جئت إلى هنا وأنت في الثانية عشرة ، إذا كان قدومك في عام ١٩٢٠ . أعتقد أنهم يبدأون تعليم اللغة اللاتينية في سن مبكر في صقلية » .
- قال : « كنت صبياً في جوقة المرتلين » .
- فقلت :
- « وأنا نفسي تعودت أن أحمل الصليب في الجوقة . سأشرب زجاجة كوكا كولا . ألفيو . فلتستنبط لي وسيلة لأشترى بها هذا المكان وسأفكر فيها . ولكنني أحذرك ، بأنني لا أملك نقوداً »

— « سنستبظها » .

— « ولكنى سأحصل على نقود » .

كانت عيناه على وجهى ، وبدا أنهما لا تستطيعان أن تحولا نفسيهما .  
وقال ما زوللو باللاتينية فى رقة : « إننى أثق بك » .

جاشت بداخلى قوة لم تكن العظمة مبعثها . فتحت زجاجة كوكا كولا ،  
وحيثما قلبتها إلى الخلف تطلعت أسفل محتوياتها البنية إلى عيني ماروللو .

— « إنك فتى طيب » . قالها وهز يدي ، واستدار مبتعداً ، خارج المحل .

و بدافع ما ، ناديت عليه : « كيف تشعر بذراعك ؟ »

واستدار بنظرة دهشة ، وقال : « لم يعد يؤلمنى بعد » . وتابع سيره وهو

يكبر لنفسه الكلمات « لم يعد يؤلمنى بعد » .

عاد مضطرباً : « كان عليك أن تأخذ تلك العمولة » .

— « أية عمولة ؟ »

— « الخمسة فى المائة » .

— « لماذا ؟ »

— « كان عليك أن تأخذها . يمكنك أن تشاركنى تدريجياً ، عليك فحسب

أن تلمسك بستة فى المائة » .

— « كلا »

— « ماذا تقصد بكلا ، إذا كنت أنا أقول نعم ؟ »

— « لن أحتاجها ، يا ألفيو . ولو احتجتها لأخذتها ، ولكنى

لا أحتاجها » .

تمهد تنهيدة عميقة .

لم يكن الأصيل بنفس ازدحام الصباح ؟ ولكنه لم يكن خفيفاً كذلك .  
ودأماً توجد فترة كساد بين الثالثة والرابعة - وغالباً ماتكون من ثلث إلى نصف  
ساعة ، ولا أعلم سببها . وبعدئذ تعود الحركة ثانية ، ويكون الزبائن في هذه  
المررة أناساً عائدين إلى بيوتهم من العمل ، وزوجات يحضرن طعام العشاء في  
آخر لحظة .

في فترة الكساد دخل مستر بيكر . وانتظر ، وهو يتطلع إلى الجبن  
والصلصة في الثلاجة ، حتى خلا المحل من زبونين ، وكلاهما من المشتريين  
المتتميعين ، من النوع الذي لا تعرف ما يريد ، النوع الذي يلتقط الأشياء ثم  
يضعها ، آملاً أن يقفز شيء ما بين أذرعهم ويطلب منهم أن يشتروه .

وأخيراً انتهى الزبونان وانصرفا .

قال : « إيثنان ، هل علمت أن ماري سحبت ألف دولار ؟ »

— « أجل ، ياسيدى . لقد أخبرتني أنها تفوى فعل ذلك . »

— « أتعلم السبب الذي تريدها من أجله ؟ »

— « بالتأكيد ، ياسيدى . لقد كانت تتكلم عنه طيلة شهر . إنك

تعرف حال النساء . يصاب الأثاث بقليل من البلى ، ولكنهن في نفس

اللحظة التي يقررن فيها الحصول على أثاث جديد ، يصير الأثاث القديم

غير صالح . »

— « ألا تظنها حماقة أن تصرف تلك النقود الآن على مثل ذلك النوع

من الأشياء ؟ لقد أخبرتك بالأمس أنه ستكون هناك فرصة ما . »

— « إنها نقودها ، ياسيدى . »

— « إنني لم أكن أتحدث عن مقامرة ، يا إيثنان . كنت أتحدث عن

استثمار مؤكد النتيجة . وإني واثق أنها كانت تستطيع بتلك الألف ، أن تشتري أتاها في خلال سنة ، ثم يظل باقياً لديها ألف أخرى .

— « مستر بيكر ، لا أستطيع بوجه حق أن أمنعها من إنفاق نقودها . »

— « ألم تستطع إغراءها ، ألم تستطع إقناعها ؟ »

— « لم يحدث هذا مني أبداً . »

— « أنت في ذلك تبدو وكأنك والدك ، يا إيشان . ذلك يبدو رخاوة . »

وإذا كنت أنوى مساعدتك لكي تقف على قدميك ، فلا أستطيع التعامل معك وأنت رخو .

— « حسنا ، ياسيدي . »

— « ولا يبدو الأمر وكأنها تنوى إنفاقها محلياً . كلا ، إنها تنوى اللف

على محلات الجملة ثم تدفع نقداً . ولا يعرف أحد ما ستنتقيه . قد يطلب البائع

المحلى سعراً أكبر ولكنه سيكون موجوداً إذا ظهر لها عيب فيما اشترت .

ينبغي أن تتدخل ، يا إيشان . حاول أن تجعلها تعيد إيداعه ! أو قل لها أن تضع

المال بين يدي . وإن تأسف على هذا أبداً . »

— « إنها تقود تركها لها أخوها ، ياسيدي . »

— « أعرف ذلك وقد حاولت إقناعها حين سحبتها . ولكنها أدارت

عينها الزرقاوية بشكل غامض - وقالت إنها تريد أن تلقى نظرة هنا وهناك

ألا تستطيع أن تلقى نظرة هنا وهناك دون أن يكون هنا في جيبها ألف دولار ؟

عليك أن تعلم هذا جيداً ، إذا كانت هي لا تعلم . »

— « أحسب أنه ليست لدى أية خبرة بهذا ، يا مستر بيكر . فلم نمتلك

أية نقود منذ أن تزوجنا . »



- « حسناً ، يجدر بك أن تتعلم وتتعلم سريعاً ، وإلا فلن يبقى لديكم منها شيء مدة طويلة . إن عادة الإنفاق مثل المخدرات مع بعض النساء » .
- « لم تتح لمارى الفرصة لتنمية هذه العادة يا سيدى » .
- « حسناً إنها ستنميها ، دعها فحسب تتذوق الدماء وستتحول إلى قاتلة » .
- « . ستر بيكر ، لأظنك تعنى ذلك » .
- « إننى أعنيه أيضا » .
- « لم توجد زوجة قط أكثر منها حرصاً على النقود ، وقد كانت مضطرة لذلك » .
- ولسبب ما أثار زوبعة ، وقال : « إنه أنت الذى خاب فيك أملى ، يا إيشان . . . إذا كنت تنوى الحصول على أية مكانة فينبغى عليك أن تكون سيد بيتك . . . كان باستطاعتك أن تؤجل الأثاث الجديد لفترة قصيرة أخرى » .
- « كنت أستطيع ، ولكنها لا تستطيع » وخطرت لى الفكرة بأن رجال المصارف ربما استطاعوا أن يدرّبوا عيونهم لتصبح مثل أشمة إكس وتظهر النقود ، وبأن فى وسعه أن يرى الظروف خلال ثيابى . « سأحاول إقناعها ، يا مستر بيكر » .
- « هذا إذا لم تكن قد صرفتها فعلاً . هل هى بالمنزل الآن ؟ »
- « قالت إنها ستستقل الأوتوبيس إلى ريدج هامبتون » .
- « يا إلهى الرحيم ! ها هى ألف دولار تضيع » .
- « حسناً ، ولكن لازال لديها بعض رأس المال » .
- « ليست تلك هى النقطة . إن وسيلة دخولك الوحيدة هى النقود » .

وقلت في نعومة : « والنقود تجلب النقود » .

— « ذلك صواب . أبعث ذلك عن ناظريك وستكون أوزة ضائعة ، ستظل

موظفًا في بقالة طيلة البقية الباقية من حياتك » .

— « إنني آسف لأن هذا حدث » .

— « حسنًا ، من الأفضل أن تطبق القانون » .

— « إن النساء مضحكات ، يا سيدي . ربما أعطها حديثك بالأمس

عن كسب النقود الفكرة ، بأن الحصول عليها سهل » .

— « حسنًا ، أوضح لها الحقيقة ، لأنه بدون هذا لن تستطيع الحصول على

أى شيء » .

— « أتتناول زجاجة كوكا كولا باردة يا سيدي ؟ »

— « أجل » .

لم يكن يستطيع شربها من الزجاجة . وكان على أن أفتح كيسًا من أكواب

الرحلات المصنوعة من الورق ، وقد هدأت الكوكا كولا من حدته قليلاً .

فقد غنم بصوت كالرعد المتراجع .

دخلت سيدتان زنجيتان ممن يسكن عند التقاطع ، وكان عليه أن يبتلع

كوكا كولاته وغضبه . « عليك أن تكلمها » . قالها في وحشية وخطا خارجًا

وعبر الشارع ليذهب إلى بيته . وعجبت إذا ما كان الحنق قد تملكه لأنه كان

حرتابًا ، ولكنني لا أظن الأمر كذلك . كلا ، أظنه كان حانقًا لأنه أحس بأنه

قد فقد عاداته في إصدار الأوامر . ويمكن أن يملكك الحنق على شخص ما ،

عند ما لا يأخذ بنصيحتك .

كانت السيدتان الزنجيتان مرحتين . وهناك عند التقاطع ، تقطن جماعة من الملونين وهم أناس ظرفاء جداً . وهم لا يشترون منا كثيراً لأن لهم محلهم الخاص ، وهم يقومون بشراء أشياء للمقارنة من حين لآخر فحسب ، ليروا ما إذا كان ولاءهم العنصرى لا يكافهم الكثير جداً . وهن يساوون في الأسعار أكثر مما يشتري ، وأنا أفهم السبب ، وهن أيضاً ، نساء جميلات ، لهن تلك السيقان ، الطويلة المستقيمة الرشيقة . إنه لعجيب ما يمكن أن يفعله سوء التغذية في فترة الطفولة بجسم الكائن البشرى وروحه فيما يتعلق بالجمال .

قبل الغلق مباشرة اتصلت تليفونياً بمارى . « يا حمامتى ، سأتأخر بعض

الوقت » .

— « تنسى أننا سنتناول العشاء مع مارجى فى الفورماستر » .

— « إننى أذكر » .

— « حتى متى تنوى أن تتأخر ؟ »

— « عشر أو خمس عشر دقيقة . أريد أن أتمشى وأتطلع إلى الكراكة

فى الميناء » .

— « لماذا ؟ »

— « أفكر فى شرائها » .

— « أوه ! »

— « أتريدن منى أن أحضر لك بعض السمك ؟ »

— « حسناً ، إذا وجدت بعض سمك الفلوندر المفلطح الطازج . فذلك

تقريباً هو كل ما يباع » .

- « حسناً - سأهرع إليه » .  
— « والآن لا تتلصقاً . سيكون عليك أن تستحم وتغير ملابسك .  
فأنت تعرف الفورماستر » .  
— « لن أتأخر ، يا حلوتي ، يا حبيبتي . لقد صب على مستر بيكر جام  
غضبه لأنني تركتك تنفقين ألف دولار » .

— « ذلك العنزة العجوز ! »

— « ماري ! إن للجدران آذاناً » .

— « قل له أن يفعل ما يستطيع » .

— « ولكنه لا يستطيع . وبالإضافة ، فإنه يمتد أنك غبية » .

— « ماذا؟ »

— « وأنى رخو ، رخو - وأنت تعرفين كيف أكون » .

كانت مضحك ضحكها المرتعشة الحلوة ، تلك التي كانت تبعث في روعي

أكبر قدر من السرور .

قالت : « أسرع إلى البيت ، يا عزيزي . أسرع إلى البيت » كيف يكون

وقع هذا على رجل ! حين علقت سماعة التليفون ، وقفت إلى جواره وأناضعيف

بومتها لك وسعيد في وقت واحد ، إذا كانت توجد حالة كذلك . حاولت أن

أتذكر كيف كان الحال قبل ماري ، ولكن لم أستطع التذكر ، أو كيف يمكن

أن يكون الحال بدونها ، ولم أستطع تصوره ، إلا بأنه سيكون حياة يحوطها

«السواد . وأظن أن كل واحد في فترة أو أخرى يكتب شاهد قبره . ويمكن أن

يكون شاهدي ، « وداعاً ، يا شارلي » .

كانت الشمس قد انحدرت أسفل التلال الغربية ، ولكن سحابة مغيرة ضخمة كانت تغترف ضوءها وتلقيه على الميناء وحاجز الأمواج ، وعلى البحر خلفه ، لدرجة أن صارت الموجات ذات الزبد حمراء كالورود . كانت الركائز الخشبية التي في الماء بجوار رصيف المدينة ، تتكون من ثلاث كتل من الخشب ير بطها عند القمة سير من الحديد ، وتنحدر كأنها أبراج مطار لتمزق ثلج الشتاء . وعلى قمة كل منها وقف طائر نورس بلا حراك ، وهو غالباً ذكر ، ذو صدر أبيض لا تشوبه شائبة وجناحين رماديين نظيفين . وإني لأتساءل : هل كل منها يملك مكانه ، ويستطيع بيعه وتأجيريه حسب مشيئته؟ . كانت هناك بضعة قوارب صيد بداخل الميناء . وأنا أعرف كل الصيادين ، وقد عرفتهم طيلة حياتي ، كانت ماري على صواب . لم يكن لديهم سوى سمك الفلوندر . وابتعت أربع سمكات طازجة من « جولوجان » ووقفت بينما كان يقطعها لي شرائح ، وسكينه ينزلق على طول السلسلة الفقرية بنفس السهولة التي تنزلق بها حين تكون في الماء . وفي الربيع يوجد موضوع حديث وحيد أكيد - متى سيصل سمك الشواطئ الشرقية؟ وكانت عادتنا أن نقول : « عندما تزهو الليالي سيصل سمك الشواطئ الشرقية . » ولكنك لا تستطيع أن تعتمد على هذا القول . يبدو لي أن سمك الشواطئ الشرقية لم يصل طيلة حياتي أو أنه كان قد انصرف لتوه . وياله من سمك جميل حين تحصل على واحدة منه رشيق كالسلمون المرقط ، ونظيف ، وفضي مثل - الفضة . ورأيت طيبة . حسناً ، لم يكن يجري في مياها . فلم يمسك جولوجان ولو واحدة منه .

وقال جو : « أما أنا ، فإني أحب السمك النفاخ . والشئ المضحك ،

حينما تدعوه السمك النفاخ لا يقربه أحد ، ولكن همه فرار يبح البحر ، وسيتقائل الزبائن من أجله .

- « كيف حال ابنتك ، يا جو ؟ »

« أوه ، يبدو عليها التحسن ، ثم تأخذ في الذبول ثانية ، إن هذا يعطيني . »

- « هذا سيء جدا . إنني آسف من أجلك . »

- « لو كان هناك شيء ما يمكن عمله . »

- « أعرف - الطفلة المسكينة . إليك كيساً ، أسقط فيه السمكات .. بلغها . »

حبي ، يا جو .

نظر طويلًا في عيني كما لو كان يتملأ في أن يستخلص مني شيئًا ما .

دواء ما . وقال « أحاول ذلك ، يا إيث . سأبلغها . »

خلف حاجز الأمواج كانت « كراكة » البلدة تعمل ، و « بريمتها »

العلاقة تحفر الطين والأصداف البحرية ، بينما تدفع المضخات القذارة خلال

ماسورة على عوامات ، وتقذفها على الشاطئ خلف الحواجز التي أسودت من

القار . كانت أنوار تشغيلها مضاءة وكذلك مصابيح سيرها ، كما علقت كرتان

حراوتان لتبيننا أنها تعمل . كان هناك طباح شاحب يرتدى قبعة بيضاء وفيدعة ،

ويستند ذراعيه العاريتين إلى القضيب ويتطلع إلى أسفل الماء العكر ، وأحيانًا

ما يبصق في الموجة الهاجمة . كانت الريح تهب إلى الشاطئ ، وتجلب من غند

« الكراكة » رائحة الطين النمل ، والحارات التي ماتت منذ أمد بعيد ،

والأعشاب الملونة مع الرائحة الحلوة المنبعثة من خبز قرفة في فطيرة نفاخ ..

واستدارت « الكراكة » الضخمة في جلال ، وهي تحفر في القناة .

وحينئذ وفي ومضة وردية ، التقطت أشرعة بخت صغير ضوء الشفق ، ثم اقتربت وفقدت الضوء ، وتجولت عائداً ، ثم استدريت إلى الخلف مخلفاً دار البحرية الجديدة ، ونادى اليخت القديم ، وقاعة الفرقة الأمريكية بمدافعها البنية الطلاب والرابضة بجوار درجاتها .

كانوا يحاولون إلى ساعة متأخرة في ساحة القوارب ، وهم يحاولون إطلاق القوارب المخزونة ، وإعدادها لمواجهة الصيف القادم . كان البرد غير العادي في الربيع المبكر قد أعادهم الرغبة للإطلاق والتلميع .

سرت مسرعاً متجاوزاً مصانع القوارب ، وبعثت منحنياً خلال بقعة الأرض ذات الأعشاب النامية متجهاً إلى حافة الميناء ، وبعثت عدت في بطن متجهاً إلى كوخ داني المتواضع ، وصفرت حلاً قديماً على عكس رغبته .

وبدا أنه لم يرهق في ذلك ، فقد كان كوخه حلويماً ، ولكني كنت أعلم علم اليقين كالمو كمنت أراه ، أن داني كان يرقد مختفياً بين الأعشاب ، وربما بين الجذوع المربعة الضخمة التي تبعثت حول المكان . وحينئذ أنني كنت أعلم أنه سيعود حالما انصرف ، فقد تناولت المظروف البني من جيبه وأسندهته فوق فراشه القذر وانصرفت مبتعداً ، وأنا لأأزال أصفر ، ما عدا للحظة واحدة ، حين ناديت بصوت رقيق « وداعاً ، ياداني . وحظاً سعيداً . » وسرت في طريق أصفر عائداً إلى الشارع ثم في اتجاه بورلوك ، وتجاوزت البيوت الفخمة إلى شارع إلم ، ووبنفس الحال إلى منزلي - بيت آل هولي .

وجدت عزيزتي ماري في قلب عاصفة ، كانت تدور في هدوء وبطن وسط الأنقاض ، ورياح ضخمة تهب من حولها . كانت تدبر عملية التدمير وهي تلبس

ردائها الداخلى المصنوع من النايلون الأبيض وترتدى خفها ، كان شعورها  
للفسول حديثاً قد ألغى حول مشابك الشعر فوق رأسها وكأنه قطع ضخم من  
الخنزير الرضية . لا أستطيع أن أتذكر متى خرجنا لتناول العشاء فى مطعم .  
فلم يمكن نستطيع دفع تكاليفه ومن ثم فقدنا العادة . وقد أهاج انفعال مارى  
الوحشى الأطفال ، وأوصلهم إلى حافة إعصارها الشخصى . لقد ألطعتهم ،  
وغسلتهم ، وأصدرت لهم الأوامر ، ثم ألغى الأوامر . وكانت لوحة الكى  
منتصبة فى المطبخ ، وملابسى العزيزة القيمة ، مكوية ومعلقة على ظهور  
الكراسى . كانت مارى تتوقف فى أثناء ركضها لتمر بالمكرواة على ثوب كانت  
تكويه . كان الطمأن قد بلغ بهما السرور حد الأيا كلاً ، ولكنهما كانا  
قد تلقيا الأوامر .

لدى أربع حلل تسمى « الحلل الأحسن » - وهذا عدد طيب بالنسبة  
لموظف فى محل بقالة ، وتحسستها بأصابعى على ظهور الكراسى . كانت  
أسمائها : الزرقاء العتيفة ، وجورج بروان الحلوة ، ودوريان جراى ، وحلة الجناز  
السرواء أو الحصان الساكن .

— « أيتها واحدة سأرتدى ، يا حاصتى ؟ »

— « حاصتى ؟ أوه ! حسناً ، إنها ليست رسمية ، كما أنها ليلة الاثنين ،

يودى أن أقول إنها يمكن أن تكون جورج بروان الحلوة ، أو دوريان أجل ،  
حوريان ففيها من الرسمية ما يكفى ، دون أن تبدو رسمية » .

— « مع ربطتى البايون الحريية المنقطة ؟ »

— « طبعاً » .



اندفعت إبليين داخله . « بابا ! أنت لن ترأى البايون ! فأنت كبير السن جداً على ذلك » .

- « إننى لست كذلك . إننى شاب ومرح وطائش » .

- « ستكون طائر عنز مضحك . إننى سعيدة لأننى لن أذهب معكم » .

- « وأنا أيضاً . من أين خطرت لك فكرة أننى عنز عجوز ؟ »

- « حسناً ، إنك لست عجوزاً ، ولكنك كبير السن جداً على ارتداء

بايون » .

- « أنت رجعية صغيرة رديئة » .

- « حسناً ، مادمت ترغب فى أن تكون عنزاً مضحكاً »

- « ذلك ما أرغب فى أن أكونه ، مارى ، ألا تريدن أن أكون عنزاً

مضحكاً » .

- « دعى والدك وشأنه ، فعليه أن يستحم . لقد أخرجت لك قيصاً على

الفراش » .

وقال آلان : « لقد وصلت إلى منتصف مقالتي « أنا أحب أسبكا . »

- « هنا حسن ، لأننى أنوى الحاقك بعمل فى الصيف القادم » .

- « عمل ؟ »

- « فى المحل » .

- « أوه ! لم يبد متحمساً جداً » .

فتحدث إبليين فيها ، ولكنها استرعت انقباهنا ولم تقل شيئاً . وكررت مارى

الأشياء الخمسة والثمانين التى ينبغى على الأطفال أن يفعلوها ، أو لا يفعلوها فى أثناء

خروجنا ، وصعدت إلى الدرج لآخذ حمامى .

كنت أعقد ربطتي العزيزة الزرقاء الحريرية المنقطة ، ربطتي الحريرية الوحيدة الزرقاء المنقطة ، حين استندت إيلين إلى الباب من الداخل . وقالت في أنوثة مخيفة : « لن تكون بمثل هذه الرداءة ، لو كنت أصغر في السن » .

— « انك ستمنحين زه جا سعيداً وقتاً تمساً ، ياعزيزتى » .

— « بل حتى طلبة الفصول المتقدمة في المدرسة العليا لا يرتدونها » .

— « ولكن رئيس الوزراء ما كميلان يرتديها » .

— « ذلك مختلف . بابا هل يعتبر غشاً أن ينقل شيء ما من كتاب ؟ »

— « أوضحي ؟ »

— « حسنا ، لو أن شخصاً ، لو كنت أكتب مقالاً ونقلت مادة من

كتاب - فماذا يكون ذلك ؟ »

— « سيعتمد الأمر على كيفية فعل ذلك » .

— « أقول كما قلت - أوضح » .

— « ألا تعنين « مثلما قلت أنا » ؟ »

— « نعم » .

— « حسنا ، لو وضعت قوسين صغيرين حولها وتذيلاً تقولين فيه من

الذي كتبها ، فيمكن أن تضيف الموضوع مهابة ونفوذاً . وأعتقد أن نصف

ما يكتب في أمريكا اقتباسات إن لم يكن مختارات . والآن هل تعجبك ربطتي ؟ »

— « افترض أنك لم تضع تلك العلامات » .

— « حينئذ تصير سرقة مثل أى نوع آخر من السرقة . أنت لم تفعل

ذلك ، أليس كذلك ؟ »

— « كلا » .

— « إذن فما هي مشكلتك ؟ »

— « وهل يمكنهم أن يضوءوك في السجن ؟ »

— « ممكن — إذا حصلت على نقود في مقابلها . لا تفعل هذا ، يا ابنتي .

والآن ما رأيك في ربطتي ؟ »

قالت « أعتقد أنها لا تلائمك إطلاقاً » .

— « إذا كنت تنوين اللحاق بالآخرين ، فيمكنك أن تخبري أخاك ذا

العينين الطارفتين أنني أتيت له بقناع ميكي ماوس الدامي ، وليحل

العار عليه » .

— « إنك لا تصغي إلى أبدا ، لا تصغي إصغاء حقيقياً » .

— « بل إنني أصغي فعلاً » .

— « كلا ، أنت لا تفعل . وستأسف على ذلك » .

— « وداعاً ، يا ليذا . باغي سلامي للأوزة » .

ابتعدت في تكاسل ، إنها طفلة اسمتها الرغبة . والبنات يقتلنني . حين

يستحلن إلى بنات .

كانت زوجتي ماري جميلة فعلاً ، جميلة فعلاً ومتألقة . ومن داخلها كان يشع

ضياء ينبثق من مسامها . وتناولت ذراعي وهي تسير في شارع إلم تحت الأشجار

المتعاقبة وأنوار الشارع تتراقص فوقنا ، وأقسم أن ساقينا كانت تتحرك في خطوات

مختلة رقيقة كخطوات الخيل الأصيلة حين تصل إلى حاجز السباق .

— « ينبغي أن تأتي إلى روما ! إن العالم العظيم يناديك . »

فضحكت . وأقسم أنها ضحكت بشكل يسمغ الشرف على ابنتنا .

— « سنخرج مرات متعددة ، يا عزيزتى » .

— « متى ؟ »

— « حين نصير أغنياء » .

— « ومتى يتم ذلك ؟ »

— « حالا . وسأعلمك كيفية ارتداء الخذاء » .

— « وهل سنشعل سيجارتك بورق من فئة العشرة دولارات ؟ »

— « بل من فئة العشرين » .

— « إننى أحبك » .

— « إنها قشور ، ياسيدتى . ولا ينبغى أن تقولى ذلك ، فأنت نمرجينيى

تماماً »

منذ فترة ليست بالطويلة ركب أصحاب الفورماستر نوافذ مقوسة تطل على الشارع ، وهى نوافذ ذات ألواح مربعة صغيرة من زجاج القنينات ، وقد صممت لتجعل للكان يبدو عتيقا وأصيلاً - وقد بدا كذلك - ولكن الناس الجالسين إلى المناضد بالداخل ، كانت أشكال وجوههم تتغير بسبب الزجاج الملتف . فأحد الوجوه يبدو كله وكأنه فك ، ووجه آخر وكأنه عين كبيرة فارغة ، ولكن هذا كله كان يزيد من عمر وأصالة الفورماستر العتيق . وذلك أيضا ما كنت تضيفه عليه نباتات منقار الغرنوق وأعشاب اللوبيليا المزروعة فى الأحواض التى بأسفل النوافذ .

كانت مارجى فى انتظارنا ، مضيئة إلى أطراف أناملها . وقدمت لنا رفيقها ، شخص يدعى مستر هارتوج من نيويورك ، لوحته الشمس وتهبأت له أسنان كأنها أذن سيد من الريف . وقد بدا على مستر هارتوج الانطواء والخجل ، ولكنه

كان يجيب على كل جملة بضحكة استحسن ، كانت هي مشاركته في الحديث ، ولم تكن مشاركة رديئة .

قالت ماري : « كيف حالك ؟ »

وضحك مستر هارتوج .

وقلت : « أتعشم أن تعلم أن رفيقتك ساحرة . »

وضحك مستر هارتوج . وكنا جميعاً نشعر بأننا في خير حال .

قالت مارجي : « لقد طلبت منضدة مجاورة للنافذة ، تلك التي هناك . »

— « وقد جعلتهم أيضاً يضعون زهوراً خاصة ، يمارجي . »

— « ماري ، كان على أن أفعل شيئاً ما لأرد كل عطفك . »

واستمرتا على هذا المنوال في أثناء وبعد أن أجلسنا مارجي ، وكان مستر

هارتوج يضحك في كل لحظة ، من الواضح أنه رجل ذكي . ورسمت خطة

استخلص بها كلمة منه ولكن فيما بعد .

كانت المائدة المعدة تبدو رائعة وبيضاء جداً ، وكانت الفضيّات التي ليست

من الفضة تبدو مفضضة بشكل زائد .

قالت مارجي : « إنني المضيفة وذلك يعني أنني الرئيسة ، وأنا أقول مارتيني

سواء أردتموه أم لا ، وضحك مستر هارتوج .

وجاءت كئوس المارتيني ، لم تكن أكواباً صغيرة كحمامات الطيور ومعها

شرائح ملتوية من قشر الليمون . كان مذاقه الأول لاذعاً مثل عضّة الخفاش

مصاص الدماء ، وبعث خدره البسيط ، وبعد ذلك رق طعم الشراب ، وقرب

نهاية الكأس استحال شربه إلى شيء طيب .

وقالت مارجى : « سنتناول كأسين . الطعام جيد هنا ولكن ليس بمثل جودة الشراب » .

وبعدئذ قصصت كيف كنت أخطط دائماً لفتح بار ، يمكنك فيه أن تتناول كأسك الثانى من المارتين فحسب . وحتماً كنت سأجمع ثروة .

وضحك مستر هارتوج ، وظهرت فوق مائدتنا أربعة حمامات طيور أخرى ، حين كنت لأزال أمضغ شريحة الليمون الأولى .

نمت لدى مستر هارتوج القدرة على الكلام مع أول رشفة من شرابه الثانى كان صوته منخفضاً متذبذباً ، مثل ذلك الذى يكون لممثل أو مغن أو وكيل محتجول يدعو لنوع من المنتجات لا يرغبه الناس . وبإمكانك حتى أن تسميه جسوتاً يدعو للنعاس .

قال : « مسز يانج هنت تقول إنك من رجال الأعمال هنا . إنها بلدة ساحرة لم تتلف بعد » .

وكنت على وشك أن أقول له طبيعة عملي بالضبط ، حين تناولت مارجى دفعة الحديث ، وقالت : « إن مستر هولى هو قوة المستقبل فى هذا البلد »  
— « هكذا ؟ وفى أى حقل تعمل ، يامستر هولى ؟ »

فقالت مارجى : « كل شىء كل شىء على الإطلاق ، ولكن ليس بطريقة مكشوفة كما تعلم . » كان فى عينيها ألق الشراب . وتطلعت إلى عيني مارجى كان التالى قد بدأ يكسوها ، وهكذا حكمت أن الآخرين قد تناولوا زوجاً من كشوس الشراب قبل أن تأتى ، أو على الأقل مارجى .  
قلت : « حسناً ، ذلك ينقذنى من مهمة إنكاره » .

وعاد مسترهار توج إلى ضحكته . « إن لك زوجة بدیعة ، وذلك نصف  
المركة » .

— « بل ذلك كل المركة » .

— « إيثان ، ستجعله يعتقد أننا نقشاجر » .

— « أوه ، إننا فعلاً نفعل ! » واجترعت نصف الكأس وأحسست بالدفء  
يقفز إلى أعلى خلف عيني . وكنت أتطلع إلى قاع الزجاجاة في إحدى تريعات  
النافذة الصغيرة . كانت تلتقط ضوء الشمعة وبدا أنها تدور في بطن . وربما كان  
ذلك - تنويماً مغناطيسياً ذاتياً ، لأنني سمعت صوتي يتتابع ، وكنت أصغى إلى  
نفسى من خارج نفسى . « إن مسز مارجى هى ساحرة الشرق . والمارتينى ليس  
شراباً ، إنه جرعة دواء » . كانت الزجاجاة ذات الوميض لا تزال تجتذبني .

— « أوه ، يا إلهى ! كنت دائماً أعتقد أننى مثل أوزما . ألم تكن ساحرة

الشرق ساحرة شريرة ؟ »

— « كانت كذلك فعلاً . »

— « ألم تتلاشى ؟ »

وخلال الزجاج المقوف رأيت صورة رجل يمشى ماراً على الرصيف . كان  
شكله كله قد تشوه بواسطة تحريف الزجاج ، ولكنه كان يميل برأسه قليلاً ناحية  
اليسار ، ويسير بطريقة عجيبة على الجزء الخارجى من قدميه . كان داني يفعل  
ذلك . ورأيت نفسى أقفز إلى أعلى وأهرع خلفه . رأيت نفسى أجرى إلى ناصية  
شارع إلم ، ولكنه كان قد اختفى فعلاً ، ربما فى الحديقة الخلفية للمنزل الثانى

وصحت ، داني ! داني ! أعد إلى النقود . أرجوك ، ياداني ، أعدها إلى . لا تأخذها  
إنها نقود مسمومة . إنني سممتها ! »

سمعت ضحكة كانت ضحكة مستر هارتوج . وقالت مارجي : « حسنا ، كنت  
أفضل أن أكون أوزما . »

مسحت الدموع من عيني بفوطة ، وقلت شارحاً : « كان ينبغي أن أشرب  
الشراب ، لأن أحى عيني فيه . انه يحرق . »  
وقالت ماري : « إن عينيك محمرتان تماماً . »

لم أستطع العودة إلى الحفل ، ولكنني سمعت نفسي أتكلم وأحكي حكايات  
وسمعت زوجتي ماري تضحك ضحكة كالجد المذهب ، وهكذا خمنت أنني كنت  
مرحاً ، بل وحتى جذاباً ، ولكنني لم أستطع أبداً أن أعود إلى المنضدة . وأظن  
أن مارجي عرفت الأمر . فقد ظلت تنظر إلى وفي عينيها سؤال مختلف ، عليها  
اللعنة . لقد كانت ساحرة .

لأدري ماذا كان أمامنا للأكل . أذكر فبيداً أبيض ، ولعل ذلك كان  
سمكاً . كانت الزجاجة المتألفة تدور وكأنها مسروحة . وكذلك كان يوجد براندي  
ولذا فلا بد أن أكون قد تناولت قهوة - وبعدها انتهى الأمر .

وفي أثناء خروجنا ، وحينما تقدمتنا ماري ومستر هارتوج ، تساءلت مارجي :

— « إلى أين ذهبت ؟ »

— « لأعرف ماذا تقصدين . »

— « إنك ذهبت بعيداً . كنت هنا جزئياً فحسب . »

— « ألسنت ، ساحرة ! »



قالت : « حسناً ، أيها البرعم الصغير » .  
في طريق عودتنا إلى البيت ، كنت أفقش في ظلال الحدائق . كانت ماري  
متعلقة بذراعي ، وخطواتها مهتزة قليلاً . وقالت :  
— « ياله من وقت ممتع ، لم أمض من قبل أبداً وقتنا أمتع من هذا » .  
— « كان وقتاً لطيفاً » .  
— « إن مارجي مضيئة كاملة . ولا أدري كيف سارد لها مثل ذلك  
العشاء » .  
— « إنها كذلك بالتأكيد » .

— « وأنت يا إيثان كنت أعلم أنك تستطيع أن تكون مرحاً ، ولكنك  
أضحكتنا طيلة الوقت . لقد قال مسترهارتوج إنه تعب من كثرة الضحك على  
المسترد بيكر » .  
هل تكلمت عن ذلك ؟ عن أية حكاية ؟ لا بد أن أكون قد فعلت . أو  
داني أعد النقود ! أرجوك !

وقالت زرجتي ماري : « أنت أفضل من عرض مسرحي » . وفي مدخل  
بيتنا جذبتها إلى بقوة شديدة ، لدرجة أنها شهقت وهي تقول : « إنك منقلب  
الزجاج ، يا عزيزي . إنك تؤلم . أرجوك لاتدعنا نوقظ الأطفال » .

كان قصدي أن أنتظر حتى تنام ، وبعدئذ أنسل إلى الخارج ، لأذهب إلى  
كوخه لأبحث عنه ، بل وحتى لأجعل البوليس يقتفي أثره . ولكني كنت أعلم  
جيداً . لقد اختفى داني . كنت أعلم أن داني قد اختفى . ووقدت في الظلام  
أرقب النقط الحمراء والصفراء وهي تسبح في دموع عيني . كنت أعلم ما فعلت .

وكان داني يعلمه أيضاً . فكرت في قتلي للأرنب الصغير . ربما تكون هذه أول مرة فحسب يتملكني فيها البؤس . وينبغي مواجهته . ينبغي على المرء في الأعمال وفي السياسة أن يحفر ويمهد طريقه خلال رجال ، لكي يتوصل إلى القمة . وحالما يصل إلى هناك ، يستطيع أن يكون عظيماً وعطوفاً . ولكن يتحتم عليه أولاً أن يصل إلى هناك .

## الفصل العاشر

يبعد مطار تمبلتون عن نيوبايون حوالي أربعين ميلاً فحسب ، وذلك يقارب خمس دقائق طيران بالنسبة للنفائات . وهي تحلق فوقنا بانتظام متزايد ، كأمراب من البعوض المميت . وأتمنى لو استطعت الإعجاب بها ، أو حتى حبها مثلما يحبها ابني آلان . وربما استطعت حبها لو كان لهذه الطائرات أكثر من غرض واحد ، ولكن مهمتها الوحيدة هي القتل وأناقد امتلات معدتي منه . إنني لم أتعلم ، مثل آلان ، أن أحدد مواقعها بالتطلع أمام الصوت الذي ينبعث منها . إنها تخترق الحاجز الصوتي محدثة فرقة تجملني أعتقد أن القرن قد انفجر . وحين تحلق فوقنا في أثناء الليل ، تتداخل في أحلامي فأستيقظ وبى إحساس سيء بالمرض ، وكأن روحى قد أصيبت بقرحة .

في ساعة مبكرة من الصباح أحدث سرب منها فرقاته فقفزت مستيقظاً ، وأنا أرتعد قليلاً . ولا بد أنها جعلتني أحلم بتلك البنائق الألمانية من عيار ٨٨ ملليمتر التي تستخدم في كافة الأغراض والتي اعتدنا أن نعجب بها ونحشاها كثيراً جداً .

كان جسدى يخزنى من عرق الخوف ، وأنا راقد في ضوء الصباح المتجمع ، أصغى إلى مغازل الخسة الرقيقة وزئيرها يفيض على البعد . وفكرت كيف كانت تلك الرعدة تحت جلد كل إنسان في العالم ، لم تكن في ذهنه ، بل عميقة تحت الجلد . إن الأمر ليس أمر النفائات بقدر ما هو الغرض منها .

حين تتضخم حالة أو مشكلة تضخماً كبيراً جداً ، فإن الناس يتقونها بعدم التفكير فيها . ولكنها تتعمق إلى الداخل وتختلط بعديد من الأشياء الأخرى .

الموجودة هناك فعلاً ، وينتج عن هذا الحزن والقلق ، والإحساس بالإثم والاضطرار للحصول على شيء — أى شيء — قبل أن يضيع جميعه . وربما لا يتناول علماء النفس الذين يسرون على خطوط تجميع ، عقداً بالمرّة ، بل يتناولون تلك الرؤوس الحربية التي قد يحدث يوماً ما أن تصير سحباً على شكل نبات عيش الغراب . والحقيقة أن كل من أراه تقريباً ، يبدو لى عصبياً وقلناً ومرتفع الصوت قليلاً ، وأحقق في مروح مثل أناس يسكرون في ليلة رأس السنة . وكأنه يطبق المثل القائل : ينبغي تناسى المعارف القدامى وتقبيل زوجة جارك .

أدرت رأسي ناحية زوجتي . لم تكن تبتمس في نومها . كان فيها متديلاً إلى أسفل ، وقد أحاطت بعينها غير المقلتين تماماً هالات الإعياء ، وإذن فهي مريضة ، لأنها تبدو هكذا حين تكون مريضة . وهي أحسن الزوجات صحة في العالم إلى أن تمرض — وهذا ليس دائماً — وحينئذ تصير أشد الزوجات مرضاً في العالم .

أحدث سرب آخر من النفائات فرقة وهو يخترق حاجز الصوت . ربما نكون قد أمضينا نصف مليون عام لكي نعتاد استخدام النار ، وأقل من خمسة عشر عاماً لكي نوجد التفكـكـير في هذه القوة التي هي أكثر وحشية من النار بكثير . هل أتاحت لنا الفرصة قط لنجعل منها أداة طبيعة ؟ وإذا كانت قوانين التفكـكـير هي قوانين الأشياء ، فهل يمكن أن يحدث انقسام ذاتي في الروح ؟ وهل هذا ما يحدث لى الآن ، ويحدث لنا ؟

أذكر قصة حكمتها لى العمّة ديبورا منذ أمد بعيد . في فترة مبكرة من طاقرن الماضي كان بمض أفراد عائلتي ينتمون إلى طائفة « حواربي

المسيح (\*) . وكانت العمدة ديورا طفلة آ نذاك، ولكنها كانت تذكر كيف أن نهاية العالم آتية في وقت محدد . وترك والداها وراءهما كل شيء ويمتلكانه ما عدا ملاءات الفراش . وتلك التفاهة ، وفي الوقت المتنبأ به ذهبها إلى التلال ليلاقيا نهاية العالم . كان مئات من الناس ، يصلون ويغنون . وهم يرتدون الملاءات ، وحل الليل فعلا غناؤهم ورقصوا ، وحين اقترب الموعد المحدد ، سقط شهاب — حسب قولها — وصرخ كل فرد . كانت لا تزال تستطيع تذكر الصراخ . كانوا كالذئاب — حسب قولها — وكالفهود ، رغم أنها لم ترفهداً قط . وحينئذ حلت اللحظة . وأمسك رجال ونساء وأطفال يتدثرون بالبياض أنفاسهم . واستمرت اللحظة واستمرت . وأصابت الأطفال زرقة في الوجوه . وبعدئذ انقضت اللحظة . لقد تم الأمر وغرر بها مما أدى إلى دمارهم . ومع الفجر زحفوا إلى أسفل التل وحاولوا استرداد الملابس التي خلفوها ، مع آنيهم وقبورهم وثيابهم وحميرهم . وأنا أذكر إلى أية درجة من سوء كانت أحاسيسهم .

أعتقد أن ما أعاد تلك القصة إلى ذاكرتي هو النفائات — كل ذلك الجهد الهائل والوقت والمال لكي نخزن كل ذلك الموت . هل كنا سنحس بالخديعة لو لم نستعملها أبداً ؟ بوسعنا أن نطلق صواريخ في الفضاء ، وانكفنا لا نستطيع أن نشفي غضباً أو حزناً .

فتحت زوجتي ماري عينيها ، وقالت : « إيثنان ، أنت تتكلم مع نفسك . ولا أدري عن أي شيء ، ولكن صوتك عال . أبطل التفكير ، يا إيثنان » .

---

(\*) حواريو المسيح « طائفة أمسها في نسلقانياسنة ١٨١٠ توماس واسكندر كامبل » وهي طائفة تنسك بالكتاب المقدس وحده ، وتحفل بالعشاء الرباني كل يوم أحد . وقد انفصلوا بكنائسهم وأصبحوا طائفة مستقلة ، وسميت كنائسهم باسم « كنائس المسيح » .

كنت على وشك إقتراح أن تكف عن الشراب ، ولكنها بدت بأثمة  
جداً . وأنا دائماً لا أعرف متى ينبغي على ألا أمزح : ولكنها هذه المرة قلت :

— « أهى رأسك ؟ »

— « أجل » .

— « ومعدتك ؟ »

— « أجل » .

— « وكل جسمك ؟ »

— « كل جسمى » .

— « هل أحضر لك شيئاً ؟ »

— « أحضر لى قهراً » .

— « ابقى راقدة » .

— « لا أستطيع . على أن أهيب الأطفال للمدرسة » .

— « سأقوم بهذا » .

— « عليك أن تذهب لعمالك » .

— « سأقوم بهذا ، أقول لك » .

وبعد لحظة ، قالت : « إيثنان ، أعتقد أننى لا أستطيع النهوض . إننى أشعر

أننى مريضة جداً » .

— « هل آتى بطبيب ؟ »

— « كلا » .

— « لا أستطيع أن أتركك بمفردك . أيمكن أن تبقى إيلين معك ؟ »

— « كلا ، فلديها امتحانات » .

- « هل أتصل تليفونيا بمارجى يا بيج هنت لتأتى إلى هنا ؟ »
- « لقد رفعوا تليفونها . وستحصل على جهاز جديد . »
- « يمكننى المرور عليها وسؤالها المجرم . »
- « ستقتل أى إنسان يوقظها فى هذه الساعة المبكرة . »
- « يا استطاعتى أن أدس ورقة تحت بابها . »
- « كلا ، لا أريدك أن تفعل . »
- « ليس فيها شىء . »
- « كلا ، كلا ، لا أريدك أن تفعل . لا أريدك أن تفعل . »
- « ولا يمكنى لأستطيع أن أتركك بمفردك . »
- « إنه لأمر مضحك . إننى أشعر بتحسّن . أظن أن الصباح فيك هو الذى فعل ذلك . حسناً ، هذا صحيح . »
- قالتها ، ثم ألكى تبرهن على صحة قولها ، نهضت وارتدت الروب دى شلمبر كان التحسّن بادياً عليها بالفعل .
- « أنت رائعة ، يا عزيزتى »
- جرحت نفسى فى أثناء الحلاقة ، ونزلت لتناول الإفطار وقطعة صغيرة حمراء من ورق التواليت ملتصقة بوجهى .
- لم يكن مورفى واقفاً تحت السقيفة يخلل أسنانه حين مررت بها . كنت سعيداً فلم أكن راغباً فى رؤيته . وأسرعت لجرد أنه قد يحاول اللحاق بى .
- حين فتحت الباب المقضى إلى الحارة رأيت مظروف المصرف البنى الذى دفعه بأسفله . كان ملصوقاً ، ومظاريف المصارف تكون متينة . لذا كان على أن أخرج مطوتى من جيبى لأشقه وافتحه .

ثلاث ورقات من ورق كراسة مدرسية مسطرة من التي ثمنها خمسة سنتات وقد كتبت بقلم رصاص ناعم . وصية : « أنا ، وأنا بكامل قواى العقلية » . « وفي مقابل أنى . . . » وملحوظة بخط اليد : « أوافق على أن أرد وأرهن ما » . وكانت كلا الورقتين موقعتين ، والكتابة أنيقة متقنة . ثم « عزيزى إيث : هذا هو ما أريده » .

شعرت ببشرة وجهى تتصلب وكأنها ظهر سرطان البحر . وأغلقت باب الحارة ببطء كما لو أنك تغلق باب مدفن . فردت الورقتين الأوليين بعناية ووضعتهما فى حافظتى ، أما الأخرى — فقد كورتها ووضعتها فى المرحاض وجذبت السلسلة . وهو مرحاض ذو ( سيفون ) مرتفع ، و ( سلطانية ) ذات حافة ما . وقاومت الورقة المكورة عبور الحافة ، ولكنها فى النهاية عبرتها .

كان باب الحارة مفتوحاً قليلاً حين خرجت من المرحاض . وأظن أنى كنت قد أغلقتة . وفى أثناء ذهابى متجهاً إليه ، سمعت صوتاً خافتاً ، وحين تطلعت إلى أعلى ، رأيت تلك القطعة اللعينة على أحد رفوف الخزن العليا ، تحاول غرس مخالبها فى الجانب المعلق من فخذ خنزير . وقد استهلكت فى طردها إلى الحارة مقشدة ذات يد طويلة ومطاردة كاملة فبينما كانت تجرى متجاوزة إياى ، خبطتها خبطة عنيفة ، ولكنى أخطأها وكسرت يد المقشدة على قائمة الباب .

لم يكن ثمة احتفال من أجل الأطعمة المحفوظة فى العلب ذلك الصباح . فلم أستطع استرجاع نص . ولكنى أخرجت خرطوماً لأغسل الرصيف الأمامى



وبالوعة الماء أيضا . و بعد ذلك نظفت المخزن كله حتى الأركان التي طال إهمالها  
واختنقت من التراب . وكنت أيضا أغنى :  
« الآن أحالت شمس يورك الساطعة »  
« شتاء سخطنا إلى صيف رائع » .  
أعرف أن هذه ليست أغنية ، ولكن غيتها .



القِسْمُ الثَّانِي



## الفصل الحادى عشر

نيو بايتون مكان جميل وميناؤها ، الذى كان عظيماً ذات يوم ، تحميه من رياح الشمال الشرقى المعولة جزيرة بعيدة . وأبنية القرية مبعثرة حول مجموعة متشابكة من المياه المتوغلة فى الأرض والتي يغذيها المد، وهى فى حالة المد والجزر تبعث تيارات عنيفة خلال قنوات تنساب من الميناء ومن البحر . إنها ليست بلدة مزدهمة أو حضرية . وفيما عدا المنازل العظيمة التى كان لصيادى الحيتان الذين انقضوا منذ أمد بعيد ، فالمساكن صغيرة أنيقة ، موزعة بين أشجار عتيقة بديعة : بلوط من أنواع متعددة ، وأسفندان ودردار ، وشجر جوز وبعض من أشجار السرو ، ولكن الشجر المحلى هو البلوط فى معظم الأحوال ، فيما عدا أشجار الدردار المغروسة منذ القدم فى الشوارع الرئيسية . وذات يوم كانت أشجار البلوط البكر من الكثرة والضخامة بحيث أن عديداً من مصانع السفن كانت تأخذ من المنطقة المجاورة حاجتها من ألواح السفن وزواياها ، وقواعدها وهياكلها .

المجتمعات ، مثل الناس ، لها فترات صحة وفترات مرض — بل حتى فترات شباب وكهولة ، وأمل ويأس . فقد مضى عهد كانت فيه نيو بايتون تنتج زيت الحوت الذى أضاء العالم الغربى . فقد كانت مصابيح الطلاب فى أكسفورد وكمبريدج تأخذ وقودها من هذا المركز الأمريكى . وبعدها تفجر البترول ، أو الزيت الصخرى ، فى بنسلفانيا ، وحل الكيروسين الرخيص ، المسمى بزيت الفحم ، محل زيت الحيتان فجعل غالبية صيادى البحر يعتزلون عملهم . وحل المرض أو اليأس بنيو بايتون — وهى حالة ربما لم تشف منها . وهناك بلدان أخرى

ليست بعيدة جداً ، نمت وازدهرت عن طريق منتجات وأوجه نشاط أخرى ،  
ولكن نيوبايوتون ، التي كانت كل دفعة حياتها تتركز في السفن ذوات القلاع  
المربعة ، والحيتان ، غرقت في الكسل . وتجاوزت حية تزايد السكان الزاحفة  
من نيويورك ، نيوبايوتون ، تاركة إياها لذكرياتها . وكما يحدث في الغالب ،  
أقنع أناس نيوبايوتون أنفسهم بأنهم يحبونها هكذا . فقد وفرت عليهم ضوضاء  
وفوضى المصطافين ، ووهج لافتات النيون الزاهي ، وانفاق نقود السياح وجلبتهم .  
وحول المياه الداخلية البديعة بنيت بضعة منازل جديدة فحسب . ولكن حية  
تزايد السكان واصلت تلويها الزاحف ، وكان كل فرد يعلم أنه إن آجلاً أو عاجلاً  
سقتلع قريته نيوبايوتون . واشتاق أهل البلدة لذلك ، ومقتوا فكرته في آن واحد .  
كانت البلاد المجاورة غنية ، أغرقتها غنائم السياح ، وانتفخت من الفساد ،  
وتألفت بالمنازل العظيمة لمحدثي الغنى . كانت بايتون القديمة تحتضن الفن وصناعة  
الفخار والمخنثين من الرجال ، وكانت النساء الملعونات ذوات الأقدام المقرطة  
من سلالة لزبوس ينسجن أقمشة مصنوعة باليد كما ينسجن اللسائس المنزلية  
الصغيرة .

أما نيوبايوتون فكانت تتكلم عن الأيام الغابرة وعن سمك انفلاوندر  
المفلطح ومتى سيدأ سمك الشواطئ الشرقية في السريان .

على أطراف المياه الداخلية المليئة بالبوص ، أقام البض البري أعشاشه ،  
وخرج يسبح مع أسطول صغير من صغاره ، وحفرت فيران المسك جحورها  
وأخذت تسبح رشيقة في الصباح المبكر . كانت اللسور السماكة تتحلق ،  
وتصوب ، ثم تنقض على السمك ، وطيور النورس تحمل اللزيق الصدفي والحار

ثلج وروحي الشكل عاليا في الهواء ، ثم تسقطها لكي تنكسر فتنتفح لتأكلها . وكانت بعض كلاب البحر لا تزال تشق الماء وكأنها همسات خفية مغطاة بالفراء ، كانت الأرناب تنسل لسرقة الحداثق ، والسناجب الرمادية تتحرك مثل أمواج صغيرة في شوارع القرية . كانت الديوك البرية تصفق أجنحتها وتصيح في سعال . وفي الماء الضحل وازنت طيور البلشون الزرقاء نفسها ، وكأنها سيوف طويلة ذات أرجل ، وعندما حل الليل صرخت طيور العجاج ، وكأنها أشباح تشعر بالوحشة .

الربيع يحل متأخرا في نيوبايون وكذلك الصيف ، ولكن عندما يحل يكون له صوت خاص ناعم ، ووحشي ، وكذلك رائحة وإحساس . ففي فترة مبكرة من يونيو يتفجر عالم أوراق الشجر ونصاله وأزهاره ، ويصير كل غروب مختلفاً عن الآخر . وبعده في المساء تعلن طيور الدراج عن أسمائها القصيرة ، وبعده حلول الظلام يتكون جدار صوتي مصدره صقر الليل الأمريكى . وتغدو أشجار البلوط محملة بالأوراق ، وتقذف بأزهارها ذات « الشرايات » الطويلة بين العشب . وبعده تلتقي كلاب من بيوت مختلفة وتذهب في رحلات ، وهي تتجول ذاهلة سعيدة في الغابات ، وأحيانا لا تعود إلى البلدة طيلة أيام .

وفي شهر يونيو ، ومدفوعاً بالغريزة ، يحز الرجل العشب ويبذر البذور ، ويتفرغ لمعركة مع الخلد والأرنب ، والنملة والخنافس ، والطيور ، وكل الحيوانات الأخرى التي تتجمع لتسلب منه حديقته . وتتطلع المرأة إلى نهاية البتلات اللتوية لوردة ما وتنشئ قليلاً ، ثم تنهد ، وتصيح بشرتها بتلة وعيناها سدايتين .

يونيو شهر بهيج — بارد ودافئ ، رطب وصياح بالنمو بإعادة إنتاج الحلو واللؤذى ، والباني والحرب . فيه تتجول الفتيات في شارع هاى في سراويل

واسعة تبرز شكل أجسادهن ، وأيديهن متشابكة ، بينما تتربع على أكتافهن أجهزة راديو ترازستور صغيرة تشدو في آذانهن بأغنيات الحب . أما الصبية اليافعون ، الذين يتفجرون سداجة ، فيجلسون على للقاعد العالية في محل تأجر وهم يحسبون فقايق المستقبل خلال مصاصات من القش . ويرقبون الفتيات بأعين معيظة جامدة ويتناقلون عبارات تحقير من واحد للآخر ، بينما تنشج أعماقهم من اللوعة .

وفي شهر يونيو يهبط رجال الأعمال على محل « آل وسو » أو « الفورماستر » ليتناولوا كوباً من الجعة ، أو يبقوا لتناول الويسكى ، وفي الأصيل تزحف السيارات المتربة إلى بوابة المنزل القصي المنعزلة ، الذي بلا طلاء وقد جذبت كل ستائره ، هناك عند نهاية شارع ميل ، حيث تتلقى أليس ، مشاكل الأصيل لرجال قرضهم شهر يونيو بنابه . وطيلة اليوم كله تقلع قوارب التجديف من عمد حاجز الأمواج وبها رجال ونساء سعداء يتملقون البحر من أجل عشائهم .

ويونيو شهر طلاء وتشذيب ، شهر خطط ومشاريع . وإنه لرجل نادر ذلك الذي لا يحضر إلى بيته بلاط الأسمت وقطع الخشب الصغيرة ، ورسوماً تخطيطية لتاج محل مرسومة على ظهر مظاريف . وعلى الشاطئ ترقد مائة قارب صغيرة بطنها إلى أسفل وقاعها إلى أعلى ، وقيعانها تتألق بالطلاء النحاسي ، وأصحابها يشدون قاماتهم وبيتسمون لصف الموج البطيء الذي لا يتحرك . ولا تزال المدرسة تمسك بالأطفال العنيدن حتى قرب نهاية الشهر ، وعندما يحين وقت الامتحان ، يعلو زبد الثورة ويتحول الزكام العادي إلى وباء ، طاعون ، يختفي يوم إغلاق المدرسة .



وفي شهر يونيو تنبت بذرة العسيف السعيدة . « إلى أين سنذهب في يوم  
الرابع من يوليو الرائع ؟ لقد حان الوقت الذي ينبغي علينا فيه أن نخطط  
لأجارتنا » .

ويونيو هو أم القادرين ، ففيه يسبح البط الصغير في شجاعة ربما إلى فلك  
السلاحف الخطافة المختفي تحت الماء ، ويندفع الخس تجاه أرض التحاريق ،  
وجذوع الطماطم الخلفية العنيدة ناحية الديدان القارضة ، وتقارم العائلات مباحج  
الرمل وحرق الشمس بليال نسكدة فوق جبال يعلو فيها صوت سيمفونيات بعوض .  
« سأحصل هذا العام على راحتي . ولن أجهد نفسي كثيراً . وهذا العام لن أسمح  
للأطفال أن يجعلوا من أسبوعي حريتي ححيماً لا يطاق . إنني أعمل طول العام » .  
وينتصر التخطيط للأجزة على الذاكرة ويصير كل مافي العالم على مايرام .  
لقد ظلت نيو بايتون في سبات وقتاً طويلاً . والرجال الذين يحكمونها ، سياسياً  
وأخلاقياً ، واقتصادياً ، استمروا طويلاً في حكمهم حتى صارت وسائلهم مقرررة  
فالعمدة ، والمجلس ، والقضاة ، والشرطة كانوا أبديين . كان العمدة يبيع الأجهزة  
للمجلس البلدي ، والقضاة قد حددوا ثمن تذاكر المواصلات مثلما كانوا يفعلون منذ  
أمد بعيد ، لدرجة أنهم أصبحوا لا يذكرون هذا على أنه ممارسة عمل قانوني -  
على الأقل هذا ماقالته كتب القانون . وحيث أنهم كانوا رجالاً عاديين ، فهم  
بالتأكيد لم يعتبروا هذا . نافعياً للأخلاق . إن الرجال جميعاً أخلاقيون ، وجيرانهم  
فحسب هم الذين ليسوا كذلك .

دهم الأصيل الأصفر نسمة الصيف الدافئة . ويتحرك في الشوارع بعض  
الناس الذين يحتفون مبكرين بالفصول ، أولئك الذين ليس لديهم أطفال يرتطوهم  
في بيوتهم حتى تبطل المدرسة ، كانوا غرباء . وجاءت بعض السيارات ، وهي

تقطر قوارب صغيرة وقوارب كبيرة بموتور خارجى فوق مقطورات . وكان  
إيثان يعرف وعينه مغمضتان أنهم مصطافون ، بسبب ما اشتروا من أشياء -  
لحوم باردة وجبن مطبوخ ، وبسكويت هش وسردين العلب .

ودخل جوى مورفى ليتناول شرابه المرطب فى ساعة الأصيل ، مثلما اعتاد  
أن يفعل يومياً الآن حين أخذ الطقس يصير دافئاً . لوح بالزجاجة مشيراً إلى  
الثلاجة وقال : « ينبغى أن تضعوا هنا نافورة للصودا » .

- « ثم تنبت لى أربعة أذرع جديدة ، أو انشق إلى موظفين مثل حبة  
البيوندو ؟ اعلاك نسيت ، أيها الجار جوى ، أننى لا أمتلك هذا المحل » .  
- « ينبغى أن تمتلكه » .

- « هل يتحتم على أن أقص عليك قصتى المحزنة عن وفاة الملوك ؟ »

أعرف قصتك . فأنت لم تكن تعرف الفرق بين ما تباع من اسبارجوس ،  
وبين خطأ فى مسك الدفاتر بالطريقة المزدوجة ، وكان عليك أن تتعلم بكل  
مشقة . والآن اسمع - لكنك تعلمت » .

- « تعلمت ما عاد على بقايل من الخير » .

- « لو أنه الآن محلك ، لكنت قد جت ثروة » .

- « ولكنه ليس كذلك » .

- « لو أنك فتحت محلاً مجاوراً ، لأخذت معك كل الزبائن » .

- « ما الذى جعلك تعتقد هذا ؟ »

- « لأن الناس يشترون ممن يعرفون . وهذا ما يدعى بذيوع الصيت وهو

أمر ذو مفعول . »

— « ولكنه لم يجد من قبل ، فكل من في البلدة كان يعرفنى ، ومع ذلك أفلست . »

— « ذلك كان شيئاً فنياً ، فلم تكن تعرف كيف تشتري . »

— « لعلى مازات كذلك . »

— « بل إنك تعرف ، ولكنك لاتعرف حتى إنك قد تعلمت . وأنت

لاتزال فى حالة ذهنية منهارة . انبذها ، يامسترهولى . انبذها ياإيثان . »

— « شكراً . »

— « إننى أميل إليك متى سيذهب ماروللو إلى إيطاليا ؟ »

— « لم يقل . قل لى ، يا جوى . ما مقدار غناه ؟ كلا لاتفعل . أعرف

أن المفروض فيك ألا تتكلم عن العملاء . »

— « أستطيع أن أكسر قاعدة من أجل صديق ، ياإيثان . إننى لا أعرف

كل عملياته ، ولكن لو كان لحسابه لدينا أى معنى ، فأستطيع القول إنه غنى .

فهو يدرس أصابعه فى جميع أنواع الأعمال . قطعة عقار هنا ، وقطعة أرض خالية

هناك ، وبعض البيوت على الشاطئ ، وحزمة من الرهونات الممتازة من الضخامة

بحيث تاف خصرك . »

— « وكيف عرفت ؟ »

— « من صندوق الودائع . فهو يستأجر أحد صناديقنا الضخمة . وحين

يفتحه ، فليده مفتاح ولدى الآخر . وإننى أعترف أننى اختلست النظر . وأحسب

أن فى أعماق ميلاً لاختلاس النظر . »

— « ولكن أعماله كلها سليمة المظهر أليس كذلك ؟ أعنى . حسناً ، إنك

طوال الوقت تقرأ عن . حسناً ، المخدرات وعمليات الاحتيال وما إلى ذلك . »

— « لست أعرف عنه شيئاً مثل ذلك ، فهو لا يتكلم عن عملياته . إنه يسحب بعض النقود ، ثم يعيد إيداع البعض الآخر ، ولا أعلم في أى مكان آخر يودع أمواله . لاحظ أننى لم أخبرك عن رصيده . »

— « إننى لم أسأل . »

— « أيمكنك السماح لى بتناول علبة جعة ؟ »

— « بشرط أن تشربها فى الخارج ، وأستطيع أن أصبها فى كوب من الورق . »

— « لم أطلب منك خرق القانون . »

— « هراء . » وذهب إيثنان ثقبوا فى العلبة . « عليك فحسب أن تخفيها بجانبك إذا دخل أى شخص . »

— « شكراً . لقد فكرت فيك طويلاً ، يا إيثنان . »

— « لماذا ؟ »

— « ربما لأننى فضولى . إن الفشل حالة ذهنية . إنه مثل واحد من تلك الفخاخ الرملية التى يحفرها صائد النمل . أنت تواصل الانزلاق إلى الخلف . قم بقفزة واحدة ملعونة لتخرج منه . يتحتم عليك أن تقوم بتلك القفزة يا إيثنان . وإذا حدث مرة أن خرجت من الفخ ، فستجد أن النجاح أيضاً حالة ذهنية . »

— « هل هو فخ أيضاً . »

— « لو أنه كذلك - فإنه فخ من نوع أفضل . »

— « افترض أن رجلاً قام بالقفزة ، وأن شخصاً آخر تردى فى الفخ . »

— « إن الله وحده يرى العصفور وهو يسقط ، ولكنه يتركه لمصيره »

- « أتمنى لو عرفت ما تحاول أن تطالب منى عمله »
- « وأنا أيضاً أتمنى ذلك . ولو عرفت ، فربما فعلته بنفسى . إن صرافى المصارف لا يصلون إلى منصب الرئاسة . ولكن رجلاً لديه حفنة من المال يصل . أحسبني أحاول أن أقول ، تصيد أى شىء يمر بك . فربما لا يقترب منك مرة أخرى . »
- « إنك فيلسوف ، باجوى ، فيلسوف مالى . »
- « لاتجعل من الأمر مزاحاً . وإذا لم يكن هذا الشىء لديك ففكر فيه فحين يكون المرء بمفرده يفكر فى أشياء . وأنت تعرف أن معظم الناس يعيشون ٩٠ ٪ من حياتهم فى الماضى ، و ٧ ٪ فى الحاضر ، وهذا يترك للمستقبل ٣ ٪ . فحسب ، واقد قال ساتشيل بيع المعجوز أحكم ما سمعته فى حياتى بهذا الشأن . قال « لاتنظر إلى الوراء ، فربما يكون هناك شىء ما سيسبقك » . ينبغى أن أعود . إن مستر بيكر ذاهب غداً إلى نيو يورك لبضعة أيام . إنه مشغول كحشرة » .
- « بأى شىء ؟ »
- « وأنى لى أن أعرف ؟ ولكنى أفرز البريد . لقد ظل يتلقى خطابات كثيرة من ألبانى » .
- « أشياء سياسية ؟ » .
- « إننى أفرزها فقط ، ولا أقرؤها . هل العمل راكد دائماً هكذا ؟ » .
- « أجل ، فيما حول الساعة الرابعة . سيبدأ النشاط خلال عشر دقائق أو ما يقرب » .
- « أترى ؟ لقد تعلمت . أراهن أنك لم تكن تعرف هذا قبل إفلاسك سآراك . تصيد الحلقة الذهبية من أجل وصول سريع » .
- جاءت الدفعة الشرائية الصغيرة فيما بين الخامسة والسادسة فى موعدها المحدد .

أما الشمس ، التي أبقاها تقديم الوقت لتوفير ضوء النهار ، فكانت لانزال عالية والشوارع مضاءة كما لو كان الوقت منتصف الأصيل ، حين أدخل إيثان صناديق الفاكية وأغلق الأبواب الأمامية ثم جذب الستائر الخضراء . وبعدئذ ، جمع التموين الذي سيحمله إلى البيوت ، وهو يقرأ أصنافه من قائمة ، ثم وضع جميعه في كيس واحد كبير . وخلع مئزته وارتدى معطفه وقبعته ثم صعد إلى التلاجة وجلس فوقها وأنعم النظر في أرفف جماعة المصلين . وقال : « لارسائل لكم ، تذكروا فحسب كلمات ساتشيل بيعج . أظن أنه ينبغي على الأناظر الى الورااء » . أخرج من حافظته الصفحات المسطرة المطوية ، وصنع لها ظرفاً صغيراً من الورق المشمع . وبعدئذ ، فتح الباب المطلى المؤدى إلى عدة التلاجة ، ودس المظروف المشمع في ركن خلف آلة الضغط ، ثم أغلق عليها الباب المعدني . وتحت آلة عد النقود وجد على رف ، دليل تليفون مانهاتن المترب ذوازايا المثنية ، والذي بقي هناك لتبليغ الطلبات العاجلة لمخزن الإمدادات . وتحت حرف الواو ، تحت الولايات المتحدة ، تحت عدل ، وقسم الـ ٠٠٠ ، وتحرك أصبعه هابطاً مع عمود الأسماء ومتجاوزاً « قدم عدم الموثوق بهم بمبنى محكمة الولايات المتحدة . قسم الجمارك ، المركز الإداري للاعتقالات المكتب الاتحادى للتجريات » وأسفله « مكتب الهجرة والتجنس ، ٢٠ و برودواى ، ب ٠٣٠٠١ - ، فى ليالى السبت والأحد والعطلات ول ٥٨٨٨ - ٦ »

وقال بصوت مرتفع : « إذن ول ٥٨٨٨ - ٦ ، ول ٥٨٨٨ - ٦ لأن الوقت متأخر . » وبعدئذ تحدث إلى بضائعه المعلقة دون إن يتطاع إليها . « إذا كان كل شيء سليماً وفوق مستوى الشبهات ، فان يضار إنسان . »

خرج إيثان من باب الحارة وأغلقه بالمفتاح . وحمل كيسه المليء بالبتالة عبر الشارع إلى فندق ومقهى الفورماستر . كان للقهى إشيع ضوضاء ممن يتناولون الكوكبيل .

ولكن الدهليز الصغير حيث تفتصب كابينة التليفون العمومي ، كان مهجوراً حتى من الكتاب المسئول . أغلق الباب الزجاجي ، ووضع أشياء البقالة على الأرض ونثر مامعه من ( فكة ) على الرف ، وأدخل في الآلة قطعة من ذات العشرة سنتات ثم ضرب الصفر .

— « ترنك » .

— « أوه . ترنك - أريد أن أكلم نيويورك » .

— « هل تسمح أن تضرب الرقم من فضلك ؟ »

وفعل ذلك .

\*\*\*

عاد إيثان من عمله ، وهو يحمل كيسه الذي به أشياء البقالة . كم هي طيبة ساعات الأصيل الطويلة . كان العشب في الحديقة طويلاً ورياناً لدرجة أنه كان يطبع مواطياً قديمة . وقبل ماري في فتور .

قال : « يافرخ الضفدع ، لقد طال العشب وصار برياً . فهل تعتقدن أنني

أستطيع أن أحمل آلان على قصه ؟ »

— « حسناً ، إنها فترة الإمتحانات . وأنت تعلم كيف تكون ، كما أنها

فترة إنهاء الدراسة وما إلى ذلك » .

— « حسناً ، أحسبني سأضطر إلى قص العشب بنفسى » .

— « إننى آسفة يا عزيزى . ولكنك تعلم فى أية حالة هم » .

— « أجل ، بدأت أنتعلم فى أية حالة هم » .

— « هل أنت غير معتدل المزاج ؟ هل لاقيت يوماً ؟ »

— « فلتر . كلا ، لأعتقد ذلك . لقد ظلت واقفاً على قدمي طيلة اليوم .

وإن فكرة دفع آلة قص العشب لاتجعلني أقفز فرحاً » .

— « ينبغي أن يكون لدينا آلة قص عشب ميكانيكية . ولدى آل

جونسون واحدة تستطيع أن تركيبها في أثناء العمل » .

— « ينبغي أن يكون لدينا بستاني . كان ذلك لدى جدي . أركبها في أثناء

العمل ؟ وحينئذ يستطيع آلان أن يقص العشب مادام سيكون راكباً » .

— « لاتمكن قاسياً عليه . إنه في الرابعة عشرة فحسب . جميعاً هكذا » .

— « من - في اعتقادك - نشر خرافة أن الأطفال نشطاء » ؟

— « أنت فعلاً مقلوب المزاج » .

— « فلتر . أجل ، أحسبني كذلك . وذلك الصراخ يقودني إلى الجنون » .

— « إنه يتمرن » .

— « هذا ماقلته » .

— « والآن لاتسقط مزاجك المقلوب عليه » .

— « حسناً ، ولكنه كان يساعدي لو استطعت أن أفعل » . وأندفع إيثان

تخلال حجرة الجلوس ، حيث كان آلان يصرح بكلمات غير واضحة المعالم من

قصبة تتذبذب يعلقها على لسانه وقال : « ماذا بحق الجحيم » ؟

وبصق آلان القصبة في راحة يده . « لقد كانت في صندوق البيكس .

لأنها آلة للكلام من البطن » .

— « هل أكلت محتويات الصندوق » ؟

— « كلا ، فإنني لأحبها . على أن أتدرب ، يابابا » .

— « توقف لحظة » . وجلس إيثان . « ما الخطأ الذي ترسمه لحياتك ؟ » .



« هه » .

— « المستقبل . ألم يخبروك بهذا في المدرسة ؟ إن المستقبل بين يديك » .

انزلت إيلين إلى داخل الحجره ، وثبتت جسدها على الأريكة كقطة حقيقية . وترقرقت من فمها ضحكة تقطع الصلب .

قالت : « إنه يريد أن يظهر في التلفزيون » .

— « هناك صبي عمره ثلاث عشرة سنة فحسب كسب مائة وثلاثين ألف دولار في برنامج الغاز » .

فقالت إيلين : « ثم اتضح أن الأمر كان مرتباً » .

— « حسناً ، ولكنه لا يزال يمتلك مائة وثلاثين ألفاً » .

وقال إيثان في رقة : « ألا تشغلك النواحي الأخلاقية ؟ »

— « حسناً ، ولكنه مبالغ كبير من المال » .

— « ألا تجده عملاً لأمانة فيه ؟ »

— « هراء ، كل واحد يفعله » .

— « ورأيك فيمن يقدمون أنفسهم في طبق من الفضة ، ومع ذلك لا يوجد

من يأخذهم ؟ وهم لا يمتلكون الأمانة ولا المال » .

— « تلك هي الفرصة التي تفتنهمها - وقد تؤدي إلى تحطيم المرء بنفس

الطريقة التي تحطم بها الكعكة » .

— « أجل ، إنها تنحطم ، أليس كذلك ؟ » واستطرد إيثان : « وهكذا

شأن أخلاقك . اجلس معتدلاً هل أسقطت كلمة « سيدى » من مفردات

«فتك » ؟

بدأ الصبي مأخوذاً ، ونظر متحققاً ليرى ما إذا كان هذا القول مقصوداً ،  
وبعدئذ انتصب في جلسته في تكاسل ، وهو ممتلئ امتعاضاً . وقال : « كلا ،  
ياسيدى . »

— « كيف تسير في المدرسة ؟ »

— « حسناً ، فيما أعتقد . »

— « كنت تكتب مقالاً عن كيف تحب أمريكا . هل أوقف تصميمك

على تدميرها ذلك المشروع ؟ »

— « ماذا تقصد بكلمة ، تدمير - ياسيدى ؟ »

— « هل تستطيع أن تحب بأمانة شيئاً غير أمين ؟ »

— « يا للبحيم ، يا بابا ، إن كل شخص يفعل ذلك . »

— « وهل يعود ذلك عليها بالخير ؟ »

— « حسناً ، لا ينتقدها أحد سوى بضعة من ذوى الرؤوس الفارعة . لقد

فرغت من المقالة . »

— « طيب ، أود أن أراها . »

— « لقد أرسلتها . »

— « لا بد أن لديك نسخة منها . »

— « كلا ، ياسيدى . »

— « افترض أنها فقدت ؟ »

— « لم أفكر في ذلك . بابا ، أود لو استطعت الذهاب إلى العسكر مثلما

يفعل كل الفتيان الآخرين . »

- « لانستطيع تحمل نفقاته . وليس كل الفتية الآخرين يذهبون — قلة منهم فحسب » .
- « أتمنى لو كان عندنا بعض المال . » وحلق في يديه ثم لعق شفثيه . ضاقت عينا إيلين وتركرت نظراتها .
- كان إيثان يدرس ابنه ، وقال : « سأجعل هذا ممكنا . »
- « سيدى ؟ »
- « يمكننى أن أحصل لك على وظيفة تؤديها فى الحل هذا الصيف » .
- « ماذا تقصد بكلمة ، تؤديها ؟ »
- « أليس سؤالك ، ماذا تقصد بكلمة ، تؤديها ؟ ستحمل البضائع إلى الأرفف وتشذب الخضروات وتكنس ، وربما يمكنك إذا أثبت جدارة ، أن تخدم الزبائن » .
- « أريد أن أذهب إلى المعسكر » .
- « وتريد كذلك أن تربح مائة ألف دولار » .
- « ربما أكسب مسابقة المقال . إنها على الأقل رحلة إلى واشنطنجتون . نوع مامن العطلة بعد سنة بكاملها فى المدرسة » .
- « آلان . هناك قواعد لاتتغير فيما يختص بالسلوك ، والمداعبة والأمانة أجل ، بل وحتى فيما يختص بالنشاط . لقد حان الوقت الذى أعلمك فيه أن تمارس هذه القواعد شفاهاً . على الأقل ستعمل » .
- رفع الصبى باصرية إلى أعلى . « أنت لا تستطيع » .
- « عفواً ؟ »

« قوانين العمل الخاصة بالأطفال . إننى لا أستطيع حتى أن أحصل على ترخيص قبل أن أبلغ السادسة عشر . أتريد منى أخرق القانون ؟ »  
« أتعتقد أن جميع الصبية والفتيات الذين يساعدون والديهم هم أنصاف عبيد وأنصاف مجرمين ؟ » كان غضب إيثان من النوع الذى يبين تماماً مثل حبه . ونظر آلان بعيداً  
— « إننى لم أعن ذلك ، ياسيدى . »

« أنا واثق أنك لم تعنه . ولن تفعل ذلك ثانية . لقد جدعت أنفك على عشرين جيلاً من آل هولى وآل آلان . كانوا رجالاً شرفاء . وربما تستحق يوماً ما أن تكون واحداً منهم . »

— « أجل ، ياسيدى . هل أستطيع الذهاب إلى حجرتى ، ياسيدى ؟ »  
— « تستطيع . »

صعد آلان الدرج فى ببطء .

وحين اختفى ، جعلت إيلين تلف ساقها وكأنهما محركين . انتصبت فى جلستها وجذبت ( جونلتها ) إلى أسفل وكأنها سيدة شابة .

— « كنت أطلع خطب هنرى كلاى . من المؤكد أنه كان مجيداً . »

— « أجل ، كان كذلك . »

— « هل تذكرها ؟ »

— « فى الحقيقة لا ، على ما أعتقد . فقد انقضى زمن طويل منذ قرأتها . »

— « إنه عظيم . »

— « إن قراءته لا تبدو لي قراءات تلميذة فى مدرسة . »

— « إنه عظيم فعلاً » .

نهض إيشان من مقعده ، يدفعه يوم طويل مرهق إلى العودة للجلوس .  
ووجد ماري في المطبخ محمرة العينين غاضبة .

قالت : « لقد سمعتك . لست أدري ماذا تظن أنك كنت تفعل . إنه ليس  
إلا صبياً صغيراً » .

— « ذلك هو وقت البدء ، يا عزيزتى » .

— « لاتنادنى بمعزيزتى . إننى لا أطيق طاغية » .

— « طاغية ؟ أوه يا ألهى » .

— « إنه ليس إلا صبياً صغيراً ، وقد قسوت عليه » .

— « أعتقد أنه يشعر الآن بأنه أحسن حالاً » .

— « لا أعرف ماذا تقصد . لقد سحقته وكأنه حشرة » .

— « كلا ، يا عزيزتى . لقد أعطيته نظرة خاطفة عن العالم . لقد كان يبني

نظرة زائفة » .

— « ومن أنت لتعلم ماذا يكون العالم ؟ »

وسار إيشان متجاوزاً إياها وخارجاً من الباب الخلفى .

— « إلى أين أنت ذاهب ؟ »

-- « لأقص العشب » .

— « كنت أعتقد أنك متعب » .

— « إننى كذلك - كنت كذلك » وتطلع من فوق كتفه رافعاً بصره

إليها وهى واقفة داخل إطار الباب الزجاجى . وقال : « إن الرجل مخلوق وحيد »

وابقسم إليها لحظة قبل أن يخرج آلة قص العشب .

سمعت ماري أزيز السكاكين وهي تقطع في العشب الناعم الرخص .  
وتوقف الصوت بجوار عتبة الباب ، وصاح إيثان : « ماري ، ماري ، ياعزيزتي  
أنا أحبك » . وصبت السكاكين الدوارة جام غضبها على العشب  
الزائد النمو .

## الفصل الثاني عشر

كانت مارجى يانج هنت امرأة جذابة ، مطلعة ، وذكية ، من الذكاء بحيث إنها كانت تعرف متى وكيف تخفى ذكاءها وراء قناع . وقد فشلت زيجاتها ، أى فشل الرجال الذين تزوجوا منها ، الأول لأنه كان ضعيفاً ، والثانى كان أضعف - فقد مات . والمواعيد لا تسعى إليها ، فهي تخلقها ، كانت تصلح أسوار قلعتها عن طريق مكالمات تليفونية مختلفة ، وعن طريق خطابات ، و بطاقات تمن بالشفاء ، وترتب لقاءات عارضة . كانت تحمل إلى المرضى حساء صنعته بيديها ، وتذكر أعياد الميلاد . وبهذه الوسائل أبقت الناس شاعرين بوجودها .

ولقد حافظت ، أكثر من أية امرأة في البلدة على أن تبقى بطنها غير منبعجة ، وبشرتها نظيفة متألقة ، وأسنانها ناصعة ، والخطوط التي بأسفل ذقنها غير مرتخية . كان جزء طيب من دخلها ينفق على الشعر ، والأظافر ، والتدليك ، والكريم ، والدهون وقالت نساء أخريات : « لا بد أن تكون أكبر سناً مما تبدو » .

و حين لم تعد عضلات صدرها ، تستجيب إلى الكريم ، أو التدليك أو التمرينات ، استخدمت حمامتين أنيتمتين جعلت صدرها نافرأمرحاً . وكان وضع مساحيق وجهها يستغرق وقتاً متزايداً . وكان لشعرها كل البهاء ، والتألق ، والموج الذى تعد به المنتجات التى يعلن عنها التليفزيون . وحينما تكون فى موعد غرامى ، أو تتناول العشاء ، أو ترقص ، أو تضحك ، أو تمرح ، أو تجتذب مغازلتها بشبكة من قطع المغناطيس الصغيرة ، فمن ذا الذى يعلم بإحساسها «البارد بالتكرار ؟ فبعد قضاء فترة لطيفة ، وإنفاق بعض المال ، تذهب معه غالباً

إلى مسكنها ، إذا استطاعت أن تفعل ذلك بحصافة . ثم تعود بعد ذلك إلى ترميم أسوار قلاعها . فينبغي إن آجلاً أو عاجلاً ، أن يصير الفراش المشترك نفاً لاصطياد أمنها وراحتها في المستقبل . ولكن اللعبة المرجوة تسلت خارجة من الفكين المصنوعين من حشايا . وصارت مواعيدها الغرامية تزايد شيئاً فشيئاً مع المتزوجين ، والمتزوجين ، أو الحريصين . وكانت مارجي تعرف أفضل من أى شخص ، أن زمنها كان يدبر عنها . ولم تستجب لها أوراق الطالع حينما بحثت فيها عن العون لنفسها .

لقد عرفت مارجي العديد من الرجال ، وغالبيتهم مذنبين ، ومجروحي الكبرياء ، أو بائسين ، لدرجة أن مما لديها احتقار تجاه صيدها ، مثل ذلك الذى ينمو لدى صياد الهوام المحترف . كان من السهل أن تثير أمثال هؤلاء الرجال خلال مخاوفهم وكبرياتهم . كانوا يتألمون طلباً للخديعة لدرجة أنها لم تعد تشعر بانتصارها — بل بنوع من الشفقة المزدرية فحسب . كان أولئك هم أصدقاؤها وعشيرتها . كانت تحميمهم حتى من مجرد اكتشاف أنهم أصدقاؤها ، وتقدم لهم أفضل ما تمتلك لأنهم لم يطلبوا منها شيئاً . لقد كتبت أمرهم لأنها فى قرار نفسها لم تكن معجبة بنفسها . كان داني تيلور واحداً من هؤلاء ، وألفيو ماروللو واحداً آخر ، ومدير البوليس ستون وول جاكسون سميت شخصاً ثالثاً ، وكان هناك آخرون . كانوا يثقون بها مثلما تثق هي بهم ، وكان وجودهم الخفى هو الشيء الأمين الوحيد الدافئ الذى استطاعت أن تلجأ إليه لتسترد نفسها ، كان أولئك الأصدقاء يتحدثون إليها بحرية ودون ما خوف . لأنها كانت بالنسبة إليهم نوعاً من بئر أندرسون — تتقبل ولا تصدر أحكاماً ، وصموتة ، وكما أن لكل الناس ردائل خفية ، كانت مارجي يأنح هنت تخفى فضيلة خفية ، ويحتمل



أن هذه الفضيلة الصامته كانت السبب في أنها تعرف عن نيوبايون ، بل وحتى عن مقاطعة ويسكس ، أكثر من أى شخص ، وكانت معرفتها بعيدة عن الفرض لأنها لم تكن — أو لم تستطع — أن تستغلها لمصلحتها الخاصة . ولكن في نواح أخرى ، كان كل ما يقع بين يديها له فوائده

ولقد بدأ مشروعها بشأن إيثان آلان هولى عرضاً ونتيجة لفراغ وقتها . وقد كان مصيباً بشكل ما ، حين اعتقد بنخب غرضها ، وأنه اختبار لسطوتها . فكثيرون من الرجال الحزبين الذين كانوا يأتون إليها بحثاً عن الراحة والاطمئنان ، كانت وتوثقهم وتوهنهم ألوان من العجز الجسدى ، نقلت عدواها إلى جميع النواحي الأخرى في حياتهم . ووجدت مارجى من السهل عليها عن طريق إطراءات بسيطة وتطمينات ، أن تطلق سراحهم منها ليخوضوا المعارك مرة أخرى ضد زوجاتهم المسلحات بالسياط . وكانت تعجب إعجاباً رائعاً بمارى هولى ، وعن طريق ماري بدا اهتمامها التدريجى بإيثان ، الرجل الموثق بنوع آخر من الذنوب ، بوثاق اجتماعى اقتصادى استلب منه قوته ، وثقته . وحيث لم يكن لديها عمل ، أو حب ، أو أطفال ، فقد تساءلت عما إذا كانت تستطيع أن تفك إसार هذا الرجل المقعد ، وتوجهه ناحية غاية جديدة ما . كان الأمر بالنسبة لها لعبة ، نوعاً من الألفاز ، اختباراً ، ولم يكن هذا نتاجاً للشفقة ، بل كان ببساطة نتاجاً للفضول والفراغ . كان هذا رجلاً ممتازاً . وسيبرهن توجيهها له على تفوقها ، ولقد كانت في حاجة متزايدة لهذا البرهان .

من المحتمل أنها كانت الشخص الوحيد الذى عرف عمق التحول في إيثان وقد أخافها هذا ، لأنها حسبته من صنعها . كان الفأرينى لبدة أسد رأت العضلات تحت ملبسه ، وأحسّت بقسوة القلب تنمو خلف عينيه . ولا بد أن

هذا ما أحسه أينشتين الرقيق ، حينما ومض مدركه الذى كان يحلم به عن طبيعة المادة فوق هيروشيما .

كانت مارجى تحب ماري هونى كثيراً جداً ، وكانت تكن لها القليل من الشفقة ، ولا رحمة على الإطلاق . إن سوء المصالح حقيقة من حقائق الطبيعة تتقبلها النساء ، وخاصة حين يحل بغيرهن من النساء .

في بيتها الصغير الناصع المقام وسط حديقة واسعة بالغة النمو ، قريباً جداً من الميناء القديم ، مالت ناحية مرآة الزينة لتختبر أدواتها ، ومن خلال الكريم ، والبودرة ، وظلال العيون ، والرموش المشرعة في سواد ، رأت عينها التجميدات المختلفة ، وجفاف بشرتها ، وأحست بالسنون تزحف عليها مثل المد الصاعد حول صخرة في بحر هادى . هناك أسلحة لسن النضوج ، ولمنتصف العمر ، واسكن هذه الأسلحة تتطلب مراناً وحرفية لتكتسبهما بعد . ينبغى أن تتعلمهما قبل أن ينهار كيان شبابها وإثارتها ويتركها عارية ، عفنة ، ومثار سخرية . لقد كان نجاحها في أنها لم تنهأ أبداً ، حتى ولا وهى وحيدة . والآن ، وكنوع من التجربة ، تركت فيها يتدلى حسباً يشاء وجفنيها يرتخيان نصف ارتخاء . وخفضت من ذقنها المرفوعة عالياً ، وحينئذ ظهر إلى الوجود جبل متهدل ورأت في المرأة أمامها عشرين عاماً تتسلق زاحفة عليها ، وارتعدت حين أخبرها الهمس المثلوج بما يرقد في انتظارها . لقد تأخر كثيراً جداً . ينبغى أن يكون لدى المرء صندوق عرض زجاجى ، يكبر فيه السن ، مجهز بالأضواء ، والدعامات ، واقطيفة السوداء ، والأطفال ، والشيب والسمنة ، بالضحك المكتوم والاختلاس ، بالحلب ، والحماية ، وقطع النقود الصغيرة ، وزوج هادى قنوع ، أو بالأحرى يوصيته الأكثر هدوءاً وأقل قناعة ، ومبلغ من المال موقوف عليها . إن المرأة

وحيدة حين يتقدم بها السن ، تصبح نفاية ملقاة بلا جدوى ، بذاعة صابتها  
التجاعيد ، بلا أتباع يحجلون حولها لينقوا ويغفموا حول أوجاعها ويدلكوا  
آلامها .

وتشكلت في معدتها نقطة خوف حارة . لقد كانت سعيدة الحظ مع زوجها  
الأول . كان ضعيفاً وسرعان ما عثرت على صمام ضعفه . كان يحبها بلا رجاء ،  
حباً بالغاً لدرجة أنها حين احتاجت الطلاق لم يطلب النص على عدم الزواج في  
قرار النفقة .

وكان زوجها الثاني يعتقد أن لها ثروتها الخاصة ، قد كانت كذلك . عندما  
مات لم يترك لها الكثير ، ولكنها عن طريق النفقة التي كانت تأخذها من  
زوجها الأول ، استطاعت العيش بشكل لائق ، وارنداء الثياب الجيدة ، والتفكير  
في قضاء وقت فراغها . فلنفرض أن زوجها الأول مات . هنا كانت تمكن نقطة  
الخوف . هنا كان يوجد كابوس الليل أو النهار — كابوس إذن الصرف الشهري .

لقد رآته في شهر يناير ، عند ذلك التقاطع الضخم الواسع بين شارع ماديسون  
والشارع السابع والخمسين . كان يبدو عجوزاً شاحباً . كان فناؤه يلح عليها . فلو  
توفى الوغد ، لتوقف إرسال النقود . وفكرت في أنها ربما تكون الشخص الوحيد  
في العالم الذي يصلح بجماع قلبه من أجل دوام صحته .

والآن جاءت إلى شاشة ذاكرتها صورة وجه النحيل الصامت ، وعينييه  
الميتتين ، وفجرت تلك الصورة النقطة الحارة في معدتها . لو أنه مات ..  
توقفت مارجي عن التفكير ، وهي تميل تجاه المرأة ، ثم جذبت إرادتها  
مثلاً يجذب المرء نبلة . وارتفعت ذقنها ، واختفت الخطوط ، وتألقت عيناها ،

واستكانت بشرتها لصيقة بمحماتها ، وتربع كفتها . وقفت منتصبية ، ثم رقصت في دورة حاذقة على السجادة الحمراء الوثيرة . كانت قدماها عاريتين ، وأظافرهما تلمع بظلاء أحمر وردى . حتم عليها أن تندفع ، حتم عليها أن تسرع قبل غوات الأولن .

دفعت باب الدولاب ففتحته ، ووضعت يديها على الثوب الحلو المعرى الذى كانت تدخره لعظلة الرابع من يوليو ، والحذاء ذى الكعب المدبب كالقلم الرصاص ، والجوارب التى هى أكثر بهجة من أية جوارب على الإطلاق . لم يعد بها الآن ثمة استرخاء . وارتدت ثيابها بمثل السرعة والإتقان اللذين يشهد بهما جزار سكينه ، واختبرت شكلها أمام مرآة بطولها بالضريقة التى يختبر بها نفس الجزار حد سكينه على إبهامه . السرعة ولكن دون اندفاع ، السرعة من أجل الرجل الذى لن ينتظر ، ثم بعدئذ — التمهّل العرضى ، تمهّل العليمة ، الذكية ، الأنيقة الواثقة من نفسها ، السيدة ذات الساقين الرائعتين والقفاز الأبيض الناصع . ولم يتوان رجل مرت به عن النظر خلفها . وعصر سائق اللورى الذى يعمل عند الإخوة ميلار وهو يمر محملاً بشحنة من الأخشاب ، ورفع صبيان من فتيمة المدرسة أعيناً مشقوفة كمينى فالنتنيو ناحيتها ، وابتلعا فى ألم اللعاب الذى غمر فميهما نصف اللفتوحين . وقال أحدهما : « ما رأيك فى تلك ؟ » .

وأجاب الآخر : « أجل » .

— « ما رأيك لو — »

— « أجل » .

لئن سيدة لا تسكع — وخاصة فى بايتون . فينبغى أن تكون ذاهبة إلى

مكان ما ، أولديها عمل ما ، مهما كان ضئيلاً وبلا معنى . وفي أثناء سيرها في شارع  
هاى بخطوات منقوطة ، كانت تحي وتحدث المارة وتستعرضهم بطريقة آلية .

مستر هول — كان يعيش على الاستدانة ، دأب على ذلك بعض الوقت .  
ستونى — رجل خشن ، وفجّل ، ولكن أية امرأة تلك التى تستطيع  
العيش بمرتب أو معاش شرطى ؟ وبالإضافة إلى ذلك ، كان صديقها .

هارولد بيك ، ذو ضيعة حقيقية وكبيرة ، ولكن هارولد كان غريب الأطوار  
كالبطة . وربما كان هو نفسه الشخص الوحيد في العالم الذى لم يعلم بذلك .

ماك دويل — لطيف جداً أن أراك ، ياسيدى ؟ كيف حال ميللى ؟ انه  
لا يحتمل — اسكتلندى ، بخيل ، ومرتبب بزوجته — مقعد ، من النوع الذى  
يعيش إلى الأبد . كان لغزاً ، ولم يعرف أحد ماذا كان يمتلك .

دونالد راندولف ذو العينين النديتين — رائع حين يجلس على المقعد المجاور  
فى البار ، سيد مهذب فى البار تتغلغل تقاليد عميقة خلال سكره ، ولكن  
لا فائدة ترجى منه ، إلا اذا أردت أن تقيم بيتا على مقعد بار .

هارولد لوس — قيل إنه كان على صلة قرابة بناسر مجلة ( تايم ) ، ولكن  
من الذى قال ، هو نفسه ؟ رجل قد من صخر ، كان يتمتع بشهرة أنه حكيم ،  
وكان هذا مبنياً على نقص قوته فى التعبير .

إد وانتونز — كذاب ، مخائل ولص . المفروض أنه كان يحسب الخمر فى أثناء  
احتضار زوجته ، ولكن إد لم يكن يثق بأحد . لم يكن يثق حتى فى أن كلبه  
لن يهرب منه ، وأبقاه مربوطاً يعوى .

بول سترايت — قوة فى الحزب الجمهورى كانت زوجته تسمى بترفلاى —

ليس اسم دعابة . بترفلاي سترايت ، وعمدت باسم بترفلاي ، تلك هي الحقيقة .  
كان بول يستفيد إذا صار حاكم ولاية نيويورك جمهورياً . كان يمتلك مقلب  
قيامه المدينة ، حيث يتكلف إلقاء حمل من القمامة هناك ربع دولار . ويحكى أنه  
عندما صارت الفيران من سوء والضخامة بحيث أصبحت تشكل خطراً ، إن  
بول كان يبيع تذاكر تبيح الحق في صيدها بالرصاص ، ويؤجر الأضواء الكاشفة  
والبنادق — وبمدهم برصاصات من عيار ٢٢ ليطلقوها عليها . كان يبدو قريب  
الشبه جدا برئيس الجمهورية لدرجة أن كثيرين من الناس كانوا يدعون له (آيك) .  
ولكن داني تيلور وهو في ساعة شرب هادئة ذكره على أنه «بول أنبل الكل»  
والتصقت به تلك التسمية . وصار اسمه حين لا يكون موجودا ، النبيل بول .

ماروللو — إنه ازداد مرضاً عما كان . إنه مريض مكتئب . كانت عينه  
ماروللو عيني رجل أصيب في معدته برصاص من عيار ٤٥ . لقد سار متجاوزاً  
مدخل محله دون أن يدخله . ودخلت مارجي المحل ، وهي تهز ردفها البديعين .  
كان إيثان يكلم شخصاً غريباً ، رجلاً أسود الشعر أقرب إلى الشباب ،  
يرندي . سروالاً من طراز إيفي ليج وقبعة ذات حافة ضيقة . كان في حوالى  
الأربعين ، صلباً ، خشناً ، مستغرقاً فيما كان يفعل .

كان منحنيًا فوق الثلاجة وبدأ وكأنه سيفحص لوزتي إيثان .

قالت مارجي : « هاى ، أنت مشغول ، سأعود فيما بعد » .

هناك أشياء لا نهاية لها ، تافهة ولكنها مشروعة ، يمكن لا امرأة متسكعة  
أن تؤذيها في مصرف . عبرت مارجي مدخل الحارة ودخلت إلى المعبد الرخامي  
ذى الفولاذ المصقول .

حين رآها جوى مور فى أضواء البشر وجهه فى المربع ذى القضبان ، الذى تتكون منه نافذة الصراف . يالها من ابتسامة ، ويالها من شخصية ، وياله من رفيق دعاية طيب ، و- لكن بالمنظره الزرى كزوج . لقد قدرته مارجى حق قدره كشخص واد ليظل أعزباً ، شخص قد يقاتل حتى الموت فى سبيل بقائه وحيداً . لن يكن لجوى قبر مزدوج .

وقالت : « أرجوك ، ياسيدى ، هل لديك أية نقود جديدة غير مملحة ؟ »  
— « عفوك ، ياسيدتى ، سارى . إننى أكاد أكون واثقاً اننى رأيت بعضاً منها فى مكان ما كم تريدن ؟ »

— « حوالى ست أوقيات ، يامسيو . » وتناولت دفترأ مطويأ من حقيبتها الجلدية البيضاء ، ثم كتبت شيكا بعشرين دولارأ .

وضحك جوى . فقد كان ميالاً إلى مارجى . فمرة فى كل فترة ، و- لكن ايس كثيراً جداً ، كان يخرج معها لتناول العشاء ثم ، يصطحبها إلى منزلها و- لكنه كان أيضاً يحب صحبتها وروحها المرحه .

وقال جوى : « مسز ياج هنت ، ذلك يذكرنى بصديق لى كان يعيش فى ميكسيكو مع بان-كوفيللا . أتذكرينه ؟ »  
— « لم أعرفه إطلاقاً . »

— « ليست هذه فكاهة . إنها قصة رواها لى الفتى . قال إنه عندما كان بانكوفى الشمال ، كان يعمل على آلة الطباعة التى تطبع البنكنوت من فئة العشرين بيسو . وطبع منه الكثير لدرجة أن رجاله ألقوا عن العد - وهم لم يبرعوا فى العد على أية حال - وكان عليهم أن يزنوا النقود فى ميزان ذى كفتين . »  
( م ١٩ - شتاء السخط )

قالت مارجى : « جوى ، أنت لا تستطيع أن تقاوم إغراء سرد تاريخ

حياتك » .

— « ياللبجيم ، كلا ، يامسز يانج هنت . لقد كنت فى حوالى الخامسة من عمرى حينذاك ، إنها مجرد قصة . ثم دخلت سيدة حلوة سمينة ، هندية لكن سمينة . دخلت ثم قالت : « سيدى الجنرال ، لقد أعدمت زوجى وتركتنى أرملة فقيرة ومعها خمسة أطفال ، فهل تلك هى الوسيلة لإدارة ثورة شعبية ؟ » وأخذ بانكو يراجع ما تستحقه من مال مثلما أفعل أنا الآن .

— « لا رهونات عليك ، يا جوى » .

— « أعلم . إنها مجرد قصة » . وقال بانكو إلى أحد مساعديه العسكريين : « زن لها خمسة كيلو جرامات من النقود . » حسنا ، كانت تلك حزمة ضخمة . وربطوها بقطعة سلك وخرجت المرأة ، وهى تجرجر الحزمة الخضراء . وبعدئذ خطا ملازم إلى الأمام وحيثما قال : « سيدى الجنرال ( وهم ينطقونها مى جرال ) ، نحن لم نطلق الرصاص على زوجها . كان مخموراً ، فوضعناه فى السجن الذى عند الناصية » . لم يكن بانكو قد رفع عينيه إطلاقاً عن السيدة التى تسير مبتعدة ومعها حزمة النقود . وقال : « اخرج وأطلق عليه الرصاص . نحن لا نستطيع أن نخيب أمل تلك الأرملة المسكينة » .

— « جوى ، إنك لا تطاق » .

— « إنها قصة واقعية . وأنا أصدقاها . » وأدار شيكها جانباً ، وقال :

« أتريدون أن تصرفنى هذا الشيك عشريئات ، أم خمسينات ، أم مئات ؟ »

— « أعطني إياه ورقاً من فئة الخمسة والعشرين سنتاً » .



كان كل منهما يستمتع بالآخر .  
وتطلع مستر بيكر من زجاج مكتبه الأغيش .  
والآن كان هناك رهان . لقد حدث مرة أن زارها بيكر زيارة صحيحة من  
الناحية اللغوية ولكنها غامضة . كان المستر بيكر هو السيد مال . من المؤكد  
أن له زوجة ، ولكن مارجى كانت تعرف آل بيكر في هذه الدنيا . فقد  
استطاعوا دائماً أن يوجدوا أسباباً أخلاقية لعمل ما يريدون . وكانت سعيدة  
لأنها خذلته . فقد أبقاه هذا جامداً في سجلها .

جمعت الأوراق الأربعة من فئة الخمسة دولارات التي أعطائها لها جوى ،  
وتحركت متجهة إلى مدير المصرف الأشيب . ولكن في تلك اللحظة دخل  
الرجل الذي كانت قد رأته يتحدث إيثان في هدوء ، وصر من أمامها ، وقدم بطاقة ،  
فأدخل إلى المكتب مستر بيكر وأغلق الباب .  
قالت لجوى : « حسناً ، قبل قدمي » .

فقال جوى : « أبداع قدم في مقاطعة ويسكس . أتريدين الخروج الليلة ؟  
نرقص ، ونأكل ، وكل شيء من هذا القبيل ؟ »  
قالت : « لا أستطيع . من ذاك ؟ »

— « لم أره من قبل أبداً . تبدو عليه سمات مفتشى المصارف . إننى في  
لحظة كهذه أكون سعيداً بأمانتى ، بل وأكثر سعادة لاستطاعتى الجمع والطرح » .  
— « أتعلم . يا جو ، يوماً ما ستجعل من زوجة مخلصه ، امرأة لعينة هاربة » .  
— « ذلك هو أملى الذى من أجله أصلى ، ياسيدتى » .  
— « أراك فيما بعد » .

خرجت ، عبر الحارة ، ودخلت محل بقالة ماروللو مرة أخرى .

- « هاى ، ايتھ »
- « هاللو ، مارجى » .
- « من كان ذلك الغريب الأنيق ؟ »
- « الأناحملين معك كرتك البللورية ؟ »
- « مخبر سرى ؟ »
- « أسوأ من ذلك . مارجى ، هل يخاف كل الناس من الشرطة ؟ إننى أخشى الشرطة ، حتى ولو لم أفعل شيئاً » .
- « أكان ذلك الفتى المتدين ذو الشعر الأجمد شرطياً ؟ »
- « ليس تماماً . قال إنه من حكومة الاتحاد » .
- « ماذا كنت تدبر ، يا ايشان ؟ »
- « أدبر ؟ أنا ؟ ولماذا كلمة « أدبر » ؟ »
- « ماذا كان يريد ؟ »
- « إننى أعرف فحسب ماذا كان يسأل ولكننى لأعرف ماذا كان يريد » .
- « وماذا كان يسأل ؟ »
- « منذ متى وأنا أعرف رئيسى ؟ من غيرى يعرفه ؟ متى جاء الى نيويبايتون ؟ »
- « وماذا قلت له ؟ »
- « حين انضممت للجيش لقتال الأعداء ، لم أكن أعرفه . وحين عدت كان موجوداً هنا . وحين أفلست اشتري المحل ومنحنى وظيفة » .
- « وحول أى شى - فى اعتقادك - تدور هذه الأسئلة ؟ »
- « يعلم الله » .

كانت مارجى تحاول أن تنظر فيما وراء عينيه . وفكرت . إنه يتظاهر بالسذاجة . إنى لأعجب ماذا أراد الفتى حقاً .

وقال فى هدوء بالغ أنار مخاوفها : « أنت لاتفدقينى . وأنت تعرفين ، يامارجى ، إن أحداً لا يصدق الحقيقة أبداً » .

— « الحقيقة المطلقة ؟ حين تقطع دجاجاً ، ياإيث ، تجده كله دجاجاً ، ولكن البعض لحمه غامق والبعض لحمه أبيض » .

— « أعتقد ذلك . بصراحة ، يامارجى ، إننى قلق . إننى أحتاج إلى هذه الوظيفة . وإذا حدث لألفيو أى شىء فسأعود إلى ذرع الشوارع » .

— « أتراك نسيت أنك ستصبح غنياً ؟ »

— « إن التذكر أمر صعب ، وأنا لست غنياً » .

— « إيثنان ، إننى أعجب إذا ما كنت تذكر . كان ذلك الربيع قرب عيد

القيامة مباشرة . دخلت ، فناديتنى ياابنة أورشليم » .

— « كان ذلك فى يوم الجمعة الحزينة » .

— « ها أنت ذاتذكري فعلاً . حسناً ، لقد وجدت هذا الاسم . إنه فى إنجيل

(متى) ، وهو رائع جداً ومخيف » .

— « أجل » .

— « ما الذى أنى به إلى ذهنك » .

— « عمى العظيمة ديبيورا . كانت تصلبنى مرة فى كل عام . ولايزال ذلك

الصلب مستمراً » .

— « إنك تهزل . ولكنك لم تكن تهزل حينذاك » .

- « كلا ، لم أكن أهزل . وأنا لأهزل الآن » .  
فقلت في فرح : « أتعلم ، إن الطالع الذى قرأته لك أخذ يتحقق » .  
— « أعلم ذلك » .  
— « ألا تعتقد أنك مدين لى بشيء ما ؟ »  
— « بالتأكيد » .  
— « ومتى تنوى الدفع » .  
— « هل يضيرك أن تدخل إلى الغرفة الخلفية » ؟  
— « لأعتقد أنك تستطيع أن تفعل هذا » .  
— « لا تعتقدن ؟ »  
— « كلا ، يا إيشان ، ولأنت تعتقد ذلك . أنت لم ترتكب فى حياتك  
أبداً أية حماقة مفاجئة » .  
— « أستطيع أن أتعلم ، ربما » .  
— « أنت لا تستطيع ارتكاب الحماقة حتى لو أردت » .  
— « ربما أحاول » .  
— « ستتطلب إثارتك حباً أو كراهية ، وكلاهما يتطلب إجراءات بطيئة  
وعظيمة » .  
— « ربما تكونين على صواب : وكيف عرفت ؟ »  
— « لم أدر مطلقاً كيف عرفت » .  
زلق باب التلاجة ففتحه ، وأخرج زجاجة كوكا كولا ، نمت عليها فى  
الحال طبقة من الثلج وفتحها ، وناولها الزجاجة بينما أخذ يفتح زجاجة ثانية .

« ماذا تريد مني ؟ »

— « أنا لم أعرف في حياتي قط رجلاً مثلك . لعلّي أريد أن أرى كيف يكون الإنسان مع حب أو كراهية شديدة إلى هذا الحد » .

— « إنك ساحرة . لماذا لا تصفرين لتثيري رجلاً ؟ »

— « لا أستطيع أن أصفر . إنني أستطيع أن أثير زوبعة صغيرة تافهة في معظم الرجال بحركة من حاجبي . فكيف أستطيع التصرف لأضرم فيك النار ؟ »

— « ربما تكون قد أضرمتها » .

كان يدرسها بدقة دون أن يحاول إخفاء تفحصه ، وقال : « مبنية مثل ملحق دار من الطوب الأحمر ، لدنة وقوية وطيبة » .

— « وكيف تعرف ؟ إنك لم تمسني قط » .

— « لو أنك فعلت ، لكان حرقاً لك أن تهربي مني هربك من

الجحيم » .

— « يا حبيبي » .

— « دعك من ذلك . هناك خطأ ما . إنني من الغرور بما يكفي لأعرف

مشار جاذبيتي . ما الذي تريد منه إنك امرأة حلوة شهية ولاكنك أيضاً ذكية .

فماذا تريد مني ؟ »

— « لقد أخبرتك بطالعتك وها هو يتحقق » .

— « وتريد أن تأخذ نصيبك » .

— « أجل » .

— « الآن أستطيع أن أصدقك » . ورفع عينيه ، وقال : « ماري يامن  
تحتلين قلبي ، ارعى زوجك حبيبك ، صديقك الغالي . احرسيني من الشر الذي  
ينبع من داخلي ، ومن الأذى الذي يأتي من خارجي إنني أرتج عونك ، يا زوجتي  
ماري . فللرجل حاجة غريبة دواءة ، وآلم الأجيال يضغط عليه كي ينثر بذاره في  
كل مكان . فصلى من أجلى » .

— « أنت زائف ، يا إيثان » .

— « أعلم ذلك . ولكن ألا أستطيع أن أكون زائفاً متواضعاً ؟ »

— « إنني أخشاك الآن ، ولم أكن كذلك من قبل » .

— « لأستطيع أن أدرك السبب » .

كانت في عينها نظرة ممارسة السحر تلك ، وراها هو .

— « مارولو » .

— « ماذا جرى له » .

— « إنني أسأل » .

— « سأكون معك بعد لحظة . نصف دسته من البيض ، قالب زبد ، حسناً

وكيف حال القهوة معك ؟ »

— « أجل ، أعطني علبة قهوة . أحب الاحتفاظ بها على الرف . مارأيك

في ذلك اللحم المفروم المحفوظ في العلب ؟ »

— « لم أجربه . يقولون إنه طيب جداً . سأكون معك بعد لحظة ،

يامستر بيكر . ألم تأخذ المسز بيكر شيئاً من ذلك اللحم المفروم المحفوظ في

العلب ؟ »

— « لأعلم ، يا إيثان . إننى آكل ما يوضع أمامى . مسز يانج هنت أنت  
تزدادين جمالاً يوماً بعد يوم . »

— « هذا عطف منك ، يا سيدى . »

— « تلك هى الحقيقة . و- ترتدين ثياباً بديمة جداً . »

— « كنت أفكر فى نفس الأمر بالنسبة لك . أنت لم تعد الآن جميلة ،

ولكن لك خياط مدهش . »

— « أحسبه كذلك . إنه يتقاضى أجراً كافياً . »

— « أتذكر الفتى العجوز الذى قال : « الأخلاق تصنع الرجل ؟ » حسناً

قد تغير ذلك الآن . فالخياطون يصنعون الرجال فى أية صورة يشاءون . »

— « إن المشكلة فيما يتعلق بحلة متقنة الصنع ، هى أنها تعمر طويلاً جداً .

فهذه عمرها عشر سنوات . »

— « لأستطيع أن أصدق هذا ، يامستر بيكر . كيف حال مسز بيكر . »

— « بخير حال ، مما لا يدع مجالاً للشكوى . لماذا لاتزورينها ، يامسز يانج

هنت ؟ إنها تشعر بالوحشة . ولا يوجد كثيرون فى هذا الجيل يستطيعون متابعة

مناقشة متعلمين . ويكهام قال ذلك . وهذا القول هو شعار كلية وينشستر . »

واستندارت إلى إيثان : « أرنى مدير مصرف أمربى-كى آخر يعرف

ذلك . »

وسرت الحيرة فى وجه مستر بيكر ، « إن زوجتى مشتركة فى سلسلة

كتب عظيمة . وإنها لقارئة عظيمة . أرجو أن تزورينها . »

— « سيسعدنى ذلك . ضع حاجياتى فى كيس ؟ يامستر هولى . سأخذها

وأنا فى طريقى إلى البيت . »

- « حسناً ، ياسيدتى . »
- قال مستر بيكر : « إنها شابة رائعة حقاً . »
- « هى ومارى تنفقان فى هذا . »
- « إثبان ، هل جاء رجل الحكومة ذاك إلى هنا ؟ »
- « أجل . »
- « وماذا يريد ؟ »
- « لا أدرى . فقد سأل بضع أسئلة بشأن مستر ماروالو . ولم أعرف الإجابة عليها . »
- وحللتنى مستر بيكر من صورة مارجى ، بنفس البطء الذى تفتتح به شقائق البحر ، وتقذف إلى الخارج محارة سرطان بحرى امتص كل مابه من لحم .
- « إثبان ، هل رأيت داني تيلور ؟ »
- « كلا ، لم أراه . »
- « هل تعلم أين يوجد ؟ »
- « كلا ، لا أعلم . »
- « ينبغى أن أتصل به . ألا تستطيع أن تفكر أين يمكن أن يكون ؟ »
- « إننى لم أراه منذ - حسناً ، منذ شهر مايو . كان ينتوى محاولة العلاج مرة أخرى . »
- « ألا تعلم أين ؟ »
- « لم يقل . ولكنه كان راغباً فى المحاولة . »
- « أكانت مصحة عامة ؟ »
- « لا أظن ذلك ، ياسيدى . فقد اقترض منى بعض النقود . »



- « ماذا ! »
- « أقرضته قليلا من المال . »
- « كم ؟ »
- « استمحيك عذراً ؟ »
- « آسف ، يا إيثان . أنتما صديقان قديمان . آسف . هل كانت لديه نقود أخرى ؟ »
- « أعتقد ذلك . »
- « ولا تعلم مقدارها ؟ »
- « كلا ، ياسيدي . كان لدى إحساس فحسب أن لديه منها المزيد . »
- « إذا كنت تعلم أين هو ، فأرجوك أن تخبرني . »
- « لو كنت أعرف لأخبرتك ، يامسترييكر . ربما استطعت كتابة قائمة بأسماء أما كن العلاج ، ثم تتصل بها تليفونياً . »
- « هل اقترض المبلغ نقداً ؟ »
- « نعم . »
- « إذن ، فلا فائدة . لأنه سيغير اسمه . »
- « لماذا ؟ »
- « إنهم دائماً يتصرفون كأبناء العائلات الطيبة . إيثان ، هل أخذت النقود من ماري ؟ »
- « أجل . »
- « ولم تهتم لذلك ؟ »
- « لم تكن تعلم . »

- « هاقد بدأت تصير ذكياً » .
- « لقد تعلمت منك ، يا سيدى » .
- « حسناً ، لا تنسى هذا . »
- « ربما كنت أتعلم تدريجياً ، ولكن أغلب ما أتعلمه هو كثرة الأشياء  
التي كنت أجهلها . »
- « حسناً هل مارى بخير ؟ »
- « أوه ، إنها بخير وعافية . كم أتمنى لو أستطيع اصطحابها فى أجازة  
قصيرة فنحن لم نخرج عن نطاق البلدة طيلة سنوات » .
- « سيحين ذلك فى موعده يا إيثان . أظننى سأذهب إلى مين فى الرابع من  
يوليو فلم أعد أحتمل الضوضاء أكثر من ذلك » .
- « أعتقد أنكم محظوظون ، يا رجال المصارف . ألم تكن فى البانى  
مؤخراً ؟ »
- « ما الذى أوحى إليك بتلك الفكرة ؟ »
- « لا أدرى — سمعتها فى مكان ما . ربما تكون المسز بيكر قد  
أخبرت مارى » .
- « لا يمكن فلم تكن تعرف . حاول أن تتذكر أين سمعتها » .
- « ربما أكون قد تخيلت هذا فحسب » .
- « هذا يقلقنى ، يا إيثان . تذكر جاهداً أين سمعتها . »
- « لا أستطيع يا سيدى . وماذا يهم ما دامت ليست صحيحة ؟ »
- « سأطملك على سبب قلقى ، على أن يبقى الأمر بيننا . السبب هو أن

هذا القول صحيح . لقد دعاني الحاكم . انه أمر خطير اننى لأعجب من أين تسرب الخبر »

— « إذن فلا أريد أن أسمع »

— « لا خيار لك الآن فى الأمر ما دمت تعرف موضوع ألبانى إن الدولة

تتفحص شئون المقاطعة والبلدة »

— « لماذا ؟ »

— « لأن الرأىة قد وصلت حتى ألبانى » .

— « ليست أموراً سيامية ؟ »

— « أظن أن أى شىء يتولاه الحاكم ، يمكن أن يسمى شئوناً سياسية » .

— « مستر بيكر ، لماذا لا يمكن أن يكون الموضوع على المكشوف ؟ »

— « سأقول لك لماذا . لقد شاع الخبر فى المنطقة العليا من الولاية ، وحينما

بدأ المحققون يارسون عملهم ، اختفت معظم السجلات » .

— « أفهم . كم أتمنى لو أنك لم تخبرنى . إننى است ثرثاراً ولكنى أتمنى

لو أننى لم أعرف » .

— « فيما يتعلق بذلك للموضوع ، أتمنى نفس الشىء ، يا إيشان » .

— « إن الإبتخابات فى السابع من يوليو . فهل سيشارالموضوع قبل ذلك ؟ »

— « لا أدرى ، إن الأمر متروك لحكومة الولاية » .

— « هل تعتقد أن مارولو مشترك فى هذا الموضوع ؟ إننى لا أستطيع احتمال

فقدان وظيفتى » .

— « لا أظن ذلك . أما ذلك الرجل فكان من حكومة الاتحاد . من

وزارة العدل . ألم تسأله عن أوراق تحقيق شخصيته ؟ »

- « لم أفكر في هذا لقد أظهرها بسرعة خاطفة ولكني لم أنظر فيها » .
- « حسناً ، كان ينبغي أن تفعل . ينبغي دائماً أن تفعل » .
- « لا أظن أنك راغب في الابتعاد عن البلدة » .
- « أوه ، ذلك لا يهم . إن شيئاً لا يحدث قبل عطلة الرابع من يوليو .
- فقد هاجم اليابانيون بيرل هاربور في عطلة نهاية أسبوع ، كانوا يعلمون أن كل شخص سيكون متفياً » .
- « كم أتمنى لو استطعت أن آخذ ماري إلى مكان ما » .
- « ربما تستطيع ذلك فيما بعد . إن أطلب منك أن تقدح ذهنك ونحاول أن نعرف أين يوجد تيلور » .
- « لماذا ؟ هل الأمر بهذه الأهمية ؟ »
- « إنه كذلك . ولا أستطيع أن أقول لك السبب في هذه اللحظة بالذات » .
- « إذن ، فإنني أود فعلاً لو استطعت أن أجده » .
- « حسناً ، لو استطعت العثور عليه ، فقد لا تحتاج إلى هذه الوظيفة » .
- « إذا كان الأمر كذلك . فمن المؤكد أنني سأحاول ، ياسيدي » .
- « هكذا يكون الرجال ، يا إيشان . إنني متأكد أنك ستحاول . وإذا حددت مكانه فعلاً ، فعليك أن تطلبني - في أي وقت ، نهراً أو ليلاً » .

## الفصل الثالث عشر

إننى لأعجب لأناس يقولون إنه لا وقت لديهم للتفكير . ففما يتعلق بنفسى ، أستطيع أن أضعف التفكير . إننى أجد أن وزن الخضر ، وقضاء فترة النهار مع الزبائن ، وشجار أو مغازلة ماري ، والكفاح مع الأطفال - لاشيء من هذه الأشياء يمنع وجود قطاع ثانٍ مستمر من التفكير ، والتأمل . والتخمين . وبالتالي كيد يتحتم أن يكون هذا صحيحاً بالنسبة لكل واحد . وربما كان عدم وجود الوقت للتفكير ، هو عدم وجود الرغبة في التفكير .

لعله لم يكن لى أى خيار فى دخول تلك البلاد الغريبة التى دخلتها ، دون أن تكون مرسومة لى . كانت الأسئلة تغلى ، طائبة الانتباه إليها . ولقد كان عالماً جديداً بالنسبة لى حتى إننى احترت فى أمور لعل المستوطنين القدامى قد حلوها وألقوها جانباً حين كانوا أطفالاً .

لقد ظننت أننى أستطيع أن أبعث الحركة فى عملية ثم أسيطر عليها فى كل دورة من دوراتها . بل حتى أن أوقفها إذا أردت . والآن نما بداخلى الاعتقاد الخفيف بأن مثل هذه العملية قد تصير شيئاً فى حد ذاتها ، أو شخصاً فى الغالب ، له غاياته الخاصة ووسائله ومستقل تماماً عن خالقه . ووردت إلى ذهنى فكرة أخرى مزعجة . هل بدأتها أنا حقاً ، أم كل ما فى الأمر أننى لم أقاومها ؟ ربما أكون أنا المحرك ، ألم أكن أنا أيضاً محركاً ؟ وذات مرة بدا لى أنه لا توجد فى الشارع الطويل تقاطعات ، أو ممرات متشعبة ، أو اختيار .

كان الاختيار فى التقييم الأول . ماهى الأخلاقيات ؟ هل هى مجرد كلمات ؟

هل كان مما يشرفهم أن يقدرُوا ضعف والدي ، الذي سببه ذهن كريم وحملم  
خاطيء الأصل بأن الرجال الآخرين يساونه في الكرم ؟ كلا ، فلقد كان العمل  
هو أن يحفروا له الهوة . لقد سقط فيه من تلقاء نفسه . لم يدفعه أحد . أكان  
لأخلاقيا أن نجرده مما عليه حين كان في القاع ؟ من الواضح أنه لم يكن . والآن  
كان هناك حصار اختياري بطيء يزحف على نيوبايتون ، ولقد بدأ تحريكه  
أناس شرفاء . فإذا نجح ، فلن يظن أحد أنهم غير أمناء بل أذكفاء . وإذا تدخل  
عنصر أغفلوه ، فهل يكون ذلك الحصار لا أخلاقياً ومشيناً ؟ أعتقد أن ذلك  
سيعتمد على ما إذا كان العنصر ناجحاً أم لا . فالنجاح ، بالنسبة لمعظم العالم ، لم  
يكن أبداً شيئاً سيئاً . وإنني أذكر كيف يكون ذلك ، زحف هتلر منتصراً  
دون مقاومة ، بحث كثيرون من رجال الشرفاء ، وجدوا فيه فضائل . وكذلك  
موسوليني : لقد جعل القطارات تسير في مواعيدها ، وفيشي أحدث من أجل  
صالح فرنسا ، ومهما يكن من أمر ستالين ، فقد كان قوياً . القوة والنجاح -  
إنهما فوق الأخلاقيات ، وفوق النقد . يبدو إذن ، أن الأمر ليس ما تفعله ،  
بل كيف تفعله وماذا تطلق عليه . هل يوجد ثمة رادع في الرجال ، رادع في  
أعماقهم ، يوقف أويماق ، يبدو أنه غير موجود . إن العقاب الوحيد هو جزاء  
الفشل . والجريمة لا تتم فعلاً إذا قبض على المجرم . كان من المحتم - حلال  
الحركة المرسومة من أجل نيوبايتون أن يؤذى بعض الناس رغماً عنهم ، بل  
ويدمر بعضهم ، ولسكن هذا لم يعق الحركة بأية حال من الأحوال .

لم أستطع أن أسمى هذه صراعاً مع ضميري . فما دمت قد أدركت النمط  
وقبلته ، فقد كان الطريق واضح المعالم والمخاطر ظاهره . إن ما أذهلني أكثر منه

أى شيء آخر ، هو أن الأمر بدا وكأنه يخطط لنفسه ، كل شيء ينمو من الآخر  
وكل شيء يتفق مع بعضه البعض . وراقبته ينمو وأرشدته بأدق اللمسات فحسب .  
لقد تحملت عبء مافعلته وخططت لفعله بمعرفة كاملة كانت غريبة على ،  
ولكنها ضرورية ضرورة الركاب لاعتلاء ظهر حصان عال . ولكن مادمت قد  
اعتليته ، فلن تكون ثمة حاجة للركاب . وربما لم أستطع إيقاف هذه العملية  
ولكنى لأحتاج أبداً إلى أن أبدأ واحدة أخرى . فلم تكن بي حاجة  
أو رغبة في أن أكون مواطناً في هذه البلاد الكئيبة الخطرة . لم يكن لى شأن  
بالمأساة المقبلة في السابع من يوليو . فلم تكن عمليتي ، ولكنى كنت أستطيع  
أن أشارك فيها وأن أستخدمها .

إن واحدة من أقدم أساطيرنا وفي الغالب أكثرها افتقاراً إلى البرهان ، هي  
القائلة بأن أفكار المرء تبين في وجهه ، وأن العينين هما نافذتا الروح . إن الأمر  
ليس كذلك . إن الذى يبين هو للمرض وحده ، أو الهزيمة أو اليأس وهما نوعان  
مختلفان من أنواع المرض . والنادر من الناس من يستطيع أن يشعر بالمستور ،  
أن يحس تغيراً وبسمع إشارة خفية . أعتقد أن زوجتى مارى أحست بتغير ما ،  
ولكنها أساءت تأويله ، وأعتقد أن مارجى يانج هنت كانت تعلم . ولكنها  
ساحرة وذلك شيء مزعج . وقد بدت لى ذكية بقدر ما هى ساحرة . وكان ذلك  
أكثر إزعاجاً .

كنت أشعر شعور اليقين أن مستر بيكر سوف يذهب فى أجازة ، ربما فى  
أصيل يوم الجمعة فى عطلة الرابع من يوليو . وسيكون على العاصفة أن تثور يوم  
الجمعة أو السبت لى . يكون لديها الوقت الكافى لإعطاء أثرها قبل الانتخاب ،  
وكان منطقياً إفتراض أن مستر بيكر سيرغب فى أن يكون بعيداً حين تحل  
( م ٢٠ — شتاء السخط )

الصدمة . وطبعاً ، لم يكن ذلك يعنيني كثيراً . كانت العملية أقرب إلى تمرين في المشاركة ، ولكنها حتمت قيامي بعدة تحركات يوم الخميس ، لمجرد احتمال أنه قد يسافر في تلك الليلة . كان موضوع يوم السبت عملياً لدرجة بديعة حتى أنني كنت أستطيع مزاولته في أثناء نومي . ولو كان لدى أى خوف من ذلك ، فقد كان خوفاً أقرب شبهاً بالخوف البسيط الذي يصاحب الظهور على المسرح .

في يوم الإثنين ، ٢٧ يونيو ، دخل مارللو حالمسا فتحت . تجول في أرجاء المكان ، وهو ينظر بشكل غريب إلى الأرفف ، وإلى آلة عدد النقود ، والثلاجة ، وسار إلى المؤخرة حيث الخزن وتفحصه . وإنك لتعتقد من الانطباع الذي على وجهه ، أنه كان يرى المكان لأول مرة .

وقلت : « أنتوى القيام برحلة في الرابع من يوليو ؟ »

-- « لم تقول ذلك ؟ »

— « حسناً ، كل من يستطيع تحمل النفقات يفعل ذلك » .

— « أوه ! وأين سأذهب ؟ »

— « وأين يذهب سائر الناس ؟ إلى كاتسكيل ، وحتى إلى مونتوك لصيد

السماك . إن سمك التونه يجرى هناك » .

ولعل مجرد التفكير في الصراع مع سمكة وزنها ثلاثون رطلاً وهي تتوالب ،

قد جلب إلى ذراعه آلام القرمس لدرجة أنه ثناها ، وفزع .

كنت على وشك أن أسأله متى ينتوى السفر إلى إيطاليا ، ولكن ذلك

جداً كثيراً جداً عليه . وبدلاً من ذلك ، تحركت ناحيته وأمسكته برقة من

كوعه الأيمن ، وقلت :

— « ألقبو ، إننى لأحسبك أحقاً . لماذا لا تذهب إلى أحسن إخصائى في



نيويورك؟ لا بد أن يكون هناك شيء ما لإيقاف ذلك الألم .

— « لا أصدق ذلك . »

— « وما الذي ستخسره؟ هيا اذهب ، وحاول . »

— « وماذا يهمك من ذلك؟ »

— « أنا أهتم ، ولكنني اشتغلت هنا فترة طويلة من أجل مهاجر غربي ولو أن

كلباً جباناً كان يتألم إلى ذلك الحد ، لأحسست ألمه بنفسى . إنك تأتي

إلى هنا وتحرك ذراعيك ، وينقضى نصف ساعة قبل أن أستطيع تمالك

نفسى . »

— « هل تحبني؟ »

— « يا للجميل ، كلا! إننى أملك لكى ترفع مرتبى . »

وتطلع إلى بعينين كعيني الكلب ، أطرافهما حمراء ، وقد كونت

قرحيتها البنيتان الغامقتان وبؤبؤهما قطعة واحدة . وبدا عليه أنه يوشك

أن يقول شيئاً ما ، ولكنه غير رأيه فيما يختص بالأمر وقال :

« إنك فتى طيب . »

— « لاتعتمد على هذا . »

— « بل إنك فتى طيب ! » قالها منفجراً ، ثم وكأنه صدم من إظهاره

لعاطفته ، خرج من المحل وسار مبتعداً .

كنت أزن رطلين من اللوبيا للمسز دافيدسون عندما عاد مارولو مندفعاً .

ووقف فى المدخل وصاح بى :

— « خذ سيارتى البونتياك . »

— « ماذا؟ »

— « اذهب إلى مكان ما يوى الأحد والإثنين » .

— « لا أستطيع تحمل النفقات » .

— « خذ الأولاد معك . لقد أبلغت الجراج أنك ستأخذ السيارة البونتيك

وسيكون خزان الوقود ملاً نأ » .

— « انتظر دقيقة » .

— « فلتذهب إلى الجحيم . خذ الأولاد معك » . وقذف ناحيتي شيئاً

ما يشبه كرة من الورق وسقط الشيء بين اللوبياء . وراقبته مسز دافيدسون وهو

يندفع خارجاً مرة أخرى إلى الشارع . والتقطت اللفة الخضراء من بين حبات اللوبياء .

كانت ثلاث ورقات من فئة العشرين دولاراً مطوية على شكل مربع محكم الطي .

— « ماذا جرى له ؟ »

— « إنه إيطالي مثير » .

— « لا بد أن يكون كذلك ، مادام يلقي بالنقود ! »

لم يظهر بقية الأسبوع، وهكذا كان الأمر يسير على ما يرام . إنه لم يسافر من قبل قط

قبل أن يخبرني . كان الأمر بالنسبة لي يشبه مراقبة استعراض يمر ، مجرد الوقوف ومراقبته

وهو يمر أمامك وأنت تعرف ماذا ستكون الدفعة التالية، ولكنك تراقبه بنفس الاهتمام .

لم أكن قد توقعت الحصول على السيارة البونتيك . فهو لم يعر سيارته

إطلاقاً لأحد . كانت فترة غريبة ، وبدا وكأن قوة خارجية ما أو تصميماً قد تولى

زمام الأحداث ، لدرجة أنها تراحت متلاصقة وكأنها قطع من الأبقار في عربة

شحن . كنت أعلم أن العكس يمكن أن يكون صحيحاً . فاحياناً ما تحيد القوة أو

التصميم عن الطريق ويدمر . ولا يهم مدى الحرص في التخطيط وعمقه . وأظن

ذلك هو السبب في إيماننا بحسن الحظ وسوء الحظ .

في يوم الخميس ، الموافق ثلاثين من يونيو ، استيقظت كالمعتاد في ضوء الفجر اللؤلؤي المعتم ، وكان ذلك الآن بكوراً بالنسبة لفترة منتصف الصيف . كان الكرسي والمسكيب عبارة عن نقطتين معتمتين ، والصور مجرد إبحاءات أكثر وضوحاً . وبدت ستائر النافذة البيضاء وهي تنهد داخله وخارجه وكأنما تأخذ أنفاسها ، لأنه فجر نادر ذلك الذي لا يحرك نسمة خفيفة فوق سطح الأرض . حين أخرج من مرحلة النوم ، أكون متمتعاً بعالمين ، سماء الأحلام ذات الطبقات ، والمثبتات الوقتية التي يتمتع بها العقل المستيقظ . وتمددت في تنعم - إحساس طيب ومخدر . إن الأمر يبدو وكأن الجلد قد انكش في أثناء الليل ، وعلى المرء أن يفرد له ليناسب حجم النهار عن طريق نفخ العضلات ، وتحتوى هذه العملية متعة مخدرة .

في بداية الأمر ، استرجعت مازلت أذكره من أحلام كما لو كنت ألقى نظرة سريعة على جريدة لأرى ما إذا كان بها ثمة شيء مفيد أو مهم . ثم نقبت في اليوم المقبل بحثاً عن أحداث لم تكن قد وقعت . وتلا ذلك أني اتبعت تمريناً تعلمته من أحسن ضابط عملت معه . كان يدعى تشارلي أواردز ، وهو برتبة مييجور وفي منتصف العمر ، ويحتمل أنه كان كبيراً بعض الشيء على أن يكون مشتركاً في معارك حربية ، ولكنه كان ضابطاً جيداً . كانت له عائلة ضخمة ، زوجة جميلة وأربعة أطفال على التوالي ، وكان قلبه يستطيع التألم من الحب والشوق لهم ، إذا سمح له بذلك . لقد أخبرني بهذا التمرين . ففي عمله للميت ، لم يستطع تحمل أن يضل الحب اهتمامه ويمزقه . وهكذا توصل إلى منهج . ففي الصباح ، هذا إذا لم يقفز من نومه إثر صيحة الانقباض ، كان يفتح ذهنه وقلبه لعائلته . كان يستعرض كل واحد بدوره ، كيف يبدو منظرهم ، وماذا

يشبهون ، ويربت عليهم ويطمئنهم على حبه . وبدا الأمر وكأنه كان يلتقط أشياء ثمينة من خزانة شيئاً بعد الآخر ، ثم يتطلع إلى كل منها ، ويتحسسها ، ويقبلها ، ثم يعيده ثانية ، وفي النهاية يلقي عليهم بحية وداع قصيرة ثم يفلق باب الخزانة . كان الأمر كله يستغرق نصف ساعة إذا استطاع الحصول عليه ، وبعدئذ لم يكن عليه أن يفكر فيهم مرة أخرى طوال النهار — وقد استطاع أن يهب طاقته الكاملة ، دون أن تنحرف بها الأفكار المتصارعة والأحاسيس ، للوظيفة التي كان عليه أن يؤديها . قتل الرجال . كان أفضل ضابط عرفته على الإطلاق . واستأذنته في استعمال منهجه ، فمنحه لى . وحين قتل ، كان كل ما استطعت التفكير فيه هو أنه قضى حياة طيبة وذات أثر . لقد استوفى مسراته ، واستمتع بحبه ، وسدد ديونه ، وكم من الرجال يستطيعون مجرد الوصول إلى ذلك ؟ .

لم أكن أستعمل منهج الميجور تشارلى دائماً ، ولكن في يوم مثل يوم الخميس هذا ، وحين عرفت أن انتباهي ينبغي أن يظل دون تشويش بقدر الإمكان ، استيقظت حين انقرج باب النهار مسافة صغيرة ، وزرت عائلتي مثلما كان الميجور تشارلى يفعل .

زرتهم حسب الترتيب الزمني ، وانحيت إلى العمة ديبورا . كان اسمها على اسم ديبورا القاضي ، ولقد قرأت أن القاضي كان قائداً حريباً . لقد كانت جدتي العظيمة تستطيع أن تقود الجيوش . فقد كانت تنظم فيالق الفكر . وقد انحدرت إلى منها فرحتي بالتعلم دون أن أرجو كسباً ملموساً . ورغم كونها حازمة إلا أنها كانت مشحونة بالفضول ، ولم تكن تهتم إلا قليلاً بمن ليس كذلك . وقدمت لها فروض الولاء . ثم قدمت للقبطان المعجوز نجباً خيالياً ، وحنيت

رأسي لأبي . بل أنتى أديت واجبي حتى تجاه الحفرة غير المأهولة فى ماضى ،  
والتي كنت أعرفها على أنها أمى . إننى لم أعرفها أبدا . فقد ماتت قبل  
أن أتمكن من ذلك وتركت فى الماضى الذى كان ينبغى أن توجد فيه ،  
حفرة فحسب .

شئ واحد أقلقنى . إن العمدة ديورا والقبطان العجوز ووالدى لم يبدوا  
واضحين . كانت تحديدات أشكالهم غير واضحة و متموجة ، حيث كان ينبغى  
أن تكون واضحة تماما مثل الصورة الفوتوغرافية . حسناً ، ربما تغيض الذكريات  
من الذهن كما تغيض الصور القديمة المطبوعة على ألواح الزنك — حيث تمتد  
خلفية الصورة لتغمر موضوعاتها . لم أكن أستطيع الاحتفاظ بهم إلى الأبد .  
كان ينبغى أن تكون مارى التالية ، ولكنى نحييتها جانبا إلى ما بعد .

واسترجعت صورة آلان ، لم أستطع العثور على وجهه الفتى ، الوجه الذى  
يبين الفرحة والانفعال ، اللذين جعلانى أثق من كاله كرجل . لقد بدا بالصورة  
التي صار إليها — مكتئبا ، مغرورا ، حائقا ، نائيا ومغلفا بأسرار الألم والحيرة  
التي يبعثها بلوغه ، إنها فترة مدمرة تلك التي ينبغى عليه فيها أن يعقر كل  
شخص قريب منه ، بل حتى أن يعقر نفسه ، مثل كلب وقع فى فخ وحتى فى  
الصورة التي رسمها له ذهنى ، لم يستطع الخروج من ضجره البأس ، ونحييته  
جانبا ، وأنا أقول له فحسب : « إننى أعلم . وأذكر مدى سوء تلك الفترة ، وكيف  
أننى لا أستطيع المساعدة ، كما لا يستطيعها أحد . أستطيع فقط أن أقول لك إنها  
ستنتهى ، ولكنك لا تستطيع أن تصدق ذلك ، فاذهب فى سلام — اذهب  
يصحبك حتى رغم أن أحداً منا لا يستطيع تحمل الآخر فى أثناء تلك الفترة . »  
أنت إيلين تصحبها موجة من السرور . ستكون جميلة ، بل حتى أجمل

من أمها ، فحين يأخذ وجهها الصغير شكله النهائي ستكون لها السطوة الغربية التي كانت للعمه ديبورا . إن حالاتها المزاجية ، وقساوتها ، وعصبيتها هي العناصر الأساسية لتكوين مخلوق غاية في الجمال والمعزة . إنني أعرف هذا ، لأنني رأيتها تقف في أثناء نومها ممسكة بالطمس تضمه إلى صدرها وتبدو كامرأة مكتملة . وبقدر ما كان الطمس هاماً بالنسبة لي ، ولا يزال ، فهو كذلك بالنسبة لإيلين . ربما تكون إيلين هي التي ستحمل وتنقل إلى جيل آت ما هو خالد في . في وأثناء تحيتي لها وضعت ذراعي حواليتها ، بينما قامت هي ، في صورة مطابقة لبنات جنسها ، بدغدغة أذني ثم ضحكت . يا عزيزتي إيلين ، يا ابنتي .

أدرت رأسي ناحية ماري ، التي كانت نائمة تنقسم إلى يميني . وذلك هو مكانها ، فحينما تكون مبهجة منسرحة الصدر ، تستطيع أن تدفن رأسها في ذراعي اليميني ، تاركة يدي اليسرى طليقة لمداعبتها .

منذ بضعة أيام مضت ، جرحت أصبعي السبابة بسكين منحني مما يستعمل في قطع الموز في الحبل ، ويبدت قشرة صلبة على طرف أصبعي . وهكذا كنت أمسح على أذنها بأصبعي الثاني ، ولكن في رقة كافية لكيلا تزعجها ، وفي ثبات كاف لكيلا أدغدغها . وكما تفعل دائماً ، تهتدت تهيدة عميقة مخزنة ، وانطلقت منها أنة خافتة . بعض الناس يقاومون الاستيقاظ ولكن ماري ليست منهم . فهي تقبل على اليوم متوقعة أنه سيكون يوماً طيباً . وحيث إنني أعلم هذا ، فإنني أحاول أن أقدم لها هدية صغيرة لأحقق اعتقادها . وأحاول أن أبقى على الهدايا للمناسبات ، مثل تلك التي أخرجتها الآن من حافظة ذهني .

فتحت عينها ، ومازالتا ضبايتين من أثر النوم ، وسألت : « هل طلع النهار ؟ » ، ثم تطلعت إلى النافذة لترى إلى أى مدى أصبح النهار قريباً . وفوق المكتب تتدلى صورة فيها أشجار وبحيرة وبقرة صغيرة تقف في ماء البحيرة . وحين ميزت ذيل البقرة وأنا في فراشى ، علمت أن النهار قد طلع .

— « لقد أحضرت لك معي فيضانات من الفرح الغامر ، ياسنجابى الطائر » .

— « أنت مجنون » .

— « هل كذبت عليك مطلقاً ؟ »

— « ربما » .

— « هل أنت مستيقظة بما فيه الكفاية ، لكي تستمعى إلى فيضانات

الفرح الغامر ؟ »

— « كلا » .

— « إذن سأحتجزها » .

استدارت على كتفها الأيسر ، فتكونت ثنية عميقة في لحمها الطرى . « أنت

كثير المزاح . فإذا كنت تنوى أن تقول إنك ستغطى العشب بالأسمنت — «

— « كلا » .

— « أو أنك ستبدأ فى تشييد ملعب للكريكيت »

— « كلا ، ولكنك تذكرين فعلاً الخطط القديمة الملعونة » .

— « هل الأمر ذكته ؟ »

— « حسناً ، إنه شيء بالغ الغرابة والسحر ، لدرجة تقتضى منك أن

تدعى إيمانك » .

- وصارت عيناها الآن صافيتين متيقظتين ، واستطعت أن أرى الارتعاشات البسيطة حول شفيتها وهي تستعد للضحك : « أخبرني » .
- « هل تعرفين رجلاً من أصل إيطالي يدعى ماروللو؟ »
- « يا حماقتك — لقد بدأت تصير سخيفاً » .
- « ستجدين الأمر كذلك . لقد رحل « السيد ماروللو » من هنا لبعض الوقت » .
- « إلى أين ؟ »
- « لم يقل » .
- « ومتى سيعود ؟ »
- « أبطلى التشويش على ، فلم يقل ذلك أيضاً . أما ماقاله فعلاً ، وما أمر به — عندما عارضت — إن علينا أن نأخذ سيارته ونذهب في رحلة سعيدة نقضى بها العطلة » .
- « إنك تسخرين بي » .
- « هل أكذب كذبة تثير حزنك ؟ »
- « ولكن لماذا ؟ »
- « ذلك مالا أستطيع قوله . أما ما أستطيع أن أقسم عليه ابتداء من قسم فتية الكشافة حتى القسم البابوي ، فهو أن السيارة البونتيك المخططة كالقندس المسكى ، بجزائها ممتلئة بالوقود العذرى تنتظر إمتاع سعادتك » .
- « ولكن أين سنذهب ؟ »
- « ذلك ، يزوجني الحلوة ، هو ما ستقررى أمره ، وتستغلى اليوم كله ، وغدا ، ويوم السبت لتضحي خطته » .



- « ولكن الاثنين عطلة ومعنى ذلك أننا سنقضى يومين كاملين » .  
- « ذلك صحيح » .
- أتستطيع تحمل النفقات ؟ فقد يتطلب الأمر النزول بفندق على الطريق  
أو شيئاً من هذا القبيل .
- « سواء استطعنا أم لا ، فلدى حافظة سرية » .
- « سخف ، فأنا أدري بحافظتك . إننى لأستطيع تصور أنه يعبر  
سيارته » .
- « وكذلك لأستطيع أنا ، ولكنه فعل » .
- « لاتنسى إنه أحضر حلوى في عيد القيامة » .
- « ربما كان خرف الشيخوخة » .
- « إننى لأعجب ماذا يريد » .
- « لبس ذلك القول جديراً بزوجتى . ربما يريد منا أن نحبه » .
- « سيكون على أن أودى ألف شيء » .
- « أعلم أنك ستفعلين » واستطعت أن أرى ذهها يقرب الاحتمالات  
مثلاً يفعل الحفار الآلى وعرفت أننى فقدت انتباهها ، وقد لا أستطيع استداده  
ثانية ، وكان ذلك طيباً .
- في أثناء الإفطار وقبل أن أتناول فنجانى الثانى من القهوة ، كانت قد  
اختارت ، ثم أسقطت من الاحتمال نصف أما كن اللهو فى شرق أمريكا .  
لم يكن قد توفر لعزيرتى المسكينة كثير من المرح خلال تلك السنوات الأخيرة .  
القليلة .

قلت : « يا كلوى<sup>(١)</sup> ، أعلم أنتى سألقى عناء فى اجتذاب انتباهك .  
ولكن لقد عرض على استثمار هام جداً . وأريد مزيداً من نقودك . أما النقود  
الأولى فأمرها يسير على مايرام » .

— « وهل يعلم مستر بيكر بالأمر ؟ »

— « إنها فكرته » .

— « إذن خذها ، وقع أنت الشيك » .

— « ألا تريدین معرفة مقدارها ؟ »

— « أحسب ذلك » .

— « ألا تريدین معرفة الاستثمار ؟ الأرقام ، والتمويل ، والتخطيطات ،

والعائد المتوقع ، والمال الأميرى ، وكل ذلك » ؟

— « لن أفهمه » .

— « أوه ، بل ستفهمينه » .

— « حسناً ، لن أرغب فى فهمه » .

— « لا عجب فى أنهم يدعونك ثعلبة وول ستريت . ذلك الذهن العملى

البارد كالثلج . الذى تقطع حدته الماس - إنه مخيف » .

قالت : « إننا سنقوم برحلة . سنقوم برحلة مدة يومين » .

وكيف لا يستطيع المرء بحق الجحيم ألا يحبها ، وألا يعبدها ؟ وأخذت

أغنى « من هى مارى - وماذا تكون » ؟ ثم جمعت زجاجات اللبن الفارغة

وذهبت لعملى .

---

(١) Glō = Xkoy كلمة يونانية قديمة ، معناها: الغرس الحديث النماء ، أو أولى بوادر

النماء. انبات . وقد يكون معناها هنا ( يا شجرتى الصغيرة )

أحسست بحاجتي للحاق بجوى ، مجرد التوصل إلى الإحساس بوجوده ،  
ولكن لا بد أننى تأخرت لحظة أو أنه بكر لحظة . فقد كان يدخل المقهى حين  
أستدرت فى شارع هاى . وتبعته إلى الداخل وأخذت لتقعد المجاور له . « لقد  
غرست فى هذه العادة ، يا جوى » .

— « هاى ، مستر هولى . إنها قهوة طيبة جداً » .

وحديث صديقه دراستى العجوز : « طاب صباحك ، يا آنى » .

— « هل ستصبح زبوناً منتظماً ، يا إيث ؟ »

— « يبدو كذلك . أعطى فنجاناً من القهوة السوداء » .

— « هاك قهوة سوداء » .

— « سوداء فى لون عين اليأس » .

— « ماذا ؟ »

— « سوداء » .

— « إذا رأيت أى بياض فى ذلك الفنجان ، يا إيث . سأعطيك فنجاناً

آخر » .

— « كيف الأحوال ، يامورفى ؟ »

— « كما همى ، بل أسوأ فحسب » .

— « أتريد أن نبادل الوظائف » .

— « أقبل ، على أن يكون ذلك قبل عطلة نهاية الأسبوع الطويلة » .

— « لست الشخص الوحيد الذى لديه مشاكل . فالناس عندى يخزنون

الطعام أيضاً » .

— « أحسبهم يفعلون . لم أكن قد فكرت فى ذلك » .

- « معدات الرحلات ، مخلات ، وسجق - وإيساعدنا الله - فهم يأخذون كذلك نبات الخطمية . أليس هذا عملاً شاقاً بالنسبة لك » .
- « بحلول الرابع من يوليو في يوم اثنين وبمثل هذا الطقس البديع ، أتسخر ؟ وما يجعل الأمر أسوأ إن الرب العظيم يحس بحاجته إلى الراحة والاستجمام في الجبال » .
- « تعنى المستريبسكرا ؟ »
- « وأعنى جيمس ج . بلين » .
- « إننى أريد رؤيته ، بل فى حاجة إلى رؤيته » .
- « حسناً ، حاول اللحاق به إن استطعت ، فإنه يقفز هنا وهناك كقطعة تقود فى دف » .
- « بوسعى أن أحضر لك الشطائر إلى ( الجبهة ) ، يا جوى » .
- « ربما طلبت هذا منك » .
- وقلت . « سأدفع هذه المرة » :
- « أوكى » .
- عبرنا الشارع معاً ودخلنا الحارة .
- « وإننى لكذلك . لقد سئمت إلى حد كبير تقود الآخرين . لدى موعد حافل لقضاء نهاية الأسبوع ولكنى قد أكون محطماً جداً بحيث لا أكون مهيناً له » . ودفع غلاف لادن فى القفل ، ودخل وهو يقول « إلى اللقاء » ثم أغلق الباب . دفعت الباب الخلفى ففتحه :
- « جوى ! أتريد شطيرة اليوم ؟ »
- « كلا ، شكراً » . صاح بهذا القول من الداخل المغمى ذى الراحة

التي كراثة ورنيش الأرضية . « ربما أحتاج إليها يوم الجمعة ، أما يوم السبت فهو أكد أنني سأحتاج إليها » .

- « ألا تغلق ساعة الظهر ؟ »

- « لقد قلت لك ، إن المصرف يغلق أما جوى فلا » .

- « عليك فقط أن تنادى على » .

- « شكراً - شكراً ، يا مستر هولى » .

لم يكن لدى ما أقوله لقواتى على الأرفف ذلك الصباح سوى : « صباح الخير ، يا سادة - خذوا راحتكم » .

قبل التاسعة بضع لحظات ، كنت أمام الواجهة الخارجية ، أكنس الرصيف مرتدياً ميدعتى وممسكاً بمقشيتى .

إن مستر بيكر من الانتظام بحيث يمكنك أن تسمعه يدق كالساعة ، وإني واثق أنه يوجد داخل صدره زميرك ساعة شعري . الثامنة وست وخمسون ، وسبع وخمسون ، ها هو هناك قادم من شارع « إلم » ، الثامنة وثمان وخمسون ، عبر الشارع ، الثامنة وتسع وخمسون - صار أمام الأبواب الزجاجية ، حيث اعترضت طريقه وأنا أحمل مقشيتى كأنها سلاح : « مستر بيكر ، أود التحدث إليك » .

- « صباح الخير ، يا إيثنان . هل يمكنك الانتظار دقيقة ؟ تعال أدخل » .

تبعته ، وكان الحال كما قال جوى تماما - مثل احتفال ديني . حين اجتاز عقرب الساعة التاسعة واقفا في حالة انقباض فعلاً . وحينئذ انبعثت تكة وأزيز من باب الخزانة الفولاذي الضخم . وبعدئذ أدار جوى الأرقام السرية وأدار العجلة التي تسحب المزاييج . واستدار باب قدس الأقداس مفتوحاً في جلال ، ورفع

مستر بيكر يده بالتحية إلى النقود المتجمعة . ووقفت أنا خارج الحاجز الحديدى  
كشترك متواضع فى العشاء الربانى ، ينتظر تناول العشاء .

واستدار مستر بيكر : « والآن ، يا إيثان . ما الذى أستطيع أن أفعله  
من أجلك ؟ »

قلت فى صوت خافت : « أريد التحدث معك على انفراد ، ولا أستطيع  
ترك المحل . »

— « ألا يمكن الانتظار ؟ »

— « أخشى ألا يكون ممكناً . »

— « ينبغى أن يكون عندك من يساعدك فى المحل . »

— « أعلم ذلك . »

— « لو أتيت لى لحظة زمن فسأتى إليك . هل ثمة خبر عن تيلور ؟ »

— « ليس بعد . ولكنى استعرضت بعض الخطوط . »

— « سأحاول تدبر الأمر . »

— « شكراً ، يا سيدى . » . ولكنى كنت أعلم أنه سيأتى .

وقد أتى ، فى أقل من ساعة ، ووقف جانباً حتى انصرف الزبائن الموجودون .

— « والآن - ماذا هناك ، يا إيثان ؟ »

— « مستر بيكر ، بالنسبة للطبيب أو المحامى أو الكاهن توجد قاعدة من

السرية . فهل يوجد مثل هذا الشيء بالنسبة لمدير مصرف ؟ »

ابتسم : « هل سمعت قط عن مدير مصرف يناقش مصالح عميل ، يا إيثان ؟ »

— « كلا . »

— « حسنا ، سل مرة لترى مقدار ما ستحصل عليه . و بالإضافة إلى ذلك

التقليد ، فإننى صديقك ، يا إيثان . »

-- « أعرف هذا . أحسبني قلقاً قليلاً . لقد انقضى وقت طويل منذ أتيتحت

لى فرصة »

- « فرصة ؟ »

— « سأكشف أوراقى ، يا مستريبىكر . إن ماروللو فى مازق . »

وتحرك مقترباً منى : « أى نوع من المآزق ؟ »

— « لا أعرف بالضبط ، يا سيدى . أظن أن الأمر قد يكون دخولا غير

مشروع إلى البلاد . »

- « وكيف عرفت ؟ »

— « لقد أخبرنى - ليس بالتفصيل فأنت تعرف أحواله . »

كدت أرى ذهنه يقفز هنا وهناك ، يلتقط قطعاً ويرتبها معاً ، وقال :  
« استمر فذلك معناه الإبعاد من البلاد » :

— « أخشى أن يكون الأمر كذلك . لقد كان طيباً معى ، يا مستريبىكر .

ولن أفعل أى شىء يؤذيه . »

- « أنت مدين لنفسك بشىء ما ، يا إيثان . وماذا أقترح عليك ؟ »

- « ليس الأمر مجرد اقتراح . لقد كان على أن أجمع هذا الرأى من كمية

كبيرة من الكلام الملتوى الثير . ولكنى استنتجت أنه لو كان لدى خمسة  
آلاف دولار نقداً ، فإننى أستطيع امتلاك المحل . »

— « ذلك يبدو وكأنه ينوى الهرب - ولكنك لا تعلم شيئاً عن ذلك . »

- « لا أعلم أى شىء على وجه الحقيقة . »

- « وبهذا لن تكون هناك فرصة لاتهامك بالتواطؤ . فهو لم يخبرك بأى شىء محدد » .
- « كلاً ، يا سيدى » .
- « إذن كيف توصلت إلى ذلك الرقم ؟ »
- « الأمر سهل ، يا سيدى . فذاك المبلغ هو كل مالدينا » .
- « ولكن هل كان يحتمل أن نحصل عليه بمبلغ أقل ؟ »
- « ربما » .
- وتفحصت نظراته السريعة المحل وقدرت قيمته وقال : « لو أنك مصيب في اقتراضك ، فإنك تكون في مركز مساومة طيب » .
- « إننى لست بارعاً جداً فى ذلك » .
- « إنك تعرف أننى لأحبذ الصفقات التى تعقد فى الخفاء . ربما استطعت التحدث معه » .
- « أنه خارج البلدة » .
- « متى سيعود ؟ »
- « لا أعلم يا سيدى . وتذكر ، انه مجرد إحساس عندى بأنه قد يقبل ، وإذا كان لدى المبلغ نقداً ، فقد يعقد الصفقة . انه يحببني كما تعلم » .
- « أعلم أنه يحبك » .
- « اننى أكره التفكير فى أننى انتهزت الفرصة » .
- « إنه يستطيع دائماً أن يحصل على المبلغ من شخص آخر . كان يستطيع الحصول بسهولة على عشرة آلاف دولار من — أى شخص » .
- « إذن فربما أكون مبالغاً فى الأمل » .



--- « والآن ، لا تفكر بأفق محدود . عليك أولاً أن تبحث عن رقم واحد ، المال » .

--- « رقم اثنين . إنها نقود ماري » .

--- « فليكن . حسناً ، ما الذي دار بخلدك ؟ »

--- « حسناً ، حسبت أنك قد تستطيع تحضير بعض الأوراق على أن تترك التاريخ والمبلغ على بياض . وبعد ذلك فكرت في أن أسحب النقود يوم الجمعة » .  
--- « ولماذا يوم الجمعة ؟ »

--- « حسناً ، إن الأمر أيضاً مجرد تخمين ، ولكنه قال شيئاً بخصوص كيف أن الناس جميعاً يتغيبون عن البلدة في العطلة . وتصورت بشكل ما أنه قد يأتي حينئذ . أليس رصيده لديك ؟ »

--- « كبلأ ، والله ! لقد سحبه حديثاً . لشراء مؤن ، كما قال . ولم أفكر في أى شيء من هذا لأنه قد فعل ذلك قبلاً ، وكان دائماً يعيد أكثر مما سحب » .  
ونظر مباشرة في عيني فتاة غارقة في الأصباغ تدعى مس اينجولد كانت تقف إلى جوار الثلاجة ، ولكنه لم يستجب لدعوتها الضاحكة . « أتعلم أنك قد تتلقى ضربة مرعبة في هذه الصفقة ؟ »

--- « ماذا تعنى ؟ »

--- « لأنه ، أولاً ، يستطيع أن يبيع المحل لنصف ستة من الناس المختلفين وثانياً ، أن المحل قد يكون غارقاً الى أذنيه في الرهن . ولا توجد له حجة تملك للبحث عنها » .

--- « ربما استطعت أن أتبين الأمر في مكتب موثق المقاطعة ، واننى أعلم كم أنت مشغول ، يا مستر بيكر ، ولكنى أستغل صداقتك لعائلتى . وبالإضافة

- الى هذا ، فأنت الصديق الذى يعرف مثل تلك الأشياء . » .
- « سأزور توم واطسون بشأن عقد التملك . اللعنة ، يا ايثنان ، انها فترة سيئة ، فإننى أريد القيام برحلة صغيرة غداً . واذا كان الأمر صحيحاً وكان محتملاً ، فمن الممكن أن تستدعى للتحقيق الدقيق . » .
- « ربما يجدر بي اذن أن أترك الموضوع . ولكن ، يا الهى ، يامستر بيكر ، إننى سئمت بقاءى موظفاً فى محل بقالة . » .
- « لم أقل أن تترك الموضوع ، بل قلت انك تفتنم فرصة . » .
- « ستكون مارى فى غاية السعادة اذا امتلكت المحل . ولكنى أظنك على صواب ، ينبغى عدم المقامرة بنقودها . أعتقد أن ما ينبغى على فعله ، هو أن أستدعى رجال حكومة الاتحاد . » .
- « وسيفقدك ذلك أى امتياز يكون لك . » .
- « كيف ؟ » .
- « اذا أبعده ، فيمكنه أن يبيع ممتلكاته بواسطة وكيل ، وسيجلب هذا المحل مبلغاً من المال أكثر مما تستطيع أن تدفع . وأنت لا تعلم فعلاً أنه ينوى الهرب ، فكيف تستطيع إخبارهم بأنه سيفعل ، اذا كنت لا تعلم ؟ أنت لا تدري حتى أنه قبض عليه . » .
- « ذلك صواب . » .
- « والواقع ، أنك لا تعرف أى شىء عنه - معرفة يقينية . وكل ما أخبرتنى به هو شكوك غير واضحة ، أليس الأمر كذلك ؟ » .
- « أجل . » .
- « من الأفضل أن تنسى تلك الشكوك . » .

- « ألن يبدو الأمر مريباً - في حالة الدفع نقداً دون أى تسجيل ؟ »
- « يمكنك أن تكتب على الشيك - أوه شيئاً مثل « للاستغلال في أعمال البقالة مع أ . ماروللو » وسيكون ذلك تسجيلاً يفي بقصدك » .
- « افترض أن شيئاً من هذا لم يفلح » .
- « حينئذ تعيد إيداع النقود » .
- « أعتقد أن الأمر يساوى المخاطرة ؟ »
- « حسناً - إن كل شيء ، مخاطرة ، يا إيثان . وإنها لمخاطرة أن تحمل كل تلك النقود السكثيرة هنا وهناك » .
- « سأكون حريصاً فيما يختص بذلك » .
- « أتمنى لو لم أكن مضطراً للبعد عن البلدة » .
- كان ماقفته عن التوقيت لا يزال سارى المفعول . فطوال تلك الفترة لم يدخل المحل أحد ، أما الآن فدخل نصف دسته - ثلاث نساء ، ورجل عجوز ، وصبيان . وتحرك مستر بيكر مقترباً منى وتكلم في صوت خافت : « سأعدها لك في ورق من فئة المائة دولار وسأخذ أرقامها . حتى إذا قبضوا عليه تستطيع استرداد النقود » . وأخى رأسه في تجهم إلى النسوة الثلاث ، وقال للرجل العجوز « طاب صباحك ، يا جورج » . وأدخل أصابعه في خشونة في شعر الصبية الخشن . إن مستر بيكر رجل ذكى جداً .



## الفصل الرابع عشر

إن أول يوم في يوليو ، يوم يقسم العام مثلما يقسم الفرق شعر رأس . لقد سبق أن رأيتك كحد مميز بالنسبة لي - فبالأس كإن يوجد نمط منى ، وغدا سيوجد نمط مختلف . لقد قت بتدبيرى بحيث لا يمكن استعادته . كان الزمن والأحداث قد لعبت دورها على طول الخط ، وبدأ أنها تزامننى فى عملى . ولم أسدل ستاراً أبداً أخفى به عن نفسى ما كنت أفعل . فلم يدفعنى أى شخص لأختط الطريق الذى اخترته . واستبدلت إلى حين عادة فى السلوك والتصرف من أجل الراحة والكبرياء ، ومن أجل الحصول على متكا للأطمئنان . ولعله سيكون من اليسير جداً ، أن اتفق على أننى فعلت هذا من أجل أسرتى ، لأننى كنت أعلم أنه عن طريق راحتهم وطمأنينتهم سأجد كبريائى . ولكن غرضى كان محدداً ، وحالما يتحقق ، فإننى أستطيع أن أسترده عادتى فى السلوك ثانية . كنت أعرف أننى أستطيع . فلم تجعل الحرب منى قاتلاً ، رغم أننى ظلت فترة أقتل الرجال . ولم يكن إرسال الفيالق - مع علمى أن بعض الرجال سيوتون - يثير فى نفسى أية فرحة بالتضحية مثلما كان يحدث للبعض ، ولم أستطع أبداً أن أشعر بالبهجة تجاه ما فعلت ، أو ألتمس العذر أو الصفح عنه . كان الشىء الرئيسى هو أن تعرف الغرض المحدد لما هو كائن ، وحالما يتحقق : توقف العملية خط سيرها . ولكن ذلك يكون ممكناً فحسب ، إذا عرفت ما أفعل ولم أخدع نفسى بالطمأنينة والكبرياء ، ثم بعدئذ أوقف العملية فى خط سيرها . لقد عرفت من الممارك أن القتلى والجرحى هم ضحايا عملية ما ، وليسوا ضحايا الغضب أو الكراهية

أو القسوة ، وإلني أومن بوجود الحب ، في أثناء لحظة تقبل المصير ، بين الفائز والخاسر ، وبين القاتل والمقتول .

ولكن أوراق داني المجمدة كانت تؤلني كالأسى ، وكذلك عيني ماروللو الممتنين . لم أكن قد رقدت مستيقظاً ، مثلما يقال إن الرجال يفعلون ليلة للمركة . بل جاء النوم سريعاً ، عميقاً ، تاماً ، وأطلق سراحى قبل الفجر ، بنفس الحرية التى آنى بها وكنت منتعشاً . لم أرقد فى الظلام كالمعتاد ، وكان دافعى إلى ذلك أن أستعرض حياى كما عشتها . وانزلت من الفراش فى هدوء ، وارتديت ملابسى فى الحمام ، ونزلت الدرج ، وأنا أمشى قريباً من الحائط . ولم يثر دهشتى أنى ذهبت إلى الدولاب ، وفتحته . وعرفت الحجر الوردى باللمس . ووضعتة فى جيبى وأغلقت الدولاب ثم قفلته بالمفتاح . لم أكن قد حملته بعيداً أبداً طيلة حياى كلها ، ولم أكن أعرف هذا الصباح أنى سأفعل ذلك . وأرشدتنى الذاكرة خلال المطبخ المظلم وخارج الباب الخلفى إلى القناء المعتم . كانت شجرات الدرदार المتعانقة متخمة بأوراقها ، كهف حقيقى مظلم . لو كانت لدى حينئذ سيارة ماروللو البوندياك لسقتها خارج نيوبايون الى عالم ذاكرتى الأولى الذى أخذ يستيقظ . وتعقب أصبعى الرسم المتعرج الذى لا ينتهى على الطلسم الدافىء دفاء البشرية فى جيبى - طلسم ؟

إن تلك الديبورا التى أرسلتنى طفلاً إلى الجليئة ، كانت آلة دقيقة فيما يتعلق بالكلمات . فهى لم تكن تنظر إلى الكلمات على أنها هراء ولم تكن تسمح لى بأى تهاون فى ذلك . أية سلطة تمتعت بها ، تلك المرأة العجوز ! ولو كانت ترغب فى الخلود ، فقد كان لها فى ذهنى الخلود . وحين رأتنى أتتبع الأجابة بأصبعى ، قالت . « إيثنان ، قد يكون ذلك الشىء الغريب طلسمك » .

— « وما هو الطلسم ؟ »

— « لو أننى أخبرتك ، فلن يعيها انتباهك المشتت إلا بشكل جزئى

مخسب . اجث عن معناها » .

لقد عرفت معنى الكثير جداً من الكلمات بنفسى ، لأن العمدة دييوراً  
أثارت فضولى بشأنها أول الأمر ، ثم أرغمتنى بمدئذ على أن أشبع هذا الفضول  
بمجهودى الخاص . وكان من الطبيعى أن أجيبها : « ومن الذى يعنيه الأمر ؟ »  
ولكنها كانت تعلم أننى سأسأل وحدى جثا عنها ، فهجت الكلمة لتمكننى  
من تتبعها فى القاموس . ط - ل - س - م . كان اهتمامها بالكلمات عميقاً ،  
وكانت تكره إساءة استعمالها مثلما تكره تناول أى شىء بديع بإهمال . والآن ،  
وبعد عدة أجيال ، أستطيع أن أرى الصفحة — أستطيع أن أرى نفسى أخطىء  
فى تهجى كلمة « طلسم » . كانت كتابتها باللغة العربية مجرد خط متعرج به  
بروز عند نهايته . أما باللغة اليونانية فكان باستطاعنى أن أنطق الاسم بسبب  
حدة لسان تلك المرأة العجوز . « هى حجر أو شىء آخر حفرت عليه أشكال  
أو شخوص تنسب إليها قوى خفية ناتجة من تأثير الكواكب السيارة ،  
والتكويينات الفلكية التى يصنع الشىء تبعالها ، وهو يلبس غالباً كتمويذة  
تدرأ الشر عن حاملها أو تجلب له الخير » . وكان على حينئذ أن أبحث عن  
معنى كلمات « خفية » ، و « الكواكب السيارة » ، و « التكويينات  
الفلكية » ، ثم « تمويذة » كان الحال دائماً هكذا . كلمة واحدة تقذف  
بكلمات أخرى مثل وتر النيلة . وعين سألها فيما بعد : « هل تعتقدن فى  
فى الطلاسم ؟ » أجابت : « وما دخل اعتقادى فى الموضوع ؟ »

وضعت الحجر فى يديها . ماذا يعنى هذا الشكل أو الشخص ؟ »

— « إنه طلسمك وليس طلسمي . إنه يعنى ماتريد له أن يعنى . أعده  
ثانية إلى الدولاب ، وسيبقى في انتظارك » .

الآن ، وبينما كنت أسير في الكهف الذي تكونه شجرات الدردار ،  
كانت العمة تبدو لي حية مثلما كانت دائماً ، وذلك هو الخلود الحق . وأعلى  
الحجر وأسفله كان التعريج يسير ، وحوله وأعلاه وأسفله ، ثعبان لأرأس له ولاذنب  
ولا ابتداء أو انتهاء . وكنت قد حملته معي بعيداً لأول مرة — هل لكى أدرا  
الشر؟ أم لأجاب الخير؟ إننى لأعتقد كذلك في قراءة الطالع .

إن حد الضوء المتعرج المنبعث من الشرق كان هو شهر يوليو ، لأن يونيو  
كان قد رحل برحيل الليل . وإذا كان يونيو من ذهب فإن يوليو من نحاس ،  
وإذا كان من فضة فإن يوليو من رصاص . إن أوراق الشجر في يوليو تكون  
ثقيله وسمينة ومتزاحة . وشدو الطيور في يوليو يكون ترجيعاً فارغاً لا عاطفة  
فيه ، لأن الأعشاش خاوية الآن ، والأفرخ الصغيرة السمينة تطير مترنحة في غير  
إتقان . كلا ، إن يوليو ليس شهر وعد أو وفاء . فالفاكهة تنمو ولكنها  
ليست حلوة الطعم ولا لون لها ، والقمح حزمة خضراء رخوة سنا بلها صفراء غير  
مكتملة النمو . وثمار القرع لازالت ترتدى تيجاناً سرية الشكل من النوار  
اليابس .

سرت إلى شارع بورلوك ، شارع بورلوك المزدهم المشيع . وأظهر ضوء  
الفجر النحاسي المتجمع شجيرات الورد مثقلة بأزهار في منتصف العمر ، وكأنها  
فسوة لم تعد مشداتهن تحفى بطونهن المتزايدة السمنة ، مهما بقيت سيقانهن  
محتفظة بجمالها .



وفي أثناء سيرى البطيء وجدت نفسي لا أقول ، بل أحس بكلمة إلى اللقاء .  
لم تكن كلمة وادعاً . والكلمة « وداعاً » وقع حلوم من التردد . أما كلمة « إلى  
اللقاء » فهي كلمة قصيرة حاسمة ، كلمة تصير معها الأسنان حادة لتقضم الخيط  
الذى يربط الماضي بالمستقبل .

وصلت إلى الميناء القديم . إلى اللقاء بالنسبة لماذا ؟ لا أدري . ولم أستطع أن  
أذكر ، أعتقد أنتى كنت أريد الذهاب إلى المكان ، ولكن امرءاً زامل  
البحر كان يعلم أن المد غامر وأن المكان يرقد تحت ماء معتم . وليلة البارحة  
رأت القمر الذى عمره أربعة أيام فحسب ، يشبه إبرة جراح منحنية سميقة ،  
ولكنه كان قوياً بما يكفى لجذب المد إلى فتحة كهف المكان .

لم تكن هناك حاجة لزيارة كوخ داني على أمل أن أراه . فقد صار الضوء  
كافياً لأرى الحشائش تقف منتصبه في الممر ، حيث كانت أقدام داني قد  
داستها فسوتها بالأرض .

كان الميناء القديم مرصعاً بمراكب الصيف ، قوارب رشيقة صواريخها  
سكسوة بدثار من قماش القلوع به عرى نحاسية ، وهنا وهناك رجل بكر ليعد  
قاربه ، يزيح الصارى المستعرض ويطوى شراعاً جانبياً وأشرعة رئيسية ،  
أو ينشر شراعه الضخم وكأنه عش ضخم أبيض مجعد

وكان الميناء الجديد أكثر زحاماً . فقوارب الإبحار مربوطة لصق الرصيف ،  
في انتظار من يعتليها من الركاب ، وصيادو الصيف المهوسون الذين يدفعون  
عنا ويكدسون الأحواض بالسماك ويتساءلون ساعة الأصيل — وقد التبس  
الأمر عليهم عما يفعلونه به . أ كياس وسلال وجبال من سمك البورجى الأحمر ،

والفهقة ، والسماك الأسود ، وسماك أبو الحن ، وكلب الماء الرقيق ، كل هذا يصاد في شراة ، لموت ، ثم يلقى ثانية إلى طيور النورس المنتظرة . إن طيور النورس تتجمع ثم تنتظر ، وهي تعلم أن صيادى الصيف سيسأمون من الكمية الوفيرة التي لديهم . فمن ذا الذى يريد أن ينظف ويقشر ملء كيس من السمك ؟ إن الاستغناء عن سمك أشق على النفس من صيده .

كان ماء الخليج الآن ناعماً نعومة الزيت ، والضوء النحاسى ينسكب فوقه . ووقف البط البحرى والحمام متمايلاً على حافة القناة ومع كل منه مرآته التوأم مقلوبة تحته من أعلى إلى أسفل فى الماء .

استدرت ناحية صارى العلم ونصب الحرب التذكارى ووجدت اسمى بين الأبطال الذين على قيد الحياة ، وبأحرف بارزة من فضة — كابتن إ. أ . هولى — وأسفله فى حروف من ذهب أسماء رجال نيوبايتون الثمانى عشرة الذين لم يعودوا إلى أرض الوطن . كنت أعرف أسماء معظمهم وذات يوم كنت أعرف الرجال أنفسهم — لم يكونوا مختلفين حينئذ عن الباقين ، ولكنهم الآن مختلفون فأسمائهم مكتوبة بالذهب . ولبرهة قصيرة تمنيت لو استطعت أن أكون معهم فى الصفوف السفلى ، كابتن إ. أ . هولى مكتوباً بالذهب ، لقد اجتمع الأغبياء ومدعو المرض ، والجنباء والأبطال كلهم سوياً وكتبت أسماءهم بأحرف من ذهب . ليس الشجيمان فحسب هم من يقتلون ، ولكن فرصة الشجيمان فى القتل تكون أكبر .

ساق وبلى السمين سيارته مقرباً ثم توقف بجوار النصب وتناول راية من على المقعد المجاور له . قال : « هاى ، إيثنان » وربط العرى النحاسية ، ثم رفع الراية ببطء إلى قمة السارية ، حيث تدلت متهدلة مثل رجل مشنوق . . . « إنها

بالكاد تتحمل . قالها وبلى وهو يلهت قليلاً . « انظر إليها ، بقي لها يومان  
آخران ، وبعدئذ ترتفع الراية الجديدة » .

— « ذات الخمسين نجمة ؟ »

— « أتراهن . لدينا واحدة من النايلون تشبه شيطاناً ضخماً ، في ضعف  
ضخامة هذه ولا تزن أكثر من نصف وزنها » .

— « كيف حال الأولاد ، يا وبلى ؟ »

— « ليس لدى ما أشكو منه - لا بل لدى شكوى . إن يوم الرابع من  
يوليو الرائع هذا يكون دائماً قوضى . وحيث إنه يوافق يوم اثنين ، فسيكون  
هناك المزيد من الحوادث والشجارات والسكرارى-سكرارى ليسوا من أهل  
البلدة . أتريد أن أوصلك إلى المحل ؟ »

— « شكراً . على أن أتوقف عند مكتب البريد ، وأعتقد أننى سأتناول  
فنجاناً من القهوة » .

— « حسناً . سأوصلك . وكان بودى أن أدعوك إلى القهوة ولكن  
ستونى متحير حيرة شديدة » .

— « ما هى مشكلته ؟ »

— « يعلم الله . لقد سافر مدة يومين ، ثم عاد متحيراً ومرتبكاً » .

— « إلى أين ذهب ؟ »

— « لم يقل ، ولكنه عاد متحيراً . سأنتظر حتى تحصل على بريدك » .

— « لا تزعب نفسك ، يا وبلى . إذ على أن أكتب بعض العناوين » .

— « على راحتك » . وانسحب بسيارته ثم انزلق مبتعداً مصعداً مع شارع

هاى . كان مكتب البريد لا يزال معتمداً ، والأرضية مدهونة بالورنيش حديثة ،  
بولاقطة منصوية كتب عليها : خطر . أرضية زلقة .

كان صندوقنا هو رقم ٧ منذ أن بنى مكتب البريد العتيق . وأدرت  
رقم ج ١/٢ وأخذت حزمة من الرسوم ونشرات الدعاية معنونة باسم صاحب  
«الصندوق» . كان ذلك كل ما هنالك - حشو اسلة المهملات . تمشيث فى  
شارع هاى ، وفى نيتى أن أتناول فنجاناً من القهوة ، ولكنى عزفت عن ذلك  
فى آخر لحظة ، أولعننى لم أرغب فى الحديث ، أو - لا أدرى لماذا ، لم أرد فحسب  
أن أذهب إلى مقهى الفورماستر . يا الهى ، أى خليط من الدوافع ذات الذبول  
المتشابكة هو الرجل - وكذلك المرأة أيضاً ، فيما أعتقد .

كنت أقوم بكس الرصيف ، حين ظهر مستر بيكر يدق الأرض بقدميه  
خارجاً من شارع «إلم» ، ثم دخل لحضور احتفال فتح القفل الميقاتى . وكنت  
أرتب بنصف حماس ثمار البطيخ الأصفر فى الحوامل التى عند مدخل المحل ،  
حين توقفت العربى الخضراء القديمة الطراز المسلحة أمام المصرف . ومن مؤخرتها  
خرج حارسان مسلحان كرجال الكوماندوز ، وحملوا الى داخل المصرف أكياس  
«النقود الرمادية» . وفى حوالى عشر دقائق خرجا وركبا القلعة ذات المسامير المبرشمة  
ثم ساقاها مبتعدين . وأحسب أنه كان عليهما أن ينتظرا حتى يعد مورفى النقود  
ويراجع عليه المستر بيكر ثم يعطيها إيصالا . إن العناية بأمر النقود مشكلة  
ضخمة مرعبة وكما يقول مورفى ، فإنك قد تجد فى أعماقك اشئزاز من نقود  
«الآخرين» . ومن حجم ووزن الأكياس ، لا بد أن يكون المصرف قد توقع  
عمليات سحب ضخمة بمناسبة العطلة . لو كنت لص مصارف عادى ، فهاهو ذا  
«الوقت المناسب للسطو عليه» . ولكنى لست لص مصارف عادى . إننى مدين

بكل ما أعرف لبال جوى ، فقد كان باستطاعته أن يكون لصاً عظيماً لو شاء .  
وإني لأعجب فعلاً ، لماذا لم يشأ ذلك ، ولو حتى ليطبق نظريته .  
تكس العمل ذاك الصباح . وكان الأمر أسوأ مما قدرت أن يكون .  
واستحالت الشمس حامية قاسية وتحركت نسمة بسيطة جداً ، إنه نمط الطقس  
الذى يدفع الناس إلى القيام بأجازاتهم سواء أرادوا أم لم يريدوا . كان أمامي  
صف من الزبائن ينتظرون قضاء حاجتهم . وعرفت شيئاً واحداً ، فحتى لو قامت  
القيامة أو فاض الطوفان ، ينبغي أن أحصل على بعض المعاونة . وإذا لم يفلح  
آلان ، فسأطرده من العمل وآتى بشخص آخر .

حين دخل مستر بيكر في حوالى الحادية عشرة ، كان في عجلة من أمره .  
كان على أن أترك بعض الزبائن وحدهم ، ثم أدخل معه إلى الخزن .  
وضع في يدي مظروفاً كبيراً وآخر صغيراً ، وكان في غاية العجلة ، لدرجة  
أنه تكلم بصوت كالنباح وبنوع من الاختزال . « توم واطسون يقول إن  
العملية على مايرام . لا يعلم إذا ما كان المحل مسجلاً ، ولا يعتقد ذلك . إليك  
أوراق نقل الملكية . ضع التوقيعات حيث جعلت علامة . النقود عليها علامات  
وأرقامها مدونة . هاك شيكاً جاهزاً تماماً . عليك فحسب أن توقعه . آسف ،  
يا إيثان ، على أن أسرع . إني أكره القيام بعمل مثل هذا » .

— « هل تعتقد أنه ينبغي على أن أسير قدماً ؟ »

— « اللعنة ، يا إيثان ، أبعء كل تلك المشاق التي تكبدها » .

— « آسف ، ياسيدى . أعلم أنك مصيب » . ووضعت الشيك فوق

صندوق لبن محفوظ من ورق المقوى ، ووقعته بقلمى الذى لا تمحى كتابته .

لم يكن مستر بيكر في عجلة من أمره عند فحص الشيك . « اعرض

ألفين في البداية . وزد عرضك مائتي دولار في كل مرة . وعليك أن تتأكد ،  
طبعاً ، أن حسابك في المصرف قد صار خمسمائة دولار فحسب . وليساعدك  
الرب إذا نفذت نقودك » .

— « إذا كان المحل خال من الرهن ، ألا أستطيع الاستدانة عليه ؟ »

— « تستطيع بالتأكيـد إذا أردت أن تلتهمك الفوائد » .

— « لا أعرف كيف أشكرك » .

— « لا تكن لين العريكة ، يا إيشان . ولا تجعله يخذلك بذلاقة

لسانه . فهو يستطيع أن يسكرك بكلامه ، كل الصقليين هكذا . تذكر فحسب .

القاعدة الأولى » .

— « إننى ممتن جداً » .

قال : « ينبغي أن أذهب . أريد أن أصل الطريق الرئيسي قبل زحام

مواصلات الظهيرة » . وخرج وكاد تقريباً يوقع مسز ويلو أرضاً عند مدخل

المحل ، حيث كانت تتفحص كل ثمرة بطيخ أصفر مرنين .

لم تخف حدة هوس اليوم بأية حال . وأعتقد أن الحرارة التي غمرت

الشوارع وجعلت الناس متحفزين وفي أعماقهم ميل للشجار . وكنت تحسب

أنهم يخزنون أشياء استعداداً لكارثة ، وليس استعداداً لعطلة . ولم يكن في

مقدورى أن أوصل سندويتشات إلى مقر مورفى لوأردت .

لم يكن على فحسب أن أخدم الناس ، بل أن أبقى عيني أيضاً مفتوحتين .

كان جزء كبير من الزبائن من المصطافين ، غرباء عن البلدة ، وهم يسرقونك

إذا لم تراقبهم . ويبدو أن الامتناع عن هذا ليس في وسعهم . وهم أيضاً

لا يسرقون دائماً ما يبدو أنهم في حاجة إليه . والذي يتعرض لأسوأ عمليات

السرقه هي ( البرطمانات ) الصغيرة التي تحتوى الأشياء الغالية ، مثل الفواجره ، والكافيار ، وعيش الغراب . ولهذا جعلنى ماروالواحتفظ بمثل تلك الأشياء خلف الثلاجة ، حيث ليس من المفروض أن يذهب الزبائن . وقد علمنى أن الإمساك بأحد سارقى المحلات ليس عملاً صائباً . فهو يبعث القلق فى الزبائن جميعاً ، وقد يكون السبب - أن كلاً منهم ولو فى محيط أفكاره - يكون مذنباً بشكل ما . والوسيلة الوحيدة هي أن تقيد الخسارة ضمن حساب شخص آخر . ولكن إنى رأيت أحداً ما يقترب إلى حد كبير من أرفف معينة ، فاستطيع أن أوقف دفعته بقولى . « إن بصل السكوكتيل هذا صفقة رابحة » . وكنت أرى الزبون يقفز وكأنى قد قرأت ما يجول بخاطره . أما أكثر شىء أمقته فى هذه العملية فهو الريبة . إذ أن الشعور بالريبة شىء مقبض . وهذا يثير حنقى ، إذ يكون الأمر كأن شخصاً واحداً يسىء إلى كثيرين .

انقضى النهار فى نوع من السكابة ، ومر الوقت بطيئاً . وبعد الخامسة دخل مدير البوليس ستونى ، هزيبلاً عاساً وكأنه مصاب بقرحه . واشترى عشاء مما يؤكل أمام التليفزيون ، شرائح لحم بالطريقة الريفية وجزر ، و بطاطس مهموكة مطبوخة ومتجمدة فى نوع من صوانى الألومينيوم .

وقلت . « تبدو وكأنك أصبت بضربة شمس ، أيها المدير » .

- « حسناً ، إننى لست كذلك . إننى أشعر بأنى فى خير حال » .

وبدت عليه التماسه .

- « أنريد عشائين من هذا » ؟

- « واحداً فقط . فزوجتى فى زيارة . إن رجل البوليس لا يحصل على

عطلات » .

- «أمر سيء جداً» .
- «وقد يكون جيداً كذلك . فأنا لا أتردد على البيت كثيراً ، وهؤلاء الغوغاء يزحمون كل مكان» .
- «سمعت أنك كنت مسافراً» .
- «من قال لك» ؟
- «وبلى» .
- «أفضل له أن يتعلم أن يبقى فيه الواسع مغلقاً» .
- «لم يكن يقصد الإيذاء» .
- «ليس لديه العقل الكافي ليقصد الإيذاء ، وربما ولا العقل الكافي ليبقى خارج السجن» .
- «ومن لديه العقل الكافي» ؟
- قلت السؤال متعمداً ، وحصلت على إجابة أكثر مما توقعت .
- «ماذا تعنى بذلك يا إيشان» ؟
- «أعنى أن لدينا الكثير جداً من القوانين حتى إنك لا تستطيع أن تتنفس دون أن تخرج على قانون ما» .
- «تلك هي الحقيقة . فهكذا تسير الأمور بحيث إنك لا تعود تعرف الحقيقة» .
- «كنت أبوي أن أسألك أيها المدير - في أثناء قيامي بالتنظيف ، عثرت على مسدس عتيق ، كله قذارة وصدأ . ويقول ماروللو إنه ليس له ، ومن المؤكد أنه ليس لي . فإذا أفل به» ؟
- «أعطني إياه ، إذا كنت لا ترغب في تقديم طلب لرخصة» .



— « سأتى به غداً من المنزل ، فقد وضعت في علبة بها زيت . ما الذى تفعلونه بمثل تلك الأشياء ، يا ستونى ؟ »

— « أوه نختبرها لنرى ما إذا كانت قد أطلقت وبعدها نلقى بها فى المحيط .  
وبدا أنه أخذ يشعر بتحسن ، ولكنه كان يوماً طويلاً قائظاً . ولم أستطع أن أدعه يستمتع بشعوره . »

— « أتذكر منذ سنتين مضيتنا ، أنه كانت هناك قضية فى مكان بشمال الولاية ؟ كان رجال البوليس يبيعون الأسلحة المصادرة . »

وابتسم ستونى الابتسامة الحلوة التى لتمسح صغيراً ، وبنفس البراءة المرحة قال :

— « لقد أمضيت أسبوعاً كالجحيم ، يا إيث . أسبوعاً كالجحيم . فإذا كنت تنوى أن تستغزنى ، فلا تفعل ، لأننى أمضيت أسبوعاً كالجحيم . »

— « آسف ، أيها المدير . هل يوجد ثمة شىء يستطيع مواطن رشيد أن يفعله ليساعدك ، كأن يسكر معك ؟ »

— « بحق المسيح أستطيع . إننى أفضل السكر عن أى شىء أستطيع أن أفكر فيه . »

— « ولماذا لا تفعل ؟ »

— « هل تعلم ؟ كلا ، فكيف يمكنك أن تعلم ؟ لو أنى عرفت فحسب لأى غرض ومن أين أنت . »

— « عم تتحدث ؟ »

— « انس الأمر ، يا إيث . كلا . لا تنس . إنك صديق للمستريبيكر . »

هل يقوم الآن بأى صفقات . »

- « إن صداقتي به ليست بذلك القدر الجيد ، أيها المدير » .
- « وماذا بشأن ماروللو ؟ أين يوجد ماروللو ؟ » .
- « ذهب إلى نيو-يورك . إنه يريد أن يفحص مرض النقرس المصاب به » .
- « يا إلهي العظيم ! لأدرى . انني فحسب لأدرى . لو كان يوجد مجرد خيط ، لعرفت أين انقض » .
- « أنت تتكلم كلاماً لا معنى له ، يا ستوني » .
- « كلا ، إنني لأفعل . لقد تكلمت كثيراً جداً حتى الآن » .
- « انني لست غاية في الذكاء ، ولكن اذا كنت تريد أن تفرغ همومك » .
- « لأأريد . كلا ، لأأريد . إنهم لن يجعلوني أفشى أي سر بسيط حتى ولو عرفت من هم . تناسي الأمر ، يا إيث . فإنني لست إلا رجلاً قلقاً » .
- « انك لم تستطع أن تفشى لي أي سر ، يا ستوني . ماذا كان الأمر — هيئة المحلفين العليا »
- « إذن فانت تعلم ؟ »
- « قليلاً »
- « وماذا وراء ذلك ؟ »
- « التقدم » .
- اقرب ستوني مني ، وقبضت يده الحديدية على الجزء الأعلى من ذراعي .
- بشدة آلمتني ، وقال في وحشية : « إيثنان ، هل تعتقد أنني شرطي جيد ؟ »
- « بل أحسنهم » .

— « إننى أرئو أن أكون كذلك . أرئد أن أكون كذلك . إئث —  
هل ءءءء أنه ءءق أن ءءل رءلاً ءئم عن أءءقائه لئءءء نفسه ؟ »  
— « كلا ، لا أءءء . »

— « ولا أنا . إننى لا أستءءع الإءءاب بءءومة كهءه ، وما ءءففنى ،  
ءا إئشان ، هو — أنى لن أكون ذلك الشرطى الءءء بعد ، لأننى لن أءءب  
ءما أفءل . »

— « هل اصءاءوك للشهءاءة ، أءها المءءر ؟ »

— « إن الأمر كما قلت ، فلءئنا الكءئر ءءاً من القوانئن ءءى إنك  
تستءءع ان ءأءء نفساً عمءقاً ءون أن ءءرء على واءء منها . ولكن ءا إلهى  
ءء كان الفءءة أءءقائى ! إنك لم ءكن لءفشى سرهم ، ءا إئشان »  
— « كلا ، لم أكن لأفءل . لءء نساءءك ءءلفءزئونى ، أءها المءءر . »

قال : « أءل ، إننى سأءءب إلى بئءى ءم أءاع ءءائى ، وأرى كءف  
ءفءلها رءال الشرطة الءئن ءظهورون فى ءءلفءرون . أءءرى ، أءبانا ءكون منزل  
ءال مكاناً لءفءقاً للراءة . إلى اللقاء ، إئث . »

كنت أءب سءونى . وأءءءء أنه ضابط ءءء . إننى أءءب أن سءق  
الشء . كنت أءلق الءل وأءءب إلى الءائل صناءق الفاكهة من الءءل ،  
ءئن ءءل ءوى مورفى مءلكئاً .

« أسرع ! » قءءها وأنا أءلق الأبواب الأمامة المءءوءة ، ءم أءءب  
السءائر الءضراء . ءكلم فى همس .

« ما ءا ءرى لك ؟ »

« قء ءرءب شءء ماى شراء شئء . »

- « أجل ! أعرف ما تعنى . يا إلهى ! إننى أكره العطلات الطويلة .  
إنها تظهر أسوأ مما فى كل شخص . إنهم يبدأونها بحماقة ، ثم يعودون  
منهوكين مفلسين » .
- « أترغب فى شراب بارد ريثما أجذب الأغطية على بضاعتى العزيزة ؟ »
- « لا بهم . أليدك شىء من الجعة الباردة ؟ »
- « لىكى تأخذها معك فحسب » .
- « سأتناولها فى الخارج ، عليك أن تفتح العلبة فحسب » .
- وثقبت ثقبين مثلثى الشكل فى العلبة ، وجعل قاعها إلى أعلاه ، وفتح  
حنجرتها ، ثم أفرغها داخل جوفه ، وقال « آه ! » ثم وضع العلبة  
فوق النلاجة .
- « إننا سنذهب فى رحلة » .
- « أنت أيها الشيطان المسكين . إلى أين ؟ »
- « لا أعلم ، فلم نتعارك بعد على هذا » .
- « هناك شىء ما يحدث . هل تعرف ما هو ؟ »
- « اعطنى بصيص نور » .
- « لا أستطيع . اننى أحس به فحسب . ان الشعر الذى فى قفاى به نوع  
من الحكمة . وتلك علامة مؤكدة . لقد خرج كل واحد قليلاً عن نظام حياته » .
- « ربما تتخيل هذا فحسب » .
- « ربما . ولكن المستر بيكر لا يقوم عادة بأجازات . ومع ذلك كان  
فى عجلة لعينه لىكى يغادر البلدة » .
- وضحكت : « هل راجعت الدفاتر ؟ »

— « أتعرف ؟ لقد فعلت » .

— « إنك تمزح » .

— « عرفت ذات مرة مدير مكتب بريد ، في بلدة صغيرة . وكان يعمل

لديه فتى أبله ، يدعى رالف - بشعر أشقر ، ونظارة ، وذقن صغيرة دقيقة ،

وزوائد أنفية كبيرة في مثل حجم الغدد الدرقية . وقبض على رالف بتهمة

سرقة طوابع بريد - كميات كبيرة من الطوابع ، ربما قيمته ألف وثمانمائة

دولار . لم يكن يستطيع أن يفعل شيئاً كهذا ، فقد كان أبلها » .

-- « أتعني أنه لم يأخذ الطوابع ؟ »

— « إذا لم يكن أخذها فالأمر سواء وكأنه أخذها . إنني قلق ، ولن أسمح

مطلقاً أن يقبض على ، مادمت أستطيع تلافي ذلك » .

— « لهذا السبب لم تزوج مطلقاً ؟ »

— « والله ، إنني إذ أفكر في الأمر ، أرى أن ذلك أحد الأسباب » .

طبقت مؤزري ووضعتة في الدرج بأسفل آلة عد النقود : « إن الأمر

يستغرق الكثير جداً من الوقت والجهد لكي تكون شكاكاً ، يا جوى

وأنا لم أستطع تحمل ذلك الوقت الطويل » .

— « لا بد أن تكون كذلك مادمت تعمل في مصرف . إنك تخسر مرة

واحدة فحسب . وكل ما يحتاجه الأمر هو همسة » .

— « لا تقل لي إنك شكاك » .

— « إنها غريزة . إذا خرج شيء ما قليلاً عن عادته ، فإن التنبيه ينطلق » .

— « يالها من طريقة حياة ! أنت لاتعني ذلك حقاً » .

— « أظنني لا أعنيه . ولكنني ظننت فحسب أنك لو سمعت شيئاً ما ،

فإنك ستخبرني - هذا إذا كان الأمر يعني بأية حال من الأحوال .  
- « أعتقد أنني لا أخبر أي إنسان بأى شيء أعرفه . وربما كان ذلك هو  
السبب في أن أحداً لا يخبرني بشيء . هل أنت ذاهب إلى البيت ؟ »  
- « كلا ، أعتقد أنني سأذهب لتناول الطعام عبر الشارع » .

وأطفأت أضواء الواجهة . « أبيضائك الخروج من باب الحارة ؟ اسمع ،  
سأعد لك شطائر في الصباح ، قبل الزحام . واحدة لحم خنزير ، وواحدة جبن  
في خبز الشوفان ، مع الخس والمايونيز ، موافق ؟ مع زجاجة من اللبن » .  
قال : « كان ينبغي أن تعمل في مصرف » .

أعتقد أنه لم يكن أكثر وحدة من أى شخص آخر مجرد أنه كان يعيش  
وحيداً . تركني عند باب القورماستر ، وللحظة تمنيت لو استطعت الذهاب معه .  
وفكرت في أن البيت قد يكون في حال من الفوضى .

وقد كان كذلك . كانت مارى قد خططت للرحلة . فهناك بالقرب من  
رأس مونتوك توجد سلسلة من مراعى البقر ، بها كل الترتيبات الخيالية التي  
تراها فيما يسمونه بمغامرات مراعى الغرب . والنكته في أنها أقدم مراعى  
للأبقار قبل اكتشاف تكساس . وأول مرسوم بشأنها صدر كان من الملك  
تشارلز الثاني . وفي الأصل كانت القطعان التي تمتد نيو يورك باللحوم ترعى  
هناك ، كما كان الرعاة يختارون بطريق الاقتراع ، مثل المحلفين ، لمدة خدمة  
محددة . ومن الطبيعي أنها الآن جميعها مهمازات فضيه وأدوات رعاة البقر ،  
ولكن البقر الأحمر لا يزال يرعى في المستنقعات . وقد فكرت مارى أنه  
سيكون لطيفاً أن نقضى ليلة الأحد في واحد من بيوت الضيافة ، التي هناك .

كانت إيلين ترغب في الذهاب إلى نيويورك ، والإقامة في فندق ، ثم قضاء يومين في ميدان تايمز . أما آلان فلم يكن راغباً في الذهاب إلى أى مكان على الإطلاق وتلك إحدى وسائله ليسترعى الاهتمام ويثبت وجوده .

كان المنزل يغلى بالانفعال — إيلين بدموعها المتصرفة المتساقطة في بطن ، ومارى منهكة وقد أحمر وجهها من الإحباط ، وآلان يجلس مكتئباً وقد انسحب بعيداً ومذياعه الصغير يصرخ في أذنه ، بأغنية صارخة معولة عن الحب والفقدان ، في صوت أدنى إلى المستيريا . « لقد وعدت أن تكون مخلصاً . وبعدئذ أخذت قلبي المحب الوحيد ، وقذفته على الأرض مباشرة » .

وقالت ماري : « إننى على وشك التسليم » .

— « إيهما يحاولان مساعدتك فحسب » .

— « يبدو وكأنهما قد خرجا على عاتقهما لكي بصيرا صعبى المراس » .

وقالت إيلين وهى ترشف : « لم يحدث أن أتيتحت لى الفرصة قط لعمل

أى شئ » .

وفى حجرة الجلوس رفع آلان صوت الراديو . « . . . قلبي المحب الوحيد ،

وقذفته على الأرض مباشرة » .

— « ألا نستطيع أن نجسهم فى البدروم ثم نذهب وحدنا ، يا جزرتى

الصغيرة العزيزة » .

— « أنت تعلم ، أننى أتمنى فى هذه اللحظة لو استطعنا أن نفعل » . كان

عليها أن ترفع صوتها لكي يصير مسموعاً فوق الزئير المتدفق من أغنية قلبي

المحب الوحيد .

ودون تحذير ، تملكتنى غضبة . واستدرت وخطوت متجهاً ناحية غرفة

الجلوس لأمرق ابني إلى مزق ثم ألقى جنته الوحيدة الحبة فوق الأرض وأطأها  
بقدمي . وبينما كنت أتهدى خلال الباب توقفت الموسيقى . « نقطع هذا البرنامج  
لنقدم لكم نشرة خاصة . استدعى أصيل اليوم الموظفون الرسميون في نيوبايتون  
ومقاطعة ويسكس للثول أمام هيئة عليا للمحلفين ، لكي يردوا على التهم التي  
تتراوح بين تحديد ثمن تذاكر للمواصلات وأخذ رشوى وعمولات غير مشروعة  
على عقود البلدة والمقاطعة . . » .

لقد وقعت الواقعة - العمدة ، المجلس ، القضاة ، وأصحاب المصانع . كنت  
أصغى دون أن أسمع - وأنا حزين مهموم . ربما كانوا يفعلون ما أنهموا به ،  
ولكنهم ظلوا يفعلونه مدة طويلة جداً لدرجة أنهم لم يعودوا يظنونهم خطأ . وحتى  
إذا لو كانوا أبرياء ، فهم لا يستطيعون أن يطهروا سمعتهم قبل الانتخابات المحلية ،  
بل حتى إذا طهرت سمعة رجل فإن المهمة تظل في الذاكرة . كانوا محاصرين .  
لا بد أنهم يعرفون هذا . وأنصت انتظارا لذكر اسم ستوني ، ولكنه لم يرد ،  
وهكذا فإنني أظنه باعهم من أجل سلامته . فلاعجب إذن في أن يشعر بالكتابة  
والوحدة .

كانت ماري تنصت عند الباب ، وقالت : « حسناً ! لم يتوفر لدينا الكثير  
من الإثارة منذ وقت طويل . هل تظن الأمر صحيحاً ، يا إيثان ؟ »

— « إني لأعجب ماذا يظن مستر بيكر » .

— « لقد ذهب في أجازة . أجل ، إني لأعجب ماذا يكون شعوره » .

تملك آلان الجموح موسيقاه .

أجلت الأنباء والعشاء والصحاف مشاكل رحلتنا ، حتى صار الوقت متأخراً

جداً لإتخاذ قرار أو لمزيد من الدموع والشجار .



في الفراش انتابت الرعدة جسدى كله . كانت وحشية الهجوم الباردة  
المتفجرة إلى العاطفة ، تبعث في رعدة باردة خلال ليل الصيف الدافئ .

وقالت ماري : « إن جسدك كله مصاب بالردة يا عزيزي . أتمتد أنك  
مصاب بمرض ؟ »

— « كلا ، ياخيالي ، أحسبني كنت أشعر فحسب بما يتحتم أن يشعر به  
أولئك الرجال . لا بد أن شعورهم مرعب » .

— « كف عن هذا ، يا إيثان . فإنك لا تستطيع أن تحمل مشا كل  
الناس الآخرين على عاتقك » .

— « بل إنني أستطيع ، لأن هذا ما أفعله » .

— « عجبني إذا ما كنت ستصير مطلقاً رجل أعمال إنك في غاية الحساسية  
يا إيثان وتلك ليست جريمتك » .

— « كنت أفكر في أنها قد تكون جريمتي - وجريمة كل فرد » .

— « لا أفهم » .

— « لست أكثر منك فهماً ، يا حبيبتي » .

— « لو كان يوجد ثمة شخص فحسب ليبقى معهما » .

— « أعيدى ، أرجوك ، أيتها الحبيبة ! »

— « كم أحب أن أفضى عطلة معك أنت فحسب ، فلم يحدث ذلك منذ

• « دهر »

— « إننا فقراء في القريبات المسنات الخاليات من المسئولية . فكفى في

الأمر . لو كان باستطاعتنا فحسب ، أن نحفظهم في علب ، أو نخلطهم لفترة قصيرة .

ماري ، ياسيدتي ، فكفى في الأمر . إنني أتوق لكي أكون بمفردي معك في

مكان غريب . وسنستطيع أن نعبّر الربى ونستحم عاريين عند حلول الليل ،  
وسأشعث شعرك على فراش من نبات السرخس » .

— « يا عزيزي ، أعرف ، يا عزيزي . أعرف أن الأمر كان عسيراً عليك

لا تظنني لا أعرف » .

— « حسناً ، ضمني اليك . ودعينا نفكر في وسيلة ما » .

— « إنك لا زلت ترتعد . أشعر ببرد ؟ »

— « أشعر ببرد وقيظ ، بامتلاء وفراغ — وبأني متعب » .

— « سأحاول التفكير في شيء ما . سأحاول حقاً . إنني أحبهما طبعاً ،

ولكن » .

— « أعلم ، وسأستطيع لبس البايون » .

— « هل سيضعونهم في السجن ؟ »

— « ليت بإمكاننا أن — » .

— « أولئك الرجال ؟ »

— « كلا . لن يكون ذلك ضرورياً . إنهم لا يستطيعون مجرد الظهور قبل

يوم الثلاثاء التالي ، والانتخابات يوم الخميس ، وذلك هو سبب ما حدث » .

— « إيذان ، ذلك تهكم . وأنت لست ممن يتكلمون بهذا الشكل .

وسيكون علينا أن نرحل من هنا إذا كنت ستصير متهاكماً لأنه — تلك

لم تكن نقطة ، بالطريقة التي قلتها بها . فإنتي أعرف فكائك .

إنك كنت تعني ما تقول » .

وصدمني خوف ما . كان ما في أعماقي قد أخذ يبين . ولم أستطع ترك نفسي

تمكثف عما في أعماقها .

فقلت : « أوه قولى لى ، يامس موسى ، هل تتزوجينى ؟ »

وقالت مارى : « أوه ! أوه ! »

كان خوفى المناجىء من أننى ربما كنت أبين عما بداخلى عظيماً جداً . كنت قد أفنعت نفسى أن العينين ليستا مرآة الروح . إن بعض ما رأيت من أشد الحيل الأثوية الصغيرة فتكاً كانت لها وجوه وعيون ملائكة . وهناك سلالة تستطيع أن تقرأ خلال البشرة وخلال العظم لتصل مباشرة إلى المركز ، ولكنهم نادرة . أما غالبية الناس ، فلا ينصب اهتمامهم إلا على أنفسهم . وقد قصت على ذات مرة فتاة كندية من أصل اسكتلندى قصة كانت قد آلمتها كما آلمنى قصها . قالت إنها فى أثناء مرحلة بلوغها وعندما أحست بأن أنظار الجميع مركزة عليها فى استهجان ، بحيث كانت تنتقل من حمرة الخجل إلى الدموع ثم إلى حمرة الخجل ثانية ، قال لها جدها الريفى فى حدة بعد أن لاحظ ألمها : « إنك لن تزججى كل هذا الانزعاج لما يعتقدك الناس فيك إذا عرفت أنهم نادرا ما يفعلون » . وقد شفاها ذلك ، وطمأننى قص الحكاية فى سرى ، لأنها قصة حقيقية . ولكن مارى ، التى تعيش عادة فى منزل من أزهار أنبتتها هى بنفسها ، قد سمعت منى نعمة ما أو أحست بريح لاذعة . كان هذا خطراً ، حتى ينتهى الفد .

لو أن خطتى زحفت إلى ذهنى مكتمة النمو ومهلسكة ، لكنت قد نذتها على أنها هراء . والناس لا يفعلون مثل تلك الأشياء ، ولكنهم يلعبون ألعاباً خفية . وقد بدأت لمبتي بقواعد جوى عر السطو على مصرف . ولعبتها كنفيس للسأم الذى تبعته وظيفتى وكان كل شىء تلقاه فى طريقها ينتهى إليها - آلان وقناع ميكي ماوس ، المرحاض الذى ينز ، المسدس الذى علاه الصدا ، حلول موعد المطلة ، الورقة التى يحشوها جوى فى قفل باب الحارة . ومثلاً يحدث فى لعبة قعد

حددت وقت العملية . وصدقت عليها ، واختبرتها . ولكن أليس رجال العصابات الذين يتبادلون إطلاق النار مع الشرطة - هم الصبية الصغار الذين تمرنوا على سرعة سحب مسدسات الصوت حتى أتقنوا العملية جيداً ، وبذا صار عليهم أن يستغلوا مهارتهم ؟

لا أدري متى توقفت لعبتي عن أن تكون لعبة . ربما كان ذلك حين عرفت أنني قد اشترى المحل وأنى سأحتاج إلى نفود لإدارته . ثم عامل آخر، وهو أنه يصعب على المرء أن يدع تخطيطاً محكماً دون أن يختبره . أما بالنسبة للخيانة ، والجريمة - فلم يكن الأمر جريمة ضد رجال ، بل كانت فحسب ضد المال ولن يؤذى أحد ، فالنفود مؤمن عليها . أما الجرائم الحقيقية فكانت ضد رجال ، ضد داني وضد ماروللو . وإذا كنت قد استطعت أن أفعل ما فعلت ، فليست السرقة إذن شيئاً ذا بال . وكل ما يتعلق بها وقتي . وإن يحتاج أى شيء فيها إلى التكرار . والحقيقة ، أنني قبل أن أعرف أن الأمر ليس لعبة ، كانت إجراءاتى وعدتى وتوقيتى أقرب ما يمكن إلى الكمال . إن العصبى ذا المسدس الصوتى قد وجد فى يده مسدسا من عيار ٤٥ مم .

كان من المحتمل طبعاً أن يقع حادث ما ، ولكن ذلك الاحتمال يوجد فى أثناء عبور شارع أو السير تحت شجرة . لا أعتقد أن أى خوف تملكه كنى . فقد تمرست على التخلص منه ، ولكن كان بى ثمة من انبهار النفس ، يشبه رهبة المسرح التى تعترى ممثلاً يقف بين الكواليس فى ليلة الافتتاح . وكان الأمر يشبه مسرحية فى أن أى عدم توفيق ملموس قد فحس وأبعد .

ومن خلال قلقي بأننى لن أنام ، نمت ، نوماً عميقاً وفى حدود معرفتى لانشوبه أحلام ، بل نمت أكثر من اللازم . كنت قد خططت أن أستغل

الظلمة التي تسبق النهار لاستعمال دواء التأمل المهدى . وبدلاً من ذلك ، حين  
فتحت عيني ، كان ذيل البقرة التي في البحيرة واضحاً منذ ما لا يقل عن نصف  
ساعة . واستيقظت في هزة تشبه هبة الهواء المنفوخ من . تفجر شديد .  
أحياناً يمزق مثل هذا الاستيقاظ العضلات . أما استيقاظي فقد أرج السرير  
لدرجة أن ماري استيقظت ، وهي تقول « ما الخبر ؟ »

— « لقد نمت أكثر مما يجب » .

— « هراء ، إن الوقت مبكر »

— « كلا ، يامفعولى المطلق . إن هذا يوم ممسوخ بالنسبة لى . فسيكون

الناس اليوم سعداء بمواد البقالة . لا تنهضى أنت » .

— « ستحتاج إلى إفطار جيد » .

— « أتعرفين ماذا سأفعل ؟ سأخذ عابرة قهوة في الفورماستر ثم أنقض على

رفوف ماروللو كالذئب » .

— « هل ستفعل ذلك ؟ »

— « استريحى ، يافارة الفيران الصغيرة ، وحاولى أن تجدى لنا وسيلة

تهرب بهامن أطفالنا الأعرأ فنحن محتاجان إلى ذلك . إننى أعنى هذا » .

— « أعرف أننا نحتاج إليه . وسأحاول التفكير » .

كنت قد ارتديت ملابسى وانصرفت ، قبل أن تتمكن من اقتراح أى من

الأشياء الموسمية التي تقترحها من أجل حمايتى وراحتى .

كان جوى فى المقهى ، وربت على المقعد المجاور له .

— « لا أستطيع ، يامورنى فقد تأخرت . آنى ، هل يمكنك إعطائى

« كورأت » من القهوة فى علبة من الورق المقوى ؟ »

- « ستكون في علبتين ، يا إيثان » .
- « طيب ، بل حتى هذا أفضل » .
- وملأت وعائى الورق الصغيرين وغطتهما ثم وضعتهما في كيس .
- وفرح جوى من قهوته ، وسار معى عبر الحارة .
- « سيكون عليك أن تتلو صلاة القديس هذا الصباح دون الأسقف » .
- « أظن ذلك . قل لى ، ما حال تلك الأنباء ؟ »
- « لا أستطيع هضمها » .
- « أتذكر أنى قلت لى أشم رائحة شىء ما » .
- « لقد فكرت فى ذلك حينما سمعت بالأمر . إن لك أنفاً مدهشاً » .
- « ذلك جزء من مهنة التجارة . باستطاعة بيكر أن يعود الآن ، وإنى لأعجب إذا ما كان سيفعل » .
- « يعود ؟ »
- « ألم تشم أية رائحة من هناك ؟ »
- وتطلعت إليه فى عجز : « إننى أفتقد شيئاً ما ولا أدرى حتى ما هو هذا الشىء » .

- « يا إلهى ! »
- « أتعنى أنه كان ينبغى أن أرى شيئاً ما » .
- « ذلك ما أعنيه . إن قانون الظفر والنايب لا ينتقض » .
- « أوه ، يا إلهى ! لا بد أن هناك عالماً بأكله أجهله . كنت أحاول أن أتذكر إذا ما كنت تحب كليهما بالخس والمالينيز » .
- وقلت : « يجب أن أذهب . عندنا تخفيض خاص فى الشاى أرسل إلينا

غطاء صندوق ، وستحصل على هدية علبة صغيرة من الشاي ! ألك معرفة  
بأية سيدة ؟ »

— « بالتأكد أعرف ، وتلك هي آخر ما يريدنه من الجوائز . لا تتعب .  
نفسك بإحضار الشطيرتين ، فسأتي لأخذها . » ودخل من بابه ولم تكن  
هناك أى تـكـه من القفل . كنت آمل ألا يكتشف جوى أبداً أنه كان أفضل  
مدرس على الإطلاق . فهو لم يقدم لى المعلومات فحسب ، بل وضح العملية لى ،  
ودون أن يدري ، أعدلى طريقاً .

ان كل من يعرفون هذه الأشياء ، أى الخبراء ، أجمعوا على أن النقود  
فحسب هي التي تجلب النقود . وأفضل السبل هي دائماً أبسطها . لقد كانت  
بساطة الأمر المذهلة هي أعظم قواه . ولكنى أو من فعلاً بأن الأمر لم يكن يعدو  
حله مفصلاً ، حتى سار ماروللو - دون أن تكون تلك غلطته - خلال ظلمته -  
فوق صخره شاهقة . ولقد بدا لى ذات مرة أنه من المؤكد تقريباً أننى كنت  
أستطيع الحصول على المحل لى ، وحينذاك فحسب سقطت أحلامى التي طارت  
عالياً إلى الأرض . وربما كان هناك سؤال جيد ولكنه غير شديد : لماذا أحتاج  
المال ، طالما أنى أستطيع الحصول على المحل ؟ وذلك ما أدركه مستر بيكر ،  
وكذلك جوى ثم ماروللو أيضاً . أن المحل دون رأس مال جار أسوأ من لا محل على  
الإطلاق . فعلى جانبي الطريق الأيل للإفلاس تصطف قبور المخاطرات غير  
المأمونة . وقد صار لى الآن قبر على هذا الطريق . إن أكثر الجنود غباء  
لن يرمى قوته كلها فى فتح ثغرة داخل خطوط الأعداء ، دون أن تكون  
معه مدافع مورتار أو احتياطي أو بديلين له ، ولكن عديداً من الأعمال  
الوليدة يفعل ذلك . كانت نفود مارى تفتتح فى جيبى الخلفى على شكل أوراق  
( م ٢٣ - نشاء الخط )

مالية معلنة إلا أن مارلوسيا أخذ منها أقصى ما يستطيع الحصول عليه . و بعدئذ  
يحل أول الشهر . ومتاجر الجلة لا تفرط يدها في بيع الأجل بالنسبة للمؤسسات  
التي لم تبرهن على حسن معاملتها معها بعد . ومن ثم فسأظل في حاجة إلى نقود ،  
وتلك النقود تنتظرني خلف الأبواب الفولاذية ذات التكات . وحين اختبرت  
عملية الحصول عليها ، التي رسمت وكأنها أحلام اليقظة ، وقفت صامدة تسترعى  
الانتباه . ولم يزجني كون السطو عملية غير قانونية إلا قليلاً جداً . وبالنسبة  
لمارلوسيا لم تكن هناك أية مشكلة . فلو لم يكن هو الضحية ، فربما كان قد رسم  
هذه الخطة هو نفسه . أما الذي أقلقني فهو داني ، رغم أنني كنت أستطيع أن  
أفترض افتراضاً صادقاً أنه قد انتهى على أية حال . وكانت محاولة المستر بيكر  
الفاشلة في أن يفعل نفس الشيء مع داني ، قد أعطتني مبرراً أكثر مما يحتاج إليه  
كثير من الرجال . ولكن داني ظل ناراً محرق أحشائي ، وكان على أن أتقبل  
ذلك مثلما يتقبل المرء جرحاً في معركة ناجحة . كان على أن أحييا بذلك الجرح ،  
فربما التأم بمرور الزمن ، أو ربما أحاطه سياج من النسيان مثلما يحدث أن تحيط  
الضاريف بشظية من قذيفة .

كان الأمر العاجل هو النقود ، وقد أعدت تلك الحركة وتم توقيتها بمثل  
العناية التي تعد بها دائرة كهربية .

كانت قوانين مورفي صامدة جيدة وكنت أتذكرها ، بل أنني حتى أضفت  
إليها واحداً . القانون الأول : ألا يكون لك سابقة في سجل السوابق . حسناً ،  
لم يكن لي أية سابقة . رقم اثنين : لا شركاء أو أمناء على السر . من المؤكد أنه  
ليس لي . رقم ثلاثة : لاسيدات . حسناً ، كانت مارجي يانج هنت هي الشخص  
الوحيد الذي أعرفه ويمكن أن يسمى سيده ، ولم أكن أنوي أن أحسب الشمبانيا



من حفيها . رقم أربعة : لا تجعل مظاهر الثراء تبدو عليك . حسناً ، لن أفعل .  
لأننى سأستعمل المال تدريجياً في دفع فواتير تجار الجملة . وكان عندى مكان لإخفائه  
وفي صندوق قبعة فرسان أورشليم ، كانت توجد دعامة من الورق المقوى المغطى  
بالقطنية ، بحجم وشكل رأسى . وقد رفعت هذه الدعامة فعلاً ، وغطيت أطرافها  
بمادة لاصقة حتى يمكن أن تعاد إلى مكانها في لحظة .

التعرف — قناع ميكي ماوس . ولن يرى أى شخص شيئاً سواه . ومعطف  
قطنى قديم واق من المطر من محل ماروللو — وجميع المعاطف القطنية الواقية من  
المطر ذات اللون الأحمر القاتم تبدو متشابهة — وزوج من تلك القفازات  
المصنوعة من ورق السولفان الممزق مما يأتى مع اللفات . كان القناع قد تم قصه  
منذ عدة أيام ، وتم إلقاء الصندوق والمسحوق فى المرحاض ودفنهما الماء فيه ،  
مثلاً سيحدث بالنسبة للقناع والقفاز . وكان المسدس الفضى العتيق من ماركة  
إيفور جونسون قد غطى بسناج مصباح ، وفي المرحاض كانت توجد صفيحة بها  
زيت سيارات ، سألقيه فيها تمهيداً لتسليمه للمدير ستونى فى أول فرصة .

ولقد أضفت إلى تلك القوانين قانونى الخصاص النهائى : لا تكن طماعاً .  
لا تأخذ كثيراً جداً وتجنب أوراق العملة ذات الفئات الكبيرة . فإذا عثرت  
فى مكان ما على حوالى ستة أو عشرة آلاف دولار فى أوراق من فئة العشرة  
والعشرين دولاراً ، فسيكون ذلك كافياً ، وسيسهل التعامل بها وإخفاؤها .  
أما الحقيبة التى سأحمل فيها النقود ، فهى صندوق كعكة من الورق المقوى موضوع  
خوق الثلاجة ، وعند ما يراه أحد فى المرة التالية ستكون بداخله كعكة . ولقد  
حاولت تغيير صوتى بتلك القصبة المربعة التى تجعل الصوت يشبه الكلام من  
البطن ، ولكنى نحييتها لاستخدام بدلاً منها الصمت والإشارة . كان كل شىء  
فى مكانه وجاهزاً .

كنت في الغالب آسفاً لأن المستريبيكر لم يكن هناك . فسيكون هناك مورفي ، وهاري روبيت ، وإديث آلدن فحسب . كان الأمر مرتباً لأدق جزء من الثانية . في التاسعة إلا خمس دقائق سأضع المكينة في المدخل . وقد تمرنت على ذلك مرات ومرات . وسأطوى المزور إلى أعلى ، وأضع صنجة الميزان على سلسلة المرحاض لأجعله يستمر في التدفق ، وسيسمع أى شخص يدخل صوت الماء ، ثم يتوصل بنفسه الى النتيجة . المعطف ، القناع ، صندوق الكعكة المسدس والقفازات . ثم أعبّر الحارة مع دقائق الساعة التاسعة وأدفع الباب الخلفي فافتحه ، ثم ارتدى القناع ، وأدخل عقب أن يئز القفل الميقانى مباشرة ويجذب جوى الباب ليفتحه . ثم أشير بالمسدس إلى الثلاثة كي ينبطحوا أرضاً . وهم لن يسببوا أية مضايقة ، فالنقود مؤمن عليها — كما قال جوى — أما هوفلا . وبعدئذ ألتقط النقود ، وأضعها في صندوق الكعكة ، وأعبّر الحارة وأضع القفازات والقناع في المرحاض وأجذب عليها الماء ، وأضع المسدس في صفيحة الزيت ، وأخلع المعطف . ثم أجذب مزورى الى أسفل ، وأضع النقود في صندوق القبة ، ثم ألتقط المكينة ، وأستمر في كنس الرصيف ، بحيث أكون متواجداً وظاهراً حين يذق جرس الإنذار . وسيستغرق الأمر كله دقيقة واحدة وأربعين ثانية ، فقد تم توقيته ، ومراجعتة ، ثم أعيدت مراجعته . ورغم العناية التى وضعت بها الخطة والتوقيت ، فلازات أشعر بقليل من تلاحق الأنفاس وأنا أكنس المحل قبل أن أفتح البابين الأماميين . وارتديت مزور الأمس لكيلا تبدو فيه جدة التجمعات . ولكن هل تصدق ، لقد توقف سير الزمن ، وكأن يوشع بطوقه المنجح قد أصابه سير الشمس في مدارها . كأن عقرب الدقائق في ساعة ابى الضخمة قد ثبت عقبيه وقاوم الصباح .

لم أكن قد خاطبت رعيقتي بصوت عال منذ وقت طويل ، ولكني  
خاطبتها هذا الصباح ، ربما بسبب حالتي العصبية .

قلت : « أصدقائي ، إن ما تشاهدونه سر . وأعلم أنني أستطيع الاعتماد عليكم  
في البقاء صامتين . وإذا كان يمتلك أيا منكم أي شعور تجاه المسألة الأخلاقية التي  
اشركتم فيها ، فإنني أتحداكم وسأطلب منكم مغادرة المكان » وتوقفت  
برهة « اعتراضات ؟ حسناً جداً ، إذا سمعت إطلاقاً محارة أو كرنبة تناقش  
هذا الموضوع مع الغرباء ، فسيكون الحكم عليها هو الموت بشوكة العشاء . »

« وإنني لأرغب في شكركم جميعاً . لقد كنا سوياً ، عمالاً متواضعين في  
الكرمة ، وكنت خادماً مثلكم ولكن الآن هناك تحول سيحدث . فسأكون  
السيد هنا من الآن فصاعداً ، ولكني أعد بأنني سأكون سيّداً طيباً  
شفوقاً متفاهماً . إن الوقت يقترب ، يا أصدقائي ، والستار يرتفع وداعاً ، « وعندما  
تحركت ناحية الأبواب الأمامية ومعى المكنسة ، سمعت صوتي وهو يصيح :  
« داني ، داني ؟ اخرج من تفكيرى » . وهزنتى رعدة هائلة لدرجة أنه  
كان على أن أستند الى المكنسة برهة قبل أن أفتح الأبواب

كان عقرب الساعات الأسود القصير الضخم في ساعة أبي يشير الى التاسعة  
أما عقرب دقائقها الطويل الرفيع فكان يشير الى نقصان ست دقائق عن التاسعة  
كان يوسى أن أحس بدقات قلبها فوق راحتي وأنا أتطالع إليها .



## الفصل الخامس عشر

كان يوماً مختلفاً عن الأيام الأخرى مثلما تختلف الكلاب عن القطط ، ومثلما يختلف كلاهما عن زهور الكريزانتيم أو أمواج المد أو الحمى القرمزية . والقاعدة في ولايات عديدة ، وبالتأكيد في ولايتنا ، أنه ينبغي على الدنيا أن تمطر في عطلات نهاية الأسبوع الطويلة ، وإلا فكيف يمكن للجماهير الغفيرة أن تفرق بماء المطر وتصيبها التعاسة ؟ كانت شمس يوليو تحارب جمعاً كبيراً من السحب الصغيرة المتناثرة كالريش وتدفعها هاربة ، ولكن منابع الرعود كانت تطل من فوق الحافة الغربية ، إنها حاملات المطر قوية الساعد الآتية من وادي نهر الهدسن مسلحة بالبرق ، وقد بدأت فعلاً تنغمم لنفسها . ولو تم تنفيذ القاعدة كما يجب ، لاحتفظت بأقطارها حتى يصل أكبر عدد من المخلوقات البشرية السعيدة إلى الطرق الرئيسية والشواطئ ، وهم يرتدون ملابس الصيف ويتمتعون بنخضته .

أن معظم المحلات الأخرى لا تفتح قبل التاسعة والنصف . وكانت فكرة مارلوهي اختطاف حفنة من العمليات التجارية ، بجعل أفتح المحل مبكراً نصف ساعة عن المحلات الأخرى . وقد فكرت في أن أغير تلك العادة . فقد تسببت في خلق شعور عدائي بيننا وبين المحلات الأخرى . أكثر مما يبرره ربنا . ولكن مارولاهو لم يكن يابه كذلك لو حدث مطلقاً أن عرف به . كان أجنبياً ، مهاجراً قذراً ، مجرماً ، وطاغية ، معتصراً لدم الفقراء ، وغداً . وحيث إنني دمرتة ، فقد كان من الطبيعي أن تظهر أخطاؤه وجرائمه أمامي في غباء .

أحسست بيد طويلة عجوز تدور بحافة ساعة والدي ، ووجدتني أكنس  
كنسارديثاً وعضلاتي متوترة ، منتظراً لحظة الحركة السريعة الفاعمة للقيام بمهمتي .  
كنت أتنفس خلال فمي ، وكانت معدتي تندفع ناحية رأسي مثلما أذكر أنها فعلت  
بي وأنا في انتظار هجوم .

كان عدد الناس بالخارج قليلاً ، بالنسبة لعطلة نهاية الأسبوع التي توافق  
السبت الرابع من يوليو . فقد مر رجل غريب - عجوز - وهو يحمل قصبه لصيد السمك  
وصندوق ادوات من البلاستيك الأخضر . كان في طريقه الى رصيف ميناء البلدة  
ليجلس طيلة النهار مدلياً في الماء شريحة هزيلة من سمك الصبير . وهو حتى لم  
يرفع رأسه ، ولكنني أرغمته على الانتباه .

— « أتعشم أن تصيد بعض سمكات كبيرة » .

قال : « إنني لا أصطاد شيئاً أبداً » .

— « أحياناً تأتي بعض السمكات الصغيرة » .

— « أنا لا أصدق هذا » .

انه متفائل متحمس ، ولكنني على الأقل أثرت شيئاً من اهتمامه .

ثم سارت جيني سينجل متدحرجة على الرصيف . كانت تتحرك كما لو كان  
لها عجل بدلا من القدمين ، وربما كانت أقل من يمتد عليهم من الشهود في  
نيو بايتون . فقد فتحت ذات مره مفتاح فرن الغاز ونسيت إشعاله . وكانت  
ستطبخ بنفسها خلال السقف لو استطاعت أن تتذكر أين وضعت الثقاب .

— « صباح الخير ، يامس جيني » .

— « طاب صباحك ، ياداني » .

— « إننى إيثان » .

— « انه أنت طبعاً . إننى ذاهبة لأخبز فطيرة » .

وحاولت أن أحفر ندباً فى ذاكرتها « . فطيرة من أى نوع ؟ »

— « حسناً ، إنها من نوع فانى فارمر ولكن العلامة التجارية سقطت

من العلبة ، ولهذا فإننى فى الواقع لا أعرف نوعها » .

أية شهادة ستكون تلك ، لو أننى احتجت إلى شاهد . ثم لماذا قلت

« دانى ؟ »

وقاومت قطعة من ورق القصدير على الرصيف المكسسه ، وكان على أن أنحى

بأرفعها بإظفري . إن مساعدى المصرف أولئك الذين يشبهون الفيران ، يتصرفون

كالفيران فعلاً ساعة أن يغيب القط بيكر . وكانوا هم من أريد . كانت الساعة

أقل من التاسعة إلا دقيقة ، حين اندفعوا من المقهى وتسبقوا عبر الشارع .

وصحت بهم : « اجروا - اجروا - اجروا ! » فابتسموا فى خجل ، بينما

كانوا يعالجون فتح أبواب المصرف .

والآن حل الوقت . ينبغى على الأ أفكر فى الأمر بأكمله - مجرد خطوه

واحدة فى وقتها ، وكل خطوة فى مكانها ، مثلما تدربت . وكورت معدنى القلقة

إلى أسفل حيث مكانها . فلا أسند المكنسة أولاً إلى قائمة الباب ، بحيث يمكن

رؤيتها وتحركت بسرعة بطيئة مقصودة .

وبركن عيني رأيت سيارة آتية فى الشارع وتوقفت لأدعها تمر . « مستر

هولى ! »

واستدرت بنفس الطريقة التى يفعلها رجال العصابات المحاصرون فى السينما .

كانت سياره شفرولية خضراء مغبرة تنزلق إلى جوار الرصيف و ، يا إلهى العظيم !

كان رجل الحكومة ذو السروال « الايفي ليج » يخرج منها . وارتجفت الأرض الحجرية الصلدة أمامي وكأنها انعكاس على صفحة ماء . ورأيتُه وأنا مشلول - يعبر الرصيف . وبدا كأن الأمر استغرق دهوراً ، ولكن الأمر كان يمثل تلك البساطة . لقد استحال ترتيبى المكتمل الذى خططت له منذ أمد بعيد إلى تراب أمام عيني ، مثلما تنفتت قطعة فنية حين يصفهها الهواء بعد طول دفن . وفكرت فى الاندفاع إلى المرحاض والاستمرار فى تنفيذ الخطة . ولكنها لن تفلح . لم يكن باستطاعتى أن أنقض قانون مورفى - لا بد أن الفكر والضوء يسافران تقريبا بنفس السرعة . إنها لصدمة أن يلقى المرء جانباً خطة درست طويلاً ، ومثلت مرات عدة حتى صار إنجازها لا يتعدى مجرد تكرارها مرة واحدة ولكنها أقيمت بها جانباً ، وأمهيتها . لم يكن لى خيار . وبسرعة البرق قالت لى فكرة : « حمداً لله أنه لم يأت منأخراً دقيقة واحدة ، وإلا كانت تلك هى المصادفة للمهلكة التى يكتبون عنها فى القصص البوليسية » .

تم هذا كله حين تحرك الشاب فى تصاب أربع خطوات عبر الرصيف . ولا بد أن شيئاً ما قد بداله منى .

— « ماذا بك ، يامستر هولى ؟ أنت تبدو مريضاً » .

قلت : « الإسهال » .

— « ذلك أمر لا ينتظر أى رجل . اجر إلى المرحاض ، وسأنتظرك » .

واندفعت إلى المرحاض ، وأغلقت الباب ، وجذبت السلسلة لأجعل الماء يندفع من السيخون . لم أكن قد أضأت النور وجلست هناك فى الظلام . وجعانى ارتعاد معدتى أصاب بالإسهال حقيقى . وكان على فملا أن أذهب خلال لحظة ، وقد



فعلات ، وغاضت دقات نبضى فى بطء . وأضفت قانوناً إضافياً إلى مجموعة قوانين مورفى . فى حالة وقوع حادثة ، غير خططك - فى الحال .

ولقد حدث معى من قبل فى حالة الأزمة أو الخطر العظيم ، أننى أخرج نفسى من الموضوع وبعيداً عنه ، ثم أرقب نفسى مثل أى غريب مهتم بالأمر ، أرقب حر كاتى وذهنى ، وأنا محصن ضد الانفعال بما ألاحظ . وقد رأيت ، فى أثناء جلوسى فى الظلمة ، الشخص الآخر يطوى خطته المحكمة ويضعها فى صندوق ثم يفلق الغطاء ، ويلقى به ليس بعيداً عن البصر فحسب ، بل وبعيداً عن الفكر . أعنى أنه فى الوقت الذى وقفت فيه فى الظلام ، وجذبت ( سوستة ) سرولى وأصلحت ثيابى ووضعت يدي على الباب الخشبى الرقيق ، كنت قد عدت إلى شخصية موظف فى محل بقالة مستعد لاستقبال يوم عمل شاق . لم يكن ذلك تكتماً للأمر ، بل كان حقيقة . وعجبت لما يريده الشاب ، ولكن ما صاحب ذلك التعجب ، كان فقط هو شحوب الإدراك الذى ينبجم عن خوف حقير من رجال الشرطة .

وقلت : « آسف لأننى تركتك تنتظر ، لا أستطيع أن أذكر ماذا أكلت ليسبب ذلك » .

قال : « هناك نوع من الفيروس منتشر ، وقد أصيبت به زوجتى فى الأسبوع الماضى » .

— « حسناً ، هذا الفيروس كان يحمل مسدساً ، وكدت لأملك أمر نفسى . ماذا أستطيع أن أفعل من أجلك ؟ »

وبدا مرتبكاً ، ومعتذراً ، ويكاد يكون خجلاً . وقال : « إن لارء يفعل أشياء غريبة » . وقهرت حافظاً كان يدفعنى لأن أقول - إن هذا يشمل جميع

أنواع الناس - وإبنى سعيد لأننى قهرته فتمد كانت كلماته التالية : « فى عملى تلتقى بجميع الأصناف » .

وسرت خلف الطاولة ، ورفست صندوق قبعة فرسان أورشلهم الجلودى فأغلخته ، ثم استندت بمرفقى على الطاولة .

ياله من أمر غريب جداً . قبل خمس دقائق كنت أرى نفسى من خلال أعين أناس آخرين . وكان على أن أفعل ذلك . فقد كان ما يرونه هاماً . وحينما جاء هذا الرجل عابراً الرصيف ، كان قد صار قدراً ضخماً ، مظالم ، لا أمل فيه ، عدواً ، وغولاً . ولكن حين قذفت بمشروعى بعيداً وطرحته عنى ، صرت أراه الآن شخصاً منفصلاً عنى - شخصاً لم يعد مرتبطاً بى فى خير أو شر . كان - فيما أبظن - يقارب سنى ، ولكنه تربي فى المدارس ، أو تربي تربية أخلاقية ، وربما تربيه دينية - ذا وجه نحيل وشعر قص قصيراً بعناية ويقف منتصباً ، وقميص أبيض من صوف خشن النسيج ذى ياقة ثبتت من أسفل بزربن ، وربطة عنق انتقمتها له زوجته ، ولا شك أنها ربت عليها وقومتها حينما كان يفادر المنزل . كانت حلتة رمادية غامقة ، وأظانره اعتنى بها فى البيت ، ولكنها عناية جيدة ، وفى يده اليسرى خاتم زواج ذهبى عريض ، وفى عرويه سترته قضيب دقيق ، رمز للنشان الذى لم يرتده . كان فيه وعيناه الزرقاوان الداكنتان قد دربت على الحزم ، مما جعل الأمر كله أكثر غرابه الآن ، لأنها لم تكن حازمة . لقد فتحت فى نفسه ثمة ثغره بطريقة ما . فهو ليس نفس الرجل ذا الأسئلة المقتضية ، التى تشبه قضباناً فولاذية متناسبة حددت المسافات بينها بدقة ، وكل واحد منها أسفل زميله .

وقلت : « لقد كنت هنا قبلاً ، فما هو عملك ؟ »

— « من وزارة العدل » .

— « هل عملك هو العدل ؟ »

وابتسم : « أجل ، أو عل الأقل ذلك ما أصبو إليه . ولكنى لست فى مهمة رسمية - بل إننى لست متاً كدأً حتى من موافقة الوزاوة على ما أعمل . ولكن اليوم هو يوم عطلتى » .

— « وما الذى أستطيع أن أفعله من أجلك ؟ »

— « أنه أمر معقد بعض الشيء . ولا أدرى تماماً من أين ابدأ . إنه ليس واردأً فى كتب القانون . هولى ، لقد ظلت فى الخدمة اثنى عشر عامأً، ولم يصادفتنى من قبل أبداً أى شىء كهذا » .

— « ربما أستطيع مساعدتك لو أخبرتنى ما هو هذا الشيء » .

وابتسم لى : « من الصعب أن أحاول تجميع أجزائه . لقد ظلت أقود سيارتى ثلاث ساعات من نيو يورك ، ثم على أن أقودها ثلاث ساعات للعود خلال مواصلات العطلة المزدهمة » .

— « يبدو أن الأمر خطير » .

-- « إنه لكذلك » .

— « أظن أنك ذكرت أن اسمك هو والدر » .

— « ريتشارد والدر » .

— بعد قليل سيتدفق الزبائن، يامستر والدر . ولا أدرى لماذا لم يبدأوا بعد-

فهل أنا فى مشكل ؟ »

— « فى عملى يلتقى المرء بجميع الأصناف . القسام والكذابين ، والمحاملين،

المتدغمين ، والأغبياء ، والأذكياء . وفى أغلب الحالات يصيبك الحق منهم .

فتتخذ لك مسلكاً ما تتصرف به معهم . هل تفهمني ؟ »

— « كلا ، أحسبني لا أفهم . أسمع ، ياوالدر ، بحق الجحيم ماالذي يزعمك ؟ إنني لست غيبياً تماماً . لقد تحدثت مع المستر بيكر في المصرف . وأنت تسعى في أثر مستر ماروللو ، رئيسي » .

فقال في صوت ناعم : « ولقد أمسكت به » .

— « لأي سبب ؟ »

— « دخول البلاد بطريقة غير مشروعة . وليس ذلك من صنعى . فقد تحذقوا لى بملف وتقبعت الأمر فيه . وأنا لا أحكم عليه ولا أحاكمه » .

— « هل سيبعد ؟ »

« أجل » .

— « ألا يستطيع الدفاع عن نفسه ؟ ألا يستطيع مساعدته ؟ »

— « كلا . إنه لا يرغب فى ذلك . لقد اعترف بأنه مذنب ، وهو يريد

مغادرة البلاد » .

— « ياالعنة التى حلت على ! »

ودخل المحل ستة أوثمانية زبائن . وصحت به : « لقد حذرتك » ، ثم عاوتهم بنى اختيار ما يحتاجون إليه . أوظنوا أنهم يحتاجون إليه . وحمدت الله لأننى كنت قد طلبت جبلاً من السجق ولفات لحم الهامبورجر .

ونادانى والدر : « بكم تباع المحلل ؟ »

— « السعر مكتوب على البطاقة » .

فقال : « تسعه وثلاثون سنتاً ، ياميدتى » . وانصرف إلى الشغل ، يكيل ،

ويضع فى أن كياس ، ويجمع . ومر من أمامى ليضرب النقود فى آلة عد النقود .

وحين تحرك مبتعداً أخذت كيساً من الرصّة ، وفتحت الدرج ، ثم مستعملاً الكيس على أنه لنقل وعاء ، التقطت المسدس العتيق ، وعدت به إلى المرحاض ، ثم أسقطته في صفيحة الزيت التي كانت في انتظاره .

وقلت له حين عدت : « إنك بارع في هذا العمل » .

— « لقد اعتدت أن أعمل في جرانديونيون بعد المدرسة » .

— « هذا واضح » .

— « الا يوجد معك أحد ليساعدك ؟ »

— « إنني أنوى الإتيان بولدي إلى هنا » .

الزبائن يأتون دائماً في قوافل ، ولا يحدث أبداً أن يأتوا فرادى على فترات متساوية . وموظف البقالة يهبيء نفسه في الفتره بين مجموعة وأخرى ، ليلقى الفوج التالي . هناك شيء آخر ، حين يقوم رجلان بعمل شيء ما سوياً فإنهما يتشابهان ، وتصبح الفوارق الذهنية بينهما أقل تعقداً . وقد اكتشف الجيش أن الأبيض والأسود لا يقاتل كل منهما الآخر حين يكون أمامهما شيء آخر ليقاتلاه معاً . وقد تبدد الخوف الذي كان يسرى تحت جلدي من رجل البوليس ، عندما كان والدريزن رطلاً من الطماطم ويجمع قائمة من الأرقام على كيس . ورحلت أول مجموعته من زبائننا .

وقلت : « يحسن بك أن تخبرني بسرعه عما تريد » .

— « لقد وعدت ماروالوانى سأتى إلى هنا . إنه يريد أن يعطيك المحل » .

— « أنت مجنون . أرجو المذرة ، ياسيدتى ، فقد كنت أخطب صديقي » .

— « أوه ، أجل . طبعاً . حسناً ، كم قطعة سيجق تكفيننا ، ونحن خمسة

أشخاص - ثلاثة منهم أطفال ؟ »

— « خمسة لكل من الأطفال ، وثلاثة لزوجك ، واثنين لك . وبذلك

تصح عشرين قطعة » .

— « هل تعتقد أنهم سيأكلون الخمسة ؟ »

— « أنهم يعتقدون أنهم سيفعلون . هل لنزهة ؟ »

— « أوه » .

— « إذن خذي خمس قطع إضافية لما سيسقط في النار » .

— « أين تحتفظ بسدادات الأحواض مقاس صفر ؟ »

— « هناك إلى الخلف حيث توجد المنظفات والنشادر » .

كان الحديث بيننا يتقطع على هذا النحو ، وكان ذلك متوقفاً . ولو

استخلصناه من مقاطعات الزبائن ، فإنه كان كالتالي :

— « أحسبني أصبت بصدمة . فأنا أودي مهام وظيفتي فحسب ، وهي مع

الجرمين معظم الوقت . فإذا ما تكيفت مع معاملة المتحرفين والكذابين

والمخادعين ، فإن لقاءك برجل أمين كفيل بأن يحدث لديك صدمة تلقى لك

في الجحيم » .

-- « ماذا تقصد بكلمه أمين ؟ إن رئيسي لم يفلت من يديه فرصه إطلاقاً .

• أنه قرد فقط » .

— « أعرف أنه كذلك . نحن جعلناه هكذا . لقد قص على الحكاية وأنا

أصدقه . قبل أن يأتى إلى هنا ، كان يعرف الكلمات التي على قاعده تمثال الحرية .

كان قد حفظ وثيقة اعلان الاستقلال بلهجتها . كانت وثيقة حقوق الإنسان كلمات

من نار بالنسبة له . وبعده لم يستطع دخول البلاد . وهكذا جاء بأى شكل . لقد

عاونه رجل لطيف - أخذ منه كل ما كان يمتلك ، ثم القاه في الموج ليخوض لئلا

حتى يصل إلى الشاطئ . واستغرق وقتاً قبل أن يتفهم الأسلوب الأمريكي ، ولكنه كان قد تعلم . « ينبغي على الفتى أن يكسب دولاراً ! ابحثوا عن رقم واحد ، عن المال ! » وتعلم ، فهو ليس غيبياً ، واهتم برقم واحد .

وكان دخول الزبائن يجعل هذا الحديث متناثراً ، ولذا لم يوصل إلى قمة درامية — كان مجرد سلسلة من الجمل القصيرة .

— « ولذلك لم يتأذ حين وشى به شخص ما » .

— « وشى به ؟ »

— « بالتأكيد . فكل ما يتطلبه الأمر مكالمة تليفونية » .

— « ومن فعل ذلك ؟ »

— « من يدري ؟ إن الوزارة كالآله . تطلب الرقم ثم يسير الأمر في

خطواته كلها ، مثلما يحدث في الغسالة الاتوماتيكية » .

— « ولماذا لم يبحث له عن مخرج ؟ »

إنه متعب ، إن التعب تسرب إلى عظامه . كما أنه مشمئز . إن لديه بعض

نقود ، وهو يريد العودة إلى صقلية » .

— « إنني لا زلت لا أفهم الأمر فيما يتعلق بالحل » .

— إنه يشبهني . إنني أستطيع معالجة أمر الفشاشين ، فتلك وظيفتي . أما

الرجل الأمين فإنه يربكني في عملي ، ويهذف بي إلى أعلى السماء . وذلك ما حدث

معه . فهناك فتى واحد لم يحاول خداعه ، ولم يسرقه ، ولم يتباك شاكياً ، ولم يفضه .

وقد حاول أن يعلم الغبي أن يرعى مصالحه في أرض الأحرار ، ولكن الأبله لم

يستطع أن يتعلم . لقد أخفته فترة طويلة . وحاول أن يتصور هدفك ، فاكتشف

أن هدفك كان الأمانة » .

— « افترض أنه كان مخطئاً ؟ »

— « اه لا يعتقد أنه كان مخطئاً . وهو يريد أن يجعل منك نوعاً من التذكار لشيء آمن به يوماً ما . إن وثائق نقل الملكية معى فى السياره بالخارج ، وكل ما عليك أن تفعله هو أن تسجماها » .

— « أنتى لا أفهم الموضوع » .

— « وأنا لا أدرى إن كنت أفهمه أم لا . أنت تعرف كيف يتكلم — بصوت يشبه الصوت الناجم عن تحمير الفشار . إننى أحاول ترجمة ما حاول أن يشرحه لى . يبدو إن الرجل منا يخطط طريقاً معيناً ، ويتخذ اتجاهاً معيناً ، فإذا ما غير ذلك ، فإن شيئاً ما ينفجر ، إنه يكون كآله انزع أحد تروسها ، ويصيبه المرض إن الوضع يشبه — حسناً ، يشبه محكمة بوليس تقيمها أنت بنفسك ، ويكون عليك أن تدفع قيمة المخالفة . وأنت قيمه مخالفته ، نوع منها ، لكيلا ينطقى « نوره » .

— « ولماذا قدت أنت سيارتك إلى هنا ؟ »

— « لا أدرى بالضبط . كان على أن أفعل — ربما — لكيلا ينطقى « نوره »

— « أوه يا ألهى ! »

وعج المحل بسحابة من صبية بصخبون ، ونساء بللهن المطر . لن تحل بعد بعد ذلك أية لحظة ليس فيها انهماك فى الشغل إلى أن يحل الظهر على الأقل . ذهب واندرد إلى سيارته ، ثم عاد وفرق موجه من زوجات المصيفين المهووسات إيصل إلى الطاولة ، ووضع عليها ظرفاً من تلك الظروف المصنوعة من الورق المقوى الاصقر وقد لف بشريط لاصق .

— « على أن أذهب . أماهى أربع ساعات من القيادة فى مثل هذه المواصلات » .



وزوجتي حاتمة ، لقد قالت بإمكان هذا الأمر أن ينتظر ، ولكن الانتظار لم  
يكن ممكناً .

— « أيها السيد ، إنني انتظر منذ عشر دقائق لكي تقضى لي مطالبي » .

— « سأكون معك حالاً ، ياسيدتي » .

— « وقد سألته إذا ما كانت لديه أية رساله ، فقال : « قل له وداعاً » .

فهل لديك أنت أية رسالة له ؟ »

— « قل له وداعاً » .

ومرة أخرى أطبقت على موجة المعدات التي ساء تفكرها ، وكان هذا

أفضل بالنسبة لي . واسقطت الظروف في الدرج الموجود أسفل آلة عد النقود

واسقطت معه - كآبتي .



## الفصل السادس عشر

انقضى اليوم سريعاً ومع ذلك كان لانهائياً . ولم تكن هناك أية صلة بين موعد غلق المحل وموعد فتحه ، فقد كان سحيقاً جداً لدرجة أننى استطعت تذكره بصعوبة . وحينما كنت على وشك إغلاق الأبواب الأمامية ، دخل جوى ، ودون أن أسأله ثقتت علبه جعة وناولتها أياه ، وبعد ثذ فتحت لنفسى واحدة ، وذلك مالم أفعله من قبل قط . وحاولت أن أحدثه عن ماروللو وعن المحل ، ووجدتنى لا أستطيع ، ولا حتى أن أقص عليه القصة التى كنت قد قبلتها كبديل للحقيقة .

وقال : « إنك تبدو متعباً » .

— « أحسبنى كذلك . تطلع إلى تلك الأرفف - أنها طارية . أنهم يشترون أشياء لا يريدونها ولا يحتاجون إليها » . وأفرغت ما تحتويه آلة عد النقود فى كيس القماش الرمادى ، وأضفت إليه النقود التى أنى بها المستريبكر ، ووضعت على السطح المظروف الأصفر ثم ربطت الكيس بقطعة من الخيط .

— « ينبغى ألا تترك ذلك هنا » .

— « قد يكون الأمر كذلك . ولكننى أخفيها . أترغب فى علبه أخرى

من الجعة ؟ »

— « بالتأكيد » .

— « وأنا أيضاً » .

فقال : « أنك مستمع رائع . لقد بدأت أصدق حكاياتى . »

— « مثل ماذا ؟ »

- « مثل غرائزي ذات الثلاثة أسطح . لقد انتابتنى واحدة هذا الصباح وقد استيقظت بها من النوم . وأظنني حلت بالأمر . ولكنه كان شعوراً قوياً جداً ، فقد شعرت به في شعر قفای وفي كل شيء . كنت أعتقد أن المصرف سيسرق اليوم . عرفت هذا . عرفته وأنا راقد في فراشي . إننا نبقى أوتاداً صغيرة تحت أجراس الإنذار التي تحت أقدامنا نكيلاً نطأها خطأ . وكان أول شيء فعلته هذا الصباح هو أنني نزعته تلك الأوتاد . كنت متناً كدماً جداً من ذلك الشعور ، ومشدوداً إليه . والآن كيف تفسر ذلك ؟ »
- « ربما يكون شخص ما قد دبر السرقة وقرأت أنت أفكاره ، ثم عدل عن رأيه . »
- « أنك تجعل الأمر سهلاً المرء أن يخمن خطأ ، دون أن ينال ذلك من كرامته . »
- « كيف تتصور الأمر إذن ؟ »
- « يعلم الله . أظنني كنت بالنسبة إليك السيد الذي يعرف كل شيء بالدرجة أنه صار على أن اصدق ذلك . ولكن المؤكد أن هذا الأمر هزني . »
- « أتعرف يا مورفي أنني متعب بحيث لا أقدر حتى على الكنس . »
- « لا تترك تلك النقود هنا الليلة . خذها إلى البيت . »
- « حسناً ، مادمت تقول ذلك . »
- « لازلت أحس أن هناك شيئاً مريباً . »
- فتحت الصندوق الجلدي ووضعت كيس النقود بداخله مع قبعتي ذات الريشه ، ثم أغلقته بالحزام . وقال لي جوى وهو يراقبني : « إنني ذاهب إلى نيويورك لأستأجر غرفة في فندق ثم . أشاهد مسقط المياه عبر ميدان التايمز طيلة

يومين جامدين وأنا خالغ حذائي .

— « وماذا استفعل بموعدك ؟ » .

— « لقد ألقيته » .

— « لقد أخبرتك - ربما تقوم نحن برحلة قصيرة »

— « أتمنى ذلك . فأنت في حاجة إليها . هل أنت مستعد للانصراف ؟ »

— « أمامي شيئان أقوم بهما . فلتذهب أنت يا جوى . واخلع حذاءك . »

كان أول ما على القيام به الاتصال بماري واخبارها أنني مضطرب  
للتأخر قليلا .

— « أجل ، ولكن اسرع ، اسرع ، اسرع . لدى أخبار ، وأخبار ،  
وأخبار » .

— « ألا تستطيعين أن تخبريني بها الآن يا حبيبتى ؟ »

— « كلا ، فأني أريد رؤية تعبير وجهك » .

علقت قناع الميسكي ماوس على آلة عد النقود من علاقته المطاط ، بحيث  
غطى النافذة الصغيرة التي تبين منها الأرقام . وبعدئذ ارتديت معطفي وقبعتي  
وأطفأت الأضواء ، وجلست على الطاولة وساقاي تتأرجحان . كان جذع شجرة  
موز أسود عاري يخزني في أحد جنبي ، بينما تلائمت آلة ندة النقود مع كتفي  
الأيسر وكأنتي مستندة إلى حافة كتاب . كانت الستائر مرفوعة وضوء نهاية  
الصيف يجاهد للنفوذ خلال الأسلاك المتشابكة على النافذة ، وكان الجو هادئا  
جدا ، هدوءاً يشبهه حفيف الماء ، وذلك ما كنت أحتاج إليه . وتحسنت  
الجيب الذي على جنبي الأيسر ، لأرى ما هو ذلك الجسم الذي تدفعه آلة عد

النقود في جنبي . إنه الطلسم - وأمسكت به بين يدي وحدقت فيه . كنت  
أظن بالأمس أنني بحاجة إليه ، فهل نسيت أن أعيده إلى مكانه ، أم أن احتفاظي  
به لم يكن من قبيل الصدفة ؟ لأدرى .

وحين تمبعت الرسم الذي عليه بأصابعي ، بث في قوته كالمعتاد . كان في  
الظهيرة قرمزياً بلون وردة ، أما في المساء فقد اكتسب لونا أكثر عتمة ، فورداً  
أرجوانياً وكان قابلاً من الدماء قد دبت فيه .

لم أكن بحاجة إلى التفكير بل إلى إعادة الترتيب ، تغيير المخطط ، وكأنني  
كنت موجوداً في حديقة أنتقل بينها أثناء الليل . كان ينبغي إجراء نوع ما من  
التغيير لكي يقوم بحمايتي ، إلى أن اتسكن من إعادة البناء من جديد . وقد  
اعتكفت داخل المحل ، حتى يمكنني أن أدع الأشياء الجديدة تدخل رويداً ،  
ثم أحصياها وأتعرف إليها في أثناء قدومها . كانت الأرفف ، وقد هوجمت طوال  
اليوم ، تبدو فيها فجوات عديدة حيث هاجمت الحشود الجامعة مواقع دفاعها ،  
وكان منظرها يوحي بفم خلعت منه أسنانه ، أو بلدة مسورة بعد أن أعملت فيها  
المدفعية نيرانها .

وقلت : « فلنصل من أجل أصدقائنا الراحلين .. من أجل الصف الأحمر  
الرقيع من علب صلصة الطماطم ، من أجل المخلاتات المجيدة والمتبلات وعلب  
الخل الصلعاء الصغيرة . أننا لا يسعنا أن نكسر ، لا يسعنا أن نقدر - كلا .  
من الأفضل لنا نحن الأحياء - كلا . ألقوا - أرجو لك الحظ وانتهاء الألم .  
إنك بالطبع مخطيء ، ولكن قد يكون الخطأ بالنسبة لك مثل ( ابخة ) . لقد  
قدمت توضيحاً ، لأنك كنت ضحية » .

كان الناس الذين يرون في الشارع يذبذبون الضوء داخل المحل . وتقتب في حطام اليوم بحثاً عن كلمات والدر وتعبير وجهه حين كان يقولها : « إنها محكمة بوليس تقيمها أنت بنفسك . ويكون عليك أن تدفع قيمة لمخالفة ، نوع منها ، لكيلا ينطفىء نوره » ذلك ما قاله الرجل وكان والدر الذي يعيش في عالم المنحرفين المطمئن ، قد بهره بمبصص نور متألق من الأمانة .

لكيلا ينطفىء نوري . هل قالها ألفيو بتلك الطريقة ؟ إن والدر لا يدري ، ولكن ما يعرفه فعلاً ، هو أن ذلك ما قصدته ماروللو .

وتتبعته الحية التي كانت على الطلسم ثم عدت إلى البداية ، التي كانت هي النهاية . لقد كان ذلك ضوءاً قديماً ، لقد وجد آل ماروللو طريقهم منذ ثلاثة آلاف سنة خلال مسالك الذئب إلى احتفال الخصب والنعاء على قمة أحد تلال روما السبعة وهو تل البلاتين ، ليقدّموا قربانهم إلى الإله بان الذئبي ، الذي يحمي القطعان من الذئب . ولم ينطفىء ذلك الضوء حتى الآن . إن ماروللو ، القبرصي ، المهاجر القدر ، الملون ، قدم قربانه لنفس الإله من أجل نفس السبب . ورأته مرة أخرى يرفع رأسه خارج رقبتة السمينة المترجرجة وكتفيه المتألمين ، رأيت الرأس النبيل ، والعينين البارقتين - ثم رأيت الضوء . وتساءلت ماذا سيكون أجرى ، ومتى أستحقه . لو أنني أخذت طلسمي إلى الميناء القديم وألقيت به في البحر - فهل يكون ذلك اعتذاراً مقبولاً ؟

لم أجذب الستائر . فنحن نتركها مرفوعة في أثناء العطلات الطويلة . لكي يستطيع رجال الشرطة أن ينظروا داخل المحل . كان المخزن مظلماً . وأغلقت قفل باب الحارة ، وحين كنت في منتصف الطريق عبر الشارع تذكرت

صندوق القبعة الموجود خلف الطاولة .

ولم أعد لأخذه ، فيشير ذلك نوعاً من التساؤل . أخذت الريح تشتد مساء يوم السبت ذاك ، وهي تهب صارخة في شغف من الجنوب الشرقي كما ينبغي أن تفعل ، لكي تجلب المطر ليغرق الذين يقضون عطلتهم . وفكرت في أن أضع لبناً يوم الثلاثاء للقط الرمادي ، ثم أدعوه ليكون ضيفاً على في محلي .



## الفصل السابع عشر

لأدرى على وجه اليقين كيف تكون دخيلة الناس الآخرين - فهم جميعاً يختلفون وهم جميعاً يتشابهون في نفس الوقت . إننى أستطيع التخمين فحسب . ولكنى أعرف كيف أتملص وأتلقى لأتجنب حقيقة مؤلمة ، وفى النهاية ، حين لا يكون أمامى مجال للاختيار ، سأتهرب منها مؤملاً أنها سوف تذهب بعيداً . هل يقول الناس الآخرون بجد متكلف : « سأفكر فى ذلك غداً حينما أكون مستريحاً » . ثم يجذبون على أنفسهم غطاء من المستقبل الآمل أو الماضى النظيف . مثل طفل يقاوم بعنف حتمية ذهابه للفراش ؟

وقادتنى خطواتى المتراكمة تجاه البيت ، خلال منجم للحقيقة . كان المستقبل مبذوراً ببذور خصبة من أسنان تدين . وكان الوضع الطبيعى أن أهرع إلى مرفأ آمن فى الماضى . ولكن فى ذلك الدرب ، كانت تنتصب العمدة ديورا متربعة ، كجناح ضخم يضرب فى سرب من الأكاذيب ، وعيناها تتألقان بعلامات الاستفهام . . .

لقد تطلعت خلال نافذة محل المجوهرات إلى سوارات الساعات المفرودة وإطارات النظارات أطول مدة يسمح بها الذوق . وكأن المساء الرطب الحافل بالرياح يحتضن عاصفة رعديّة .

كانت توجد الكثيرات من أمثال عمى العظيمة ديورا فى فترة مبكرة من القرن الماضى ، كن جزائر للفضول والمعرفة . ربما كان إنقطاعهن عن عالم قريناتهن هو ما دفع بهن إلى الكتب ، أو ربما دفعهن ذلك الانتظار الذى يطول

أحياناً ثلاث سنوات ، وأحياناً إلى الأبد ، انتظار عودة السفن إلى الديار ، كان ذلك هو مادفعهن إلى نوع الكتب الذي يملأ سندر تينا . لقد كانت أعظم العلمات العظيمات . كانت عرافة وساحرة في نفس الوقت ، كانت تقول لي كلمات سحرية لا معنى لها ، كلمات حين أستعيدها ، أجدها قد احتفظت بسحرها ولكن ليس بهرائها . كانت تقول ولهجتها تحمل القدر : « من يسواك فاه ويرم ثورث فايجرورد » ثم تقول : « سيوليو جيف هيو بليدز أون بير يچ شأيت آيرست هاير لادتو . » بولابد أنها كانت كلمات عجيبة ، لأنني لازلت أذكرها .

مر إلى جوارى رئيس بلدية نيوبايون مندفاً كسرطان البحر ، ورأسه إلى أسفل ، ولم يلق إلى بتحية المساء إلا رداً على تحيتي التي قدمتها إليه قبلاً . استطعت الإحساس ببيني ، بيت آل هولى العتيق ، من على مبهدة نصف عمارة . كان في الليلة الماضية يتأرجح في نسيج من الكآبة ، ولكنه كان يشع بهجة في هذا المساء الذي يحفه الرعد . إن البيت ، مثل حجر عين الهر ، يتلون بألوان اليوم . وسمعت مارى المهرجة وقع خطواتى على المشى ، وخرجت ترفرف من الباب الزجاجى وكأنها شمعة .

— « لن تحزر أبدا ! » قالتها ، ويدها ممدودتان ، وراحتها إلى الداخل وكأنها تحمل طرداً .

وكان هذا في ذهنى ، وهكذا أجبت قائلاً : « سيوليو جيف هيو بلاندر أون بيرجيث آيت آيرست هاير لاديتوى . »

— « حسناً ، ذلك تخمين طيب جداً ، ولكنه ليس صحيحاً » .

— « لقد قدم لنا معجب خفى دينا صوراً » .

— « خطأ ، ولكنه في مثل تلك الروعة . ولن أخبرك قبل أن تغسل ،

لانه ينبغي عليك أن تكون نظيفاً لكي تسمعه .

— إن الذي أسمعه هو موسيقى أغنية حب يعزفها قرد . وكان هذا ما أسمعه فعلاً — كانت الموسيقى تصرخ منبعثة من حجرة الجلوس ، حيث غمر آلان روحه مع صوت ثائر ملتهب يقول : « في نفس اللحظة التي تاهبت فيها ، لكي أطلب منك أن تتما لكي نفسك قالوا إنني لا أعرف ما يدور بذهني إن نظرتك تدغدغني حينما نمارس الحب ، ثم يقولون إنني لم أستطع معرفة ما يدور بذهني » .

— « أظنني سأحرقه حرقاً ، يا زوجتي السماوية » .

— « كلا ، لن تفعل . لن تفعل قبل أن تسمعي » .

— « ألا يمكنك أن تخبريني وأنا بقذارني ؟ » .

— « كلا » .

وذهبت خلال غرفة الجلوس . وأجاب ابني على تحيتي بتعبير حاد من قطعة

من اللادن .

— « آمل أن يكون قلبك الولهان الوحيد قد طار . »

— « هه ؟ »

— « فلتقل هه ، ياسيدي ! آخر مرة سمعت فيها هذه الأغنية ، تناول

شخص ما الأسطوانة وقذفها إلى الأرض . »

فقال : « إنها أغنية الموسم ! أغنية الموسم في البلاد كلها . لقد بيع منها

مليون نسخة خلال أسبوعين . »

— « رائع ! إنني سعيد لأنك تمسك بالمستقبل بين يديك ! » واشتركت

مع الكورس التالي في أثناء صعود الدرج . « إن نظرتك تدغدغني حينما نمارس

الحب ، ثم يقولون إننى لم أستطع معرفة ما يدور بذهنى . «  
كانت إيلين تطاردنى وى يدها كتاب ، وضعت أحد أصابعها بين صفحاته  
إننى أعرف طريقته . ستسألنى ماتعتقد إنى أظنه سؤالاً ممتعاً ، وبعدئذ تدع  
لسانها ينزلق بما أرادت مارى إخبارى به . إنه نوع من الانتصار بالنسبة لإيلين  
أن تخبرنى هى أولاً . ولن أقول إنها نمامة ، ولكنها كذلك . ولوح بأصبعين  
مقاطعين .

— « الملك لن يسمع . »

— « ولكن يا أبى »

— « لقد قلت الملك لن يسمع ، يا آنسة روتهاوس روبرب ، وإننى أعنى  
أن الملك لن يسمع . » وأغلقت الباب بهننف وأنا أصبح : « إن حمام الرجل هو  
قلعته . » وسمعت ضحكاتها . وأنا لا أتق بالأولاد حين يضحكون من نكأتى .  
ودعكت وجهى حتى أحمر ، وأسنانى بالفرشاة حتى أدميت لثتى . وحلقت ذقتى ،  
ثم لبست قميصاً نظيفاً ورباط البايون الذى تكرهه ابنتى ، كإعلان للثورة .  
كان قلب مارى يخفق من نفاذ الصبر حين واجهتها .

— « لن تصدق الأمر . »

— « مسيو ليوجيف بليدز أون بيرجيث . تكلمى . »

— « إن مارجى هى أطف صديقتى على الإطلاق . »

— « إننى ساستشهد بالتالى — « إن الرجل الذى اخترع ساعة الكوكومات .

هذا خبر قديم ولكنه طيب ! »

— « إنك لن تحزر أبدا — إنها سترعى الأولاد لكى تتمكن من القيام

بمهماتنا . »

- « هل هذه خدعة ؟ »
- « لم أطاب إليها ذلك ، بل هي التي عرضت . »
- « إنهما سيأكلانها حية . »
- « قل إنهما مجنونان بها . إنها تنوى أخذها إلى نيويورك بالقطار يوم الأحد ، ثم يقون طيلة الليل في شقة صديقة لها ، وفي يوم الاثنين يشاهدون الراية الجديدة ذات الخمسين نجمة وهي ترتفع فوق ( روكفلر سنتر ) ، ثم يشاهدون الاستعراض و - وكل سي . »
- « لا أستطيع تصديق هذا . »
- « أليس ذلك هو أفضل شيء ؟ »
- « إنه الأفضل جداً . وسنهرع نحن إلى أحراش موتوك ، يافأرتي ؟ »
- « لقد اتصلت تليفونياً وحجزت غرفة بالفعل . »
- « هذا هديان . إنني سأنفجر . أشعر بأنني أمتليء بالفرحة . »
- كنت قد فكرت في إبلاغها موضوع الحل ، ولكن الكثير جداً من الأخبار يحدث تجمداً . الأخرى أن أنتظر وأخبرها ونحن في الأحراش .
- وجاءت إيلين منزلقة إلى داخل المطبخ . « بابا ، لقد اختفى ذلك الشيء القرمزي من الخزانة . »
- « أنه معي . معي هنا في جيبى . هاك ، بإمكانك أن تعيده . »
- « ولكنك قلت لنا ألا نأخذه بعيداً أبداً . »
- « ولا أزال أقول ذلك ، وعقوبة أخذه هي الموت . »
- واختطفته بشيء من شراهة ، ثم حملة في كلتا يديها إلى غرفة الجلوس . كانت عينا ماري مثبتتين على في غموض وكآبة ، وقالت : « لماذا أخذته ، يا إيشان ؟ »
- « ليجلب الحظ ، يا حبيبتى . وقد أفلح . »



## الفصل الثامن عشر

أمطرت السماء في يوم الأحد ، الثالث من يولييه ، مثلما ينبغي لها أن تفعل ، قطرات سمينة أكثر إبلالاً من المعتاد . وشققنا طريقنا وسط ديدان حركة المرور المبللة المنقسمة على نفسها ، ونحن نحس بقليل من العظمة وبأننا عاجزون ضائعون ، مثلما يحدث لطيور تربت في أقفاص ثم أطلق سراحها ، وعندما أبرزت الحرية أنيابها أصابنا الخوف . كانت ماري تجلس منتصبية ، تفوح منها رائحة القطن الحديث الكي .

— « هل أنت سعيدة - هل تشعرين بالمرح ؟ »

— « إنني لا أزال أنصت إلى صوت الأولاد وهو يرن في أذني » .

— « أعلم ذلك . كانت العمة ديבורا تسمى ذلك ، الوحدة السعيدة .. »

اشرعى في الطير ، ياطأرى ! فما تلك القلابات الطويلة التي على كتفيك

سوى أجنحة ، أيها السجينة .

وابتسمت ثم استكانت ملتصقة بي : « هذا طيب ، ولكنني لا أزال أسمع

صوت الأولاد . وإني لأفكر ماذا يفعلان الآن ؟ »

— « كل ما يمكنك أن تخمنيه تقريباً ما عدا التفكير فيما فعله نحن » .

— « أظن ذلك صحيحاً . فهما لايهتمان حقاً بهذا » .

— « فلنقتد بهما إذن . ( حينما رأيت سفينتك تنزلق قريباً مني ، أنت

ياثعبان النيل ، عرفت أن اليوم يومنا . وسيستجدي أوكتافوس

الليلة لقمة عيشه من واحد من رعاة الإغريق ) » .

- « إنك لأحق . إن آلان لا ينظر قط إلى مواطىء قدميه ، وقد يخطو مندفعاً وسط المواصلات مخالفاً إشارة مرور » .
- « أعرف ذلك . وكذلك للمسكينة الصغيرة إيلين بقدمها الشوهاء . حسناً ، إن لها قلباً طيباً ووجهاً ، وقد يحبها شخص ما فيبتر قدميها » .
- « أوه ! دعنى أشعر بالقلق قليلاً ، فإننى حين أفضل أحس أننى أفضل حالاً » .
- « لم أسمع هذا المعنى يصاغ بكلام أفضل من ذلك . ولكن هل سنقلب معاً جميع الاحتمالات المرعبة ؟ »
- « أنت تعرف ما أقصد » ؟
- « أجل . ولكنك أنت ، يا صاحبة السمو ، التى أتيت بهذا الإحساس إلى الأسرة . إنة يسرى فى خطمها النسأى فحسب ، فى علقاتها الصغيرة » .
- « لا أحد يحب أطفاله أكثر منك » .
- « ذنبى يعادل ذنب عشرة أشخاص ، لأننى خبيث كظربان » .
- « وأنا أحبك » .
- « والآن هذا هو نوع الانزعاج الذى أستحسنه . أتزين ذلك الكتيب ؟ انظرى كيف يصمد نبات الرتم الشوكى ونبات الخناج ، وكيف يشق الرمل طريقه تحته وكأنه أمواج صغيرة صلبة . إن المطر يضرب الأرض ثم يقفز إلى أعلى مباشرة على شكل ضيابة رقيقة . كنت أعتقد دائماً أن هذا المكان يشبه دارتمور أو إكسمور ، ولم أكن قد رأيتهما أبداً إلا على صفحات الكتب . أتدريين أنه لابد أن يكون المهاجرون الأول من ديفون إلى هنا قد أحسوا أنهم فى وطنهم . أتعتقدين أن هذه البقعة مسكونة ؟ »



— « إذا لم تكن ، فستسكنها أنت » .

— « يجب ألا تقولى تقریظاً إلا إذا اقصدته » .

— « لا مجال لهذا الحديث الآن . تطلع إلى الطريق الجانبى . إن لوحته تحمل اسم « مور كروفت » . كانت اللوحة تحمل ذلك الاسم فعلاً ، وكان الشيء اللطيف فيما يتعلق بذلك الطرف الرفيع المنزلى الشكل من جزيرة لونغ إيلاند ، هو أن المطر يفوص فى تربتها ولا يكون هناك ثمة وحل . واخترنا لأنفسنا غرفة كبيت الدمية ، جديدة ومخططة ، وبها فراشان طريان كقطيرة ، ومن النوع الذى يمكن جعله فراشاً واحداً .

— « إننى لا أحب تلك الأسرة » .

وفى عظمة لزجة ، تناولنا عشاءً من ( جمبرى ) من المشوى المقهور فى نبيذ أبيض - كميات هائلة من النبيذ الأبيض مما جعل عيني مارى تتألقان ، وأخذت أملاً لها كئوس الكونياك فى إغراء حتى طنت رأسى أنا . وتذكرت هى رقم غرفتنا ، واستطاعت هى أن تجد ثقب المفتاح . لم أكن نائموراً للدرجة التى تمنعنى من أخذ طريقى معها ، ولكنى أعتقد أنه كان باستطاعتها الهرب منى لو أرادت . وبعدها ، وفى شوق إلى الراحة وضعت رأسها فى نعاس على ذراعى الأيمن وابتسمت وهى تصدر أصواتاً متشاببة خافتة .

— « هل هناك ما يقلقك ؟ »

— « يالها من فكرة ! أنت تحلمين قبل أن تنامى » .

« إنك تعمل جاهداً لكي تسعدني ، ولكني لا أستطيع التوصل إلى

ما يدور في أعماقك . هل أنت قلق ؟ »

يا لها من فترة غريبة تتوفر فيها القدرة على الرؤيا ، تلك الفترة التي يكون

فيها المرء على أولى عتبات النوم .

« أجل ، إنني قلق . هل يطمئنك ذلك ؟ لا أريد منك أن تكرري

ذلك ، ولكن السماء تهاوى وقد سقطت قطعة منها على ذيلي . »

كانت قد استغرقت في سبات عذب ، وعلى شفيتها بسمة الإله بان .

وسحبت ذراعى من تحتها نخلصته ، ثم وقفت بين الفراشين . كان المطر قد

انقضى فيما عدا سحبات تدسافط من السقف ، وتلا لأ القمر في تربيعة عاكساً

صورته في بليون من القطرات الصغيرة . « أحلاماً سعيدة ، يا حبيبتي الغالية .

لا تدعى السماء تهاوى فوقنا . »

كان فراشاً يارداً بالغ النعومة ، ولكني استطعت رؤية القمر الخاد يشق

طريقه خلال السحب الهاربة تجاه البحر . ثم سمعت عرخة طائر الواق التي تشبه

صيحة شبح . وشبكت أصابع يدي الاثنتين - فلاً كن الملك إكس لبرهة

لبرهة . أو بديل الملك إكس . لم يكن ما سقط على ذيلي يعدو حبة فاصولياء فحسب .

لو أن الفجر جاء يصحبه أى رعد لما سمعته . فحين استيقظت كانت الدنيا

كلها خضراء ذهبية ، فيها سواد يبعثه نبات الخلفج ، وشحوب من السرخس

وحمرة تشوبها ، صفرة من كثيب الرمل الرطب ، وعلى بعد غير شاسع تألق

المحيط الأطلسي مثل النضة المطروقة . وبحوار منزلنا قامت شجرة سنديان عجوز

ملتوية ، أرست بحوار جذرها حشيشة بحر ضخمة كأنها وسادة تتماوج في خط

رمادي يشوبه بياض لؤلؤى . وبين بيوت الدمي التي تكون المستعمرة الصغيرة

كان يوجد ثمة ممر منحني من الحصى يؤدي إلى المبنى الكبير المغطى بالقرميد الأحمر الذي يمد تلك البيوت جميعاً بالغذاء . وهنا كان يوجد مكتب الإدارة ، و بطاقات البريد ، والهدايا ، وطوابع البريد ، وتوجد كذلك قاعة الطعام بأغطية مناضدها المحلاة بالأزرق ، حيث كنا نحن الذي نستطيع تناول طعامنا .

كان المدير في مكتب حساباته ، يراجع قائمة ما . وكنت قد لاحظته حين قيدينا اسمينا ، رجل ذو شعر كالقش ، وذقن قلما تحتاج إلى حلاقة . وكان يبدو من الوهلة الأولى متلصصاً مهتكا ، وهكذا بعث فيه مرحنا الأمل بأن نزهتنا خفية حتى كدت أوقع في دفتره باسم « جون سميث وزوجته » لأمنحه السرور . كان يتشمم بحثاً عن الخطيئة . وقد بدا في الحقيقة ، وكأنه يرى بأنفه الطويل الحساس مثلما يفعل الخلد .

وقلت له : « طاب صباحك » .

ورفع أنفه إلى مستواي : « هل نتما جداً ؟ »

— « على مايرام . إني لأتساءل إذا ما كنت أستطيع أن أحل صينية عليها

طعام الإفطار إلى زوجتي » .

— « إننا تقدمه في قاعة الطعام فحسب من الساعة والنصف إلى الساعة

والنصف » .

— « ولكن لوحلته أنا بنفسى ... » .

— « إن هذا مخالف للقواعد » .

— « ألا نستطيع أن نخالفها هذه المرة ؟ أنت تعلم وضعنا » . وقد قذفته بهذه

الجملة لأن ذلك ما كان يأمل فيه

وكان سروره مكافأة كافية لي . فقد تندت عيناه وارتعد أنفه : « إنها تشمر

بشيء من الخجل ، أليس كذلك ؟ »

— « حسناً ، أنت تعلم كيف يكون الوضع . »

— « لأدرى ماذا سيقول الطاهى . »

— « أطلب منه ، وأخبره أن هناك دولاراً يقف على أطراف قدميه منتظراً

إياه على قمة الجبل الذى يحيط به الضباب . »

كان الطاهى يونانياً ، ووجد أن فكرة الدولار جذابة . وفى موعد الإفطار

كنت أحمل صينية ضخمة مغطاة بمنشفة ، وأسير بها فى المعمر المغطى بالحصى ، ثم

وضعتها فوق مقعد ريفى بينما أخذت أقتطف صحبة من الأزهار البرية الصغيرة ، لكي

تضفي جمالاً على أفتار حبيبتي الملكى .

لعلها كانت مستيقظة ، ولكنها فتحت عينيها على أية حال وقالت :

« إننى أشم رائحة قهوة أوه ! أوه ! ياله من زوج لطيف - و - وأزهار - كل تلك

الأزهار الصغيرة التى لا تفقد عبيدها أبداً . »

تناولنا إفطارنا ، ثم شررنا قهوة ثانية واستندت ماري فى فراشها ، وهى

تبدوا أكثر شباباً وبراعة من ابنتها . وتكلم كل منا فى احترام عن كيف

نمنا جيداً .

لقد حانت لحظتى المناسبة : « أريحى نفسك ، فلدى أبناء محزنة ومفرحة معاً . »

— « طيب ! هل اشتريت المحيط ؟ »

— « إن ماروللو فى مشكل . »

« ماذا ؟ »

— « لقد جاء إلى أميريكاً منذ أمديعيد دون أن يطالب تصريحاً بالدخول . »

— « وهم يطلبون منه الآن منادرة البلاد » .

— « مطروداً ؟ »

— « أجل . »

— « ولكن ذلك فظيع » .

— « إنه ليس أمراً لطيفاً » .

— « وماذا سنفعل ؟ ماذا ستفعل ؟ »

— « لقد انتهى وقت اللعب . فقد باعنى المحل - أو بالأحرى باعك إياه .

لأنها نقودك . يجب أن يحيل ممتلكاته إلى مال وهو يجبنى ، ولذا فقد منحنى إياه - مقابل ثلاثة آلاف دولار » .

— « ولكن ذلك فظيع . أتعنى - أتعنى أنك تمتلك المحل ؟ »

— « أجل » .

— « إنك لم تعد موظفاً . لم تعد موظفاً ! »

وتدحرجت ووجهها إلى أسفل بين الوسائد ، ثم بككت ، فى زفرات ضخمة

كانت تملأ صدرها كله ، مثلما يحتمل أن يفعل العبد حين يتحطم القيد عن عنقه .

خرجت إلى واجهة الكوخ المنحدرة ، وجلست تحت الشمس حتى استعدت .

وحين فرغت وغسلت وجهها ومشطت شعرها وارتدت منامتها ، فتحت الباب

ونادت على . كانت مختلفة عن ذى قبل ، وستبقى دائماً مختلفة . وما كان عليها

أن تقول ذلك ، فقد قالت ارتقاعة عنقها . واستطاعت أن ترفع رأسها عالياً .

لقد عدنا مرة أخرى إلى طبقة السادة .

— « ألا نستطيع أن نفعل أى شىء لمساعدة المستر ماروللو ؟ »

— « أخشى ألا نستطيع » .

— « كيف حدث هذا؟ من الذى اكتشف الأمر؟ »

— « لا أدرى » .

-- « إنه رجل طيب . ما كان ينبغى عليهم أن يفعلوا ذلك به . كيف

يتقبل الوضع؟ »

— « بكبرياء وعزة نفس » .

تمشيتنا على الشاطئ . مثلما اعتدنا أن نفعل ، جلسنا فوق الرمال ، والتقطنا صدقات صغيرة متألقة ، وأراها كل منا للآخر ، كما ينبغى لنا أن نفعل ، وتحدثنا فى تعجب تقليدى عن الأشياء الطبيعية ، عن البحر ، والهواء ، والضوء ، والشمس التى ترطب الريح من حرارتها ، وكأن الخالق كان يتسمع علينا ليتلقى تهانينا .

وفقدت مارى اهتمامها . وأعتقد أنها أرادت العودة إلى بيدها بوضعها الجديد ، لترى النظرة المختلفة فى عيون النسوة وتغير نعمة التحايا فى شارع هاى . وأظن أنها لم تعد بعد « مارى هولى المسكينة ، التى تعمل كثيراً جداً » . لقد أصبحت مسز إيثن آلان هولى وستظل كذلك أبداً . وكان على أن أحفظ لها تلك المكانة . وقضت اليوم لأنه كان مخططاً ومدفوعاً أجره ، ولكن الصدقات الحقيقية التى كانت تقلبها وتتفحصها إنما كانت أيامها القادمة المتألقة .

تناولنا غذائنا فى قاعة الطعام ذات المربعات الزرقاء ، حيث خيب سلوك مارى وثقتها من مركزها ومكانتها ، أمل مسترمول . كانت أنفه الحساسة قد انحلمت من مفصلها الذى كان يرتعد فى فرح كبير حين يشم رائحة الخبيثة . واكتمل تحطم وهمه حين اضطر بالهجوم إلى منضنتنا ليقرر أن هناك مكالمة تليفونية للسيدة هولى .

— « من الذى يعرف أننا هنا؟ »

- « مارجى ، طبعاً . كان على أن أخبرها من أجل الأولاد . آه ! أتشم  
إنه لا ينظر الى مواطىء قدميه ، كما تعلم ؟ »
- موعات وهى ترتعد كنجمة . « لن تحرز أبدا . لن تستطيع » .
- « أستطيع أن أحرز إنه خبر طيب » .
- « لقد قالت : هل سمعت الأخبار ؟ هل استمعت إلى المذيع ؟ واستطعت  
أن أعرف من صوتها أنها ليست أخبارا سيئة » .
- « ألا يسعك أن تقول لها ، ثم تعودى بعد ذلك إلى الكيفية التى  
قالتها لك بها ؟ »
- « لا يسعنى تصديقها » .
- « ألا يمكنك أن تدعنى أحاول تصديقها ؟ »
- « لقد فاز آلان بمرتبة الشرف » .
- « ماذا ؟ آلان ؟ قصى على ! »
- « لقد فاز بمرتبة الشرف فى مسابقة المقال على البلاد كلها » .
- « كلا ! »
- « بل فاز . خمسة فحسب فازوا بمرتبة الشرف — وساعة جائزة ، وسيظهر  
فى التليفزيون . هل تستطيع تصديق هذا ؟ أحد المشاهير فى الأسرة » .
- « لا أستطيع التصديق . أتعنين أن كل ذلك الغباء كان مصطنعاً ؟  
ياله من ممثل ! إن قلبه المحب الوحيد لم يقذف على الأرض إطلاقاً » .
- « لا تهزل . بل فكر فحسب فى أن ولدنا واحد من خمسة صبية فى الولايات  
المتحدة بأكلها فازوا بمرتبة الشرف — وبالظهور فى التليفزيون » .
- « وساعة جائزة ! إنى لأعجب هل يستطيع أن يحدد بوساطتها الوقت »

- «إيثان ، إذا كنت ستسخر ، فسيعتقد الناس أنك تفار من ابنك » .
- « إننى مذهول فحسب . كنت أعتقد أن أسلوبه فى النشر يكاد يصل إلى مستوى الجنرال إيزنهاور وليس لآلان شيطان يساعده على الكتابة » .
- « إننى أعرفك ، ياإيثان . أنت تقسلى بالحط من قورهم ، ولكنك أنت الذى تفسدهم . إنه أسلوبك الخفى فحسب . وإنى أريد أن أعرف — هل عاوتته فى كتابة مقاله ؟ »
- « عاوتته ! إنه لم يدعى حتى أراها » :
- « حسناً — إذن فالأمر على مايرام . لم أكن راغبة فى رؤية الغرور يتملكك لأنك كتبتهاله » .
- « إننى لأستطيع أن أفهم الأمر . إنه يتجه إلى إظهار أننا لانعلم الكثير عن أبنائنا الذين من صلبنا . وكيف تتقبل إياين الأمر ؟ . »
- « مزهوة طبعاً ، كالتاوس . لقد كانت مارجى فى غاية الانفعال بحيث استطاعت بالكاد أن تتكلم إن الصحف تريد إجراء محادثات معه — والتليفزيون إنه سيظهر فى التليفزيون ألاتدرك أنه ليس لدينا حتى جهاز لنشاهده فيه ؟ ومارجى تقول إننا نستطيع رؤيته فى جهازها . أحد المشاهير فى العائلة ! إيثان ، ينبغى أن يكون لدينا تليفزيون » .
- « سنشترى واحد . سيكون أول ماأفعل صباح الغد ! هو شراء واحد أو لماذا لا تأمرين بإرسال واحد ؟ »
- « أنستطيع ذلك حقا — ياإيثان ، كنت كنت قد نسيت أننا نمتلكه الحل ، نسيت تماماً . هل تستطيع أن تتصوريهذا ؟ أنه أحد المشاهير » .
- « آمل أن نستطيع الحياة معه » .



« دعه يستمتع بيومه . ينبغي أن نشرع في العودة . إنهم آتون في قطار السابعة والدقيقة الثامنة عشرة . أو كما تعلم ينبغي أن نكون هناك ، كنوع من استقباله . »

— « ونخبز فطيرة »

— « سأفعل ذلك . »

— « ونعلق أوراق الزينة . »

— « إنك لا تشعر بحسد دنيء ، أليس كذلك ؟ »

— « كلا . إنني مأخوذ . أعتقد أن ورق الزينة يكون شيئاً رائعاً ، على أن

يشمل البيت كله . »

— « ولكن ليس خارجه . فسيبدو ذلك - تباهاً . لقد قالت مارجي لم

لا تتظاهر بأننا لا نعرف ثم نتركه يخبرنا ؟ »

— « أنا لا أوافق . فقد ينجل . وسيبدو له وكأننا لم نحفل للأمر . كلا ،

بل ينبغي أن يعود إلى البيت ليستقبله التهليل وصيحات النصر ثم كعكة . وإذا

كان هناك تمة محل مفتوح ، فسأشترى له ألماً نارياً . »

— « إن الأكشاك التي على جانبي الطريق .. »

— « طبعاً . سنعمل ذلك في طريق عودتنا إلى البيت - إذا كان قد بقي

بها تمة شيء . »

خفضت ماري رأسها لحظة وكأنها تتلو صلاة . « أنت تمتلك المحل ، وآلان

أحد المشاهير . من كان يظن أن كل ذلك كان يمكن أن يحدث مرة واحدة ؟  
إيثان ، ينبغي أن نشرع في العودة للبيت . ينبغي أن نكون هناك حين يأتون .  
لم تبد بتلك الصورة ؟ » .

— « لقد زحف على الأسر وكأنه موجه — ما أقل ما نعرفه عن أى شخص ،  
وهذا يبعث في رعدة كالتي تبعثها البرقات مصاصة الدماء . وأذكر في أثناء احتفال  
عيد الميلاد ، أنني بدلاً من الابتهاج ، شعرت بمرارة كمرارة ( المش ) . »  
— « وما هو المش ؟ »

— « إنه الومع الذي جاء إلى أذني حين سمعت العمدة ديبورا العظيمة تنطق

كلمة Weeshmez »

« وما تلك الكلمة ؟ »

— « هناك أوزة تسعى على قبرك » .

« أوه ! إذن فالأمر هكذا ! حسناً ، لا تهادى في ذلك . فإني أعتقد أن  
هذا أحسن يوم في حياتنا كلها . وسيكون — نكرانا للجميل إلا نعتف بذلك .  
والآن اطرد بعيداً مرارتك تلك . إنه اسم مضحك ( مش ) . فلتدفع الحساب .  
وساعد حاجياتنا » .

ودفعت الفاتورة من النقود التي طويت على شكل مربع صغير محكم الطي .

سوّالت المستر مول : « هل بقيت لديك أى ألعاب نارية في قسم الهدايا ؟ »

— « أظن ذلك . سأرى .. هاهي ذى . كم تريد ؟ »

فقلت : « كل ما لديك ، فقد صار ابننا أحد المشاهير » .

— « حقاً ؟ وأى نوع من المشاهير ؟ »

— « يوجد نوع واحد من الشهرة فحسب » .

- « أتقصد في مثل شهرة ديك كلارك أو شينا من ذاك القبيل ؟ »
- « أو شهرة تشيسان أوديلينجر »
- « إنك تمزح . »
- « وسيظهر في التليفزيون . »
- « في أية محطة ؟ متى ؟ »
- « إنني لا أدري — بعد . »
- « سأترقب ذلك . ما اسمه ؟ »
- « نفس الاسم الذي أحمله . إيثان آلان هولى — إنه يدعى آلان »
- « حسناً ، لقد شرفنا وجودك أنت والمسز آلان بيننا . »
- « المسز هولى . »
- « طبعاً . أنعمش أن تأتي مرة أخرى . لقد أقام هنا كثير من المشاهير .  
إنهم يأتون إلى هذا المكان طلباً — للهدوء . »
- جلست ماري منتصبية مزهوة ، ونحن نسير على الطريق الذهبي متجهين ،  
إلى البيت وسط حية المواصلات البطيئة للمتلاثة .
- « لقد أحضرت صندوقاً كاملاً من الألعاب النارية ، فيه ما يزيد  
على المائة . »
- « لقد صرت الآن أقرب ما تكون إلى طبيعتك ، يا عزيزى . إنه  
لأنساءل هل عاد آل بيكر بعد . »



## الفصل التاسع عشر

كان مسلك ابني حسناً ، وقد تملكه هدوء الأعصاب والعطف علينا . فلم يفتقم ، ولم يأمر بإعدام أحد . وتقبل ما حظى به من شرف وما أسدغنا عليه من ثناء ، على أنه حق له ، دون غرور أو تواضع مبالغ فيه . وتقدم إلى مقعده في حجرة الجلوس ثم أدار مذياعه قبل أن ينطلق أزيز الألعاب النارية المائة وتستحيل إلى عصي سوداء . كان من الواضح أنه قد غفر لنا ذنوبنا . ولم أر قط صبياً يتقبل العظمة بكياسة أكثر منه .

كانت في الحقيقة ليلة العجائب . فإذا كان ارتقاء آ لان السهل إلى عنان السماء أمراً مدهشاً ، فكم كان رد الفعل لدى إيلين أكثر إثارة للدهشة . فقد أنبأتني بضع سنوات من الملاحظة الدقيقة الإيجابية للآنسة إيلين ، أن الحسد سيسحقها ويدمرها ، وأنها ستبحث بالفعل عن وسيلة ماتقلل بها من عظمة أخيها . ولكنها خيبت ظني ، فقد كانت هي المحتفية بأخيها . كانت إيلين هي التي أخبرتنا كيف كانوا يجلسون في شتة أنيقة تقع في الشارع السابع والستين بعد قضاء أمسية ساحرة ، وهم يشاهدون - عرضاً - نشرة الأنباء الأخيرة في محطة تلفزيون سي . بي . إس ، حين أعلن خبر فوز آلان . وكانت إيلين هي التي أعادت سرد ما قالوه ساعتها ، وكيف كانت حالتهم ، وكيف استولت الدهشة عليهم بحيث كان في وسعك أن تطرحهم أرضاً بدفعة من ريشة . وجلس آلان ساكناً نائياً بأفكاره ، بينما كانت إيلين تحكي كيف سيظهر مع الأربعة الآخرين ، وكيف سيقرا مقاله بينما يتطلع إليه الملايين وينصتون ، وفي فترات توقفها عن الحديث كانت ماري تصدر صوتاً كنفيق اللدج اينم

عن سعادتها . تطلعت إلى مارجى يانج هنت ، كانت مستغرقة في أفكارها  
مثلاً تفعل في أثناء قراءتها للطالع . وتسلك إلى الغرفة سكون مظلم .  
قلت : « لا مفر لنا . فهذه المناسبة تستدعى تقديم الجمعة المثالجة لكل من  
بالمكان » .

— « ستحضرها إيلين . أين إيلين ؟ إنها تنسل داخله وخارجة كالذئبان » .  
وقفت مارجى يانج هنت في عصبية ، وقالت : « هذه حفلة أسرته ،  
وينبغي أن أذهب » .

— « ولكنك جزء منها ، يامارجى . أين ذهبت إيلين ؟ »  
— « لا تضطربنى يامارى إلى التصريح بأننى أشعر بقليل من التعب فى .  
عجزى » .

— « إنك متعبة فعلاً ، ياعزيزتى . ولكنى دائماً أنسى ذلك . وقد نلتنا  
نحن راحة جيدة ، لن نتصورى أبداً أى قسط من الراحة نلنا .  
والفضل يرجع إليك » .

— « لقد أحببت أن أفعل ذلك ، ولم أكن لأتأخر عن فعله » .  
كانت تريد الانصراف ، بل وبسرعة . فتقبلت شكرنا وشكر آلان ثم  
هرعت إلى الخارج .

قالت ماري بهدوء : « لم نخبرها بأمر الحل . »  
— « دعك من ذلك ، لأنه سيكون سطواً على احتفال « صاحب السعادة »  
وهذا حقه . أين ذهبت إيلين ؟ »

فقالت ماري : « ذهبت لتنام . ذلك تفكير سيدي ، ياعزيزتى ، وأنت على  
صواب . لقد كان يوماً عظيماً ، يا آلان . وقد حان وقت ذهابك للفراش » .

- وقال آلان في رقة : « أظننى سأجلس هنا قليلاً » .
- « ولكنك محتاج للراحة » .
- « إننى مستريح » .
- ونظرت مارى إلى طالبة المساعدة .
- « هذه هى الفترات التى يختبر فيها جوهر الرجال . بوسعى أن أشبعه ضرباً ، كما أننا نستطيع أن ندعه يمارس انتصاره حتى علينا » .
- « ولكنه فى الحقيقة لا يندو أن يكون صبياً صغيراً . وهو محتاج للراحة . »
- « إنه محتاج لعديد من الأشياء ، ولكن الراحة ليست واحدة منها » .
- « كل امرئ يعرف أن الأطفال يحتاجون إلى الراحة » .
- « إن الأمور التى يعرفها كل امرئ ، هى فى الغالب أقرب الأمور إلى الخطأ . هل عرفت قط طفلاً مات من العمل الزائد ؟ كلا . البالغون فحسب هم الذين يموتون بهذا السبب . أما الأطفال فهم أذكى كثيراً من أن يفعلوا ذلك . وهم يستريحون عندما يحتاجون للراحة » .
- « ولكن الوقت بعد منتصف الليل » .
- « إنه كذلك يا عزيزتى ، وسينام حتى ظهر الغد . أما أنت وأنا فسنكون مستيقظين فى السادسة » .
- « أتعنى أنك ستأوى إلى فراشك وتتركه جالساً هنا ؟ »
- « إنه فى حاجة إلى الانتقام منا لأننا أنجبناه » .
- « لا أدري عن أى شئ تتكلم . أى انتقام ؟ »
- « بودى أن أعقد معك مفاوضات ، لأن الغضب أخذ يتملكك »

— « وإني كذلك . فقد أخذ الغباء يتملكك » .  
— « سأدفع لك سبعة وأربعين مليوناً وثمانمائة وستة وعشرين دولاراً  
وثمانين سنتاً ، إذا لم يتسلسل إلى مخدعه خلال نصف ساعة من ذهابنا للفراش » .  
حسناً ، خسرت الرهان ، وينبغي علي أن أدفع لها . فقد انقضت  
خمس وثلاثون دقيقة بعد أن تمنينا له ليلة سعيدة ، حين صر السلم تحت أقدام  
ابننا الشهير .

وقالت ماري : « إني أكرهك عندما تكون على صواب » . كانت قد  
هيات نفسها لقضاء الليل في الإصغاء .

— « لم أكن على صواب ، يا عزيزتي . فقد خسرت الرهان بخمس دقائق .  
وهذا بالضبط ما أذكره »

حينئذ استغرقت في النوم . ولم تسمع إيلين وهي تتسلل هابطة الدرج ،  
مثلما سمعتها أنا . كنت أرقب النقط الحمراء وهي تتحرك في الظلام . ولكنني لم  
أتابع هذه المراقبة ، لأنني سمعت ( تككة ) المفتاح النحاسي الخافتة وهو يدور في  
قفل الدولاب ، فعرفت أن ابنتي تقوم بشحذ عزميتها .

نشطت نقطى الحمراء . فاندفعت هنا وهناك ثم ولت هاربة حين ركزت  
عيني عليها . كان القبطان العجوز يتجنبني . فهو لم يظهر لي بصورة واضحة منذ  
منذ عيد القيامة . فليس حاله كحال العمة هاريت - « الكائنة أعلانا في  
السماء » - ولكن الذي أعرفه فعلاً أن القبطان العجوز لا يظهر لي بصورة  
واضحة حين لا أكون على وفاق مع نفسي . وذلك نوع من اختيار علاقتي  
الشخصية مع نفسي .

وفي هذه الليلة أجبرته على الظهور . استلقيت ممدداً متصلاً بالجسد ، بعيداً



شوق الجانب الذى يخصنى من الفراش . وشدت كل عضلة فى جسمى ، وخاصة عضلات الرقبة والفاك ، وضمت قبضتى على معدتى وأجبرته على الظهور ، بعينيه الباردتين الضيقتين ، وشاربه الأبيض الشائك ، وكتفيه المحنيتين إلى الأمام مما يدل على أنه كان يوماً ما رجلاً قوى الجسم ، وأنه استعمل تلك القوة . بل إنى جعلته يرتدى قبعته الزرقاء ذات الحافة القصيرة اللامعة وحرف « هـ » الذهبى الناجم عن هيلين ، تلك القبعة التى كان نادراً ما يرتديها . وتمتع العجوز ، ولكنى جعلته يحضر ، وأجلسته على سور الميناء القديم المهدم بالقرب من المكان . أجلسه بحزم فوق كومة من حجارة الرصف ، وثبت يديه المضمومتين على قبضة عصاه المصنوعة من ناب الحوت . كان من الممكن لهذه العصى أن تصرع فيلاً .

— « إنى محتاج لشيء أكرهه . فقد تملكنى الأسى والإدراك - وذلك

« ولم . إنى أبحث عن كراهية حقيقية تنزع منى حرارة الألم » .

الذاكرة سمكة مليئة بالببيض الخصب . أبدأ بأثر واحد واضح مفصل ، وهى تقفز للعمل ويكون بوسعها - حالما تبدأ العمل - أن تسير إلى الأمام وإلى الخلف مثل شريط سينماى .

تحرك القبطان العجوز ، وأشار بعصاه قائلاً : « خذ خطأً من الصخرة الثالثة خلف حاجز الأمواج ، ومدّه مع طرف بورتى يوينت ساعة ارتفاع المد ، وحينئذ ستجدها ، أو ماتبقى منها ، مستقرة على مبعدة نصف كابل بحرى من ذلك الخط » .

— « وما طول نصف كابل بحرى ياسيدى ؟ »

— « ما طولهُ ؟ نصف مائة فرسخ بالطبع . كانت قد ألفت مراسيها وتركت

تتأرجح مع المد المنساب . وظلت على تلك الحال سنتين منحوستين ، ونصف

يراميل الزيت التي بها فارغة . وكنت على الشاطىء حين شبت فيها النار حوالى منتصف الليل . وعندما احترق الزيت ، أضاءت البلدة وكأننا ساعة الظهيرة ، وكانت ألسنة اللهب تمتد بعيداً مع الزيت الطافي على سطح البحر حتى أو سبرى . بوينت . ولم يكن بوسعنا سحبها إلى الشاطىء خشية أن تحرق أحواض السفن . وخلال ساعة احترق جزؤها الذى يعلو سطح الماء . وهناك تحت الماء ، ترقد الآن قاعدتها الرئيسية والثانوية - سليمتين . فقد كانتا مصنوعتين من خشب البلوط البكر المقطوع من جزيرة شلتر ، وكذلك كانت زواياها أيضاً .

— « وكيف بدأ الحريق ؟ »

— « لم أعتقد أبداً أنه بدأ . وقد كنت على الشاطىء . »

— « ومن الذى كان يرغب فى حرقها ؟ »

— « أصحابها طبعاً . »

— « ولكنك كنت صاحبها . »

-- « كنت أملك نصفها . ولم يكن بوسعى حرقها . إنى أحب أن أرى

تلك الأخشاب . أحب أن أرى كيف صار حالها الآن . »

• « تستطيع الانصراف الآن ، ياسيدى القبطان . »

— « لكن ذلك وازع هزيل ليبيث فيك الكراهية . »

— « إنه أفضل من لاشىء . سأرفع تلك القاعدة - حالما أغتنى . سأفعل

ذلك من أجلك - على خط من الصخرة الثالثة حتى بورتي بوينت ساعة

ارتفاع المد ، ثم خمسون فرسخاً بعد ذلك . » لم أكن نائماً . كانت قبضتاي

وساعدتي متصلبتين ضاغطتين على معدتي ، كي أمنع القبطان العجوز من

التلاشى ، ولكن حين تركته يمضى طواني النوم .

كان فرعون حين يرى حلماً ، يستدعى مفسرى الأحلام فيخبروه كيف كانت وماستئول إليه الأمور في المملكة . وكان ذلك صواباً لأنه هو نفسه كان للملكة . أما عندما يرى بعضنا حلماً ، ويذهب به إلى مفسر أحلام فإنه يخبرنا عن سير الأمور في حدود وطن أنفسنا . وقد رأيت حلماً لم يحتاج إلى مفسر أحلام . وإننى - مثل غالبية الناس العصريين - لا أؤمن بالنبوءة ولا بالسحر ، وبعدئذ أضع نصف وقتى فى ممارسته .

فى فصل الربيع انتاب آلان شعور بهبوط معنوياته ووحشته ، فأعلن أنه ملحد كى يقتص من الله ووالديه . فقلت له ، عليه إذن ألا يصعد جذع شجرة وإلا فلن يكون أمامه سبيل للنزول ، وألا يسير تحت السلام ويقضى على القطط السوداء بالطعن والقرص وعليه ألا يدعو لتتحقق رغباته عند طلوع البدر الجديد . أكثر الناس خوفاً من أحلامهم يقتنعون أنفسهم بأنهم لا يحلمون على الإطلاق ويمكننى أن أفسر حلمى بسهولة ، ولكن ذلك لا يقلل باى شكل من رهبته . جاءنى أمر من داني ، ولا أدري باى وسيلة بلغنى . ( قال فيه ) إنه مسافر بالطائرة ويريد منى القيام بأمر معينة ، أمور يجب أن أقوم بها بنفسى فهو يريد قبعة لمارى ، وينبغى أن تكون من الشمواه البنى الغامق وهبطنة بالصوف . ينبغى أن تكون من جلد مماثل لجلد خفين قد يمين موجودين عندى مبطنين بجلد الحمل ، وينبغى أن تشبه قبعة لعبة البيسبول ولها قرن طويل . كما طلب منى أيضاً مقياساً يبين سرعة الريح - على ألا يكون مما يصنع من أكواب معدنية صغيرة دوارة ، بل تصنع باليد من الورق المقوى الرقيق الصلب الذى تصنع منه بطاقات البريد الحكومية ثم تتركب على شرائح من الخيزران . وطلب منى مقابله قبل أن يتلع بالطائرة . فحسنت معى عصا القبطان المعجوز المصنوعة من ناب الحوت .

وهي تحفظ جمالة المظلات المصنوعة على شكل قدم فيل والموجودة في صالة بيتنا .  
حين قدمت إلينا قدم الفيل تلك كهدية ، تطلعت إلى الأظافر الضخمة التي  
يلون العاج . وقلت لولدى : « أول طفل منكم يضع طلاء الأظافر على أظافر تلك  
القدم سأشبعه ضرباً — مفهوم ؟ » وقد أطعاني ، فكان على أن أظليها بنفسى —  
بطلاء أظافر أحمر زاه أخذته من منضدة زينة ماري :

ذهبت لمقابلة داني في سيارة ماروالو البونتيك ، وكان المطار هو مكتب  
بريد نيوياريتون . عندما أوقفت السيارة ، وضعت العصا ( المبرومة ) على المقعد  
الخلفي ، فافترب منى سيارة لنقل الجنود فيها شرطيان تبدو عليهما الحسة ، وقالوا  
« لاتضعها على المقعد الخلفي » .

— « هل هذا مخالف للقانون » !

— « إنن فأنت تريد أن تتفلسف » !

— « كلا . بل كنت أسأل فحسب » .

— « حسناً ، لاتضعها على المقعد » .

كان داني في الجزء الخلفي من مكتب البريد يفرز طروداً . وكان يرتدى  
القبعة المصنوعة من جلد الحمل ، ويدير مقياس سرعة الريح المصنوع من الورق  
المقوى . كان وجهه هزياً وشفته مشققتين جداً ، أما يدها فكانتا متفتختين مثل  
قربتي ماء ساخن ، وكأنيهما قد تعرضتا لاسع النحل .

ووقف لمصافحتي ، فغلقت الكتلة المطاطية الدافئة بيدي اليمنى . ووضع شيئاً  
في يدي ، شيئاً صغيراً وثقيلاً وبارداً ، في مثل حجم مفتاح ولكنه ليس بمفتاح  
بل شكلاً ما ، شيئاً معدنيا شعرت من ملسه أنه حماد الأظراف ومصقول .

ولأدرى ماذا كان ، فلم أتطلع إليه وإنما تحببته فقط . وملت مقرباً منه ، ثم قبلتة من فمه ، فأحسست من شفقي أن شفقيه الجافتين مشقتان تماماً وخشنتان وعندئذ صحت مرتعداً ومقروراً . كان الفجر قد بزغ ، واستطعت رؤية البحيرة ولكن دون البقرة الواقفة فيها ، كنت لأزال أستطيع الإحساس بالشفقتين المشقتين الجافتين . وفي الحال نهضت من فراشي إذ لم أشأ الرقاد فيه لأفكر في هذا الحلم . لم أصنع قهوة ، بل ذهبت إلى قدم الفيل ورأيت أن تلك المراوة اللعينة ، المسماة عصا لازالت في مكانها .

كان الوقت وقت اختلاج الفجر ، والجو حار ورطب ، فلم تكن ريح الصباح بدأت هبوبها بعد . وكان الشارع مادياً فضياً والرصيف زلقاً بسبب الفضلات البشرية . لم يكن مقهى الفورماستر قد فتح أبوابه ، ولكنني على أية حال لم أكن راغباً في تناول القهوة . اخترقت الحارة وفتحت باب محلي الخلفي - وتطلعت إلى الجزء الأمامي من المحل ، فرأيت صندوق القبعة الجلدي خلف الطاولة . وفتحت علبة قهوة ، ثم صببت القهوة في صفيحة القمامة . وبعدي ثقت علبة لبن مركز ثقبين ، وأفرغت اللبن في علبة القهوة ، ووضعت الإسفين تحت الباب الخلفي ليظل مفتوحاً ، ثم وضعت علبة اللبن في المدخل . كان القط في الحارة بالفعل ، ولكنه لن يقرب اللبن إلا بعد ذهابي إلى مقدمة المحل . ومن هناك استطعت رؤيته ، قط رمادي في حارة رمادية ، يلحق اللبن وحين رفع رأسه كان اللبن يغطي شاربه . ثم جلس ومسح فمه واملق باطن قوائمه .

فتحت صندوق القبعة وأخرجت قسائم يوم السبت ، كانت جميعها مدونة في القائمة وقد ضمت إلى بعضها بمشبك ورق . وأخرجت من مظروف المصرف

البنى ثلاثين ورقة من فئة المائة دولار ، وأعدت العشرين ورقة الأخرى إلى مكانها . ستكون هذه الثلاثة آلاف دولار الحد الذي يكفل سلامتي إلى أن تتوازن اقتصاديات المحل . أما الألفان الآخران من نقود ماري فسأردهما إلى حسابها ، وحالما أمكن من تسيير العمل بشكل مطمئن ، أرد الثلاثة آلاف أيضا . وضعت الثلاثين ورقة في حافظتي الجديدة ، مما جعلها تنفتح إلى حد كبير في جيبى الخلفى . بعد ذلك أحضرت الأكياس وصناديق الورق المقوى من المخزن ، وأخذت أشقها وأمزقها لأفتحها ، ثم بدأت أسد النقص في الأرفف التي استهلكتها ، وأثناء ذلك كنت أكتب على قصاصة من ورق التغليف قائمة بالبيضات التي ينبغي تجديد طلبياتها . كومت العلب والصناديق في الحارة حتى تآنى سيارة نقل القمامة لأخذها ، وأعدت ملاء علبه القهوة باللبن ولكن القط لم يعد . فهو إما أن يكون قد نال كفايته ، وإما أنه لا يستمتع إلا بما يستطيع سرقة فحسب .

لا بد أن هناك سنوات تختلف عن سنوات أخرى، تختلف في طقسها وأحوالها ، مثلها يمكن أن يختلف يوم عن يوم آخر . فقد كان هذا العام - عام ١٩٦٠ - عام تبديل ، عاما تتكشف مخاوفه المستورة وتبين ، عاما يكف فيه الضجر عن السكون ويتحول تدريجياً إلى غضب لم يكن هذا إحساسى وحدى أو إحساس نيو بايتون . فسرعان ما سيحل موعد الترشيحات لرئاسة الجمهورية ، وقد أخذ الضجر الذى يسود الجو في التحول إلى غضب ، مع ما يصحب الغضب من تهيج . كما لم يكن هذا إحساس الدولة فحسب ، فقد كان العالم بأجمعه ، يتململ متبرماً قلقاً بينما راح الضجر يتحول إلى غضب ، والغضب يحاول أن يجد له متنفساً بإيجاد حدث ، أى حدث طالما انطوى على العنف - كانت أفريقيا ، وكوبا ، وأمريكا الجنوبية ، وأوروبا ، وآسيا ،

والشرق الأدنى ، كلها قلقة مثل خيول تنتظر عند حاجز السباق .  
وعرفت أن يوم الثلاثاء ، الخامس من يوليو ، سيكون يوماً مليئاً بالأحداث  
أكثر من الأيام الأخرى . بل إنى عرفت الأشياء التي ستقع قبل وقوعها ، ولكن  
حيث إنها وقعت فلن أتأكد أبداً مما إذا كنت قد عرفتها فعلاً .

أعتقد أنى عرفت أن المستر بيكر - الساعة ذات السبعة عشر حجراً والمضادة  
لصدمة ، والتي تبعث في الساعات دقائقها - سوف يأتى مجلجلاً إلى بابى الأمامى  
قبل موعد فتح المصرف بساعة . وقد جاء قبل أن أفتح الحبل لممارسة عملى ،  
وأدخلته ثم أغلقت الأبواب خلفه .

قال : « ياله من أمر مريع ! كنت بمعزل عن الأخبار ، وقد عدت حالماً  
سمعت » .

— « أى أمر مريع ياسيدى ؟ »

— « الفضيحة طبعاً ! أولئك الرجال أصدقائى ، بل أصدقائى القدامى .  
ينبغى أن أفعل شيئاً من أجلهم » .

— « إنهم لن يستجوبوا قبل إجراء الانتخابات - فهم متهمون فحسب »

— « أعلم ذلك . ألا يمكننا أن نذيع بياناً عن اعتقادنا ببراءتهم ؟ ولو حتى

على شكل إعلان ندفع أجره ، إن كان ذلك ضرورياً » .

— « فى أى جريدة ياسيدى ؟ إن صحيفة « باى هاربور ميسنجر » لاتصدر

قبل يوم الخميس » .

— « حسناً ، ولكن ينبغى عمل شيء ما » .

— « أعلم ذلك » .

كان رداً بالغ الرسمية ، فلا بد أنه كان يعلم أنى أعلم . ولكن الواقع أنه قابل نظراتى وقد بدا عليه الانزعاج الحقيقى .

— « هذه العصابة المجنونة ستدمر انتخابات البلدة ما لم نفعل شيئاً . ينبغي أن نقدم مرشحين جدد ، ولاخيار لنا فى الأمر . إنه لشيء مرعب أن يفعل المرء ذلك بأصدقائه القدامى ، ولكنهم أول من يجب أن يعلم أننا لانستطيع أن ندع تلك العصابة المتعاملة تتدخل فى الأمر . »

— « لم لاتحدث إليهم ؟ »

— « إليهم متهوسون مجانين . ولم يتح لهم الوقت ليتدبروا الأمر . هل جاء ماروللو ! »

— « أرسل عديقاً . وقد اشتريت المحل مقابل ثلاثة آلاف دولار . »

— « هذا طيب . لقد عقدت صفقة جيدة ، وهل حصلت على الأوراق ! »  
— « أجل . »

— « حسن ، ولو راوغ فأوراق العملة مسجلة »

— « لن يراوغ ، فهو يريد أن يرحل . إنه متعب . »

— « لم يحز ثقتى مطلقاً . فلم أعرف أبداً فيم كان يشتغل . »

— « أكن محتالاً ياسيدى ؟ »

— « كان مخادعاً ، يلعب على طرفى الحبل ولو أمكنه التصرف فى

ممتلكاته لحصل على مبلغ كبير ، أما بثلاثة آلاف — فذلك نوع

من الهبة . »

— « لقد كان يحببى . »

— « لاريب فى ذلك . من الذى أرسله إليك ، جماعة المافيا ؟ »



- « موظف حكومي . وكما ترى كان ماروللو يثق بي » .

قطب المستر بيكر جينته ، وكان ذلك غير مألوف بالنسبة لشخصيته .  
وقال « لم لم أفكر في ذلك أنت هو الرجل . من أسرة طيبة ، وموثوق به ،  
صاحب عقار ، رجل أعمال ، ويتمتع بالاحترام . لاعدوا لك في البلدة . أنت  
الرجل ولاشك » .

- « الرجل ؟ »

- « الرجل الذي يشغل منصب مدير البلدية » .

- « لم أكن رجل أعمال إلا منذ يوم السبت فحسب » .

- « أنت تعلم مقصدي . فبوسعنا أن نحيطك بوجوه جديدة محترمة وهذا  
هو الطريق السليم . »

- « من موظف في محل بقالة إلى مدير للبلدية ؟ »

- « لم ينظر أحد أبداً إلى فرد من عائلة هولي على أنه موظف في محل  
بقالة »

- « ولكنني فعلت أناوماري » .

- « إنك لست كذلك . ونستطيع أن نذيع الخبر اليوم قبل أن تستعد . تلك  
العصبة المجنونة » .

- « يجب أن أتدبر الأمر من أوله إلى آخره » .

- « لا وقت لذلك » .

- « فيمن فكرت من قبل ؟ »

- « قبل ماذا ؟ »

« قبل أن يتقوض المجلس . سأحادثك في هذا الموضوع فيما بعد . لقد كان يوم السبت عظيماً ، كان بوسعى أن أبيع الميزان أيضاً » .  
— « تستطيع أن تجعل من هذا المحل شيئاً بديعاً يا إيثان . ونصيحتي إليك أن تدعه ثم تبيعه . فتصبح أكبر من أن تقف لخدمة الزبائن . ألا توجد أى أخبار عن داني ؟ »

— « ليس بعد . فلا أخبار حتى الآن » .

— « كان ينبغي ألا تعطيه النقود » .

— « ربما كان ينبغي ألا أفعل . ولكنى اعتقدت أنني أقوم بعمل طيب . »

— « طبعاً . طبعاً » .

— « مستر بيكر ، سيدى - ماذا حدث للسفينة بل آدير ؟ »

— « ماذا حدث لها ؟ احترقت بالطبع » .

— « فى الميناء - كيف بدأ الحريق ياسيدى ؟ »

— « ياله من وقت مضحك لتسأل هذا السؤال . إنى أعرف ما سمعته فحسب .

وقد كنت صغيراً جداً حتى إننى لا أتذكر . كانت تلك السفن القديمة تنشعب بالزيت ، وأعتقد أن بحاراً ألقى عود ثقاب . كان جدك هو الربان ، وأعتقد أنه كان على الشاطئ ساعة ، كان قد وصل لتوه » .

— « كانت رحلة سيئة » .

— « ذلك ما سمعته » .

— « هل كانت هناك أية مشقة فى الحصول على التأمين ؟ »

— « حسناً ، إنهم يوالون إرسال المحققين . كلاً لم تكن هناك مشقة ،

فقد استغرق الأمر بعض الوقت ولكننا حصلنا على التأمين ، آل هولى وآل بيكر » .

— « كان جدى يعتقد أن النار أشعلت فيها » .

— « ولم ، بحق السماء ؟ »

— « للحصول على نفود التأمين ، فصناعة صيد الحيتان كانت قد وابت » .

— « لم أسمع أبداً أنه قال ذلك » .

— « لم تسمع أبداً ؟ »

— « إيشان - ما الذى ترمى إليه ؟ لماذا تنبش شيئاً وقع منذ عهد بعيد ؟ »

— « إن حرق سفينة أمر مرعب ، بل إنه جريمة قتل . وإنى أنوى أن

أرفع قاعدتها من الأعماق يوماً ما » .

— « قاعدتها ؟ »

— « إنى أعرف للمكان الذى تستقر فيه بالضبط . على مبعدة خمسين

فرسخاً من الشاطئ »

— « ولم ينبغى أن تفعل ذلك ؟ »

— « أود أن أرى إذا ما كان خشبها البلوطى لا يزال سليماً . فقد كان من

البلوط البكر الموجود فى شلتر ايلاند . ولن تكون السفينة تالفة تماماً مادامت

قاعدتها سليمة . يجدر بك أن تنصرف إذا كنت ستبارك عملية فتح الخزانة .

كما أن على أن أفتح المحل » .

عندئذ بدأ ( رقا صه ) الحركة ، وانتظمت دقاته وهو يسير إلى المصرف .

أعتقد الآن أنى توقعت حضور بيجرز أيضاً ، فقد حتم على الصديق المسكين أن

يقضى جل وقته في مراقبة الأبواب . ولا بد أنه كان ينتظر انصراف مستر بيكر  
في مكان ما يقع في المجال الذي يسمح له باختلاس النظر .

— « أمل ألا تنقض على وتمسك بخناقى » .

— « ولم أفعل ؟ »

— « بوسعى أن أدرك سبب غضبك المفاجيء . أظننى لم أكن دبلوماسياً .  
جداً » .

— « ربما كان ذلك هو السبب » .

— « هل أمعنت الفكر فى عرضى ؟ »

— « أجل » .

— « وما رأيك ؟ »

— « أعتقد أن ستة فى المائة ستكون أفضل » .

— « لا أعلم إذا ما كنت شركة بى . بى سترضى بذلك » .

— « الأمر متروك لهم » .

— « قد يوافقون على خمسة ونصف » .

— « وقد توافق انت على النصف الآخر » .

— « يا إلهى ، يارجل . وأعتقدت أنك ستكون فتى ريفياً ، فإذا بك

بارع الذكاء » .

— « فلتقبل العرض أو ترفضه » .

— « حسناً . أى نوع من البضاعة ستكون طلبيتك ؟ »

— « هناك قائمة جزئية بجانب آلة عد النقود » .

خدرس المكتوب على قصاصة ورق اللف ، وقال : « يبدو أنك عاقتنى فى

خطاف . وها أنذا ، ياخى أنزف . هل يمكنى استلام الطلبة الكاملة اليوم؟ »

— « ستكون فى الغد طلبية أفضل وأكبر » .

— « أتعنى أنك ستحول حسابك كله إلينا ؟ »

— « إذا تعاملتم معى معاملة حسنة » .

— « أخى ، لا بد أنك تمسك عنق رئيسك بين يديك . هل تستطيع

تنفيذ ذلك » .

— « على فحسب أن أدبر الأمور » .

— « حسناً ، ربما استطعت قضاء بعض الوقت مع صديقة الوكيل المتجول .

ينبغى أن تكون فى برودة سمكة الرنجة يا أخى . أقول لك إن تلك المرأة شهية » .

— « إنها صديقة زوجتى » .

— « أوه . ياه . أدرك كيف يكون الأمر معك . إنه لخبر سيء كونها وثيقة

الصلة ببيتكم . إنك ذكى . وإن كنت لم أعرف ذلك قبلاً ، إلا أننى أعرفه الآن

سنة فى المائة . يا إلهى ! إلى الغد صباحاً » .

— « ويحتمل فى ساعة متأخرة من أصيل اليوم إذا أتيح لى الوقت . »

— « فلنجعلها غداً صباحاً » .

جاء العمل يوم السبت على دفعات . أما هذا الثلاثاء فقد تغير إيقاع الحركة

فيه تغيراً كلياً . كان الناس يتباطأون ، ويرغبون فى الكلام عن الفضيحة وهم

يقولون ، إن ذلك أمر سيء ، خيف ومقزز ، ولكنهم كانوا يتلذذون بالتحدث

عنه . فلم تحدث عندنا فضائح منذ مدة طويلة . ولم يذكر واحد منهم للمؤتمر

الوطنى الديمقراطى الذى سيعقد فى لوس أنجيليس - ولو مرة واحدة - ونيوبابتون

بجلاء جمهورية النزعة طبعاً ، ولكننى أظن أن معظم اهتمام أهلها كان منصباً

على ماهو وثيق الاتصال ببلدهم . فنحن نعرف الرجال الذين أخذنا نرقص فوق قبورهم .

دخل مدير البوليس ستونول جا كسون خلال ساعة راحة الظهيرة ، وقد بدا عليه التعب والكدر .

وضعت علبة الزيت على الطاولة واصطدت المسدس القديم بقطعة سلك .  
— « هاك الإثبات ، أيها المدير . هلا سمحت بأخذه بعيداً ؟ فهو يشير أعصابي » .

— « حسناً ، هلا مسحت الزيت عنه ؟ أنظر . إنه من ذلك النوع الذي اعتادوا أن يسموه ( مسدس بدولارين ) - وهو ذو سقاطة علوية ومن ماركة إيفور جونسون . هل جئت بأحد للملاحظة الحل ؟ »  
— « كلا » :

— « أين مارللو ! »

— « إنه خارج البلدة » .

— « أظن أنه ربما تحتم عليك أن تغلق المحل فترة قصيرة » .

— « ماذا هناك ، أيها المدير » :

— « حسناً ، لقد هرب ابن تشارلي بريور من منزله هذا الصباح . ألدريك

أى مشروب بارد هنا ؟ »

— « بالتأ كيد . عصير برتقال ، جيلاتى ، عصير ليمون ، كوكا كولا

فماذا تريد ؟ »

— « أعطنى زجاجة سفن آب . إن تشارلى رجل ظريف . وابنه توم فى

الثامنة من عمره ، ويتصور أن العالم يقف ضده وينوى الهرب ليصبح قرضاناً

ولو كان والده أى شخص آخر لصفحه على قفاه ، واكن تشارلى لايفعل -  
ألا تنوى فتح هذه الزجاجه ؟

- « آسف . هاك هى . لكن ماعلاقتى بتشارلى ؟ إنى أحبه بالطبع » .

- « حسناً ، إن تشارلى لايدبر الأمور كما يدبرها الآخرون . فهو يتصور

أن أحسن طريقة لعلاج توم هى مساعدته . وهكذا بعد أن تناولوا إفطارها أعدا  
حزمة من فراش وطعاماً كثيراً . وأراد توم أن يأخذ معه سيفايا بانياً لحماية  
نفسه ولكنه جرى وراءه فاستقر رأيه على أن يأخذ سونكياً . وشحنة تشارلى  
فى السيارة وقادها به إلى خارج البلده لينحه بداية طيبة . وأنزله هناك قريباً من  
مرجة تيلور - إنك تعرفها ، عند بيت آل تيلور القديم . حدث هذا حوالى  
التاسعة من صباح اليوم . وراقب تشارلى صبية فترة قصيرة ، فكان أول ما فعل  
أن جلس على الأرض وأكل ست شطائر وبيضتين مسلوقتين . وبعد ذلك  
سار فى طريقه عبر المرجة يحمل حزمته الصغيرة والسونكى . وقاد تشارلى سيارته  
عائداً إلى بيته .

هاقد حلت اللحظة الحاسمة . لقد عرقها ، عرقها . وغالباً ما كان  
انقضاؤها مبعث راحة .

- « وحوالى الساعة الحادية عشرة خرج الصبى إلى الطريق ولعبه يسيل »

والتقطته سيارة ذهبت به إلى البيت .

- « اعتقد أن بوسعى أن أخن . ستونى - هل هو دانى ؟ »

- « أخشى ذلك . فقد وجد هناك بأسفل فى مدخل قبو البيت القديم -

ومعه صندوق من الويسكى لم تفرغ منه سوى زجاجتين ، وزجاجة حبوب منومة -

يؤسفني أن أسألك هذا السؤال ، يا إيثان . ولكنه بقي هناك فترة طويلة وقد  
هاجمه حيوان مافى وجهه . ولعلها الققط . فهل تتذكر أى ندوب أو علامات  
في جسده ؟

— « لأريد رؤيته ، أيها المدير » .

— « ومن الذى يريد ؟ ولكن ماذا بشأن الندوب » ؟

— « أذكر جرحاً نجم عن سلك شائك أعلى ركبة ساقه اليسرى ، و— و—

شمرت كى — « وقلبا مثل هذا تماماً موشوم على ذراعه . لقد رسمنا هذا الوشم  
حين كنا صبيين . جرحناه بشفرة حلاقة ثم دعكنا حبراً فوق الجرح . وما يزال  
واضحاً جداً ، أترى » ؟

— « حسناً — قد يفى ذلك بالغرض . أهنك شىء آخر » ؟

« أجل — ندبة كبيرة تحت ذراعه اليسرى ، من أثر قص جزء من الضلع

فقد أصيب بالتهاب رئوى بللورى قبل اكتشاف الأدوية الحديثة فأدخلوا أنبوبة  
في الفتحة لتصريف إفرازات الجرح » .

— « بالطبع إذا كان هناك ضلع مقوص فسيبقى ذلك بالغرض . ولن يكون

على العودة شخصياً ، فليمتط المحقق دابته إلى هناك سيكون عليك أن تقسم على  
صحة تلك العلامات إذا كانت الجثة جثته » .

— « حسناً ، ولكن لاتضارنى للنظر إليه يا ستونى ، فقد كان — أنت تعلم

— كان صديقى » .

— « بالتأكيد ، يا إيثان . قل لى ، هل هناك نصيب من الصحة فيما أسمعه

عن ترشيحك لمنصب مدير البلدية » ؟

— « هذا خبر جديد على . أيها المدير — هل يمكنك البقاء هنا دقيقتين » .



-- « يجب أن أذهب » .

— « دقيقتين فقط ربما أهرع عبر الشارع لأتناول شراباً » .

— « أوه بالتأكييد . أفهم حالتك بالتأكييد - هيا اذهب . فعلى أن أساير

مدير البلدية الجديد » .

تناولت شرابى واشترت زجاجة ربع لتر لأعود بها معى إلى المحل . حين

انصرف ستونى ، كتبت على قطعة من الورق المقوى « عائد فى الساعة الثانية »

ثم أغلقت الأبواب وأسدت الستائر .

جلست على صندوق القبعة الجلدى ، خلف الطاولة فى محلى ، جلست فى

ظلمة محلى المعتمة الخضراء .



## الفصل العشرون

في الساعة الثالثة إلا عشر دقائق خرجت من الباب الخلفي واستدرت حول الناصية متجهاً إلى واجهة المصرف . كان مورفي بداخل قفصه البرونزي فسحب مني حزمة الأوراق المالية والشيكات ، والمظروف البني وأوراق الإيداع ثم فتح دفاتر المصرف الصغيرة وجعل أصابعه على شكل رقم ٨ وكتب أرقاماً صغيرة ذات زوايا بقلم فولاذي كان يحدث صريراً على الورق . وعندما دفع الدفاتر إلى ، رفع باصريه بعينين غامضتين حذرتين .

— « لن أتكلم عن الحادث يا إيثان ، فإني أعرف أنه كان صديقك » .

— « شكراً » .

— « إذا خرجت بسرعة فقد تتفادى لقاء المدير » .

ولكنني لم أتفاد اللقاء . كل ما أعلمه هو أنه يحتمل أن يكون مورفي قد ضغط على جرس متصل به . فقد انفتح باب المكتب المصنوع من الزجاج العيش وبدا منه مستر بيكر أنيقاً نحيفاً أشيب الشعر ، وقال في هدوء : « هل تستطيع أن تفرغ لي لحظة يا إيثان ؟ »

لاجدوى من التأجيل . سرت ودخلت عرينه الجليدي فأغلق الباب برقة فائقة حتى أني لم أسمع صوت قفل الباب . كان يعلو مكتبه لوح من الزجاج ، وضعت تحته قوائم فيها أرقام مكتوبة على الآلة الكاتبة . وقد قام إلى جوار كرسيه العالي كرسيان متوازيان للعملاء ، وكأنهما عجولين صغيرين رضيعين . كانا مريحين ولكنهما أكثر انخفاضاً من الكرسي الذي إلى مكتبه . وحين

جلست كان على أن أرفع ناظري لأرى المستريبكر وقد جعلنى هذا الوضع فى موقف الابهال .

— « شىء محزن » .

— « نعم » .

— « لا أعتقد أن اللوم كله ينبغى أن يلقى عليك . كان من المحتمل أن

يقع الحادث على أية حال » .

— « محتمل » .

— « وإبنى وائقى من اعتقادك بأنك كنت تفعل الشىء الصحيح » .

— « ظننت أنه لازالت لديه فرصة » .

— « طبعاً » .

كانت الكراهية تصعد إلى حلقى بمذاق مر ، أ كثر إثارة للغثيان منه

للغضب .

— « بغض النظر عن المأساة الإنسانية والفقدان ، فإن هذا الحادث يثير

صعوبة . هل تعلم ما إذا كان له أقارب ؟ »

— « لا أظن ذلك » .

— « كل من يملك مالا له أقارب » .

— « ولا كنه لم يملك مالا » .

— « كان يملك مرجة تيور . أرض لاديون عليها ولا رهونات » .

— « صحيح ؟ حسناً ، لقد كان يملك مرجة وفتحها قبو » : —

-- « إيشان ، لقد قلت لك إننا وضعنا تصميم مطار لخدمة المنطقة كلها .

والمرجة مكان منبسط » .

فإذا لم تتمكن من الاستفادة بها ، فسنتكاف الملايين لنشق مدارج للطائرات  
وسط التلال . والآن ، وحتى لو لم يكن له ورثة ، فسيستدعى الأمر عرض  
الموضوع على المحاكم . وهذا يستغرق شهوراً » .  
— « أدرك هذا » .

وتفجر غضبه : « إني لأتساءل إذا ما كنت تدرك هذا فعلاً . فبمقاصدك  
النبيلة قذفت بالمشروع إلى عنان السماء . إني أعتقد أحياناً أن فاعل الخير هو  
أخطر شيء في العالم » .

— « ربما كنت على صواب . يجب أن أعود إلى المحل » .

— « لقد صار محلك » .

— « إنه كذلك . أليس كذلك ؟ لا أستطيع تعود ذلك . فأنا أنسى » .

— « أجل إنك تنسى . فالتقود التي أعطيتها له كانت تقود ماري ، ولن

تراها أبداً الآن . وأنت الذي أضعتها » .

— « كان داني معجباً بزوجتي ماري ، وكان يعلم أن التقود تقودها » .

— « يا للخير العظيم الذي سيسببه هذا لها » .

— « لقد ظننت أنه كان يمزح ، حين أعطاني تلك » . وأخرجت قطعتي

الورق المسطرتين من جيبى الداخلي حيث وضعتهما ، وأنا أعلم أنه سيكون على  
أن أخرجهما بهذه الطريقة . وفردتها المستر بيكر فوق مكتبه المغطى بالزجاج

وأثناء قراءتهما اختلجت عضلة بجوار أذنه اليمنى حتى جعلت أذنه تنتفض .

ومرت عيناه عليهما ثانية ، وكاتتا تبخشان في هذه المرة عن ثغرة في النص .

عندما نظر إلى كان الخوف قد تسرب إليه ، فقد رأى في شخصاً لم يكن

يدرك بوجوده . وقد استغرق تلاؤمه مع الشخص الغريب لحظة ، ولكنه كان  
بارعاً فقد تلائم معه .

— « ما الثمن الذي تعطيه » ؟

— « واحد وخمسون في المائة » .

— « من أى شيء » .

— « من أرباح الهيئة أو الشركة أو أى شيء يكون » .

— « هذا شيء يدعو للسخرية » .

— « إنكم تريدون مطاراً ، وأنا أملك المطار الوحيد الممكن

الحصول عليه » .

مسح نظارته في عناية بقطعة من ورق الكلينيكس : ثم لبسها . ولكنه

لم ينظر إلى ، بل أدار عينيه في دائرة حولي وتركني خارج مجال رؤيته .

وأخيراً سألتني :

— « هل أدركت ما فعلته يا إيثان » ؟

— « أجل » .

— « وهل تشعر بالراحة لما فعلت » ؟

— « أظنني أشعر نفس شعور الرجل الذي حمل إليه زجاجة ويسكي ،

وحاول أن يجعله يوقع ورقة ما » .

— « هل أخبرك بذلك ؟ »

— « أجل » .

— « كان كذاباً » .

-- لقد قال لي إنه كذاب ، وأنذرنى بأنه كذاب . وربما كانت هناك خدعة ما في هذه الأوراق .

وسحبت من أمامه بلطف قصاصتى الورق المبعثتين المكتوبتين بالرصاص وطويتها .

— « أجل إن فى الأمر خدعة يا إيثان . فهاتان الوثيقتان لاغبار عليهما ، فهما مؤرختان مشهود بصحتها ، وواضحتان . نعله كان يكرهك ، ولعل خدعته كانت تكمن فى تحطيم رجل . »

— « مستر بيكر ، لم يقم أحد من عائلتى قط بحرق سفينة . »

— « سوف نتكلم يا إيثان ، وسوف نقوم بالأعمال ، ونربح الأموال . ستقوم بلد صغيرة على التلال حول المرجة . وأظن أنك يجب أن تصبح الآن مدير البلدية . »

— « لا أستطيع ياسيدى . فسينشأ عن ذلك تضارب فى المصالح . وذلك ما يتكشف الآن بالذات لنفر من الرجال بلغ بهم الحزن مداه . »

فتهد — تهيدة حذرة وكأنه خشى أن يوقظ شيئاً ماى حلقه .

وقمت واقفاً وأرحت يدي على انحناءة ظهر كرسى الابهال المبطن بالجلد ،

وقلت :

« ستشعر بتحسن ياسيدى عندما تعتاد حقيقة أنى لست أبلهاً فكهاً . »

— « لماذا لم تستطع أن تجعلنى محل ثقتك ؟ »

— « إن المشاركة فى جريمة أمر خطير . »

— « إذن أنت تشعر أنك اقترفت جريمة . »

... « كلا . فالجريمة شيء يرتكبه شخص آخر . يجب أن أفتح المحل »

حتى ولو كان محلي الخاص » .

كانت يدي على مقبض الباب حين سألتني في هدوء : « من الذي وشى

بماروللو ؟ »

— « أعتقد أنك أنت الذي فعلتها يا سيدي » . وقفز واقفاً على قدميه ،

ولكنني أغلقت الباب خلفي وعدت إلى محلي . .



## الفصل الحارثي والعشرون

لا يستطيع أحد في العالم أن يرتفع إلى مستوى حفل أو احتفال مثل زوحتى ماري. وليس ماتضيفيه على الآخرين هو ما يجعلها تتألق كجوهرة ، بل ماتتلقاه منهم . فتلتصع عيها وتبرز ابتسامة فهما ، وتبعث ضحكها السريعة القوة في فكاهة ضعيفة . إن وجود ماري في مدخل أي حفل يجعل كل شخص يشعر بأنه أكثر جاذبية وحقاً عما كان . فيصبح كذلك بالفعل . وفيما عدا هذا لاتضيفي ماري أو تحتاج إلى إضفاء شيء على الآخرين .

حين عدت إلى المنزل كان بيت آل هولي بأكله يشع بالاحتفال ، كانت أعلام البلاستيك ذات الألوان الزاهية منظومة في حبال تشكل سرادقات صغيرة تمتد من الضوء الذي يتوسط المكان حتى إطار الصورة ، في حين تدلت من إفريز السلم صفوف من الرايات الملونة .

وصاحت ماري : « لن تصدق ذلك . لقد أحضرت إيلين هذه الرايات من محطة إسو لخدمة السيارات . أعارها إياها جورج ساندو » .

— « لأي سبب يجري ذلك ؟ »

— « لجميع الأسباب . إنه لأمر رائع » .

لم أدر ما إذا كانت لم تسمع بخبر داني تيلاور أو أنها سمعته ونجاهلته . وأنا لم أدعه بالتأكد لحضور الوليمة والسكنه كان يتسكع بالخارج . وعلى أن أذهب لملاقاته فيما بعد ، ولكنني لم أدعه للدخول .

وقالت ماري : « إنك لتحسب أن إيلين هي التي فازت بالشرف . بل

كثيراً فخرأماً لو كانت هي التي صارت شخصية شهيرة . انظر إلى الكعكة التي  
خبزتها . كانت كعكة مرتفعة بيضاء ، وقد كتبت على سطحها كلمة ( بطل )  
بأحرف حمراء وخضراء وصفراء وزرقاء . « سنتناول دجاجاً محمراً ، وصلصة ،  
ووكبداً بالصلصة ، وبطاطس مهروسة ، برغم أننا في فصل الصيف » .

— « طيب ، ياعزيزتي ، طيب . أين الصغير المشهور » .

— « حسناً ، لقد بدله الأمر أيضاً . إنه يأخذ حماماً ويغير ثيابه للعشاء » .

— « إنه يوم يحمل نذير شؤم أيتها الساحرة . فستجدين أن بغلة قد أنجبت

غرساً في مكان ما ، وأن مذنباً جديداً قد هوى إلى السماء . يأخذ حماماً قبل  
العشاء ، تخيلي ! »

— « ظننت أنك ربما تحب تبديل ثيابك أيضاً . فلدي زجاجة نبيذ ، وقد

فكرت في أن أحداً قد يلقى كلمة أو نشرب نخباً أو شيئاً من هذا القبيل ،

حتى ولو كان الاحتفال مقصوراً على الأسرة » . لقد أفاضت على البيت جو

الحفلة في اعتدال . ووجدت نفسي مندفعاً أرتقي الدرج لأستحم وأصبح جزءاً

من الحفل .

حين مررت بغرفة آلان ، قرعت الباب ، وسمعت من يزوم فدخلت .

كان يقف أمام مرآته ، ممسكاً مرآة بيد ليتمكن من رؤية صورة وجهه

الجانبية . وكان قد رسم شارباً أسود رقيقاً بمادة سوداء لعلها كحل ماري ، كما زاد

من سواد حاجبيه ورفع طرفاهما الخارجيين إلى أعلى فصارا كحاجبي الشيطان .

وحين دخلت كان يبتسم في المرآة ابتسامة العارف بأمور الدنيا ، ابتسامة تهكمية

ساحرة . كما كان يلبس رباط عنقي ( البايون ) الأزرق المنقط . ولم يبد عليه

بالارتباك لضبطه بهذا المنظر . وقال بعد أن وضع المرآة ذات اليد : « إني أقوم

ببروفة لتأدية دور .

— « ولدى ، لا أعتقد أنني أخبرتك خلال كل ذلك الانفعال إلى أى مدى .  
أنا فخور بك » .

— « إنها - حسناً ، إنها ليست سوى البداية » .

— « وبصراحة ، لم أعتقد أنك تجيد الكتابة ولو حتى بمستوى الرئيس .  
وإن مندهش بقدر ما أنا مسرور . متى تنوى قراءة مقالك على العالم ؟ »

— « يوم الأحد ، فى الرابعة والنصف وسيداع على كافة المحطات المحلية .  
يجب أن أذهب إلى نيويورك ، وستقلنى طائرة خاصة » .

— « هل راجعت دورك جيداً ؟ »

— « أوه ، سأؤديه على مايرام . إنها ليست سوى البداية » .

— « حسناً ، إنها أقرب الى قفزة ، أن تكون واحداً من خمسة فى  
البلاد كلها » .

فقال : « وسأظهر فى جميع المحطات المحلية » . ثم أخذ يزيل الشارب بقطعة  
قطن ، ولدهشنى رأيت أن لديه ( علبة تواليت ) تشمل مادة تظليل العينين ،  
ومعجون الوجه الدهنى ، ( الكوليد كريم ) .

— « لقد حدث كل شئ لنا جميعاً دفعة واحدة . أتعلم أنى اشتريت المحل ؟ »

— « أجل . سمعت » .

— « حسناً ، بعد أن نزل الأعلام وأوراق الزينة ، سأحتاج إلى معونتك » .

— « ماذا تعنى ؟ »

— « لقد قلت لك من قبل عن حاجتى لمعونتك فى المحل » .

— « لا أستطيع القيام بهذا » . قالها ، ثم تفحص أسنانه فى المرآة ذات اليد .

- « لا تستطيع القيام بماذا ؟ »

- « أمامي برنامجان في التليفزيون سأحضرهما كضيف ، وبعدئذ سأشترك في برنامجي « ماذا انتويت لمستقبلي ؟ » و « ضيف غامض » . وبعدئذ ستبدأ مسابقة جديدة اسمها « عوامل انحراف المراهقين » . بل إنني قد أراس الاحتفال في تلك المسابقة . بهذا ترى أنه لن يكون لدى وقت » . ورش على شعره مادة لزجة من علبة صفيح ترش بالضغط .

- « وهكذا تحدد مستقبلك كله ، أليس كذلك ؟ »

- « لقد قلت لك ، إن هذا ليس سوى البداية » .

- « لن أفك أسرار كلاب الحراسة هذه الليلة . وسنناقش هذا الموضوع

غدا بعد » .

- « هناك رجل من اذاعة ان . بي سي . كان يحاول الاتصال بك تليفونيا

ربما كان الأمر متعلقا بكتابة عقد معك حيث أن لم أبلغ السن القانوني بعد » .

- « ألا تفكر في المدرسة ، يا بني ؟ »

- « وما حاجتي للمدرسة إذا وقعت عقداً ؟ »

خرجت مسرعا وأغلقت الباب . وفي الحمام تركت الماء البارد يجري ويثلج

بشرتي وأنحت للبرودة أن تنفذ بعمق الى داخل جسدي كي أسيطر على غضبي المحتدم .

وحين خرجت من الحمام نظيفاً تفوح مني رائحة عطر ماري ، كنت قد

استعدت سيطرتي على نفسي . وفي اللحظات القليلة التي سبقت تناول

العشاء ، جلست إيلين على ذراع كرسي ثم تدرجت جالسة على حجري

وأحاطتني بذراعيها .

قالت : « إنتى أحببك . أليس الأمر مثيراً ؟ أو ليس الآن رائعاً ؟ يبدو كأنه خلق لهذا » . وتلك هى الفتاة التى كنت أظنها أنانية وعلى شىء من الوضاعة . قبل أن نقطع الكعكة شربت نخب البطل الصغير وتمنيت له حظاً سعيداً ، وأنهيته هذا بقولى : « لقد أحالت شمس ( يورك ) الساطعة شتاء سخظنا إلى صيف رائع » .

قالت إيلين : « هذا من شعر شيكسبير » .  
— « أجل أيتها الثقيلة ، ولكن من أية مسرحية ، ومن الذى قالها ، وفى أية مناسبة ؟ »

وفال آلان : « لا أدرى . فهذا سؤال يلتقى على الأذكياء » .  
ساعدت فى حمل الأطباق إلى المطبخ ، وكانت مارى ماتزال على تألقها . فقالت : « لا تغضب إنه سيجد طريقه ، وسيكون على ما يرام . أرجوك أن تكون حلماً موم » .

— « سأكون كذلك يا سماتى المقدسة » .  
— « هناك رجل من نيو يورك كان يحاول مقابلتك . وأظنه كان يريدك لأمر يتعلق بآلان . أليس من المثير أن يرسلوا طائرة لتقله ؟ إني لا أستطيع التعود على فكرة ملكيتك للمحل . كما أنى أعلم بالأمر — فالخبر قد ذاع فى البلدة كلها بأذك ستصبح مدير البلدية » .  
— « لن أصبح كذلك » .

— « حسناً ، ولكنى سمعت الخبر عشرات المرات » .  
— « لدى صفقة عمل تحول دون ذلك . إني مضطر للخروج بعض الوقت يا عزيزتى ، فلدى اجتماع » .

— « لعلى سأتمنى أن تعود موظفاً مرة أخرى . فحينذاك كنت تقضى

لياليك فى البيت . ماذا أقول للرجل إذا عاود الاتصال بك ؟ »

— « بوسعه الانتظار » .

— « لم يشأ الانتظار أول مرة . هل ستتأخر ؟ »

— « لا أدرى ، فهذا متعلق بكيفية سير الأمور » .

— « ألم يكن أمراً محزناً ما حدث لدانى تيلور ؟ خذ معطفاً واقياً

من المطر » .

— « إنه بالتأكيد أمر محزن » .

حين وصلت القاعة ارتديت قبعتى ، وبدافع . التتمطت من قدم الفيل عصابة

القبطان المعجوز المصنوعة من ناب الحوت . وتجسدت إيلين إلى جوارى .

— « هل يمكننى الذهاب معك ؟ »

— « ليس الليلة » .

— « إنى أحبك » .

حدقت عميقاً فى إبنتى لحظة ، ثم قلت : « وأنا أحبك أيضاً . سأتيك

بجواهر — هل تفضلين أى نوع منها ؟ »

فضعكت وقالت : « أنوى حمل عصابة ؟ »

— « للدفاع عن النفس » . وامتشقت العصابة العاجية اللولبية وكأنها حسام .

— « أنوى البقاء بالخارج مدة طويلة ؟ »

— « لا » .

— « لم تأخذ العصابة إذن ؟ »

— « من باب الزينة الخالصة ، والمباهاة ، والتهديد ، والتخويف ، ولإشباع

- رغبة مندثرة في حمل السلاح .
- « سألني مستيقظة في انتظارك . أيمكنني أن أمسك الشيء الوردى ؟ »
- « كلا ، لا تفعل ، يا زهرة الدمن الصغيرة ، الشيء الوردى ؟
- أتقصدين الطلسم ؟ طبعاً يمكنك أن تمسكيه . »
- « ما هو الطلسم ؟ »
- « ابحتي عن معناها في القاموس . أتعرفين كيف تمهجينها ؟ »
- « ط - ل - س - ا - م . »
- « كلا ، ط - ل - س - م . »
- « لماذا لا تخبرني أنت بمعناها ؟ »
- « ستعرفينه بصورة أفضل لو بحثت عنه في القاموس . »
- فقدت ذراعيها حولي واعتصرتني ، ثم تركتني بنفس السرعة التي  
توتني بها .
- أطبق الليل حوالى كثيفاً رطباً ، وكانت درجة الرطوبة الهواء في مثل  
كثافة مرق الدجاج . أما أضواء الشارع الختفية بين أوراق الشجر السمينة في  
شارع إلم ، فقد نثرت حوالها هالات رطبة مشعة من البخار .
- إن رجلاً يشغل وظيفة ، يرى القليل جداً من الحياة العادية التي تجري في أثناء  
النهار . فلا عجب إذا تحتم عليه أن يستقى أخباره ووجهة نظره من زوجته . فهي  
تعلم ماذا حدث ، ومن الذي قال شيئاً عما حدث ، إلا أن هذا يروي مرشحاً  
حلال وجهة النظر الأنثوية ، وهكذا يرى غالبية العاملين من الرجال الحياة العادية  
التي تجري في أثناء النهار من خلال عيون النساء . ولكن عندما يحل الليل ويفلق  
عمله أو تنتهي ، وظيفته ، يستيقظ عالم الرجل - لوقت ما .

كان لمس العصا اللولبية المصنوعة من عاج ناب الحوت مريحاً في يدي ،  
فقد صقلت ملامستها لراحة القبطان العجوز مقبضها الفضى الثقيل .

منذ عهد بعيد ، حين كنت أحياناً في دنيا النهار ، وحين كانت الدنيا مقبلة  
على إقبالاً كبيراً ، كنت أذهب إلى بقعة تغطيها الأعشاب - ثم أستلقي هناك  
ووجهي إلى الأرض ملاصقاً للجذور الخضراء ، وأصير واحداً من النمل وللمن  
وبق البنات ، فلم أعد بعد تمثالاً ضخماً بالنسبة إليها . وفي غابة العشب الوحشية  
تلك ، وجدت السلوك التي كانت بالنسبة لي تعني السلام .

أما الآن وبعد أن حل الليل ، فقد أردت الذهاب إلى الميناء القديم والمكان ،  
حيث يوجد عالم محتوم من دورات الحياة والزمان والمد ، يستطيع أن يهديء من  
تمزق نفسي .

سرت مسرعاً إلى شارع هاي ، وعند ما مررت بالفورماستر لم ألق سوى  
نظرة واحدة عبر الشارع إلى محلي ذى الستائر الخضراء . وأمام محطة إطفاء الحريق  
جلس ويلي السمين في سيارة البوليس ، وقد احمر وجهه وسال عرقه كالخنزير .

— « أعدت إلى تجوالك الليلي يا ايثان ؟ » .

— « أجل » .

— « انه لأمر محزن جداً ما حدث لداني تيلور . كان فتى لطيفاً » .

— « جداً » . قلتها وأسرعت في طريقي .

مرت بي بضع سيارات فأثارت نسمة هواء ، ولكن لم يكن هناك أي

مشاة . فلم يخاطر أحد بالتعرض للعرق الناجم عن السير .

وعند النصب التذكاري استدرت في طريقي وسرت متجهاً إلى الميناء القديم

فرايت الأضواء المنبعثة من مراسي بضعة يخوت ، وقوارب صيد بمهدة عن الساطئ .



وعندئذ رأيت صورة شخص يستدير خارجاً من شارع بورلوك ويأتي في اتجاهي،  
وعرفت من مشيته ووقفته أنه مارجي يا نيج هنت .

وقفت في مواجهتي ، ولم تدع لي فرصة للورور . بوسع بعض النسوة أن  
يشاهرن باردات في ليلة حارة . وربما كان مبعث ذلك النسمات المنبغثة من حركة  
(جولتها) القطانية .

قالت : « أظنك تبحث عني » . وأصلحت وضع خصلة شعر لم تكن قد  
خرجت عن مكانها .

- « لم تقولين ذلك ؟ »

فاستدارت وأمسكت بذراعي واستحثتني على الاستمرار في السير بضغط  
أصابعها ، وقالت : « ذلك هو النوع الذي أحصل عليه . كنت في الفور ماستر ،  
سورأيتك ماراً وظننت أنك ربما كنت تبحث عني ، فدرت بسرعة حول البناية  
واعترضت طريقك » .

- « وكيف عرفت إلى أي الطريق سأستدير ؟ »

- « لا أدري ، ولكنني عرفت . أصغ إلى طنين زيزان<sup>(١)</sup> الحصاد - إنه  
يعني مزيداً من حرارة الطقس وعدم هبوب رياح . لا تقلق يا إيثان ، فسخرج  
من نطاق الضوء خلال لحظة وتستطيع أن تأتي إلى بيتي لو أردت . سأقدم لك  
شراباً - كأساً طويلة باردة من الشراب .

وتركت أصابعها ترشدني إلى الطريق خلال ظلال حديقة من أشجار التمر حنة  
الضخمة وقد أثار الظلام نوع من الأزهار الصفراء التي تنمو قريباً من الأرض .

(١) زيزان الحصاد : إحدى سمات النباتات وتتميز بأجحة شفافة تحدث طينياً مستمراً .

- « هذا هو بيتي - جارج تعلقه قبة للتمعة » .
- « ما الذي يجعلك تظنين أنني كنت أبحث عنك ؟ »
- « لقد كنت تبحث عني أو عن واحدة مثلي . إيثان ، هل رأيت قط مصارعة ثيران ؟ »
- « رأيتها مرة واحدة في آرل بعد الحرب » .
- « لقد اعتاد زوجي الثاني أن يأخذني إليها ، فقد كان يحبها . أعتقد أن مصارعة الثيران تستهوي رجالاً ليسوا غاية في الشجاعة ويتمنون أن يصبحوا كذلك . وإذا كنت قد حضرت إحداها فستدرك ما أرى إليه . هل تتذكر الثور حين يحاول - بعد كل تلك المحاورات بالوشاح الأحمر - أن يقتل شيئاً ليس له وجود ؟ »
- « نعم » .
- « هل تتذكر كيف تأخذه الحيرة والقلق ، فلا يفعل سوى الوقوف والبحث عن جواب ؟ حسناً ، عليهم حينذاك أن يقدموا له حصاناً وإلا انفطر قلبه . إذ يتحتم عليه أن يفرس قرنيه في شيء صلب وإلا ماتت روحه . حسناً ، إنني ذاك الحصان . وذلك هو النوع الذي أحصل عليه من الرجال ، رجال مضطربون مرتبكون يبحثون - في شخصي - عن نصر صغير لهم . وبعد ذلك يستطيعون العودة إلى وشاحهم الأحمر وسيوفهم » .
- « مار جي ! »
- « انتظر لحظة ، فإنني أحاول العثور على مفتاحي أتشم رائحة الياسمين البري ! »

— « ولكنى قد أحرزت نصري لتوى » .

— « صحيح ؟ وهل علقت وشاحك - ووطأته بقدميك ؟ »

— « كيف تعرفين ؟ »

— « أعرف ذلك عندما يوجد رجل يبحث عني ، أو عن مارجي أخرى .

راقب درجات السلم ، فإنها ضيقة . لا تدع رأسك يصطدم بأعلى . والآن ، هاهو ذات مفتاح النور - أترى ؟ إنها قبة للمتعة ، أضواؤها خافتة ، وتفوح منها رائحة المسك -

وتجذبك إلى أعماق بحر لا تشرق عليه شمس ! »

— « أعتقد أنك فعلا ساحرة » .

— « أنت تعلم جيداً أننى كذلك . ساحرة فقيرة جديرة بالثناء في بلدة

صغيرة . اجلس هناك بالقرب من النافذة . سأدير المروحة ، وسأقوم بما يطلقون عليه « الدخول في ملابس مريحة » وسأحضر لك بعد ذلك كأساً طويلة باردة

من ( مدمر الجماجم ) » .

— « أين سمعت تلك الكلمة ؟ »

— « أنت تعرف أين سمعتها » .

— « هل عرفته جيداً ؟ »

— « عرفت جزءاً منه . الجزء الذى تستطيع المرأة أن تعرفه عن رجل .

وأحياناً يكون ذلك هو أفضل الأجزاء ، ولكن ليس دائماً . وقد كان الأمر

كذلك مع داني ، وقد وثق بي » .

كانت الغرفة أشبه بألبوم ذكريات غرف أخرى ، فيه تتف وقطع من حياة

أناس الآخرين وكأنها تذييلات في كتاب . وأحدثت المروحة القريبة من النافذة

هدداً خافتاً هامساً .

وسرعان ما عادت مارجي في رداء طويل واسع فضفاض أزرق ، حاملة معها  
سحابة من عطر . وحين تنبسته قالت : « لاتزعج . إنها (كولونيا) لم تشمها  
ماري على أبدأ . هاك شرابك - من الجن ومادة مقوية . لقد دهنت الكأس  
بمادة مقوية . إنه جن ، مجرد جن . وإذا ما خششت الثلج الذي فيه ، فستظن  
أنه شراب بارد » .

شربته دفعة واحدة وكأنه جعة ، وشعرت بحرارة الشراب القوية تمتد إلى  
كتفي ثم تنحدر إلى ذراعي لدرجة جعلت بشرتي تتألق .  
قالت : « أظنك كنت تحتاج إلى ذلك الشراب » .  
— « أظن ذلك » .

— « سأجعل منك نوراً شجاعاً - سأقاومك مقاومة تكفي لجعلك تعتقد  
أنك أحرزت نصراً . فذلك ما يحتاج إليه الثور » .  
حدقت في يدي ، كاتنا مليونين بالخدوش المتقاطعة والجروح الصغيرة من  
جراء فتح الصناديق ، ولم تكن أظافري نظيفة تماماً .

وتناولت العصا العاجية من على الأريكة حيث كنت قد أسقطتها ، وقالت :  
« آمل ألا تحتاج عاطفتك الواهنة إلى هذه العصا » .  
— « هل أنت عدواني ؟ »

— « أنا رفيقة اللعب في نيو بايتون ، أكون عدوتك ؟ »  
وصمتت طويلاً حتى استطعت أن أشعر بقلقها المتزايد . وقالت : « أمامك  
متسع من الوقت . أمامك حياتك كلها لتجيب على سؤالي . سأحضر لك شراباً » .  
تناولت منها الكأس الملائنة ، وكان جفاف شفتي وفي بالغا حتى اضطرت

لا ارتشاف بعض الشراب قبل أن أستطيع الكلام ، وحين فعلت خرج صوتي  
محسراً .

— « ماذا تريدين ؟ »

— « لعل رأيي قد استقر على الحب . »

— « حب رجل يحب زوجته ؟ »

— « تقصد مارى ؟ أنت حتى لا تعرفها . »

— « أعرف أنها رقيقة وحلوة وعاجزة نوعاً ما . »

— « عاجزة ؟ إنها فى قوة حذاء برقبة . وستحيا طويلاً بعد أن تكون

آلة جسمك قد تحطمت . إنها أشبه بطائر النورس الذى يستغل

الريح لتبقيه عالياً ثم لا يجرى جناحاً على الإطلاق . »

— « ليس هذا صحيحاً . »

— « وإذا ما وقعت مشكلة كبرى فإنها تنسل منها بينما تحرق أنت فيها . »

— « ماذا تريدين ؟ »

— « ألا تنوى اجتياز الحدود ؟ ألا تريد تدمير كراهيتك بالحصول على

جسد مارى العجوز الطيبة ؟ »

وضعت كأسى نصف المثلثة على منضدة جانبية ، فرفعتها بسرعة الحية

ووضعت تحتها منضدة سجائر ، ثم جففت بيدها الدائرة الرطبة التى على المنضدة-

— « مارجى — أريد أن أعرف شيئاً عنك . »

— « كفى خداعاً . أنت تريد معرفة رأيي فى العرض الذى أديته . »

— « لا أستطيع تصور ما تريد من مالم أعرف من أنت . »

— « أعتقد أن الرجل يعنى مايقول — إليك الجولة السياحية التى تكلف

حولاراً . جولة بحوس فيها خلال مارجي يانج هنت وأنت تحمل بندقية وآلة  
تصوير . كنت فتاة صغيرة طيبة ، فتاة صغيرة ذكية وراقصة لعينة متوسطة  
وقابلت ما يدعونه رجلاً أكبر مني سنًا وتزوجته . لم يكن يحبني — بل كان  
مدلماً بحبي . وهكذا جاء ذلك الرجل على طبق فضي إلى الفتاة الذكية الصغيرة .  
ولم أكن أحب الرقص كثيراً ، بل من المؤكد أنني كنت أكره العمل  
كراهيتي للجحيم . وعندما تخلصت منه باغ به الارتباك مداه حتى إنه لم يضع  
في قرار النفقة شرطاً يلغها إذا تزوجت ثانية . فتزوجت رجلاً آخر وعشنا حياة  
ذتيوية صاحبة قضت عليه . وطيلة عشرين عاماً لا زال هذا الإذن المصرفي  
يصلني مع بداية كل شهر . وطيلة عشرين عاماً لم أقم بأى عمل ولو طفيف ، فيما  
عدا التقاط بضعة هدايا من المعجبين . لا تبدو تلك المدة وكأنها عشرون عاماً ،  
ولا كأنها كذلك فعلاً . وها أنا ذى لم أعد بعد فتاة طيبة صغيرة »

ذهبت إلى مطبخها الصغير وأتت بثلاثة مكعبات ثلج في يدها ، ألقها في  
كأسها ثم صبت الجن فوقها . واجتذبت المروحة المدممة رائحة نباتات  
البحر الطافية التي كشفها انحسار المد عنها . وقالت بصوت ناعم : « إيثان ،  
ستربح الكثير من المال » .

— « هل عرفت نبأ الصفقة » ؟

— « إن بعضاً من أنبل نبلاء الرومان ليسوا إلا زواحف » .

— « استمرى » .

فأشارت بيدها إشارة كاسحة طار معها كأسها ، وقفزت مكعبات الثلج  
مرتدة عن الحائط وكأنها زهر نرد .

قالت : « لقد أصيب فتاى العاشق بنوبة في الأسبوع الماضى وحينه

ينتهي أجله سيتوقف إرسال الأذون المصرفية . إننى عبوز كسولة وخائفة ، وقد  
أخذتك سنداً إلى ولكنى لا أثق بك . فقد يخرج على القاعدة ، وتستحيل  
أميناً . إنى أقولها لك ، أنا خائفة » .

قت واقفاً فوجدت ساقى ثقيلتين ، لم تكونا مترمحتين — بل ثقيلتين  
ونائبتين فحسب .

— « ماذا لديك لستغليه » ؟

— « كان مارولو صديقى أيضاً » .

— « أفهم » .

— « ألا تريدنى ..... »

— « أنا لا أكرهك » .

— « سنحاول وضع ترتيب ما . إنى أكره المستر بيكر ، وقد نستطيعين  
نتف ريشه » .

— « يالها من لهجة . أنت لا تفكر بعقلية الشراب » .

— « إن الشراب بالنسبة لى يعنى فترات سعيدة » .

— « هل يعلم بيكر بما فعلت لدانى » ؟

— « أجل » .

— « وكيف تقبل الأمر » ؟

— « تقبلاً حسناً . ولكنى لا أميل إلى الوثوق به » .

— « كان ينبغى على ألفيو أن يثق بك » .

— « ماذا تمنين بذلك »

— « اعنى ما أخنه فقط . ولكنى مستعدة للرهان على تخمينى . لا تنزعج

فلن أخبره ، فارولو صديقى »

— « أعتقد أني أفهمك ، أنت تشيرين الحقد لكي تستطيعي استعمال

سيفك . ولكن سيفك من مطاط يمارجي . »

— « أمحسبني لأعرف ذلك بإيثان ؟ ولكنني أحصل على مالي بعجزى . »

— « هل تريدن الإفضاء لي ؟ »

— « ربما لا يكون هناك بأس من ذلك . إنني أراهن على أنك حين

تستدير حول البناية ستركلك عشرة أجيال من آل هولي ، وحين

ينصرفون سيكون لديك حبلك الرطب والملح لتدهن جروحك . »

— « إذا كان الأمر كذلك — فإلى أين يفضى بك هذا ؟ »

— « ستحتاج إلى صديق تتحدث إليه ، وأنا الشخص الوحيد في العالم

الذي يسد هذا الفراغ . فالسر شيء مرعب موحش يا إيثان . ولن

يكلفك هذا كثيراً ، ربما نسبة مئوية صغيرة فحسب . »

— « أعتقد أني سأصرف الآن »

— « أشرب كأسك . »

— « لا أريدها . »

— « لا تدع رأسك تصطدم بأعلى في أثناء نزولك الدرج يا إيثان . »

كنت في منتصف السلم حين تبعتني وقالت : « هل قصدت أن تتروك

عصاك ؟ »

— « إلهي . كلا . »

— « ها هي . ظننت أنها قد تكون نوعاً من — التضحية . »

كانت الدنيا تمطر ، وهذا يجعل رائحة الياسمين البري حلوة في الليل



وكانت ساقاي تترنحان لدرجة أنني احتجت فعلاً للعصا المصنوعة من  
نارب الخوت .

كانت مع ويلى السمين لفة من المناديل الورق موضوعة على المقعد بجوار  
ح بها العرق عن رأسه .

— « سأثير دهشتك لأنى أعرف من هي » .

— « ستكسب » .

— « قل لى يا إيثان ، هنالك شخص كان يبحث عنك - شخص

فى سيارة كرىزلر ضخمة يقودها سائق » .

— « ما ذا يريد ؟ » .

— « لا أدرى . أراد أن يعرف ما إذا كنت قد رأيتك ، ولكنى لم أبح

ببنت شفة » .

— « سأقدم لك هدية فى عيد الميلاد ، يا ويلى » .

— « قل لى يا إيثان ، ما ذا جرى لقدميك ؟ » .

— « كنت ألعب البوكر ، فذب الخدر إليهما » .

— « أجل . ذلك يحدث . هل أقول للفتى إذا رأيتك إنك ذهبت

للبيت ؟ » .

— « قل له أن يأتى إلى المحل غداً »

— « يركب سيارة كرىزلر إمبيريال ، يركب سيارة فى طول عربية

قطار » .

كان الفتى جوى يقف على الرصيف أمام الفورماستر ، ويبدو متراخياً مبللاً

— « ظننت أنك ذهبت إلى نيويورك لتشرب زجاجة باردة » .

— « الطقس شديد الحرارة ، ولم أستطع التحمس للرحلة ، ادخل وتناول

شراباً يا إيثان . إننى أشعر بانقباض » .

— « الحرارة شديدة لا يناسبها الشراب يا مورفى » .

— « حتى ولا زجاجة جعة ؟ » .

— « الجعة تزيد من حرارتى » .

— « تلك قصة حياتى ، حين أكتئب - لا أجد مكاناً أذهب إليه

أو أحداً أتحدث معه » .

- « يجب أن تتزوج » .

— « لن تكون الزوجة هى الشخص الذى تتكلم معه بما تشاء » .

- « لملك على صواب » .

— « إننى مصيب تماماً ، فما من أحد يكون وحيداً مثل رجل متزوج » .

— « وكيف تعرف ذلك ؟ » .

— « إننى أراهم . بل إلى أتطلع إلى واحد منهم الآن . أعتقد أننى

أشترى صندوقاً من الجعة الباردة وأرى إذا ما كانت مارجنى يا بيج هنت

ستستقبلنى . انها لا تحدد أوقات العمل » .

— « لا أظنها فى البلدة يا مورفى ، فقد أخبرت زوجتى - أو على الأقل

هذا ما أعتقده - أنها ستذهب الى « مين » حتى تنقضى موجة الحر » .

— « عليها اللعنة ، حسناً - إن فقدانها ربح لصاحب الشرب ، فسوف

أقص عليه الأحداث المحزنة التى وقعت فى حياة أنفقت هباء ، ولن

يصغى إلى بالتالى ، الى اللقاء يا إيثان ، سرفى رعاية الله . هذا ما يقولونه

فى المكسيك » .

دقت العصا المصنوعة من ناب الحوت الرصيف واضحة علامات ترقيم  
لتساؤلى عما . ١٠ ابي الى قول ذلك لجوى . فهى لن تتكلم ، لأن ذلك سيفسد  
لعينها ، ويجب أن تبقى مسمار الأمان فى قنبلتها اليدوية ، لا أدرى ما الذى  
حدانى الى قول ذلك .

حين استدرت من شارع هاى إلى شارع إلم ، استطعت رؤية السيارة  
السكرىزى واقفه عند الحجر المجاور لبيت آل هولى العتيق ، وليسكها كانت  
أقرب إلى عربة نقل المرتى منها إلى عربة قطار . كانت سوداء دون تألق بسبب  
نقط المطر ورذاذ الوحل السميك الذى تنثر عليها فى الطرق الرئيسية ، وكانت  
مصاييح إشارة التوقف التى فيها من زجاج أغبش .

ولا بد أن الوقت كان متأخراً جداً . فلم تنبعث أى أضواء متألقه من  
المنازل النائمة فى شارع إلم . كنت مبلاً ولا بد أننى خطوت داخل بركة من  
ماء المطر ، فقد كان حدانى يحدث صوتاً من اعتصاره للماء فى أثناء سيرى .

ورأيت خلال الزجاج الأمامى الغائم رجلاً يرتدى قبعة سائق . فوقفت  
الى جوار السيارة المهولة ودققت على الزجاج بقبضتى ، فانزلق الزجاج إلى أسفل  
محدثاً أزيزاً كهربياً . وأحسست بالطقس الغير عادى الناتج عن التكيف  
يهب على وجهى .

--- « أنا إيثنان هونى . هل تبحث عنى ؟ » ورأيت أسناناً خلال الجوى  
الغمم - أسناناً تتألق وقد انعكس عليها نور شارعنا .

ندفع الباب مفتوحاً من تلقاء نفسه ، وخطا إلى الخارج رجل نحيل أنيق  
اللبس ، وقال : « أنا دنسكومب من زرع التليفزيون بشركة بروك وشون -

يجب أن أتحدث معك . وتطلع ناحية السائق وقال : « ولكن ليس هنا هل نستطيع الدخول ؟ » .  
— « أعتقد ذلك ، وأظن أن الجميع نيام . فإذا تكلمت تكلم بصوت خافت » .

وتبغنى سائراً فوق المشى المبلط المقام فوق المرجة المشبعة بالماء ، كان نور الساهرة مضاء في القاعة ، في أثناء دخولنا وضعت العصا المصنوعة من ناب الحوت في قدم الفيل .  
وأضأت مصباح القراءة الذي يعلو مقعدى الضخم ذا القاعدة المحشوة بالزميركات .

كان البيت ساكناً ، ولكنه بدا لي نوعاً غير عادي من السكون - سكون يثير الأعصاب ، فألقيت نظرة سريعة من بئر السلم على أبواب غرف النوم بالطابق العلوى .

— « لا بد أن الأمر هام بحيث جعلك تأتي في مثل هذه الساعة المتأخرة »  
— « إنه كذلك » .

استطعت رؤيته الآن . كانت أسفانه هي سفراؤه في الحديث ، ولم تعاونها في ذلك عيناه المتعبتان الحذرتان . قال : « نريد أن نبقى هذا الأمر سراً . فقد كانت هذه سنة سيئة كما لا بد أنك تعلم . فقد انهار الأساس بفضائح برامج الألفاز وبعدهم سرت الإشاعات حول برامج المسابقات ووصل الأمر إلى لجان الكونجرس . وعلينا أن نراقب كل شيء ، فالفترة خطيرة » .  
— « أود لو تحدثني عما تريد » .

— « هل قرأت مقال ابنك الذي بعنوان ( أحب أمريكا ) ؟ »

— « كلا ، لم أقرأه . فقد أراد مفاجئني » .

— « وقد فاجأك فعلاً . لا أدري لم لم نكتشف الأمر ، ولكن هذا ما حدث » . ومدلى يده بملف أزرق مقفول . « اقرأ ماتحته خط فيه » غطست في مقمدي وفتحت الملف . كانت الكتابة إما مطبوعة أو مكتوبة بإحدى تلك الآلات الكاتبة الحديثة التي تشبه حروفها حروف المطابع ، ولكن شوهتها خطوط بقلم أسود خشن على كلا الهامشين .  
« أحب أمريكا »

بقلم

إيثان آلان هولي الثاني

« ماهو الإنسان الفرد ؟ إنه ذرة تكاد لاتبين دون استعمال منظار مكبر إنه مجرد بقعة موجودة على سطح الكون . إنه لا يبلغ ثمانية زمن إذا قورن بالأبدية التي لاحصر لها ولا بداية ولا نهاية . إنه نقطة في الخضم المائل الذي شبخر ثم تذرره الرياح . إنه ذرة رمل سرعان ماتتحد بالغبار الذي خرجت منه . فهل يعترض مخلوق بهذه الضآلة والحقارة والزوال والفناء طريق الزحف السائر لأمة عظيمة يتحتم عليها أن تواصل الحياة دهوراً ودهوراً مقبلة ، وهل يعترض ذلك المخلوق طريق السلسلة الطويلة من الذرية المتدفقة من أصلابنا لتحتمل البقاء طالما بقي العالم موجوداً ؟ فلنتطلع إلى بلادنا ونسمو بأنفسنا إلى مصاف المواطنين الخالص الزهاء ، ثم ننقد بلادنا من كل خطر محيق . فما قيمتنا — بل ما قيمة أي إنسان — إذا لم يكن مستعداً ورائعياً في التضحية بنفسه من أجل بلاده ؟  
وقلبت الصفحات فرأيت العلامات السوداء في كل مكان .

— « هل تعرف هذا الكلام » .

— « كلا ، ولكنه يبدو مألوفاً — ولعله يبدو مأخوذاً من شيء ما قيل في

القرن للماضى » .

— « إنه كذلك ، نص من خطاب هنرى كلاى الذى ألقاه عام ١٨٥٠ .

— « والباقي ؟ هل كله من خطب كلاى » .

— « كلا - بل شذرات وقفات ، بعضها لدانيال ويبستر ، وبعضها

لجيفرسون ، والبعض منها - وليعنى الله - فقرة من خطاب لينكولن رئيساً للفرقة

الثانية . ولا أدرى كيف فاتتني تلك بالذات . أعتقد لأنه كان أمامى ألوف من

المقالات . شكراً للمسيح لأننا ضبطناها فى الوقت المناسب - بعد كل المشاكل

الناجمة عن برامج الألفاز وفان دورين وما إلى ذلك » .

— « ولكنه لا يبدو شبيهاً بأسلوب صبي فى الكتابة » .

— « لأعلم كيف حدث ذلك . وقد كان من المحتمل أن نخذعنا المقالة لو لم

نتلق بطاقة البريد » .

— « بطاقة البريد » ؟

— « بطاقة بريد مصورة ، عليها بناية الأمبايرستيت » .

— « ومن الذى أرسلها » ؟

— « مجهول » .

— « ومن أين أرسلت » ؟

— « من نيويورك » .

— « دعنى أراها » .

— « لقد تحفظنا عليها لإبرازها فى حالة قيام أى مشكل إنك لاترغب فى

إثارة مشاكل ، أليس كذلك » ؟

— « وما الذى تريد » ؟

— « أريد منك أن تنسى الموضوع كله . وسنقسط الأمر كله من حسابنا وننساه - هذا إذا نسيتَه أنت » .  
— « إنه أمر ليس نسيانه سهلاً » .

— « يا للجهيم ، إني أقصد أن تبقى فك مطبقاً — ولا تسبب لنا أى مشاكل . لقد كانت سنة سيئة . وفي انتخابات كهذه قد يكشف أى إنسان النقاب عن أى شيء » .

أقلف الملف الأزرق الثمين وناولته اياه قائلاً : « لن أسبب لك أى مشاكل » . وبدت أسنانه وكأنها لآلىء منتقاه ، وقال : « كنت أعرف ذلك . وقد قلته لهم . فقد استعلمت عنك . إن سجلك ناصع — وتنحدر من عائلة طيبة »

— « هل لك أن تنصرف الآن ؟ »

— « لا بد أن تعلم أنني أفهم شعورك » .

— « شكراً . وأنا أيضاً أفهم شعورك . إن ماتريد اسدال الفطاء عليه شيء غير موجود » .

— « لا أريد أن أنصرف وأتركك غاضباً إن اختصاصى هو قسم العلاقات

العامة . ونستطيع أن ندبر لابنك شيئاً ، مثل منحة دراسية أو ماشابه — شيئاً محترماً » .

— « هل أضربت الخطيئة طلباً لرفع الأجور ؟ كلا ، عليك فقط أن

تنصرف الآن — أرجوك » .

— « سندبر شيئاً ما » .

— « إني متأكد إنكم ستفعلون » .

وتركته يخرج ثم جلست ثانية وأطفأت النور وأخذت أصفى إلى جو بيتي .  
كان يدق وكأنه قلب ، ولعل هذا كان وجيب قلبي في بيت قديم ينبعث فيه  
حنيف . وفكرت في الذهاب إلى الدولار وتناول الطلسم بيدي — وقد وقفت

للإتيان به .

سمعت صوت مضغ وصهيل كالذي ينبعث من مهر خائف ، ثم وقع خطوات  
سريعة في القاعة أعقبها سكون . أحدث حذائي صوتاً وأنا أصعد الدرج ،  
ودخلت غرفة إيلين ثم أضأت النور . كانت مكومة تحت ملاءة ، وقد وضعت  
رأسها تحت وسادتها . وعندما حاولت رفع الوسادة تعلقت بها وكان على أن  
أجذبها بعنف . كانت خط من الدم يسيل من ركن فمها .

— « لقد انزلت في الحمام » .

— « فاهم . وهل إصابتك خطيرة ؟ »

— « لا أظن ذلك » .

— « أي بكلمات أخرى ، ليس هذا من شأنك » .

— « لا أريد أن يأخذوه إلى السجن » .

كان آلان جالساً على حافة سريره ، عارياً إلا من سروال مما يلبس  
مركوب الخيل . وقد جعلتني عيناه — أفكر في فأر محصور في زاوية ، وقد  
استعد أخيراً لمقاومة يد المكذبة .

— « المتسللة النتنة ! »

— « هل سمعت كل شيء ؟ »

— « سمعت ما فعلته تلك المتسللة النتنة » .



— « وهل سمعت ما فعلته أنت ؟ »

وهنا هاجم القار المحصور . فقال : « وما أهمية ذلك ؟ الكل يفعلونها .  
إنهم يفعلونها بنفس البساطة التي يلفون بها فطيرة » .

— « هل تؤمن بذلك ؟ »

— « ألا تقرأ الصحف ؟ الكل يفعلونها من أصغر واحد إلى أكبر  
واحد — عليك فحسب أن تقرأ الصحف . أقرأ الصحف فحسب ، لتشعر بأنك  
قديس . وأراهن أنك اختلست شيئاً في زمانك ، لأن الجميع يفعلون ذلك .  
ولن أتلقى الخطبات نيابة عن الجميع . أنا لا أهتم بشيء سوى تلك المتسللة  
النتنة » .

مارى تستيقظ عادة مبكراً ، إلا أنها كانت مستيقظة . واعاها لم تكن قد  
نامت . كانت تجلس على حافة السرير في غرفة إيلين . كان ضوء الشارع  
يجعل صورتها واضحة بدرجة كافية ، وظلال أوراق الشجر تتحرك على وجهها .  
كانت صخرة ، صخرة جرانيت ضخمة راسخة وسط تلاطم أمواج المد -  
كان صحيحاً أنها في قوة حذاء برقية ، لا تهتز ولا تستسلم ومطمئنة . .

— « هل ستذهب الى فراشك يا إيثان ؟ »

اذن فقد كانت تتسمع هي أيضاً .

— « ليس الآن يا عزيزتي الغالية » .

— « هل ستخرج ثانية ؟ »

— « أجل — لأتمشي » .

— « إنك في حاجة إلى النوم ، ولا زالت الدنيا تمطر . هل أنت مضطر

للخروج ؟ »

- « نعم . هناك مكان ينبغي أن أذهب إليه » .
- « خذ معطفك الواقى من المطر ، فقد نسيتته فى المرة السابقة » .
- « حاضر يا عزيزتى » .
- لم أقبلها عندئذ . فلم أتمكن من ذلك مع وجود الجسم المكور المغطى إلى جوارها . ولكنى لمست كتفها ثم لمست وجهها وكانت قوية كخذاء برقبة . ذهبت إلى الحمام لحظة لآتى بعلبة من شقرات الحلاقة .
- كنت فى القاعة أمد يدي داخل الدولاب بحثاً عن معطف واقى من المطر كما أرادت مارى ، حين سمعت هرجاً وتعثراً واندفاعاً ثم ألقى إيلين بنفسها على وهى تزوم وتخن . ودفنت أنفها الدامى فى صدرى ، ثم أحاطتنى بذراعيها فثبتت مرفقى إلى أسفل ؛ كان جسدها الصغير كله ينتفض .
- وأمسكت بفاصيتها وجذبت رأسها إلى أعلى تحت ضوء الساهرة التى فى القاعة .
- « خذنى معك » .
- « لا يمكننى ذلك أيتها الحقاء . ولكنك لوجئت معى إلى المطبخ ، فساغسل لك وجهك » .
- « خذنى معك . إنك لاتنوى العودة » .
- « ماذا تقصدين ؟ انى عائد طبعاً . وأنا أعود دائماً . أذهبي الى فراشك واستريحى . وعندئذ ستشعرين بتحسن » .
- « ألن تأخذنى معك » ؟
- « لن يسمحوا لك بالدخول الى المكان الذى سأذهب إليه . فهل تريدن الوقوف بالخارج فى منامتك » ؟

— « لا تمتلك الذهاب » .

وتشفت به، مرداً أخرى ، وأخذت يداها تتحسنان وتربتان على ذراعيه  
وجنبي ، ثم دفعت قبضتيها المضمومتين في جيبى الجانبين لدرجة أني خفت  
أن تعثر على شفرات الحلاقة . لقد كانت دوماً فتاة تحب الملاعبة ، وتحب  
التريبت . كانت فتاة مدهشة . وفجأة تركتني ، ووقفت الى الخلف رافعة الرأس  
ثابتة العينين بلادموع . فقبات خدها الصغير القذر وشعرت بالدم المتجمد على  
فمي . وعندئذ استدرت في اتجاه الباب .

— « ألا تريد عصاك » ؟

— « كلا يا بيلين . ليس الليلة . اذهبي إلى فراشك يا عزيزتي . اذهبي الى  
فراشك » . وجريت مسرعاً . وأعتقد أني جريت لأهرب منها ومن ملوحي .  
فقد استطعت أن أسمع وقع خطوات مارى المرشومة وهي تنزل الدرج .

LibraryArab.com

LibraryArab.com

LibraryArab.com

LibraryArab.com

LibraryArab.com

LibraryArab.com

LibraryArab.com

LibraryArab.com

LibraryArab.com

LibraryArab.com

LibraryArab.com

LibraryArab.com

LibraryArab.com

LibraryArab.com

LibraryArab.com

## الفصل الثاني والعشرون

كان المد في ارتفاع ، غطت مياه الخليج الدافئة وسلفت دانزلا الم...  
وتحرك موجة أرضية بطيئة داخلية وخارجية من المدخل ، ففسرت خلال  
سروالي ، وانفجحت على عجزى طية الأوراق المائية السمينة في جيبى الضيق  
ثم مالبت أن رقت تحت ثقلى الذى أخذ يقشع بالشاء . كان البحر في الصيف  
مزدحماً بسمك قنديل البحر الصغير الذى بحجم حبة التوت ، وقد تدلت أطرافه  
المحلاقية وخلاياه اللاسعة . وعندما دفعه الموج فارتطم بساقى وبطنى شعرت  
بتلك الأطراف تلسعنى وكأنها نيران صغيرة حارقة وظلت الموجة البطيئة تسرى  
داخلة الى المكان وخارجة منه ، وصار المطر الآن مجرد ضبابة رقيقة جمعت كل  
النجوم ومصاييح البلدة ثم نثرتها بالتساوى - فأعطت لمعاناً داكناً بلون الزنك  
واستطعت رؤية الصخرة الثالثة ، ولكنها عند النظر إليها من المكان ، لم تكن  
على خط مستقيم مع النقطة التى كنت تحتها قاعدة البيل آدير العازنة ، وتحركت  
موجة أقوى فرفعت ساقى وجعلتنى أحس أنهما طليقتان ومنفصلتان عنى ،  
ومن مكان غير محدد اندفعت ريح قوية قادت أمامها الضبابة وكأنها قطع أغنام  
وحيثئذ تمكنت من رؤية نجم - تأخر إشراقه ، بل تأخر جداً على حافة  
الأفق ، وتناهى إلى سمى صوت هدير مركب ذى شراع ، وهذا ما بينه لى  
صوت آله البطء الخافت ، ورأيت ضوء صاربة يرتفع فوق حاجز  
الأمواج المهن المنهار ، إلا أن ضوءه الأحمر والأخضر كانا منعكسين عن  
مستوى نظرى

والتهبت بهرتي من طعنات قنديل البحر ، وسمعت صوت إلقاء مريح  
مركب ، ثم انطلقاً ضوء الصاري .

لازال نور ماروللو يصبي ، وكذلك نور القبطان المعجوز ونور العمة ديورا .  
ليس صحيحاً ما يقال من أن هناك مجموعة من الأنوار ، تمثل شتلة كبيرة للعالم  
كله ، بل إن كل إنسان يحمل نوره الخاص ، نوره المتوحد .

وانبعث ضليل حين اصطدم سرب من السمك المقترس الصغير بالشاطئ ،  
نوري ينطق ، وليس هناك ما هو أكثر سواداً من ذبالة .

وقلت في دخيلتي : « أريد الذهاب إلى البيت — لا . ليس إلى البيت ،  
بل إلى الجانب الآخر من البيت حيث تمنع الأنوار .

إن الظلام يبدو أكثر سواداً عندما ينطق نوره منه عما لو لم يسلم فيه  
نور على الإطلاق ، والعالم مليء بالخرائب المظلمة ، والطريق الأفضل — الذي  
لا بد أن يكون آل ماروللو قد عرفوه أيام روما القديمة — هو أنه يحل وقت  
لانسحاب لائق ومشرف ، انسحاب لا مأسوي ولا يوقع عقاباً بالنفس  
ولا بالأصرة — مجرد وداع في حمام دافئ وشريان مفتوح ، وبدية بحر دافئ  
وشفرة حلقة

أحدثت الموجة الأرضية التي يدفعها المد المتزايد حفيماً وهي تدخل المكان  
ورفعت ساقى وردفي وأطاحتهما جانباً ، ثم حملت معها في خروجها معطفي  
لمبتل المطوى .

دحرجت على أحد ردي ومددت يدي في جيبي الجانبي بحثاً عن شفرات  
الحلاقة ، ولمست العلبة . وحينئذ ، ولدهشتي تذكرت اليدين اللطافتين المرصين ،  
يرى حاملة النور . وقاومت العلبة الخروج من جيبي المبتل لحظة . وحين

صارت في يدي ، جمعت كل نتفة من نور كانت هناك ، ثم بدت حمراء حمراء  
حمراء داكنة .

ودفعتني موجة متلاطمة إلى آخر المكان . وتزايدت سرعة أمواج البحر  
وكان على أن أصارع الماء كي أنفذ إلى الخارج ، فقد كان لا بد من الخروج .  
تدحرجت وزحفت ونثرت الرذاذ حولي وأنا غاطس في الموج إلى صدري  
ودفعتني الأمواج المتسارعة إلى سور البحر القديم .  
حتم على أن أخرج — حتم على أن أعيد الطلسم إلى مالكه الجديد . وإلا  
فربما انطفأ نور آخر .

LibraryArab.com

LibraryArab.com

LibraryArab.com

LibraryArab.com

LibraryArab.com

LibraryArab.com

LibraryArab.com

LibraryArab.com

LibraryArab.com

مطبعة المعرفة  
عارة النابلسية  
١٩٩٠

LibraryArab.com

LibraryArab.com

LibraryArab.com

LibraryArab.com

LibraryArab.com

LibraryArab.com



Library4Arab.com

Library4Arab.com

Library4Arab.com

Library4Arab.com

Library4Arab.com

Library4Arab.com

Library4Arab.com

Library4Arab.com

Library4Arab.com

Library4Arab.com

Library4Arab.com

Library4Arab.com

Library4Arab.com

Library4Arab.com

Library4Arab.com

الناسخ  
موسم سجل العرب  
بإشراف الأستاذ الدكتور إبراهيم عليه  
٢٦ شارع شريف باندا - القاهرة  
تليفون ٤٩٩٥٩  
١٩٦٣

طبع الغلاف بمطابع البلاغ